

عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ



تَأَلَّفَتْ
مُحَمَّدُ رِضَا السَّاعِدِيُّ

المقدِّمة



www.haydarya.com





علي

في القرآن والسنة

تأليف

محمد رضا الساعدي



٤٢٥
٢٨١٥

الإهداء

يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجيات فاوف لنا الكيل
وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين.

إليك سيدي يا أمير المؤمنين يا باب مدينة علم الرسول ووارث علمه
وعلمك علوم الأنبياء من قبله

يا من قرن الله ولايتك بولايته وولاية رسوله

بقوله عز اسمه «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

وفرض حبك وقرنه بحب الله ورسوله «يجب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»

وجعل طاعتك كطاعته وطاعة رسوله، بقوله ﷺ طاعة علي طاعتي وطاعتي
طاعة الله.

أهديك سيدي بضاعتي المزجاة جهد المستطاع لتقبلها بفصلك وتسقين من
حوض الكوثر وأنت ساقيه يوم الورود على الله وتشفع لي عند ربك فإن لك الجاه
العظيم عنده ولا يشفعون إلا عن ارتضى وأنت المرتضى.

محمد رضا الساعدي

الكتاب:علي في القرآن والسنة (مقدمه)

المؤلف: محمد رضا الساعدي

الناشر: دارالهدى

الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ ق

الكمية: ٢٠٠٠

الشابك المقدمة: ٧ - ١٨١ - ٤٩٧ - ٩٦٤ - ٩٧٨

الشابك: ٩ - ١٧٧ - ٤٩٧ - ٩٦٤ - ٩٧٨

١٤٢٨ هجرية - ٢٠٠٧ ميلادية



جميع الاخبار عن النبي الخاتم ﷺ قد أخبرة به جميع الأنبياء لما له الدور العظيم في مسيرة الكيان البشري نحو الحق.

وهذا القانون ينطق على الامامة التي هي المكملة للنبوة في نبوة خاتم الأنبياء قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

ولهذا تجد شخصيته الإمامة المتمثلة بعلي في القرآن وعدد الآيات المتحدثة عنه وعن فضائله ما لا تجدها في غيره لما تمثله من أهمية في مسيره الإسلام والحفاظ والبقاء على الدين في سلامه قال رسول الله ﷺ ان القرآن أربعة أرباع فربع فينا أهل البيت خاصة وربع في أعدائنا وربع حلال وحرام وربع فرائض وأحكام وان الله أنزل في علي كرائم القرآن^(١). وقال ابن عباس نزل في علي أكثر من ثلاثمائة^(٢).

وكذلك ما أوردته السنة النبوية في بيان فضائل ومقامات علي من ناحية الكرم والكيف يتناسب في الأهمية في الدور الخطير لنلك الشخصية ولهذا تلاحظ ان النبي ﷺ لا يترك مناسبة الأوساط الاضواء على شخصية الإمام في بدايات البعثة ﷺ من حديث الدار وتنتهي والنبي علي فراش الموت حينما قال «أئتوني بدواة وقلم أكتب لكم كتاب لن تضلوا بعدي أبداً كل هذا يبين لنا أن لشخصية علي المنزلة العظمى والارتباط الوثيق في الدعوة التي بعث بها النبي ﷺ وان من اركان دعوة النبي ﷺ هو بيان مقام علي واهل بيته عليهم السلام ولذلك تجد أن أئمة

١ - شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٢.

٢ - ينابيع المودة.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.
قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى
اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

هناك مجموعة من السنن والقوانين الإلهية في الهداية البشرية ومن تلك القوانين هو إقامة الحجّة من بني أو رسول أو إمام وان تكون الحجّة واضحة لا لبس فيها ولا شبه تقول قاعدة اللطف أن الذي خلق الإنسان القى على عاتقه التكاليف من أجل أن يوصله إلى السعادة والكمال فمن اللطف الإلهي ان يهيء مقدمات هدايته وتربيته وان يضع تحت تصرفه مستلزمات بلوغ ذلك الهدف لانه لو لم يفعل فإن الله أجل من أن يكلف الناس بلوغ مقام السعادة الكبرى وهو معرفته سبحانه وتعالى من دون أن يرشدهم إلى الطريق.

ولهذا ترى جريان المعاجز على أيدي الأنبياء بما أنها علامة وآله لطريقه المستقيم والدادلة والعلامة الأخرى التي تكون أكثر انضاحاً في بعض الأحيان من المعاجز هي تنصيب وأخبار النبي السابق على اللاحق وكلما كان للنبي له شدة في التأثير في مسير البشرية كان الأخبار والتنصيب عليه أكثر أهميته ولهذا تجد ان

الغراء والكتاب والمحدثين والخطباء حتى صبيه المكاتب ان يلعنوه ويسبوه على المنابر على كثرتها يوم ذلك واكد على الخطباء أن يبدؤ خطبه الجمعة بلعنه وامر الجميع ان يتعقبوا كل من ذكر فضيلة لعلي ان يسجن أو يقتل ويمنع من العطاء أو تهدم داره عليه وبهذا يستمر الحال من بعده إلى خلفاء بني مروان وولاتهم وعرضنا لبعضهم بايجاز من قتل وتشريد لشيعه علي عليه السلام في طول البلاد وعرضها وطمس فضائله وتحريفها والطعن بها وقتل من نقلها على الضنة والتهمه وبهذه الفضائع والجرائم ينتهي العهد الاموي الاسود مثقلاً باوزاره الشنيعة بتحريف السنة النبوية وابدالها بدكتاتورية غاشمة تسحق الاخضر واليابس مليئة بالفسق والفجر، والمجون التي يندي منها جبين المسلم الغيور على إسلامه وعقيدته وينتهي غير مأسوف عليه.

ويأتي العهد العباسي وعرضت لثلاثة من خلفائهم المنصور، والرشيد والمتوكل على سبيل الاستشهاد وان كان الكل سواء وبمثل ما تقدم من الامويين ودلائهم من تحريف السنة النبوية بكل ما فيها والنصب والعداء لشيعه علي واخفاء مناقب أمير المؤمنين وعاقبوا على من يذكر منها حتى اليسير وزادوا على من تقدمهم من الظلم والجور لاهل البيت وتفنتوا بالبذخ والترف وتبذير أموال المسلمين وبذها بسخاء على شهواتهم ومجونهم ومحصرة على قصورهم والمتعاونين معهم من وزراء وولاة وقادة جيوشهم حتى عاشوا في الأرض فسادا وقد نصبوا دعاة ومحدثين وعلماء وحفاظ لاخفاء الشرعية لسلطانهم واغدقوا عليم الأموال الكثيرة والمناصب ومنعوا كل محدث وعالم لا يسير بركب السلطة أو من يشم منه رائحة المخالفة عوقب بأشد العقوبة حتى يقتل أو يسجن ويطرده حتى إمامة الصلاة.

الكفر لما علمت ما تمثله شخصية علي ودوره في الحفاظ والقيومة على الأسلام
 المحمدي حيكته حوله المؤمرات في زمن رسول الله وكان الرسول المدافع الأول
 عن علي عليه السلام وبعد ان رحل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كشروا عن اينابهم ووقع الانحراف الخطير
 في مسيرة الإسلام عند ما عزلوه عن المكان الذي وضعه الله ورسوله فيه لكن
 الإمام لم يكن تلك الشخصية المحددة بزمن خاص بل شخصيته علي باقية بيضاء
 الدين ولهذا تجد ان المؤامره على علي عليه السلام وعلى شخصيته تتجدد في كل عصر
 وبكل صورها من محاولات يائسه وذلك من خلال تحريفهم لمعاني الآيات القرآنية
 وغيرها من ما لا جدال فيه ان الانحراف والتغير السياسي في التاريخ الإسلامي في
 بادئ بدء لعب الدور الأكبر في التعقيم على فضائل ومناقب علي عليه السلام وذلك
 يتعاقب السلطات طيلة القرون وابتداءً يمنع تدوين السنة أو التحدث بها لكي لا
 يظهر منها شيء وعرضت من ذلك النماذج ثم سار عليه الدور الاموي بزعامه
 معاوية بن أبي سفيان وكيف استطاع ان يمنع ذكر فضيلة واحده وكما ذكر نفضيله
 في رسائل أمي بكر الخوارزمي وابن نبطويه كما وصفها ابن قتيبة والإمام الباقر
 ويتضح الكثير من ذلك في ذكر رسائل معاوية ووصاياه إلى جميع ولاته في كاهه
 الاقطار والزمهم وتشدد عليهم ولم يكتفي بهذا حتى احتضن بعض الصحابة
 وبعض التابعين ممن باع دينه بثمان بخس أمثال أبي هريرة وعمر بن العاص وعتبه
 وغيرهم فأسنجاوا له بكل ما يرغب بواله بكل ما يرغب بل زادوا باكثر ما
 يطلب ترفلاً وتضرباً فأغدق عليهم المال اجزيل بل وولاهم المناصب العالية وكما
 سيتضح لك ذلك جلياً ممن ولاهم من غيرهم من الولاة في الاقطار ورسائله
 الكثيرة إلى عماله وخاصته وعرضت لها نبذة قصيرة حتى الزمهم بتعميمها على

خصوصاً كتبهم للطعن برواة فضائل أمير المؤمنين وأهل بيته حتى صححوا بعض الرواة من خصومه حتى من السراق والسكران وغيرهم ويحذفوا من الحديث الصحيح المتعلق بأمير المؤمنين من آخره حتى بشينه أو يضيفوا إليه جملة مخلة يفقد مزيتها وإن روى في مسانيدهم كاملاً أو يطعن بالراوي وهذا رافض أو فيه تشيع فلا يقبل حديثه أو يتهم بالزندقة أو يغمز فيه بالانحراف حتى وإن كان من رجال الصحاح وعرضت أمثله لهؤلاء الرجال التي نصت الصحاح على وثافتهم وقبول رواياتهم كما نسبوا لبعض كبار القوم من ساداتهم وكتبهم المعتبرة إلى الرفض مثل الحاكم في مستدركه على الصحيحين وأبي حجر والنسائي والطبري وغيرهم ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين.

وباختصار التزمت بنقل الحديث في فضائل أمير المؤمنين ومناقبه معتمداً على رواية أهل السنة في كتبهم المعتمد عندهم وتركت الكم الهائل من فضائله من طريق الشيعة ولا حتى بحديث واحد إلا بما يتوافق مع رواية أهل السنة ليتم بذلك التوافق والإجماع والله من وراء القصد.

محمد رضا الساعدي

واستطاعوا بذلك فرض المذاهب الأربعة وقربوهم وبذلوا الاموال لهم ولطلابهم وحصروا الفتيا والحديث بهم وتحويلهم نصب القضاة وأئمة المساجد واشترطوا ان يذكروا كل ما يرضيهم وينكروا كل ما يخالفهم وتعرضت بإجياز لأئحة المذاهب الأربعة وكيف جاءت وكيف صارت وسارت ومن هنا بدء حصر الاجتهاد بهم لا غير ومن هذه ظهر الاجتهاد مقابل للنصوص الثابتة وتأويل الظاهر الصريح بما يرغب كل واحد حسب هواه ومزاجه وتغيرت أحكام الشريعة وخاصة بما يتعلق بشيعة أمير المؤمنين وفضائله وغيرها.

ولا اجحف بالقول عليهم ولكن حتمية الامر أنهم تلقوا تلك المصائب والتحريف والتغيير بما ورثوه من السلف السابق وما اخذه الاباء وورثه الابناء ووفق هواهم وتثبيت سلطانهم فعضوا عليه بالنواجذ وحسبوها سنة متبعة وسار عليها من سار واخبرا حصروا القول على الصحاح السنة حتى جعلوها عدلاً للكتاب الكريم واعتمدوا عليها بما لا يقبل سواها وبوقفه قصيرة معها وملاحظة أصحابها كيف استولى عليهم الموروث من العهد الاموي وما تلقوه وتعلموه من العهد العباسي كما ناقشت اصحابها كيف جمعوها وما جرى بينهم من الحقد والتناقض فيما بينهم كما ظهر في رجال الصحاح الذين وثقوا بهم واعتمدوا على اقوالهم ان فيهم من الخوارج وأصحاب البدع والنواصب والمجاهيل والوضاعين وغيرهم مما يفقد الثقة بهم وعبروياتهم.

كالا حضت لبعض أصحاب الرجال من أهل الجرح والتعديل الذين نأمل ان قولهم الفصل وحكمهم العدل ولكن مع الاسف الشديد ان فتحوا الباب على مصراعيه من التعصب المقيت والنصب الشديد مما افقدنا ما نأمله فيهم وكأنهم

بعد الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، لا بد من معرفة المصدر الذي يأخذ الإنسان منه دينه في أصوله وأحكامه، حيث أنه سبحانه وتعالى كلف عباده لامتنال معرفة أوامره ونواهيه، فوضع لهم قوانين وتفصيل ما حرّم عليهم وما أحل لهم، ولم يكن أمر من تلك الأوامر إلا وفيه حكم محدود من وجوب أو حرمة أو كراهة أو استحباب أو إباحة.

ولا بد للمسلم أن يستند في امتثال أحكام الله في عباداته ومعاملاته وكل ما يتعلق من أمر دينه ودنياه على مصدر يعتمد عليه ويثق به ولا يكتسب ذلك الحكم صفة الشرعية والانتساب إلى الله تعالى ما لم يكن مستند إلى مصدر التشريع والذي يتمثل في الكتاب الكريم الذي قال الله عز وجل لنبيه عنه: ﴿وَوَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

والسنة النبوية وهي فعل الرسول وتقريره وحديثه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي السنة تفصيل لما أجمله القرآن وشرح لمتشابهه، وأحكام أخرى ليس لها ذكر في القرآن، تشرحها السنة وتفصلها.

ولست بصدد استعراض هذه المسائل وتفصيلها الآن، فقد كفانا ذلك استقرار المسلمين على العمل بالسنة والاعتماد عليها كمصدر ثان للإسلام عملاً بقوله



تمهيد

في منع كتابة سنة رسول الله ﷺ
والتحديث بها

الفصل الأول

أهمية سنة النبي ﷺ



خلال الآيات الكثيرة كقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢).

أمر النبي ﷺ بحفظ السنة.

وقد حث عليها النبي ﷺ كثيراً وأوصى بها، وأمر برواية الحديث عنه وبتدوين حديثه. فقال ﷺ: نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.^(٣) وفي لفظ: نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره.^(٤) وكان ﷺ في بعض خطبة التي شحنها بالأحكام من أمر ونهي وبيان، كرر مراراً قوله: ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

وقال: إني أحدثكم الحديث فليحدث الحاضر منكم الغائب^(٥). كما هو ظاهر في خطبته في حجة الوداع وفي خطبه يوم الغدير، وهذا كثير في أحاديثه، وسنعرض لبعضها في حينه.

(١) الحشر: ٧.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) مسند أحمد ٥: ١٨٣.

(٤) سنن الترمذي ٤: ١٤١. سنن أبي داود ٢: ١٧٩. سنن ابن ماجه ٢٣، ٢٣٦. وقد احصى له بسبوني زغلول في موسوعة أطراف الحديث ٤٧ طريفاً.

(٥) مجمع الزوائد ١: ١٣٩. الجامع الصغير ١: ٤٠٤، ح ٢٦٤٧.

تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

والسنة النبوية الشريفة بعد ثبوت صدورها عنه ﷺ حجة ضرورية من ضروريات الدين، فمن جحدها فقد كفر وكذب بالدين، وأنكر القرآن الكريم، حيث أننا لم نعرف أن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى إلا من قول النبي ﷺ، فإذا لم يكن قوله حجة فلا أثر للقرآن إذن، وأن لم تكن السنة النبوية حجة فلا معنى لجميع العبادات والأحكام التي جاء تفصيلها من طريق السنة، ووضعت حدودها وشروطها.

فحجية السنة النبوية من ضروريات الدين بلا أدنى نزاع بين المسلمين (٢).
لكن المسلمين واجهوا عقبات كثيرة ومشاكل وعقبات وضعت في طريق الوصول إلى حديث نبيهم وأخذوا معالم دينهم وأحكامه منه !!
عقبات عانى منها علماء المسلمين ما عانوا، ولولاها لما حدث اختلاف في المذاهب والمسالك في الأصول والفروع، ولما حدثت في تاريخهم الكثير من الانحرافات، فكانت السبب في مصائبهم وويلاتهم.
وسنوضح بإيجاز الأسباب التي أدت إلى صعوبة تناول سنة النبي ﷺ:

القرآن يثبت حجية السنة،

أثبت لنا القرآن الكريم حجية السنة، وألزمنا باتباعها وحفظها من

(١) الحشر: ٧.

(٢) راجع عبد الغني عبد الخالق - حجية السنة: ص ٢٤٥، وص ٣٨٢.

وقد حدث ذلك في عهد أبي بكر كما سيأتي.

وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يكتب حديث النبي فقالت له قريش أتكتب عن رسول الله ﷺ كل ما تسمع وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر فذكر ذلك النبي فقال له ﷺ وهو يشير إلى شفثيه الشريفتين: ((أكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق))^(١).

وقوله ﷺ: الناس لكم تبع، وسيأتيكم أقوام من أقطار الأرض يتفقهون فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً وعلموهم مما علمكم الله.^(٢)
وشكا إليه صحابي كان يسمع الحديث فلا يحفظه فقال له ﷺ: ((استعن بيمينك، وأشار بيده إلى الخط))^(٣).

وفي مستدرك الحاكم ١: ٥: وقال (اكتبوا لأبي شاه) وقد طلب أبو شاه أن يكتب له خطبته ﷺ ببنى. وأمثال هذا كثير جداً لا مجال لذكره.
وورد عنه قوله ﷺ في أحاديث: (اكتبوا) كما في سنن الترمذي^(٤)
ومثله: (قيدوا العلم بالكتاب) كما في مستدرك الحاكم^(٥).



- العلل ١: ٩. الأحكام لابن حزم: ١٦١. مسند احمد ٤: ١٣١، وص ١٣٢، وج ٦: ص ٨.
(١) فتح الباري ١: ١٨٥. كنز العمال ١٠: ٢٢٢، ح ٢٩١٦٩. المستدرک ١: ١٠٤. مسند احمد ٢: ٢٠٧.
سنن الدارمي ١: ١٢٥. سنن أبي داود ٢: ١٢٦.
(٢) كنز العمال ١٠: ٣٠٦، ح ٢٩٥٣٤.
(٣) سنن الترمذي ٤: ١٤٦، ح ٢٨٠٤. تقييد العلم: ٦٦، ٦٨.
(٤) سنن الترمذي ٤: ١٤٦.
(٥) المستدرک ١: ١٠٦.

وقوله ﷺ: حدثوا عني بما تسمعون^(١).

كما أكد كثيراً على لزوم صيانتها من افتراء أو كذب في قول أو عمل فقال ﷺ: إن كذباً عليّ ليس ككذب عليّ غيري. من كذب عليّ بني له بيت في النار^(٢).
 وقوله المشهور: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. (متفق عليه).
 وفي حديث عن رافع بن خديج قال: مر علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتحدث فقال: ما تحدثون؟ فقلنا ما سمعنا منك يا رسول الله. قال: تحدثوا وليتبوأ مقعده من جهنم، ومضى لحاجته وسكت القوم فقال ﷺ: ما شأنهم لا يتحدثون؟ قالوا: الذي سمعناه منك يا رسول الله. قال: إني لم أرد ذلك إنما أردت من تعمد ذلك، فتحدثنا، قال: قلت: يا رسول الله أنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال: اكتبوا ولا حرج^(٣).

وقد تنبأ ﷺ بما سيحدث من بعده فحدث أمته في قوله المشهور فقال: يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه. ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله^(٤).

(١) مجمع الزوائد ١: ١٤٨. المعجم الكبير ٣: ١٨. الجامع الصغير ١: ٥٧١، ح ٣٦٩٢. كنز العمال ١٠:

٢٢٣، ح ٢٩١٧٨. فيض القدير ٣: ٣٧٧.

(٢) المحلى ٩: ١١١. سبل السلام ٣: ٢٢٣. تذكرة الحفاظ ١: ٣.

(٣) تقييد العلم: ٧٣. الكامل لابن عدي ١: ٣٦ نقلاً عن منع الحديث: ٢٤. الحد الفاصل: ٣٦٩. انظر:

تاريخ ابن عساکر ٦٧: ٢٠٣. أدب الإملاء والاستملاء: ١٠. التعديل والتجريح ١: ٢٠.

(٤) سنن ابن ماجه ١: ٦-٧، ح ١٢، ح ١٣، وص ١٠، ح ٢١. سنن أبي داود ٢: ٤٤-٤٥، ح ٣٠٥٠ وج

٢، ح ٤٦٠٤. السنن الكبرى ٩: ٣٣٣٢. سنن الدارقطني ٤: ١٩١. الكفاية في علم الرواية: ٢٣.

وقال ابن حزم: ووجدنا الصاحب من الصحابة رضي الله عنه يبلغه الحديث فيتأول فيه تأويلاً يخرج به عن ظاهره، ووجدناهم يقرّون ويعترفون بأنهم لم يبلغهم كثير من السنن، وهكذا الحديث المشهور عن أبي هريرة: (أن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق). الخ^(١).

(١) الأحكام لابن حزم ٢: ١٤٣. مسند أحمد ٢: ٢٤٠. صحيح البخاري ١: ٣٨. وج ٣: ص ٧٤. وج ٨: ص ١٥٨. صحيح مسلم ٧: ١٦٦، وص ١٦٧. فتح الباري ١٣: ٢٧١. كتاب العلم: ٢٤. السنن الكبرى ٣: ٤٣٩. مسند أبي يعلى ١١: ١٢٢. صحيح ابن حبان ١٦: ١٠٥. تفسير القرطبي ١٣: ٥

والخلاصة: أن تدوين السنة في عهد النبي ﷺ كان أمراً مألوفاً يزاوله بعض من يقدر عليه. وذكر ابن خلدون^(١):

أن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالاته، بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم، ومن عليتهم، وكانوا يسمون لذلك (القراء) لأن العرب كانوا أمة أمية، كما أن الصحابي ليس بوسعه أن يحيط بجميع السنة أي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، فمنها ما يغيب عنه فلا يشهده ولا يسمع به بعد ذلك إلا في مناسبة تحدث.

وأيضاً فهم فيما يشهادونه على تفاوت كبير في الحفظ والوعي كما جاء عن البراء بن عازب قال: ما كل الحديث سمعنا من رسول الله ﷺ كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين في رعاية الإبل^(٢).

وكما جاء عن عمر عن أبي موسى الأشعري أنه لم يعرف مسألة فاعتذر عن جوابها فقال: خفي عليّ هذا من أمر النبي ﷺ أللهاني الصفق في الأسواق!^(٣)
كما غاب عن عمر الشيء الكثير من الأحكام والسنن، وذكر له شيخنا الأميني في (الغدير: نواذر الأثر في علم عمر)^(٤).

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٤٤٦.

(٢) المستدرک ١: ٩٥. التعديل والتجريح ١: ٣٧.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٥٧. صحيح مسلم ٦: ١٧٩. صحيح ابن حبان ١٣: ١٢٣. الأحكام لابن

حزم ٢: ٢٤١. وفي الكتاب المصدر انه غير عمر بقوله: وليس لك عمل إلا الصفق بالبيع نقلاً

عن الدر المنثور ٤: ١٧٩. وكنز العمال ٢: ٥٦٨. والغدير ٦: ٣٠٦ وفيه بدل البقيع: البيع.

(٤) الغدير ٦: ٨٣.



الفصل الثاني

رفضهم لسنة النبي في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ



هذه صورة موجزة لكتابة السنة أو التحدث بها في عهده ﷺ. والأمثلة على ذلك كثيرة، نعرض لواحد منها في آخر لحظات الرسول ﷺ في حالة توديعه الأمة وهو مسجى على فراش الموت.

حديث الدواة وكتابة الكتاب،

لقد دونت هذه القضية أهم مصادر الحديث من الصحاح والمسائيد وغيرها وقد تعرضنا لشطر منها في أحاديث الوصية من كتابنا.

عن صحيح البخاري بعدة طرق ومثله صحيح مسلم اختصرها بما يلي:

١- عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال: عمر إن النبي ﷺ قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه (١).

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي

(١) صحيح البخاري ١: ٣٧. الأحكام لابن حزم ٧: ٩٨٤. صحيح مسلم، وبتر منه قوله: أن الرزية كل الرزية.

على خديه كأنها نظام اللؤلؤ! قال: قال رسول الله ﷺ ايتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا: إن رسول الله يهجر (١).

وفي رواية لعمر وصف حالة التشاجر يوم ذاك وأخرجها الطبراني في الأوسط قال: لما مرض النبي ﷺ قال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقال: النسوة من وراء الستر ألا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: فقلت أسكتن إنكن صواحبات يوسف، إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن عنقه! قال فقال: رسول الله ﷺ: دعوهن فإنهن خير منكم (٢).

هذه صورة مختصرة عن حديث الدواة والقلم، وتنضح به شرعية التدوين على عهد رسول الله ﷺ وبطلان رأي من يذهب إلى منعه من قبله ﷺ، فالرسالة المحمدية لا يمكن بقاؤها إلا بحفظ السنة وتدوينها وتناقلها.

وقد اتضح أن نسبة الهجر إلى رسول الله ﷺ ومنعه من كتابة الكتاب هي من قول عمر بن الخطاب، وإن حاول البخاري تلطيف الكلمة بقوله قد غلبه الوجع، أو إنه ليهجر استفهموه، فأخرج الكلمة من الخبر إلى الاستفهام خوفاً من فظاعتها وبشاعتها! ولكن صرح بها مسلم في صحيحه واضحة وغيره من أهل السير.

(١) صحيح مسلم ٥: ٧٦.

(٢) المعجم الأوسط ٥: ٢٨٨. وانظر: مجمع الزوائد ٩: ٣٤. كز العمال ٥: ٦٤٤. ح ١٤١٣٣. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤. نهاية الارب ١٨: ٣٥٧. وصرح في إمتاع الاسماع: ٥٤٦ باسم القائلة وهي زينب بنت جحش وصواحبها.

عندي تنازع فتقالوا هجر رسول الله ﷺ قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه (١).

٣- عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى قلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني بكتف لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ماله أهجر استفهموه فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه (٢).

٤- عن ابن عباس لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: النبي ﷺ هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. فقال: عمر أن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول: ما قال: عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ قوموا، قال عبيد الله وكان ابن عباس يقول: أن الرزية كل الرزية - ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم (٣).

وفي صحيح مسلم ذكرها بثلاثة طرق أحدها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يوم الخميس ما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت

(١) صحيح البخاري ٤: ٣١.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٦٦، كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح البخاري ٧: ٩، وج ٨: ص ١٦١.

بها خاطره الشريف !! إنها والله رزية تثير الدهشة والاستغراب ! كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ولا نستبعد ذلك من عمر فقد نقل لنا المؤرخون صوراً متعددة من أسلوب الخليفة، حتى جاء في شرح النهج: انه كان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهره^(٤). ثم قال: وإنه كان شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس، وكان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص^(٥).

ولكن هيهات هيهات أن يغيب عن بال عمر ما كان يقصده رسول الله ﷺ في لحظاته الأخيرة من التأكيد بالوصية على أمير المؤمنين عليه السلام، بل عرف ما يريد وأبى ذلك ليتم له ما يريد، ولكل امرئ ما نوى !

وقد صرح أبو حامد الغزالي بقوله: ولما مات رسول الله ﷺ قال: قبل وفاته ائتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم إشكال الأمر وأذكر لكم من المستحق لها

(١) الحشر: ٧.

(٢) التكويز: ١٩ - ٢٢.

(٣) الحاقة: ٤٠ - ٤٣.

(٤) شرح نهج البلاغة ١: ١٨٣. مكاتيب الرسول ٣: ٧٢٣.

(٥) شرح نهج البلاغة ٦: ٣٢٧.

كما اعتذر عنه بعض المتأخرين بقوله: إن الرسول ﷺ لم يقصد الجد بقوله وأراد اختبار القوم، وهو تأويل باهت، إذ من أين عرف ذلك وكأنه كان معهم وعرف أن الرسول ﷺ كان مازحاً بالاختبار، وكأن الحالة ليست حالة احتضار وطلب الوصية للأمة.

ولما شعر بعضهم أن كلمة الهجر هي الهديان والعريضة، وأن عمر نسبها إلى صفوة خلق الله وخاتم أنبيائه وسيد رسله ﷺ، تأولها أو فسرّها بغير معناها أو أسقطها من الحديث، وبعضهم حذف اسم عمر ولم يصرح به حتى جاء ابن أبي الحديد قائلاً وهذا الكلام - يعني أن الرجل لهجر - وإن كان ظاهره منكر، فله عندنا مخرج وتأويل !!

ونظراً للاختصار نحيل على نقضها مفصلاً بما أجاب به سيدنا الشريف المرتضى في كتابه الشافي، وتلميذه زعيم الطائفة الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي، وسيدنا شرف الدين في كتابه المراجعات والنص والاجتهاد والسيد علي الشهرستاني في كتابه منع التدوين ومقاله (السنة بعد الرسول) في تراثنا العدد ٥٣. ومهما يكن من أمر، فإنها كلمة قاسية وجرأة بالغة، تكاد السماوات تبكي دماً على مقام الرسول الأمين ﷺ ظلّامته من أمته، وهو يلفظ أنفاسه الشريفة الأخيرة مؤدياً أمانته، مودعاً سنته عند الأخيار من أهل بيته ﷺ، وموصياً بهم: ((إني خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي)).

وكما تبين من موقف عمر الخشن وإصراره على منع النبي ﷺ من الكتابة وإسكاته النسوة بالزجر، وكثرة اللغظ الذي دار بين الحاضرين حتى طردهم النبي روي فداه، وأمرهم بالخروج من بيته، بسبب تلك القسوة التي كسر

وفي رواية أخرى عنه بصيغة الجمع فقال: استأذنا رسول الله ﷺ فأبى أن يأذن لنا (١).

ونسبوا لزيد بن ثابت أنه قال: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمجاه (٢).

وعن أبي هريرة قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي فخرج علينا فقال: ما هذا تكتبون فقلنا ما نسمع منك. فقال أكتب مع كتاب الله؟ فقلنا: ما نسمع، فقال: اكتبوا كتاب الله إمحضوا كتاب الله أكتب مع كتاب الله؟ إمحضوا كتاب الله أو خلصوه. قال: فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار... الخ. الحديث (٣). والأحاديث في هذا الخصوص كثيرة لا حاجة لإيرادها ومناقشة أسانيدها. والسبب في اختلاقها ونسبتها لبعض الصحابة واضح، لكي يعذروهم ومن يسير على هذا النهج في الأجيال القادمة، ويعطوا لفعالهم واجتهاداتهم الشرعية ولو كانت مخالفة للنصوص، ويستحلوا التأويلات المخالفة للظاهر، والعمل بالرأي، والاستحسان أو القياس، إن اقتضى الأمر.

منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد أبي بكر

ذكر الذهبي قال: إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تحدثون



٢٢٨. السنن الكبرى ٥: ١٠.

(١) سنن الدارمي ١: ١١٩.

(٢) مكاتيب الرسول ١: ٥٢٨. سنن أبي داود ٢: ١٧٦. جامع بيان العلم ١: ٦٣. تقييد العلم: ٣٥.

(٣) مسند أحمد ٣: ١٢.

(الخليفة) بعدي. قال عمر: دعوا الرجل فإنه يهجر!!^(١).

وقد صرح الخليفة بعد حين واعترف بذلك في كلام دار بينه وبين ابن عباس في محاورات عديدة قال في واحدة منها: ولقد أراد رسول الله في مرضه أن يصرح باسمه - أي باسم علي - فمنعته... الخ!!^(٢).

ومن تدبر واقعة السقيفة وما جرى فيها من أحداث مؤلمة وإرهاصات مؤسفة، وافقنا بالرأي وظهرت له أسباب المنع من كتابة الوصية، ومن أجل هذا استمر منع كتابة السنة أو التحدث بها في طيلة خلافة الثلاثة!

ونعرض لذلك بنماذج لكل واحد منهم كما نعرض لفترة عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي أعادت الحياة للسنة النبوية ورفعت الحصار عنها، فتبدد خطر ضياعها ونسيانها، إذ هي أمانة الرسالة عندهم للأجيال القادمة.

نسبتهم النهي عن كتابة السنة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ومن الواضح أيضاً أن نسبة النهي إلى الرسول من المكذوبات في تلك الظروف السياسية التي دعت الخلفاء لأن يمنعوا الصحابة من كتابة السنة والتحدث بها، فنسبوا النهي إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واختلق البعض الأحاديث المكذوبة عليه ونسبوها عن لسان أبي سعيد، وآزرهم أمثال أبي هريرة وغيره. مثلاً نسبوا إلى أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه^(٣).

(١) سر العالمين. ط. مصر.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٢: ٢١.

(٣) سنن الدارمي ١: ١١٩، المستدرک ١: ١٢٧، الإصابة ١: ٤٦، مسند احمد ٣: ١٢، صحيح مسلم ٨:

فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه. ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله. وقد تقدم.

منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد عمر،

واستمر الحال في منع تدوين السنة في عهد عمر، وأضاف الحبس والتهديد بالطرد، وذكر الدكتور طه حسين أن عمر كان يشتد على من أكثر الحديث عن النبي ﷺ وربما ضربهم بدرته كما فعل مع أبي هريرة وأنذره بالنفي عن المدينة إلى قومه في اليمن إن عاد إلى الحديث^(١).

وروي أن عمر في بادئ الأمر أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، ثم بدا أن لا يكتبها ثم بعث إلى الأمصار من كان عنده شيء فليمحه^(٢).

وفي حديث لمالك بن أنس أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثم قال: لا كتاب مع كتاب الله^(٣).

غير أن بعض الصحابة لم يستجيب للأمر واستمر متخفياً بتدوين الحديث والسنن بما سمعوه من النبي ﷺ رغم التهديد والحبس، فبلغ عمر أخبارهم فقام فيهم خطيباً، فقال: (إنه قد بلغني إذا قد ظهر في أيديكم كتب فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به فأرى فيه رأي. فظنوا أنه

(١) أضواء على السنة المحمدية: ١١.

(٢) كنز العمال ١٠: ٢٩٢، ح ٢٩٤٧٦. جامع بيان العلم ١: ٧٨. مكاتيب الرسول ١: ٤٨٦.

(٣) النص والاجتهاد: ١٤٠، مكاتيب الرسول ١: ٤٨٦، كنز العمال ١٠: ٢٩٢، ح ٢٩٤٧٥.

الناس عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً! فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه (١).

وذكر أيضاً فقال: قالت عائشة جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيراً، قالت فغمي فقلت: انتقلب لشكوى أو شيء بلغك؟ فلما أصبح، قال: أي: بنيّه هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك (٢).

ولسائل أن يسأل: ما هو هدف أبي بكر من قرار المنع من الحديث والاكتفاء بالقرآن وحده، وهل من صلاحيات الخليفة أن يوقف السنة؟ وهل أمر الرسول ﷺ بترك سننه من بعده للضياع والحرق والإتلاف؟ أو أمر بحفظها وتبليغها للأجيال القادمة؟ وهو خاتم الأنبياء، وسننه خاتمة السنن إلى يوم القيامة؟!

ومن نظر بتأمل لحديث أبي بكر الذي تعلل به وجعله السبب في المنع يكشف لنا أنه من التنبؤ الصريح للصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى، وأخبر به قبل وقوعه وحذر منه الأمة في قوله ﷺ: يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى، فما وجدنا

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ٥.

كما منع أبا هريرة^(١) وأبا موسى الأشعري^(٢).

وجاء عن أبي ذر أنه كان جالساً عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس يستفتونه فأتاه رجل^(٣) فوقف عليه ثم قال: ألم تنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت عليّ لو وضعت المصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله^(٤) قبل أن تجزوا علي لأنفذتها^(٥).

وذكر الشهرستاني في (منع الحديث) أن الخليفة ترك أبا هريرة صاحب آل ٥٣٧٤ حديثاً مطلق العنان دون حبس ولا ضرب ولا تعزير، بل اكتفى بتهديده وإبعاده، ثم جوز له التحديث دون غيره.. الخ.

٢ - وأخرج الحاكم في المستدرك، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب قال لأبي مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ أحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب^(٦).

وأحاديث النهي عن الكتابة أو التحدث بالسنة كثيرة لا مجال لذكرها، وما يظهر الباحث من الأحاديث السابقة للخليفين أن الأصل الإباحة في التدوين

(١) المحدث الفاضل: ٥٥٤. البداية والنهاية ٨: ١٠٦.

(٢) البداية والنهاية ٨: ١٠٧. مستدرك الحاكم ١: ١٢٥.

(٣) قيل انه: مروان.

(٤) صحيح البخاري ١: ٢٥. ومثله الطبقات الكبرى ٢: ٣٥٤. تاريخ ابن عساکر ٦٦: ١٩٤. سير

أعلام النبلاء ٢: ٦٤.

(٥) سنن الدارمي ١: ١٣٧. فتح الباري ١: ١٤٨.

(٦) المستدرك ١: ١١٠.

يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف فأتوه بها فأحرقها بالنار^(١).

وروي عن قرظة بن كعب أنه قال: لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر إلى صرار، ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا أردت أن تشيعنا وتكرمنا، قال: إن مع ذلك الحاجة، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل. فلا تصدونهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم، قال قرضة: فما حدثت بعده عن رسول الله.

وفي رواية أخرى فلما قدم قرضة قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر^(٢). وهناك جماعة من الصحابة أمثال قرضة امتنعوا عن نشر السنة أو التحدث بها تمشياً لأوامر السلطنة^(٣).

وذكر الذهبي أن عمر حبس ثلاثة من الصحابة: ابن مسعود، وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري، فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ^(٤). كما ذكروا لثلاثة غيرهم وهم أبو ذر وعبد الله بن حذيفة وعقبة بن عامر^(٥).

(١) الطبقات الكبرى ٥: ١٨٨. تقييد العلم ١: ٧٨. سير أعلام النبلاء ٥: ٥٩.

(٢) الرسائل ١: ١١. وأخرجها ابن عبد البر بثلاث أسانيد في جامع بيان العلم ٢: ١٤٧. والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث: ٨٨. وتذكرة الحفاظ ١: ٤، ٥.

(٣) سنن الدارمي ١: ٨٤.

(٤) تذكرة الحفاظ ١: ٧.

(٥) كتاب المجروحين ١: ٣٥.

التفاوت قال: ذاك على ما قضينا وهذا على ما تقضي (١).

وفي مسائل أخرى قالها بلفظ تلك ما قضينا يؤمذ وهذه على ما قضينا

الآن، نقل عن سنن الدارمي، وسنن الدارقطني (٢) واللفظ له وسنن البيهقي (٣)
ج ٦: ص ٢٥٥ وج ١٠، ص ١٢٠.

وعن سعيد بن المسيب قال ان عمر سأل النبي ﷺ كيف قسم الجد فقال
ﷺ ما سؤلك عن ذلك يا عمر اني اضنك تموت قبل ان تعلم ذلك فمات قبل
ان يعلم ذلك . نقل عن الطبراني في الأوسط ج ٤، ص ٢٩٥ ومجمع الزوائد ج ٤،
٢٢٧ وكنز العمال ج ١١، ٥٨ نقل منع التدوين ص ٢١٥.

وعن عبيد السلطان: لقد حفظت لعمر بن الخطاب في الحد مائة قضية
مختلفة (٤).

وقال ابن أبي الحديد: كان (عمر) مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان
والمصالح المرسلة ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول
تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النص، ويكيد خصمه ويأمر أمراءه بالكيد
والحيله، ويؤدب بالدره والسوط من يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك، ويصفح
عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب، كل ذلك بقوة اجتهاده وما

(١) بين يدي عمر: ١٣٤.

(٢) سنن الدارمي ١: ١٦٢. سنن الدارقطني ٤: ٨٨.

(٣) سنن البيهقي ٦: ٢٥٥، وج ١٠: ١٢٠.

(٤) المصنف ٧: ٣٦٢. موسوعة عمر بن الخطاب: ٥٣. وسنن البيهقي ٦: ٢٤٥. فتح الباري ٢: ٢١.

شرح الزرقاني ٣: ١٤٢.

وأحاديث النهي التي تقدمت ونسبت للنبي ﷺ عن لسان بعض الصحابة مختلفة عليه ﷺ ومخالفة للأحاديث الصحيحة الأمر بالتدوين ومعارضته لها فليس لها أي اعتبار لا سنة ولا دلالة، ولا تضاهيها في الكثرة والصحة.

كما أن في حديث أبي بكر الذي جمع فيه خمسمائة حديث وتدوينه في كتاب، دليلاً على أنه لم يعرف في الأصل إلا الإباحة، وإلا كيف ساغ له جمعها؟! وأنه أحرقها لا لورود نهى في الأصل وإنما تعلق لخشية الوهم فيها.

وكذا الحال في حديث عمر لما أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، ثم بدا له أن لا يكتبها...

فهذا كافٍ في إثبات عدم ورود نهى عن تدوين السنة، وإلا لما همَّ عمر بكتابتها واستشار الصحابة فأجمعوا على كتابتها! فهذا رأي ارتأه عمر ولم ينسبوه إلى النبي ﷺ أو أنه اجتهاد منه وأن كان مخالفاً للنصوص الصريحة وما أكثر تلك الاجتهادات من الخليفة عمر الذي اشتهر بها وعرفت عنه وتعرض لذكرها سيدنا شرف الدين في كتابه النص والاجتهاد، والشيخ الأميني في الغدير وغيرهما.

ويقول خالد محمد خالد في كتابه (الديموقراطية):

(ترك عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدمة من القرآن والسنة عند ما دعت المصلحة لذلك)^(١).

ويقول الأستاذ خالد محمد خالد: تعرض له - يعني عمر - قضية يفتي وبعد حين تعرض له قضية مماثلة لتلك فيفتي فيها فتوى مغايرة فإذا سأل عن سر هذا

(١) الديموقراطية: ١٥٥، نقلاً عن منع الحديث: ١٥٣.

(الأخلاق) (١).

فما أدري أن الحديث النبوي لا يدل على صواب فهم القرآن ومعرفة الأحكام والسنن ومعالي الأخلاق، وأيهما أشغل للناس عن القرآن ومعرفته رواية الحديث أم رواية الشعر؟.

ثم أن العلة التي احتج بها المانعون من تدوين الحديث وهي - خشية أن يشغلهم عن القرآن - باطلة؛ فنحن نعلم جيداً أن فهم القرآن متوقف على السنة، فلا يمكن معرفة الأحكام في القرآن الكريم إلا بالسنة لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٢) فحجية السنة النبوية من ضروريات الدين بلا أدنى نزاع بين المسلمين بل هي بديهة لا تخفى، والقرآن الكريم يثبت حجية السنة ويلزم حفظها واتباعها. ولعل هذا من الواضحات أن السنة تدعو إلى القرآن ثم ان السنة تدعو إلى القران باتباع أمره ونهيه وتحذر من تركه ومخالفته - وهذا واضح - فليست بشاغلة عن القرآن ولا لقارئ القرآن عنها غنى.

وقد ورد عن الصحابي عمران بن حصين انه كان جالساً ذات يوم ومعه أصحابه فقال له رجل: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال عمر: أدنه فدنا منه، فقال له: رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً وصلاة العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين. رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف سبعمائة والطواف بالصفة والمروة، ثم قال: أي قوم

(١) كنز العمال ١٠: ٣٠٠، ح ٢٩٥١٠.

(٢) النحل: ٤٤.

يؤدي إليه نظره^(١).

وقال أيضاً: وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضده وخلافه^(٢).
وحدث حفص بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا كثر عليه
الخصوم صرفهم إلى زيد بن ثابت فلقني رجلاً ممن صرفه إلى زيد فقال: له ما
صنعت فقال: قضى عليّ يا أمير المؤمنين، فقال: لو كنت أنا لقضيت لك قال: فما
يمنعك وأنت أولى بالأمر.

قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو سنة نبيه فعلت ولكني أنا أردك إلى
رأي والرأي مشير^(٣).

ومما يثير الاستغراب أن العلة التي تمسكوا بها من منع التدوين أو رواية
الحديث خشية أن يشغلهم ذلك عن القرآن كما انشغل أهل الكتاب بكتب
أخبارهم عن كتاب ربهم^(٤).

وفي نفس الوقت نجد الأوامر تصدر عنه بخلاف ذلك فمثلاً يكتب عمر بن
الخطاب إلى أبي موسى الأشعري عامله على البصرة (أن مر من قبلك بتعليم
العربية فإنها تدل على صواب الكلام، ومرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي

(١) شرح نهج البلاغة ١٠: ٢١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ١: ١٨١. السنن الكبرى ٤: ٧٢.

(٣) تاريخ المدينة (النميري) ٢: ٦٩٣. وفي قضية ثانية وقد نص فيها أمير المؤمنين فأجاب بنفس
الجواب.

(٤) سنن الدارمي ١: ٤٧٥. تقييد العلم: ٣٥. جامع بيان العلم: ١٧٩. أصول الحديث: ١٥٤ - ١٥٨.
علوم الحديث ومصطلحه: ٣٠.

هذا في النصف الأول من خلافته، وفي النصف الثاني اختل النظام وقويت المعارضة له، وزادت الفتن من أمثال أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص، وغيرهم من الصحابة والتابعين، والتفت عليه بنو أبيه من الأمويين، وانشغلوا بجمع الثروات وتعاطى الملذات فلم يبق محظوراً لمن أراد رواية سنة الرسول ﷺ من الصحابة، ورووا الشيء الكثير فيما يروق لهم تقريباً للسلطة وتثبيتاً له، فظهر الاختلاق جلياً والتناقض بينهم فيما يرويه كل واحد حسب هواه.

عمل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لتدوين السنة وتعميمها:

الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام هو أول حاكم يدعو إلى كتابة السنة، ويحث الكتاب أن يكتبوا ما يحدثهم به ويعليه، وينشر لهم الأحاديث النبوية التي كانت ممنوعة طيلة ربع قرن.

وفي نفس الوقت يسد الأبواب على الكذابين والمشبهين، فلا يجدون تحت سلطانه متنفساً فأما أن يستقيموا ويسكنوا، وإن ضاق عليهم فيفرون إلى الشام حيث معاوية المساند على ما تعودوا عليه، ويشترى منهم دينهم بما يطمعون به من دنياه، وسنعرض لبعضهم في ذكر معاوية.

وقد عرف منهج الإمام عليه السلام في التعامل مع السنة رواية وتدويناً حيث كانت عنده في المكان الذي وضعها الله ورسوله ﷺ فهي حاكمة غير محكومة لا تتسخها مصلحة أينما كانت والمصلحة كل المصلحة تحكيمها واتباعها وانها متبوعة غير تابعة لاجتهاد أو قياس.

وهاهو يشرحها لنا ببلغ قوله عليه السلام فيقول: ... وخلف نبيكم فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم، كتاب ربكم

خذوا عنّا فإنكم والله أن لا تفعلوا لتضلن^(١) . -

وقد ورد عن التابعي أيوب السختياني انه كان يقول: (إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وحدثنا من القرآن فاعلم أنه ضال مضل)^(٢) .

والنتيجة: أن هذه الأمور تثير استفهامات عديدة، أهو مجرد تناقض بين قولين، أو اجتهادات جديدة، أو تضارب صريح يخفي ورائه أهدافاً، أو أن الحكام كانوا يريدون إباحة التدوين لأنفسهم دون غيرهم، أي يريدون تثبيت ما يرتضونه وترك ما لا يرتضونه لتثبيت سلطتهم، كما مر عن عمر بن الخطاب عندما صد النبي ﷺ عن الكتاب واعترف بالسبب أخيراً كما تقدم أو التعظيم على السنة التي خصصت علياً بالوصية والولاية بعد رسول الله وفضائله الكثيرة التي رفعت منزلته عن كل الصحابة.

منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد عثمان .

لقد أقر عثمان سيرة من قبله حيث قال: على المنبر لا يحل لأحد يروي حديث لم يسمع به في عهد أبي بكر وعمر^(٣) .

فلم يحرق من كتب الحديث ولا تتبع كتابه ورواته حتى وجد أبو هريرة وكعب الأحبار وأضرابهم في عهده خاصة ما لم يحلما ببعضه في عهد عمر وكان

(١) الكفاية في علم الرواية: ٣٠ - ٣١. جامع بيان العلم: ٤٢٩ باختصار، وذكر حديث عمران بن

حصين صاحب منع الحديث: ٢٣، نقلاً عن البخاري ٧: ١٥٧.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ٣١. الطبقات الكبرى ٧: ١٨٤، وفيها عن أبي قلابة.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٦، وعنه في السنة قبل التدوين: ٩٧. تاريخ ابن عساکر ٣٩: ١٨٠.

وذكر له صائب عبد الحميد جماعة من الكتاب وعدهم في مقالة (تاريخ السنة النبوية) في مجلة تراثنا عدد ٤٥.

كما أنه كان عليه السلام كاتباً للحديث بين يدي النبي وقد اشتهر عنه (صحيفة علي) التي كتبها من حديث رسول الله ﷺ وكان يحملها معه في قائم سيفه، وذكرها البخاري ومسلم وأصحاب السنن بطرق شتى^(١)، فلم تكن هي كل ما كتبه علي من حديث رسول الله ﷺ بل كان له صحف أخرى غير هذه، وكان له كتاب كبير ليس فيه إلا أحاديث الرسول ﷺ وعرف ب(كتاب علي) هو غير تلك الصحيفة التي اختلفوا في حجمها^(٢).

والصحيفة هذه مشهورة وأنبأها لا تكاد تخلو منها واحدة من كتب الحديث والسنن ونقلوا منها نصوصاً متفرقة بعضها أشبه بعناوين لما تحويه وبعضها فيه تفصيل. وقد جمع ابن حجر كثيراً مما نقل عن تلك الصحيفة وقال: الجمع بين هذه الأحاديث أن الصحيفة كانت واحدة وكان جميع ذلك مكتوباً فيها ونقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه^(٣).

وجمع الدكتور رفعت فوزي ما نقل عن هذه الصحيفة في كتب الحديث السنية في كتاب أسماه: صحيفة علي بن أبي طالب عن رسول الله - دراسة توثيقية فقهية - وطبع هذا الكتاب سنة ١٤٠٦ هـ

(١) صحيح البخاري باب كتابة العلم، سنن ابن ماجه ٢: ٨٨٧، ح ٢٦٥٨.

(٢) السنة النبوية / صائب عبد الحميد: مجلة تراثنا، العدد: ٥٢.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١: ١٦٦، إرشاد الساري ١: ٣٥٨، سنن ابن ماجه ٢: ٨٨٧، ح ٢٦٥٨.

فيكم مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه، وخاصة وعامه، وعبره وأمثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسراً مجمله ومبيناً غوامضه بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله. وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه، وواجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه. وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه^(١).

وكان يؤكد على السنة ويأمر أصحابه بتدارس الحديث فكان يوصيهم بقوله: تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس^(٢).

وخطب الناس مرة فقال: قيدوا العلم قيدوا العلم مرتين^(٣) اكتبوه واحفظوه لئلا يدرس. وقال: أيضاً (من يشتري مني علماً بدرهم)؟! قال: أبو خثيمة: يعني يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم. فاشترى الحارث صحفاً بدرهم ثم جاء بها علياً عليه السلام فكتب له علماً كثيراً^(٤) وكان يكتب الحديث ويأمر بكتابته أيضاً^(٥).

وله عليه السلام خطب عديدة ورسائل في حفظ السنة لا مجال لذكرها.

(١) نهج البلاغة ١: ٢٦. بحار الأنوار ٨٩: ٣٣.

(٢) كنز العمال ١٠: ٣٠٤، ح ٢٩٥٢٢.

(٣) مكاتيب الرسول ١: ٣٧٧. كتاب العلم: ٣٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٦: ١٦٨. تقييد العلم: ٨٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣: ٣٥٤.

التحدث بمحدث سيد المرسلين ﷺ ومواعظه وحكمه ويجبس البعض منهم. وقد ثبت أن القصّ قد انتشر أواخر عهد عثمان وبرز قصاصون يقصون في المساجد حتى طردهم الإمام علي عليه السلام كما أثبتته المروزي (١) كما اثبت ذلك بوضوح محمد أبو زهرة (٢) فقال: ظهر القصص في عهد عثمان رضي الله عنه وكرهه الإمام علي عليه السلام حتى أخرج القصاصين من المسجد لما كانوا يضعون في أذهان الناس من خرافات وأساطير بعضها مأخوذ من الديانات السابقة، بعد أن دخلها التحريف وعراها التغيير. وسيأتي الحديث عن نشر السنة والتحدث بها في عهد الإمام علي عليه السلام عند ذكر الآيات الكريمة: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (٣) ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٤)، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ (٥).

منع تدوين السنة في عهد معاوية،

كان معاوية أيضاً ممن يمنع من حديث رسول الله ﷺ هو وأمرأؤه كما يظهر مما أخرجه الحاكم (٦) من قول عبد الله بن عمرو بن العاص لما قال: له نوف أنت أحق بالحديث مني أنت صاحب رسول الله ﷺ إن هؤلاء قد منعونا

(١) كنز العمال ١٠: ٢٨١، ح ٢٩٤٤٩، ومثله الغزالي في كيف تتعامل مع القرآن: ٦٧.

(٢) المذاهب الإسلامية: ٢.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) الرعد: ٤٣.

(٥) فاطر: ٣٢.

(٦) الحاكم في المستدرک ٤: ٤٨٦.

وأصبح كتاب علي علماً يتكرر في أحاديث أهل البيت: كتاب كبير يحتفظون به ويتوارثونه ونقل أن الصحيفة التي كانت في قائم سيف النبي ﷺ فيها بعض السنن ثم صارت عند علي عليه السلام. وذكرها البخاري وغيره كما تقدم. وأخبر أحمد بن حنبل أن كتاباً كهذا كان عند الحسن بن علي عليه السلام يرجع إليه (١) وسيأتي عن توارث أئمة أهل البيت: علوم جدهم ﷺ عند ذكر الإمام الصادق عليه السلام في هذه المقدمة.

القصاصون في عهد الإمام علي عليه السلام.

لما كانت هذه الحرفة تستدرج أصحابها أحياناً نحو الكذب والسخرية والأساطير فكانت ممنوعة في الإسلام وأول ما ظهرت في عهد عمر بن الخطاب حين أصدر مرسوماً لتميم الداري بالجلوس في المسجد للقصة فكان تميم أول قاص مأذون في الإسلام، وهو رجل نصراني صاحب قصة (الجساسة) (٢) وتميم هذا هو الذي ابتداء فاستأذن عمر أن يقص فأذن له بعد أن رده أولاً إذ كان عمر يمنع من القصص ويكذب محترفياً حتى أقنعه (٣) فكان يقوم في المسجد كل جمعة، فلما جاء عثمان طلب منه أن يزيد له لأن موقفاً واحداً في الأسبوع لا يكفيه! فزاده عثمان يوماً!

وفي تلك الفترة كان خيار الصحابة وأولي السابقة والجهاد يمنعون من

(١) كتاب العلل ومعرفة الرجال ١: ٣٤٦، والجامع في العلل ١: ٣٧.

(٢) صحيح مسلم ٨: ٢٠٤. مسند أحمد ٦: ٣٧٣.

(٣) انظر ترجمته في الاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة، وسير أعلام النبلاء.

جرائم بخيار الصحابة وكبار المسلمين وعلى الظنة والتهمة يسلب الأموال ويهتك الأعراس ويسبي النساء ويهدم الدور ويلقي الجثث في الطرقات والقتل حتى في المساجد وغيرها الكثير من الجرائم والموبقات التي لا أستطيع تفصيلها وليس لي من الوقت ما يتسع لنشر تلك الصحائف السود وذكر الفظائع المؤلمة، وقد سجلها التاريخ عليه ومضى مثقلاً بأوزاره ولا بد من عرض يسير لتحليل نفسيته بعض الشيء وما يهمننا بقدر ما يتعلق بتغييره لأحكام الله والتلاعب بسنة رسول الله ﷺ وتحريف فضائل أمير المؤمنين ﷺ ومناقبه وأبدلها بشتمه ولعنه على المنابر، وقتل شيعته ومحبيه وإخفاء ذكره.

عن الحديث يعني الأمراء.

وجاء في حديث أن معاوية أرسل إلى عبد الله بن عمر، فقال: لئن بلغني أنك تحدث لأضربن عنقك (١).

كما منع من ذي قبل الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري، وأخرجه من الشام في قصة مشهورة وتناقلها عامة المؤرخين ومثله عن أبي الدرداء وقوله المشهور والله لا أساكنك بأرض أنت فيها أقول: قال رسول الله ﷺ، فتقولون: قال معاوية (٢).

وقوله فيما أخرجه أحمد (٣) من طريق عبد الله بن عامر، قال: سمعت معاوية يحدث وهو يقول: إياكم وأحاديث رسول الله إلا حديثاً كان على عهد عمر!

ونرى معاوية في نفس الوقت الذي يمنع فيه التحديث عن رسول الله ﷺ يفسح المجال لأبي هريرة وسمرة وعروة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأضرابهم باختلاق الأحاديث عن رسول الله ﷺ ورواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلفوا له ما أراضاه... (٤).

ولم يبالي بجريمة الكذب على الله ورسوله، كما أنه لم يتورع عن ارتكاب

(١) كتاب صفين: ٢٢٠. الغدير: ١٠: ٣٥٢.

(٢) موطأ مالك ٢: ٦٣٤. سنن البيهقي ٥: ٢٨٠.

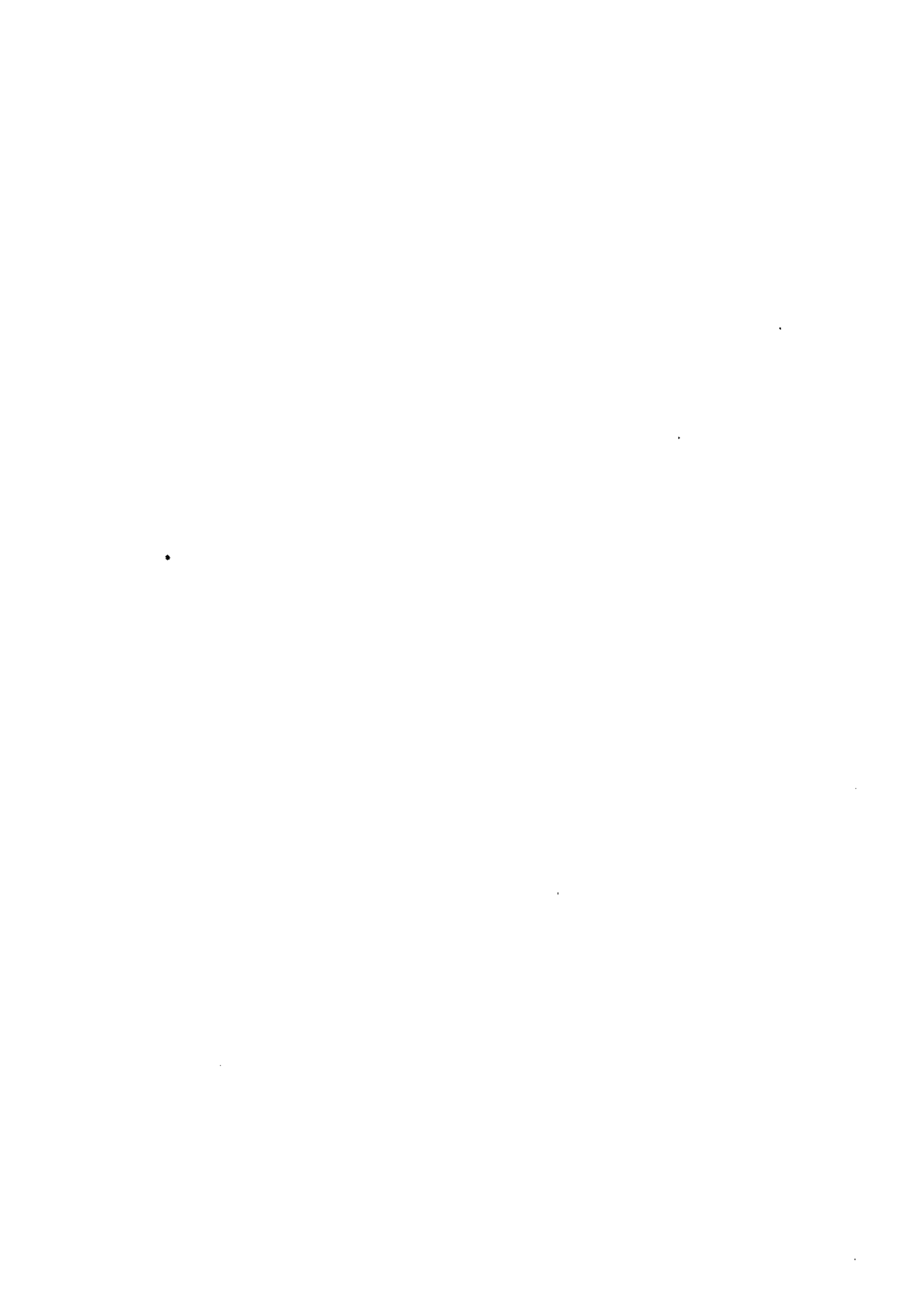
(٣) مسند أحمد ٤: ٩٩.

(٤) تفصيله في شرح النهج ١: ٣٥٨.

الفصل الثالث

أضواء على العهد الأموي





قادة المشركين يتسلطون على الأمة الإسلامية:

لا بد هنا من وقفة قصيرة لتتعرف على نفسية معاوية وحقده وحسده على البيت الهاشمي ابتداء بالرسول ﷺ ورسالته، وانتهاء بعلي وأبنائه وشيعته ومحبيه، ولا يسع المجال لتفصيل ما جرى في العهد السفيفاني والمرواني من الشجرة الملعونة.

وباختصار إن معاوية ما كان يحلم يوماً ما بتلك العظمة ويتسنى عرش الخلافة الإسلامية لقد كان صعلوكاً ذليلاً تحت عزة الإسلام ووسم هو وأبوه وحزبهم من أبناء عمومته بالطلاق ودخلوا فيه وقلوبهم مملوءة بالحقد على الإسلام ويتربصون الفرص لمحو سطورهم وقلع جذوره، ولم تتغير نفسياتهم بعد دخولهم في الإسلام. فليس بمستغرب من معاوية تلك المقابلة التي قابل بها علياً لأنه وريث ذلك العدا المتأصل بين بني هاشم وبني أمية فتلك عداوة جوهريّة ذاتية يصعب تحويلها وتناسيها، إذ لم تكن وليدة يوم أو صدقة، وإنما كان عناداً وحقداً وزاده منذ فرق بينهما الإسلام ويوم كان أبوه قائداً لجيش الكفرة ويشن الغارة تلو الغارة على جيوش المسلمين وهم القضاء على الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ وجاء تفصيل ذلك من عامة المؤرخين وأصحاب السير ولم ينس أيام علي وبطولته في تلك المواقف إذ قتل في يوم واحد أخوه وجده وخاله وأبناء

لمخالفة علياً ولا بمحاربتة إياه ولكن عقيدته لم تكن صحيحة ولا إيمانه حقاً وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه ولم يسلم قلبه قط وإنما أسلم لسانه وكان يذكر من حديث معاوية ومن فلتات قوله وما حفظ عنه من كلام يقتضي فساد العقيدة شيئاً كثيراً... الخ^(١).

وخير شاهد على ذلك المغيرة لما دخل الكوفة طلب من معاوية ترك إيذاء بني هاشم لأنها أبقى لذكره فأجابه معاوية: هيهات هيهات أي ذكر أرجو بقاءه ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما أن عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول: قائل عمر. وإن ابن أبي كبشة (يعني به النبي ﷺ) ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله، فأبي عمل يبقى وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا والله إلا دفناً دفناً^(٢).

ولأبي سفيان قوله المشهور: فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار^(٣).

وقول أبي سفيان أيضاً مخاطباً عثمان: يا عثمان أن الأمر أمر عالمية والملك

ملك جاهلية، فاجعل أوتاد الأرض بني أمية^(٤).

(١) شرح النهج ٢: ٥٧٢، وص ٥٨٩.

(٢) المسترشد للطبري: ١٧٤، منع التدوين: ٣٨٨، مروج الذهب ٢: ٣٤١، كما ذكر عثمان أيضاً، الموفقيات: ٥٧٦، شرح النهج ١: ٤٦٢، النصائح الكافية: ١١٦.

(٣) كما في منع تدوين الحديث: ٣٥٢، نقلاً عن الاستيعاب ٤: ٦٧٩، الأغاني ٦: ٣٥٦، مروج الذهب ٢: ٣٤٣، شرح النهج ٢: ٤٥.

(٤) وبألفاظ آخر: الأغاني ٦: ٣٥٥، تهذيب تاريخ أبي عساكر ٦: ٤٠٩.

عمومته بسيف علي وبعد دخوله في الإسلام خوفاً لم يستطع أن يتفوه ببنت شفه لأنهم كفروه وبقيادة الرسول وليس من الهين السكوت عليه ثم صار يرى علياً خليفة للمسلمين وأمير المؤمنين وتجتمع الأمة على بيعته ويعزل الطغاة من ولاة وقضاة في أكثر المدن من الذين لا يطمئن بدينهم ولا يثق بنزاهتهم وعدلهم ومعاوية حتماً سيكون منهم بل أولهم.

كما أنه لا يجهد مكانه علي عليه السلام ومنزلته في الإسلام وهو أول القوم إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأفضلهم بعد الرسول وأقربهم منه كما يعلم جيداً أن علياً قد طبعت نفسه على العدل والمساوات بين الأمة ولا تأخذه في الله لومة لائم فلا يستطيع معاوية أن يعمل في عهده ويرضخ للعدل ويستسلم للواقع وهو المعزول الأول.

كما أن علياً عليه السلام يعرف معاوية وعلى أي طابع طبعت نفسه وعلى أي حقد يكنه وحسد يخفيه وهو أدري بحركاته وما يهدف إليه في تخطيطه عندما يحتضن الدجالين وذوى الضمائر الرخيصة الذين يحاولون دائماً الوصول إلى غاياتهم بكل وسيلة ويجمع علماء السوء ووعاظ السلاطين يوازرونه في نشر الحكايات المفتعلة ويستعمل المرتزقة لوضع الأحاديث على لسان صاحب الرسالة بما يرغب به ويتطلبه ظرفه للوصول إلى السلطة، كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ولكن يكتب معاوية ما شاء بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه^(١). وكلمة الجاحظ حول معاوية وقول النقيب أن معاوية من أهل النار لا

(١) كتاب صفين: ٥٨٤، وشرح النهج: ١: ٢٣٣.

شخصية معاوية ونفسيته:

لقد كان معاوية صاحب نفسية معقدة يستولي عليها الحقد الدفين والحسد القديم والعداء المتأصل، كما كان يغمز عليه من نسبه في أمه هند وعيّر بذلك كثيراً واشتهر به^(١)، ويعاب عليه مواقف بيته في الإسلام فيسمع الكثير من الصحابة يذكرونه بأقوال الرسول فيه وأهله وأنهم من الطلقاء - كما سيأتي - ، ويسمع بأذنه ما خاطبه به بعض الصحابة ورؤساء القبائل والكثير من المهاجرين

(١) ذكر ابن الجوزي في التذكرة قول الإمام الحسن بن علي عليه السلام غير معاوية في كلام دار بينهما (وقد علمت الفراش الذي ولدت عليه الخ)، قال: ابن الجوزي قال: الأصمعي والكلبي في المنال أن معنى قول الإمام الحسن لمعاوية: أن معاوية كان يقال: أنه من أربعة من قريش عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ومسافر بن عمر والعباس بن عبد المطلب وهؤلاء كانوا ندماء أبي سفيان وكان منهم من يتهم بهذا فأمّا عمارة كان من اجمل رجالات قريش وأما مسافر فقال: الكلبي عامة الناس على أن معاوية منه لأنه كان أشد الناس حبا لهند... الخ.

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار باب القربات والأنساب، أن معاوية يعزى إلى أربعة: مسافر وعمارة والعباس وإلى صباح مغن لعمارة، وكان صباح عسيفا لأبي سفيان شابا فدعته هند إليها فغشها... الخ. ومثله ابن أبي الحديد ١: ٣٣٦. تحقيق محمد أبو الفضل، وزاد في قوله: وكانت هند تذكر في مكة بفجور وعهر... الخ.

كما ذكر الزمخشري في المصدر السابق وقالوا إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً وقالوا إنها كرهت أن تدعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعت هناك وفي هذا يقول: حسان أيام المهاجرة بين المشركين والمسلمين: لمن الصبي بجانب البطحاء في الترب ملقى غير ذي مهد... الخ.

وذكر ابن الجوزي عن هشام الكلبي قال: وكانت هند من المغيلمات، وكانت تميل إلى السودان من الرجال، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلتها! ثم ذكر محاورة بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابه، فلم يفهمها يزيد ولكن معاوية فهمها، ثم بعد ذلك قال: معاوية ليزيد: أما علمت أن بعض قريش في الجاهلية يزعمون أني للعباس. باختصار كما عيره زياد بن أبيه مجيئاً معاوية عن تعبيره بأمه سمية فقال: له وأما تعبيرك لي بسميه فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة! (شرح النهج: ٤: ٦٨).

وروى عنه أنه ركل قبر حمزة وضربه برجله وقال: يا أبا عمارة أن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف صار في يد غلماتنا يتلاعبون به^(١) !
وله قول آخر لما سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله (قال): لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين^(٢).

(١) شرح النهج ١٦: ١٣٦، مروج الذهب ٣: ٤٥٤ النصائح الكافية: ١١٦، شرح النهج ٩: ٢٣٨ وقد تكررت في ص ٤٥ من الكتاب.
(٢) شرح النهج ١٠: ١٠١.

الرجال، ومناهم بالإمرة والقضاء والتقريب منه، وصانع الرؤساء، وداهن أعداءه، وتظاهر بالحلم والإغضاء عن بعض خصومه من غير بني هاشم. ولما تم له الملك، ظهر مكره وما تخفيه سريرته، فشمخ بأنفه تعالياً، كما جاء عنه في خطبته لما دخل الكوفة حيث قال: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا أو لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون^(١).

بغض بني أمية لعلي عليه السلام.

ليس بغريب من معاوية ذاك البغض والعداء لعلي عليه السلام، فإنه وريث ذلك البيت الأموي. وحقد بني أمية على بني هاشم عامة ليس وليد صدفة أو نزاع قبلي، فهو متأصل في نفوسهم ويرثه الأبناء عن آبائهم منذ القدم في زمن الجاهلية، وظهر ذلك العداء جلياً في بدء الإسلام، حتى أن تكذيبهم للرسالة والوقوف ضدها والسخرية منها وحرهم لها لم يكن الا لكون الرسول الكريم من بني هاشم، ولا يسعني تفصيل ذلك، فقد تضمنته كتب التاريخ والسير، وقد خصص المقرئزي كتاب لذلك أسماء (النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم).

كما أشار إليه الرسول في أحاديث كثيرة أعرض لبعضها: -

عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم^(٢).

(١) مقاتل الطالبين: ٧٠. وابن كثير ٨: ١٣١. وشرح النهج ٤: ١٦. المعرفة والرجال للبسوي ٣: ٣١٨.

(٢) مستدرک الحاكم ٤: ٤٨٧. وكنز العمال ٦: ٦٨.

والأنصار بعدم لياقتهم للخلافة وأنه لا يجوز لهم ذلك.

وزاده تعقيداً بيعة المسلمين لعلي عليه السلام، وما يمتاز به أمير المؤمنين عليه السلام من الفضائل والمناقب والمواقف البطولية في جميع حروب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان عليه السلام ابن بجدتها وصاحب راية النصر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى رسائله إلى معاوية قائلاً: فإن ما أتيت به من ضلالك ^(١) ليس يبعيد الشبه مما أتى به أهلك وقومك الذين حملهم الكفر وتمني الأباطيل على حسد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يمنعوا حريماً ولم يدفعوا عظيماً، وأنا صاحبهم في تلك المواطن، الصالي مجربهم والغالي لحدهم والقائل لرؤوسهم ورؤوس الضلالة، والمتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم، فبئس الخلف خلف اتبع سلفاً محله ومحطه النار ^(٢).

وضل معاوية حاقداً على علي وبني هاشم ومحبيه، كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: والله لو ود معاوية أنه ما بقى من بني هاشم نافخ ضرمة نار، إلا طعن في بطنه، إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ^(٣).

لذلك حاول معاوية أن يضيفي الشرعية لسلطانه وملكه باسم الدين، والقضاء على فضائل علي عليه السلام ومناقبه بكل ما استطاع من مكر وخداع وقتل وتعذيب وترغيب وتوعيد، وأنفق على ذلك الكثير من أموال المسلمين فاشترى بها دهاة

(١) يشير عليه السلام بخدعته إلى ما ادعاه بقتل عثمان وامتناعه عن البيعة له، وسنعرض له فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) شرح النهج ٤: ٥٠.

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٨.

وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم حيث قال: عن أبي برزة أنه قال: كان أبغض الأحياء أو الناس إلى الرسول الله ﷺ بنو أمية. ومن دقائق النص الأول إقرانه ﷺ بني أمية ببني حنيفة، وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب^(١).

وقول أمير المؤمنين: لكل أمة آفة، وآفة هذه الأمة بنو أمية^(٢). فليس بمستغرب من معاوية وأبناء بني مروان أن يقاتلوا أمير المؤمنين ﷺ ويقتلوا أتباعه ويشردوهم. وقد سعى معاوية لإخفاء فضائل الإمام علي ﷺ، وابتدع لعنه على المنابر طيلة العهد الأموي.

وصرحت بذلك أم الخير بنت الحريش إذ تقول: إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدية، وثب لها معاوية حين الغفلة ليدرك ثار بني عبد شمس^(٣). كما لم ينس معاوية ثأره بقتل أخيه حنظلة بن أبي سفيان وجده لأمه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد بن عتبة وأبناء عمه العاص بن سعيد بن العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط بن عمر بن أمية^(٤)، لكنه لا يستطيع التصريح بذلك؛ لأنه لا يخفى على المسلمين أنهم كانوا وثنيين مشركين حاربوا رسول الله، وقاتلهم علي ﷺ على ذلك، فذاقوا وبال أمرهم.

(١) خلافة الرسول بين النص والشورى: ٦٣.

(٢) كنز العمال ٦: ٩١ ولأبي مسعود مثله كنز العمال ٧: ١٤٢.

(٣) بلاغات النساء: ٣٦. العقد الفريد ١: ١٣٢ نهاية الإرب ٧: ٢٤١ صبح الأعشى ١: ٢٤٨.

(٤) في المستدرک ٤: ٤٨٠. مجمع الزوائد ١٠: ٧١. فضائل الخمسة: ٣٠٥.

والحديث جاء بطرق عديدة مع اختلاف في بعض ألفاظه، وذكره جمع من أصحاب الصحاح والسنن^(١) وسنعرض له في ذكر أهل البيت عليهم السلام. وذكر الزمخشري في الكشاف في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾، عن عمر بن الخطاب: هم الأفجران من قريش، بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين.

وذكر ذلك أيضا السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية وقال: أخرجه البخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه . ومثله عن علي كما في كنز العمال^(٢)، قال: أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني في الجامع الأوسط وذكره في الدر المنثور في تفسير الآية.

وحديث: (إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا...) ^(٣).

ولقد لعن رسول الله أبو سفيان في مناسبات حتى قال: اللهم العن أبا سفيان وصفوان بن أمية والحارث بن هاشم^(٤).

وذكر ابن حجر انه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف^(٥).

(١) كما ذكره ابن ماجة في سننه ٢: ٥١٧. وابن حجر في الصواعق: ٢٣٧. والسيرة لابن دحلان

بهامش ٣: ١٨٩. ابن الصباغ في الفصول المهمة: ١٥٥. الطبري في ذخائر العقبى: ١٧.

(٢) كنز العمال ١: ٢٥٢.

(٣) فضائل الخمسة: ٣٠٥.

(٤) تفسير الطبري: ٤: ٥٨. وأخرجه الترمذي في جامعه كما في نيل الأوطار للشوكاني: ٢: ٣٩٨

الغدير: ١٠: ٨١.

(٥) تطهير الجنان: ٣٠ وص ١٤٣.

مواقف معاوية وأبيه من الإسلام،

لا أظن أن معاوية بعد أن تسلط على الخلافة الإسلامية قد تناسى كل شيء من مواقف آبائه وأهل بيته من الإسلام وعدائهم للنبي ﷺ وحروبهم له وشن الغارات على المسلمين، وكيف أذلهم الله ووقعوا في الفخ فدخلوا في الإسلام كرها وخوفا من الموت المحتم، حتى صار طليق وابن طليق، فلا يصلح للخلافة أو الإمارة، فلم يحسن إسلامه وأبيه قط، كما ظهر الشيء الكثير من فلتات أبي سفيان التي تكشف ما انطبعت عليه نفسه من أمور أخفاها خوفا من قوة الإسلام والمسلمين. وقد نقل أصحاب السير وبعض المؤرخين ما يعسر علينا ذكره، واليك بعض الأمثلة.

عندما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أمية، إن الخلافة صارت في تيم وعدى حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم، فتلقفوها بينكم تلقف الصبي الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار. فصاح به عثمان^(١). وفي لفظ الطبري^(٢): يا بني عبد مناف، تلقفوها تلقف الكرة، فما هنا لا جنة ولا نار.

وفي رواية أخرى: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كف بصره فقال: هل علينا من عين؟ قالوا: لا. فقال: يا عثمان، إن الأمر أمر عالمية، والمملك ملك

(١) الأغاني ٦: ٣٥٥ والاستيعاب: ٦٩ راجع تفصيله في النزاع والتخاصم: ٢٠. مروج الذهب ٢:

٣٤٣. شرح النهج ٢: ٤٥.

(٢) في تاريخه ١١: ٣٥٧.

لكن معاوية وبمكره وخداعه استطاع أن يطلب ثارهم بخلاف هند التي أظهرت يوم أحد ما تكنه من حقد وعداء يوم دخلت الميدان ومثلت بحمزة بن عبد المطلب ولاكت كبده تشفياً لحقدها الخ... .

وفي خطبة طويلة لمحمد بن الحنفية يوم سمع عبد الله بن الزبير ينال من علي عليه السلام ويشتمه قال: ... والله ما يشتم علياً إلا كافر يُسِرُّ شتمَ رسول الله ويخاف أن يبوح به فيكُنِّي بشتم علي عليه السلام.... .

ولما قتل الإمام السبط الحسين بن علي، دعا عبید الله بن زياد عبد الملك بن الحرث السلمى وبعثه إلى المدينة ليبشر عمر بن سعيد، فدخل السلمى على عمر فقال: ما وراءك؟. قال: ما سر الأمير! قتل الحسين بن علي. فقال: ناد بقتله. فنادت فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين، فقام عمر وضحك واستشهد ببيت، ثم قال عمر: هذه واعية بواعية عثمان ثم صعد المنبر... الخ^(١).

وفي مثالب ابن عبيدة قال: ثم أومئ إلى القبر الشريف وقال: يا محمد يوم بيوم بدر! وأنكر عليه قوم من الأنصار.

كما ظهر على يزيد بن معاوية يوم دخول سبايا آل محمد ومعهم رأس الحسين بن علي، فأظهر الشماتة والتشفي من رسول الله مخاطباً أسلافه بأبياته المشهورة: ليت أشياخي ببدر شهدوا^(٢).... .

(١) الطبري ٦: ٢٦٨. ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٩.

(٢) وذكرها في الغدير: ٨ وغيرهم.

خرجوا يتجسسون فقال العباس لأبي سفيان: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاردفه خلفه وأخذه إلى رسول الله ﷺ ليستأمن له، فقال له رسول الله ﷺ: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله قال: بأبي وأمي أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك فتشهد وأسلم... ودخل رسول الله مكة وجاء حتى قام على باب الكعبة وقال بعد خطبته لقريش: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء^(١).

ومن قول له لما سمع المؤذن يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله)، قال: لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين^(٢).

أما معاوية فليس إسلامه ببعيد عن إسلام أبيه، فلما رأى أن أباه أقبل يسلم خاطبه بقوله:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا
بعد الذين يبدر أصبحوا مزقاً
خالي وعمي وعم الأم ثالثهم
وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

(١) وهذا القول وأن كان في حينه منحة عطف وتكرم إلا أنه صار بعد ذلك عارا لهم ولأولادهم يعيرهم به العرب.

(٢) شرح النهج ١٠: ١٠١.

جاهلية، فاجعل أوتاد الأرض بني أمية^(١).

وقد وقف أبو سفيان على قبر حمزة عليه السلام وضربه برجله وقال: يا أبا عمار، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس صار في يد غلماننا اليوم يتلعبون به^(٢). وروي: لما خرج رسول الله ﷺ إلى حنين وكان قد خرج رجال من مكة على غير دين ينظرون على من تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم، منهم أبو سفيان ومعاوية، وظهر منهما ما يكتنانه من الحقد على المسلمين^(٣).

لذلك لم ينس بعض الصحابة تلك المواقف المخزية من معاوية وأبيه، فما كانوا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه على ما رواه مسلم: إن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها... الحديث^(٤).

صور لإسلام أبي سفيان ومعاوية:

لقد كان من خبر أبي سفيان في فتح مكة ما ذكره ابن هشام^(٥) وغيره: أن النبي^ﷺ لما قرب من مكة ركب العباس بغلة النبي وخرج بطلب أحدا يرسله إلى قريش ليأتوا إلى النبي ﷺ فيستأمنوه، فأدرك ثلاثة من قريش فيهم أبو سفيان

(١) الأغاني ٦: ٣٢٣، وفي تهذيب ابن عساكر ٦: ٤٠٩ عن أنس مثله. تاريخ ابن عساكر ٦: ٤٠٧.

(٢) شرح النهج ٤: ٥١.

(٣) راجع سيرة بن هشام ٤: ٧٢ والطبري ٣: ١٢٨. البداية والنهاية ٤: ٣٧٧. السيرة النبوية ٣: ٦٢٥.

سبل الهدى والرشاد ٥: ٣١٤.

(٤) صحيح مسلم ٧: ١٧٣ وفي تراجمهم من سير أعلام النبلاء ٢: ١٥، والاستيعاب ٢: ٦٢٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٤: ٣: ٣٢. الاستيعاب ٢: ١٦٧.

حديث: إن معاوية صعلوك لا مال له،

لقد حرف الرافعي هذا الحديث وأوله حسبما ترتثيه نزعته فقال: إنه ليس معاوية بن أبي سفيان الذي ولي الخلافة بل هو آخر^(١). إلا إن النووي قال: وهذا غلط صريح، وقد صرح باسم معاوية بن أبي سفيان واثبتته الصحاح^(٢)، فلا مجال لهذا التحريف والتأويل.

حديث: اللهم اركسهما في الفتنة ركساً،

وخرج رسول الله ﷺ في سفرة فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر فقال النبي ﷺ: انظروا من هما. فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص، فرفع رسول الله يديه فقال: اللهم اركسهما في الفتنة ركساً، ودُعَّهما إلى النار دعا^(٣). وفي لفظ لابن عباس: اللهم اركسهما في الفتنة ركساً.

ولما جاء الحديث بطرق عديدة ولم يجدوا في سنده مغمزاً قام أحمد في مسنده بحذف اسميهما وقال: (فلان وفلان) كما هي العادة عندهم في أكثر الأحاديث تحفظاً على كرامة ابن هند وابن النابغة. وجاء غيره متحفظاً عليهما أكثر، فدلس في الحديث وحسب أن ادعائه ينطلي، فتصرف في الحديث وقال: ليس المقصود به

(١) الإصابة ٣: ٤٩٨.

(٢) كما في صحيح مسلم ٤: ١٩٥، وأبو داود في السنن ١: ٣٥٩، والنسائي في سننه ٦: ٢٠٨ والطيالسي في مسنده: ٢٢٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ٤٧١.

(٣) مسند أحمد ٤: ٤٢١ ولم يصرح باسميهما وصرح باسميهما نصر في كتاب صفين ٢٤٦ والنصائح الكافية ٥٩ والسيوطي في التالي في باب مناقب سائر الصحابة وأشار إلى الحديث لسان العرب ٧: ١٩٥ وج ٩: ٤٣٩، ومجمع الزوائد ٨: ١٢١.

لا تركنن إلى أمر تقلدنا والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لنا عاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا^(١)
وذكرنا سابقا ما قاله معاوية للمغيرة بن شعبة في حديث دار بينهما: ... ملك
أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما أن عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول
قائل أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشم عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى
هلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر، وإن ابن أبي كبشة - يعني به النبي ﷺ -
ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله. فأبي عمل يبقى وأي
ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا والله إلا دفناً دفناً^(٢).

عن عمر أنه قال: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد،
ثم في كذا وكذا، وليس فيها لطلق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء^(٣).

بعض أقوال الرسول ﷺ في معاوية

إن الأحاديث في ذم معاوية كثيرة تضمنتها كتب السير والتاريخ وتعرض
لها الشيخ الأميني في الغدير بجزئيه التاسع والعاشر ومحمد بن عقيل في كتابه
النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، وغيرهما، وإليك نزر منها:

(١) رواه الزبير بن بكار في المفاخرات، وشرح النهج ٢: ١٠٢، وتذكرة سبط بن الجوزي: ١١٥ وجمهرة
الخطب ٢: ١٢ مع اختلاف في الأبيات كما ذكرها الأميني في الغدير ١٠: ١٦٨.

(٢) الموفقيات للزبير بن بكار: ٥٧٦. مروج الذهب ٣: ٤٥٤. النصائح الكافية: ٦١٦. شرح النهج ٩:
٢٣٨.

(٣) أخرجه الثلاثة: أسد الغابة ٤: ٢٨٧. الطبقات الكبرى ٣: ٢٤٨، نقلاً عن سبعة من السلف.

حديث: اللهم لعن القائد والسائق والراكب!

وجاء الحديث بعدة طرق وألفاظ متقاربة، فعن علي بن الأقرم قال: ... عن عبد الله بن عمر قال: خرج رسول الله ﷺ من فج فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق فنظر إليهم رسول الله ﷺ وقال: اللهم لعن القائد والسائق والراكب. قلنا: أنت سمعت رسول الله؟! قال: نعم، وإلا فصمتا أذناي كما عميت عيناي^(١).

وعن البراء بن عازب في موقف آخر قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: اللهم لعن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيعس، فقال ابن البراء لأبيه من الأقيعس: فقال معاوية^(٢).

كما احتج بالحديث الإمام الحسن بن علي ﷺ في حديث طويل مخاطباً معاوية، وكذلك محمد بن أبي بكر في كتاب أرسله إلى معاوية ذكره بالحديث^(٣).

حديث: إذا رأيتم معاوية على منبري!

أخرج نصر بن مزاحم^(٤) وابن عدي والعقيلي والخطيب والمناوي من طريق أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود مرفوعاً إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

(١) وقعة صفين: ٢٤٧، وراجع الطبري ١١: ٣٥٧، وابن أبي الحديد شرح النهج ٢: ١٠٣، وسبط بن الجوزي في التذكرة: ١١٥، وقال: أنه في يوم الأحزاب.

(٢) كتاب صفين: ٢٤٤.

(٣) نقلا عن الغدير ١٠: ١٣٦.

(٤) كتاب صفين: ٢٤٣. تاريخ الطبري: ١١. تاريخ الخطيب ١٢: ١٨١، شرح النهج ١: ٣٤٨، كنوز الدقائق للمناوي ١٠، اللثاليء المصنوعة ١: ٤٢٤. تهذيب التهذيب ٢: ٤٢٨. وكنوز الحقائق: ٩.

معاوية بن أبي سفيان ولا عمرو بن العاص، وإنما المقصود معاوية بن أبي رافع، وعمرو بن رفاعه، والسيوطي في اللاليء أيضاً حاول ذلك وجاء بشيء جديد فذكر الحديث بطريق آخر عن سيف بن عمر محاولاً أضعاف سند الحديث تحفظاً على منزلة الرجلين، متناسياً الطرق الصحيحة للحديث.

حديث لا يجتمعان على خير أبداً!

وفي حديث أن رسول الله ﷺ رأهما في غزوة تبوك يسيران وهما يتحدثان فالتفت إلى أصحابه فقال: إذا رأيتموهما اجتماعاً، ففرقوا بينهما؛ فإنهما لا يجتمعان على خير أبداً.

واشتهراً بذلك حتى أن بعض الصحابة ممن سمع قول الرسول هذا احتج به، فهذا عبادة بن الصامت لما بعث إليه معاوية يستنصره في حرب علي عليه السلام جاء وجلس بين عمرو ومعاوية وحدثهما بالحديث^(١).

ومثله زيد بن أرقم عندما رأهما مجتمعين رمى بنفسه وجلس بينهما وحدثهما بالحديث^(٢).

وروى المتقي قال: روى مسنداً عن شداد بن أوس أنه دخل على معاوية وهو جالس وعمرو بن العاص على فراشه فجلس بينهما وقال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟، لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول الحديث^(٣).

(١) العقد الفريد ٤: ٣٤٥.

(٢) وقعة صفين: ٢٤٧.

(٣) كنز العمال ٦: ٨٨ مع اختلاف ببعض اللفظ، وقال: أخرجه ابن عساكر، ومجمع الزوائد ٧: ٢٤٨ وقال: أخرجه الطبراني.

وتبعهم ثالث ولم يرق له ذلك التمويه فوضع رواية في أن معاوية في الحديث غير معاوية بن أبي سفيان.

وقال السيوطي في اللئاليء بعد ذكر تلك الرواية: قال ابن عساكر: هذا تأويل بعيد والله اعلم^(١).

حديث: يموت على غير ملتي!

أخرج المحافظ البلاذري: في تاريخه الكبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي. قال: وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع فطلع معاوية.

وذكره بطريق آخر، وإن تكلموا في الطريق الأول الذي فيه ليث وهو من رجال مسلم ووثقه ابن معين كما افاده الشوكاني، لكن ضعفه لاختلاط وقع له في آخر أمره، لكن الوهم في الطريق الأول يرتفع بالطريق الثاني للحديث وليس فيه ليث، فالسند متين^(٢).

وفي لفظ آخر يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت على غير سنتي^(٣).

(١) اللئاليء المصنوعة ١: ٤٢٥

(٢) العتب الجميل: ٨٦ وذكر متن الحديث في تاريخ الطبري ١١: ٣٥٧.

(٣) نصر بن مزاحم كتاب صغيره: ٢٤٧.

وذكر البلاذري عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. فتركوا أمره فلم يفلحوا ولم ينجحوا^(١).
وقال أيضاً عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له لا تسل السيف في عهد عمر حتى نكتب إليه. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه. قالوا: ونحن سمعناه ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر. فكتبوا إليه فلم يأتهم جواب حتى مات. ورجال سنده من رجال الصحاح.

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً بلفظ (فارجموه)^(٢)

وعن زر عن عبد الله مرفوعاً: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه^(٣) وسنده صحيح.

وباختصار: أن الحديث له طرق كثيرة صحيحة لا غمز لأحد فيها مهما حاول، غير أن ابن كثير والسيوطي في لئالته ذكرا بعض الطرق وضعفاها، فلم تسمح لهم العصية الأموية بذكر الطرق الصحيحة للحديث حيث اخرج البلاذري في تاريخه الحديث بغير تلكم الطرق التي ضعفها، وسكتوا عن الاسانيد الصحيحة حفظاً لكرامة ابن هند آكلة الاكباد.

وجاء آخر يتبع خطاهما مموها فقال: من روى (فاقتلوه) بالموحدة أي (فاقبلوه).

(١) نقلًا عن الغدير ١٠: ١٤٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٧: ٣٢٤، وبطريق آخر في ميزان الاعتدال ٢: ١٢٨.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ١١٠ وج ٨: ٧٤.

من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله إلى معاوية

ولن يغيب عن بال معاوية أيضاً خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله الكثيرة التي فضحه بها وأزال الستر عن خدعه وبوائقه، وظلت عالقة في أذان من سامعيها من مهاجرين وأنصار وجل الصحابة ورؤساء القبائل، يتناقلونها في مجالسهم، وسارت بها الركبان وعمّت البلدان، وهي كثيرة جداً وفي مناسبات عديدة، فأعرض لموجز منها باختصار: -

١ - من كتاب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية، قال فيه عليه السلام: أتاني كتابك، كتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجاب، وقاده الضلال فاتبعه - إلى أن يقول عليه السلام: - وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضعي من قريش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته^(١).

٢ - ومن كلام له عليه السلام يخاطب معاوية: أما بعد، فإن مساويك مع علم الله تعالى فيك قد حالت بينك وبين أن يصلح لك أمرك وأن يرعوي قلبك، يابن صخر اللعين، زعمت أن يزن الجبال حلمك، ويفصل بين أهل الشك علمك!، وأنت الجلف المنافق الأغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل^(٢).

٣ - لما دعاه معاوية إلى التحكيم قال عليه السلام: ... ثم انك قد دعوتني إلى حكم القرآن وقد علمت أن لست من أهل القرآن، ولا حكمه تريد، والله المستعان^(٣).

(١) العقد الفريد ٢: ٢٣٣. الكامل للمبرد ١: ١٥٧. كتاب صفين: ٦٤. الإمامة والسياسة ١: ٧٧. شرح

النهج ١: ٢٥٢، وج ٣: ٣٠٢.

(٢) شرح النهج ٣: ٤١١، وج ٤: ٥١.

(٣) كتاب صفين: ٥٥٦. نهج البلاغة ٢: ٥٦. وشرح النهج ١: ١٨٨.

والأحاديث في هذا المضمار كثيرة لا يسع المجال لذكرها واكتفي بهذه النماذج
وسياتي بعضها في ذكر بني أمية عامة.
كما ذكروا ان يحيى بن عبد الحميد كان يقول: (مات معاوية على غير ملة
الإسلام)^(١).

(١) تاريخ بغداد ١٤: ١٧٦، سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٣٣.

كما أن له عليه السلام كتب أخرى قد أرسلها إلى جماعات من الولاة وبعث أيضاً إلى بعض الأمصار يحذرهم من مكر معاوية مصرحاً فيها بخروجه عن الإسلام والميل إلى الباطل طالبا للخلافة بالزور والبهتان والمكر والغدر والرشاء والإغراء. وهي أيضاً كثيرة أختصرها بما يلي:

- ١- من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص: أما بعد، فإنك تركت مروءتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بمخلطته، فصار قلبك لقلبه تبعا كما قيل (وافق شن طبقه)، فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك....
- ٢- ومن كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر: إياكم ودعوة الكذاب ابن هند، وتأملوا واعلموا أنه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى ووصى النبيّ وعدو النبيّ، جعلنا الله وإياكم ممن يحب ويرضى ^(١).
- ٣- ومن كتاب آخر له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر بعد ما بعث إليه معاوية وعمرو فقال عليه السلام: قد قرأت كتاب الفاجر بن الفاجر معاوية، والفاجر بن الكافر عمرو، المتحابين في عمل المعصية، والمتوافقين المرتشين في الحكومة، المنكرين في الدنيا قد استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، فلا يضرنك إرعادهما وإبراقهما ^(٢).

٤- وكتب عليه السلام إلى أهل العراق: فايقظوا رحمكم الله نائمكم، واجتمعوا على حقكم، وتجردوا لحرب عدوكم، قد ابدت الرعدة عن الصريح، وبان الصبح لذي عين، إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء وأولي الجفاء ومن أسلم كرها وكان

(١) شرح النهج ٢: ٢٦. جمهرة الرسائل ١: ٥٤١.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٥٨. شرح النهج ٢: ٣٢.

٤- ومن كلام له عليه السلام: أما بعد فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس، إنا آمنّا وكفرتم، واليوم إنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها، بعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم حزبا - إلى أن يقول عليه السلام - : وعندي السيف الذي أعضضته بجذك وخالك وأخيك^(١) في مقام واحد... الخ الخطبة^(٢).

٥ - من كتاب له عليه السلام أتى به معاوية: وأما قولك أنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل، فلعمري إنا بنو أب واحد، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم^(٣).

٦ - من كتاب له عليه السلام مجيباً معاوية: وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتميز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؟... الخ^(٤).

إلى هنا أكتفي بهذا القدر، وكتبه عليه السلام كثيرة، كما أن له خطب مطولة في هذا المضمار تركناها خشية التطويل.

(١) يقصد بأخيه حنظلة بن أبي سفيان، وجده لأمه عتبة بن ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة، وأبناء عمه العاص بن سعيد وغيرهم.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٢٤.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٤٢٣.

(٤) نهج البلاغة ٢: ٣٠، صبح الأعشى ١: ٢٢٩، نهاية الارب ٧: ٣٢٣.

لأعداء الله^(١).

٦- ومن خطبة له عليه السلام لما رفع أهل الشام المصاحف: ...عباد الله، إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبیب بن سلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني اعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال، إنها كلمة حق يراد بها الباطل، إنهم والله ما رفعوها إنهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، اعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا^(٢).

وهناك خطب ورسائل لكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار والحريصين على مصلحة الإسلام واتباع الحق ومجانبة الباطل والضلال يقولون فيها لمعاوية: إنك قد حاربت إمام زمانك الذي بايعه جمهور المسلمين، وفرقت كلمتهم، وظهرت الضلال والفساد في الأرض، وأنت طليق وابن طليق ولا تصح لك الخلافة. وقال بعضهم: وإنما أنت وثن ابن وثن فلا يحل لك الخلافة في الإسلام... الخ. أمثال قيس بن سعد أمير الخزرج، وأبي أيوب الأنصاري، وابن عباس، ومحمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن بديل، وسعيد بن قيس، ومالك الأشتر، وهاشم بن عتبة المرقال، وغيرهم كثير، ولا يسعنا ذكر أقوالهم وخطبهم وقد نقلها شيخنا الأميني في الغدير^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ١٥: ١٢٣.

(٢) كتاب صفين ص ٥٦٠، تاريخ الطبري ٦: ٢٧، الكامل للمبرد ٣: ١٣٦.

(٣) الغدير ١٠: ١٥٧.

لرسول الله ﷺ كله حرباً، أعداء الله والسنة والقرآن، وأهل الأحزاب والبدع والأحداث، ومن كانت بوائقه تنقى وكان على الإسلام مخوفاً، أكلة الرشا وعبدة الدنيا، لقد أنهى إلي أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى اعطاه، وشرط عليه أن يعطيه إتاوة هي أعظم مما في يديه من سلطانه، ألا صفت يد هذا البائع دينه بالدنيا، وتربت يد هذا المشتري نصره غادر فاسق بأموال المسلمين، وإن منهم لمن قد شرب فيكم الخمر وجلد حدا في الإسلام^(١) يعرف بالفساد في الدنيا والفعل السيئ، وإن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له على الإسلام رضىخة^(٢)، فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شر واضر، وهؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم لأظهروا فيكم الكبر والفخر والفجور والتسلط بجبروته، والتناول بالغضب، والفساد في الأرض، ولا تبعوا الهوى وما حكموا بالرشاد - إلى أن يقول ﷺ - : والله لو لقيتهم فردا وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضاللتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه لعلي ثقة وبينة ويقين وبصيرة، وإني إلى لقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر ولكن أسفا يعتريني وحزنا يخامرني أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولا، وعباد الله خولاً، والصالحين حرباً، والقاسطين حزبا...^(٣).

٥- ومن جواب لكتاب معاوية قال ﷺ: ... فاني لو قتلت في ذات الله وحييت، ثم قتلت ثم حييت، سبعين مرة لم ارجع عن الشدة في ذات الله والجهاد

(١) يعني الوليد بن عقبة.

(٢) يعني معاوية، راجع جمهرة الرسائل ١: ٥٥١.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١١٢، شرح النهج ٢: ٣٧.

سفيان^(١).

واستعمل معاوية شراء الضمائر من رؤساء العشائر وقادة العساكر بالرشوة تارة والإغراء أخرى، وبذر أموال المسلمين على ضعاف النفوس والمرتزة ممن هان عليه دينه وباع آخرته بدنياه.

وإليك أمثلة لذلك: فقد احتال معاوية على قائد جيش الإمام الحسن عليه السلام وهو عبيد الله بن العباس، وأرسل إليه في الليل قائلاً له: إن الحسن قد راسلني في الصلح، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أعطيك ألف ألف درهم يعجل في هذا الوقت النصف، فإذا دخلت الكوفة النصف الآخر^(٢).

وأغدق العطاء على الرؤساء، فمالوا إليه. مثل الحتات بن يزيد المجاشعي وفد على معاوية في جماعة من الرؤساء، فاعطى كل منهم مائة ألف واعطى الحتات سبعين ألفاً، فلما رجعوا وكانوا ببعض الطريق أخبر بعضهم بعضاً بجائزته، فرجع الحتات إلى معاوية يعاتبه فقال له فيما قال: مالك خست بي دون القوم؟ فقال: اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ورأيتك في عثمان فقال: وأنا فاشترمني ديني. فأمر له بتمام جائزته^(٣).

وجاءه وفد ومعهم ابن المغيرة فقال لأبي المغيرة سرا: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً (وقيل أربعمائة ألف). فقال: لقد هان عليهم

(١) سير أعلام النبلاء ٩: ٥٧٠. معجم البلدان ٣: ٢٤٩.

(٢) مقاتل الطالبين: ٥٠، وص: ٦٥.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ١٣٥. ابن الأثير ٣: ٢٠١.

شراء معاوية للضمائر !

وهكذا يعرض معاوية عما مر من تحذير النبي ﷺ وأقوال الإمام والصحابة، ويدير ظهره ويصم أذنيه، وينحرف عن المثل العليا للسنة النبوية ويغير السيرة اجتماعياً وسياسياً ودينياً.

وقد جاء عن ابن أبي الحديد^(١): إن معاوية مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله، يرمى بالزندقة. ثم قال: ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الإلحاد والتعرض لرسول الله ﷺ وما تظاهر به من الجبر والإرجاء ولو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربتة الإمام ما يكفي في فساد حاله لا سيما على قواعد أصحابنا وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النار والخلود فيها أن لم تكفرها التوبة

واعتذر لمعاوية الأستاذ عبد الحسيب طه المدرس في كلية الأدب العربي بمصر في كتاب (أدب الشيعة: ٣٠) وبرر موقفه قائلاً: ولعل معاوية - كساسة اليوم - قد علم إن الدعاية من أشد أسلحة الحرب مضاء وأبلغها نفاذاً فاستعمل هذا السلاح ليصرف الناس عن آل البيت ويحول قلوبهم عنهم، وفي هذا دوام ملكه، فاستحل سياسياً ما حرمه الدين، ووضع لمن بعده شرعة السباب لهذا البيت الكريم، فاستعملها خلفاء بني أمية... الخ.

وذكر معاوية في مجلس عبد الرزاق فقال: لا تقذروا مجلسنا بذكر أولاد أبي

(١) شرح النهج ١: ٢٤٩.

وعند ما أراد البيعة لابنه يزيد الفاسق الفاجر استعاد تلك الحيل، ولم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين، يشاور، ويعطي الأقارب، ويدني الأبعاد^(١)، كما عمل في تشييد الملك لنفسه في بادئ أمره، ففي كلتا الحالتين كان يغري بالإمرة والمال، وأن أعيته الحيلة لم يتورع عن أي شيء، حتى القتل والاعتقال^(٢) وما أكثر من قتل.

وقد استعمل الاكراه والتهديد مع جماعات كثيرة، وهذا ما أثبتته المؤرخون من أن معاوية كان يهدد من خالف البيعة، ويجزل عطاء من بايع^(٣).
ومنه ما أعطى سعيد بن عثمان بن عفان لموافقته لبيعة يزيد حيث قال له معاوية: لك خراسان. قال سعيد: وما خراسان؟. قال: انها لك طعمة وصلة رحم. فخرج راضيا وهو يقول ابياتا...^(٤).

وكذلك أرسل إلى عبد الله بن عمر - عندما أراد البيعة ليزيد - مائة ألف درهم فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني إذن علي لرخيص^(٥).

وبهذا وأمثاله يظهر التناقض في قول عبد الله بن عمر، إذ انه قبل هذه الرشوة لما حجّ معاوية وحاول أخذ البيعة من أهل مكة والمدينة ليزيد.

(١) ويقرب منه في الكامل ٣: ٥٠٨.

(٢) العقد الفريد ٣: ١٢٩.

(٣) العقد الفريد ٤: ٣٦٨ و ٣٧٤.

(٤) الإمامة والسياسة: ١٥٧.

(٥) باختصار من الطبري ٦: ١٦٩. وابن الأثير ٣: ٢١٤. وابن كثير ٩: ٥. والسيرة الحلبية ١: ٢٩٦

مثله ولم يذكر وقتها. الطبقات لابن سعد ٤: ١٨٢.

دينهم^(١).

ولما أحسّ معاوية المعارضة من عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - في قصة طويلة - أمر ابن اثال النصراني أن يحتال في قتله، وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يولّيه خراج حمص... فوفى معاوية بما ضمن له... الخبر^(٢). وأرسل معاوية إلى جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي، زوجة الإمام الحسن بن علي عليه السلام: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد. فكان ذلك الذي بعثها على سمه، فلما مات وفي لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه^(٣).

واحتال معاوية على قتل مالك الأشتر، فدس إلى دهقان، بالقرب من العريش، فرغبه وقال له: أترك خراجك لعشرين سنة فاحتل في سم الأشتر. فسقاه سما بالعسل - في خبر طويل - ولما بلغ معاوية ذلك قال: كلمته المشهورة (أن لله جنودا من عسل)^(٤).

واغتال سعدا، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وغيرهم من خيار الصحابة وكبار التابعين عندما شم منهم المعارضة لسلطته أو إنكارهم على جرائمه، ولا يسعنا التفصيل.

(١) باختصار من الطبري ٦: ١٦٩. ابن الأثير ٣: ٢١٤.

(٢) الطبري ٦: ١٦٨ وابن الأثير ٣: ١٩٥ وأسد الغابة ٣: ٨٩ والاستيعاب.

(٣) المسعودي مروج الذهب بهامش الكامل ٦: ٥٥. وقريب منه في مقاتل الطالبين: ٧٣ وذكر اغتيال الإمام الحسن بالسم من قبل معاوية في ترجمته من الاستيعاب وسبط ابن الجوزي في التذكرة في ترجمته. وابن عساكر ٤: ٢٦٤ وغيرهم.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ٥٤. ابن الأثير ٣: ١٥٢.

وذكر أمثلة لكل واحد مما اختلقه ولما بلغ معاوية ما اختلق أبو هريرة اجازته
واكرمه وولاه المدينة.

وذكر أيضاً أن معاوية بذل لسمره بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أن
هذه الآية نزلت في علي عليه السلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ
اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا
وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(١) وأن الآية الثانية نزلت في ابن
ملجم قاتل أمير المؤمنين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٢) فلم
يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف درهم فقبل^(٣).

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) البقرة: ٢٠٤.

(٣) شرح النهج ١: ٣٥٨، وص ٣٦١.

قال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر ويظهر الفسوق؟ ما حجتنا عند الله^(١).

والعجيب من هذا المغفل البليد، الذي امتنع من بيعة أمير المؤمنين، وعرف عنه بغضه - وقد انتهره أمير المؤمنين في رواية قال عليه السلام له فيها: قم يا أحمق ما أنت وهذا الكلام^(٢) - وبعد ذلك بايع معاوية، ثم بايع يزيد من أجل تلك الرشوة، واختلق أحاديث تبرر له تلك البيعة، كما جرى في وقعة الحرة، وبلغ من السذاجة أن احتقره الحجاج عندما أراد البيعة فمد الحجاج له رجله فصفق عليها^(٣).

وباختصار فقد استجاب لمعاوية من الصحابة والتابعين ضعاف النفوس وهواة الأمرة والمال، ومسايرة السلطة بكل ما أرادته.

وسخرهم معاوية للقضاء على المعارضة، باختلاق الأحاديث، وطمس فضائل الإمام علي عليه السلام ومناقبه، والفتك بمن يروي له ذلك. فروى ابن أبي الحديد^(٤) عن أبي جعفر الإسكافي قال: أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلفوا له ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير وغيرهم.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٨.

(٢) جواهر الأخبار في ذيل البحر الزخار ٥: ٧١.

(٣) نقلاً عن الغدير في الجزأين السابع والعاشر.

(٤) شرح النهج ١: ٣٥٨.

وقعة الحرّة وكربلاء

أرسل أهل المدينة جماعة منهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعبد الله ابن عمر المخزومي والمنذر بن الزبير وآخرين كثيرين، فلما قدموا على يزيد أكرمهم واحسن إليهم وأعظم جوائزهم وشاهدوا افعاله ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر، فلما قدم الوفد قاموا فيهم فاظهروا شتم يزيد ولعنه (ومن جملة ما قالوا): أنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويعزف بالطناير ويضرب عنده الفتيان ويلعب بالكلاب ويسامر الحراب (وهم اللصوص) والفتيان وأنا نشهد أنا قد خلعناه... فتابعهم الناس^(١).

وقال عبد الله بن حنظلة ذلك الصحابي العظيم - الذي قتل يوم الحرّة - : يا قوم، اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لا بليت لله فيه بلاء حسناً^(٢). ولما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا: ما وراءك؟ قال: أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد سوى بني هؤلاء لجاهدته بهم^(٣).

وقال المنذر بن الزبير لما قدم المدينة: أن يزيد قد اجازني بمائة ألف، ولا

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤. الكامل لابن الأثير ٤: ٤٥. تاريخ ابن كثير ٨: ٢١٦. فتح الباري ١٣: ٥٩ وغيرهم.

(٢) تاريخ ابن عساکر ٧: ٣٧٢. تاريخ الخلفاء: ١٦٥.

(٣) تاريخ ابن عساکر ٧: ٣٧٢. ابن الأثير ٤: ٤٥. الإصابة ٢: ٢٩٩.

أخذ معاوية البيعة ليزيد !

وبعد أن عظمت شوكة معاوية وامتد سلطانه فكثرت بطشه وفتكه وتلاعب بالأحكام وحرف الكلم عن مواضعه فتتبع رجال الفكر وخيار الأمة وقتل الآلاف الأبرياء وبذّر أموال المسلمين بالرشوة وشراء الضمائر الرخيصة لتدعيم سلطانه وقلب الحقائق وطمس فضائل ومناقب أمير المؤمنين وأهل بيته وسبهم ولعنهم ومتابعة من يشم منه الميل إليهم أو الاقتراب منهم بكل ما يستطيعه من قتل أو اغتيال أو دس السم والخروج عن ابسط المفاهيم الإسلامية والإنسانية.

وقد مهد معاوية بهذه الأمور لولاية العهد وتنصيب ابنه يزيد (وهو الفاسق الفاجر الذي لا يختلف اثنان في إجرامه وكفره)، وهو الشاب المأبون^(١) المستهتر الذي اباح الخمرة والزنا وحطّ بكرامة الخلافة إلى مجالسة المغنيات وعقد حلقات الشرب في مجلس الحكم والبلاط الإسلامي والبس الكلاب والقرود جلاجل من الذهب في الوقت الذي يعيش فيه مئات المسلمين الم الجوع والحرمان^(٢).

فلعمري أصبح خليفة للمسلمين يجب طاعته واماما لا يجوز الخروج عليه ومن خرج عليه مات ميتة جاهلية. ولا أريد في هذه العجالة سرد جرائمه وفسقه، ولا أتعرض للتمويه الذي ابتليت به هذه الأمة المسكينة من تنصيب هكذا خليفة، بل اختصر الحديث على شهادة الوفد الذي بعثه كبار الصحابة ورؤساء وأشرف المدينة ليتعرفوا على خليفتهم الجديد ويخبروا الأمة بسيرته.

(١) كما وصفه عبد الملك تاريخ ابن كثير ٩: ٦٤.

(٢) الثائر الأول في الإسلام لمحمد عبد الباقي: ٧٩.

أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم ابن عقبة فاني قد عرفت نصيحته. فلما ولي يزيد وفد عليه عبد الله بن حنظلة وجماعة فآكرمهم وأجازهم، فرجع فحرض الناس على يزيد وعابه ودعاهم إلى خلع يزيد فأجابوا، فبلغ ذلك يزيد فجهز إليهم مسلم بجيش فدخل المدينة فكان ما كان من فضائح ومذابح وارتكاب جرائم أجمع المؤرخون على استنكارها.

فقد أباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام لجنده يقتلون أهلها ويسلبون أموالهم، وقتل ثمانون من أصحاب الرسول^(١)، والباقون منهم أخذت عليهم البيعة ليزيد، بيعة عبودية واسترقاق.

كما قتل فيها سبعمائة رجل من حملة القرآن، وألف وسبعمائة من بقايا المهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من أوساط الناس سوى النساء والصبيان^(٢)، وافترض فيها نحو ألف بكر وحبلى ألف امرأة في تلك الايام من غير زوج^(٣). وهكذا يأتي الدور ليزيد الخمر والفجور ليشفي غليل آبائه وأحقاد أجداده من علي وأبنائه الأطهار فقام بما تبكي له السماء دماً وتهتز الأرض أسفاً، قتله سليل النبوة الحسين السبط، حسين التضحية والإباء، وقتل أبنائه واخوته وأبناء عمومته وصحبه الأعماد، ولم يكتفي حتى مثل بهم وهم صرعى بأرض كربلاء، وسحق أجسادهم الطاهرة بخيول مرتزقته، وحمل رؤوسهم مع حريم الرسالة سبايا إلى طاغية الشام. وستعرض لتلك الواقعة في اجتهادات ابن تيمية.

(١) كما ذكر أسمائهم كما في أنساب الأشراف ٥: ٤٢. الاستيعاب ١: ٢٥٨. ابن كثير ٨: ٢٢١ الإصابة ٣: ٤٧٣. وفاء الوفاء ١: ٩٣.

(٢) البداية والنهاية ١٠: ٢٢ والدولة الإسلامية للخربوطي: ٢٠٥.

(٣) تاريخ ابن كثير ٨: ٢٢١. الإتحاف: ٢٢. وفاء الوفاء ١: ٨٨. تاريخ الخلفاء: ١٩٥. الإمامة والسياسة: ٢٠٩، ٢٢٠. العقد الفريد ٥: ١٢٨. الجواهر الثمين: ٧٨.

يُعْنِي مَا صَنَعَ بِي أَنْ أُخْبِرَكُمْ خَبْرَهُ، وَاللَّهُ أَنَّهُ لِيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَاللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ كَرُحِي
يَدْعُ الصَّلَاةَ...^(١).

وَقَدْ يَطُولُ الْحَدِيثُ فِي نَقْلِ أَقْوَالِ رِجَالِ الْوَفْدِ. وَالْخِلَاصَةُ إِنْ تَلَّكَ الْبَيْعَةُ هِيَ
إِحْدَى سِيئَاتِ مَعَاوِيَةَ وَمَوْبِقَاتِهِ وَعَلَى كَرِهِ مِنْ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ - مَعَ انْتِزَاعِهِمْ
يُزَعَمُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّمَا يُنصَّبُ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ - وَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ
وإنكار اعيان الصحابة وعامة المسلمين، كما جاء عن الحسن البصري قوله^(٢):
أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة:
إنترأه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم
بقايا الصحابة وذوي الفضيلة،

وَاسْتِخْلَافَهُ ابْنَهُ بَعْدَهُ سَكِيرًا خَمِيرًا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ وَيَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ،
وَإِدْعَائِهِ زِيَادًا وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)
وَقَتْلَهُ حَجْرًا، وَوَيْلًا لَهُ مِنْ حَجْرٍ وَأَصْحَابِ حَجْرٍ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ.
حَقًّا إِنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ الْمَوْبِقَاتِ وَأَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ اسْتِخْلَافَهُ لِنُغْلِهِ يَزِيدٌ وَهُوَ يَعْلَمُ
بَلِيلَهُ وَنَهَارَهُ جَيِّدًا، فَتَرَاهُ لَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ دَعَا ابْنَهُ يَزِيدًا وَقَالَ: يَا بَنِيَّ أَنِي قَدْ
كَفَيْتِكَ الرَّحْلَةَ وَالتَّرْحَالَ وَوَطْأَتِ لَكَ الْأُمُورَ وَأَخضعت لك رقاب العرب وجمعت
لك ما لم يجمعه أحد^(٣).

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا احْتَضَرَ دَعَا يَزِيدًا فَقَالَ لَهُ: إِنْ لَكَ مِنْ

(١) كامل ابن الأثير ٤: ٤٥. تاريخ ابن كثير ٨: ٢١٦.

(٢) تاريخ ابن عساکر ٢: ٣٨٤. تاريخ الطبري ٦: ١٥٧. ابن الأثير ٤: ٢٠٩. تاريخ ابن كثير ٨: ١٣٠.

محاضرات الراغب ٢: ٢١٤. النجوم الزاهرة ١: ١٤١، المنتظم ٥: ٢٤٣.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣: ٢٢.

ولما كان النزاع بين مروان بن الحكم وهو بالشام وعبد الله بن الزبير وهو بمكة انطلق جماعة إلى الصحابي ابن برزة الأسلمي فقالوا: يا أبا برزة ألا ترى ما وقع فيه الناس فقال: إني احتسب عند الله أني أصبحت ساخطا على احياء قريش أن ذاك الذي بالشام والله لا يقاتل إلا على الدنيا وأن الذي بمكة والله لا يقاتل إلا على الدنيا^(١).

الخلافة في عهد أبناء مروان

ويأتي الآن الغصن الخبيث من الشجرة الملعونة دور أبناء مروان وآل الحكم يفتح الباب على مصراعيه سائرا على ما ارتكبه أسلافه وخطط له أسياده من الفوضى والاستبداد ونشر البدع والضلال والعداء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسبه ولعنه على المنابر وقتل محبيه واتباعه ومن يروي له فضيلة أو منقبة في كل ما ملكوا من البلاد ومتجاهرا بكل رذيلة من قتل الأبرياء من الصحابة وشرب الخمر وهتك الأعراض وسحق القيم وتحريف الشريعة بما يرغبون وأسكتوا كل صوت معارض لهم وعاثوا في الأرض فسادا وطفخوا في البلاد، ولا غرابة في ذلك فهم الذين حاربوا الإسلام وسخروا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستهزؤوا به وتجسسوا عليه للمشركين ومناققي قريش فنفى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أجدادهم إلى الطائف تطهيرا للبلاد المقدسة وحرّم النبي من أرجاسهم وأدناسهم ووصمهم باللعنات وحذر الأمة منهم وأنهم الشجرة الملعونة أصحاب مكر وخداع هم ومن في صلبهم.

(١) صحيح البخاري: باب ٢٠، ح ٦٦٩٥.

الخلافة في عهد عبد الله بن الزبير

ونعرض باختصار لدور عبد الله بن الزبير الذي كان يضرر العداء لأهل البيت كما جاء عنه مخاطباً به ابن عباس: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة!! وجمع منهم ما يزيد على أربعة وعشرين من بني هاشم وأراد إحراقهم بالنار في حجرة زمزم في قصة طويلة^(١).

وبلغ به الصلف والحقد إلى درجة قال عنه ابن أبي الحديد: وكان عبد الله بن الزبير يبغض علياً عليه السلام وينتقصه وينال من عرضه^(٢).

وروى عمر بن شيبه وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بأنافها. وفي رواية ثانية يقول: إن له أهيل سوء ينغضون رؤسهم عند ذكره^(٣).

وقال اليعقوبي: تحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً وظهر لهم العداوة والبغضاء حتى بلغ ذلك منه أن يترك الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: أنه له أهيل سوء يشرأبون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به^(٤).

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦٢.

(٢) شرح النهج ١: ٣٥٨.

(٣) شرح النهج ١: ٣٥٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١.

وذكر أصحاب السير والتراجم واللفظ لابن حجر في الاستيعاب قال: أخرج رسول الله ﷺ الحكم من المدينة وطرده عنها إلى الطائف وخرج معه ابنه مروان، واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إياه وربما لاسباب عديدة وتناقلها أصحاب السير فقليل كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر كفار المنافقين فكان يفشي ذلك.

وذكروا أن النبي ﷺ كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم يحكيه فالتفت النبي يوماً فرآه يفعل ذلك فقال ﷺ فكذلك فلتكن فكان الحكم محتلجاً يرتعش من يومئذ فعيره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجو:

إن اللعين أبوك فارم عظامه أن ترم ترم مخلجاً مجنوناً
يمسى خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا^(١)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل عليكم رجل لعين. وكنت تركت عمراً يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل فدخل الحكم بن العاص^(٢).

وذكر البلاذري عن عمر بن مرة قال: استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال: ائذنوا له لعنه الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم ذو مكر وخديعة يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة يعطون الدنيا

(١) الاستيعاب ١: ١١٨، أسد الغابة ٢: ٣٤.

(٢) الاستيعاب ١: ١١٩ وذكره في تطهير الجنان هامش الصواعق: ١٤٤ بتغيير.

وبعد غياب الرسول ﷺ وفقده أرجعهم عثمان إلى المدينة متحدياً ابا بكر وعمر حيث انهما وفي عهدهما رفضا وساطته في إرجاعهم ونهروه ورفضوه في قصة طويلة، كما استنكر الصحابة على عثمان إرجاعهم ولم يكتفي عثمان بذلك حتى اغدق عليهم الأموال الكثيرة والاقطاع وولاهم المناصب تمهيدا لحكمهم واستلام الأمور من بعده^(١).

وما أن سنحت الفرصة لهم وتسلطوا على الخلافة عاثوا في الأرض فسادا وطفخوا في البلاد، ولا يخفى حالهم على من تتبع سيرتهم وسلوك ولاتهم في كافة كتب التاريخ والسير وسنعرض بأمثلة موجزة لبعضهم.

ولا ننسى ما أشار إليه الكتاب الكريم فيهم وأخبر به رسول الله الأمين وما حذر به الأمة منهم بوصايا عديدة وأحاديث كثيرة ولنعرض لكم بعضها كشاهد حال:

روي: أن مروان أقبل يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فاقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري فقال: نعم إني لم آت الحجر إنما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله^(٢).

(١) كان ذلك أحد الأسباب في مقتل عثمان والفتنة كما نقل ابن قتيبة وابن عبد ربه والذهبي وغيرهم قالوا: ومما نقم الناس على عثمان أن أوى طريد النبي ﷺ الحكم ولم يؤه أبو بكر وعمر وإعطاءه مائة ألف. راجع المعارف لابن قتيبة: ٨٨. العقد الفريد ٢: ٢٦١، محاضرات الراغب ٢: ٢١٢، مرآة الجنان لليافعي ١: ٨٥ نقلاً عن الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤: ٥١٥ والذهبي وغيرهما بطرق أخرى.

فسمعت ذلك عائشة فقالت: انها لم تنزل في عبد الرحمن (بن أبي بكر) ولكن نزلت في أبيه ﴿لَا تُطْعُ كُلَّ خَلَاْفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(١).

الوزغ ابن الوزغ،

وقد كان لا يولد في المدينة ولد الا اتي به إلى النبي ﷺ فأدخل مروان بن الحكم على النبي ﷺ فقال: هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون^(٢). ولعل معاوية أشار إليه بقوله لمروان (يا ابن الوزغ لست هناك) فيما ذكره ابن أبي الحديد^(٣).

ومن حديث عن جبير بن مطعم قال: كنا مع رسول الله فمر الحكم بن أبي العاص فقال النبي ﷺ: ويل لأمتي مما في صلب هذا^(٤). وذكر ابن أبي الحديد نقلا عن الاستيعاب أنه: نظر علي يوماً إلى مروان فقال له: ويل لك وويل لامة محمد ﷺ منك ومن بيتك إذا شاب صدغاك^(٥). وفي لفظ ابن كثير: ويلك وويل لامة محمد منك ومن بنيك^(٦). ورواها ابن عساکر بلفظ

(١) راجع الدر المنثور ٦: ٤١ وص ٢٥١. السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. فتح القدير الشوكاني ٥: ٢٦٣.

تفسير الآلوسي ٢٩. سيره بن دحلان ١: ٢٤٥.

(٢) مستدرک الحاكم ٤: ٤٧٩. وابن حجر في الصواعق: ١٠٨. والحلي في السيرة ١: ٣٣٧. والدمیری

في حياة الحيوان ٢: ٣٩٩.

(٣) شرح النهج ٢: ٥٦.

(٤) أسد الغابة ٢: ٣٤. الإصابة ١: ٣٤٦. السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. كنز العمال ٦: ٤٠.

(٥) شرح النهج ٢: ٥٥.

(٦) أسد الغابة ٤: ٣٤٨.

وما لهم في الآخرة من خلاق^(١).

أن لعن النبي ﷺ للحكم وولده مشهور وجاء بطرق كثيرة فاختصره عن عبد الله بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم. ومن حديث طويل عن عائشة قالت فيه: ... ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله. وفي لفظ قالت: لكن رسول الله ﷺ لعن اباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله. وفي لفظ الزمخشري في الفائق فأنت فضاضة^(٢) لعنة الله ولعنة رسوله^(٣).

وأخرج الطبراني وابن عساكر والدارقطني في الافراد من حديث طويل حتى قال: بعد أن لعنه رسول الله ﷺ، ثم قال: أن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء. فقال ناس من القوم: هو أقل وأذل من أن يكون هذا منه. قال: بلى وبعضكم من شيعته^(٤).

وأخرج ابن مردويه عن أبي عثمان النهدي قال مروان لما بايع ليزيد بن معاوية سنة أبي بكر وعمر (إلى آخر الحديث السابق عن عائشة) إلى أن قال:

(١) البلاذري في الأنساب ٥: ١٢٦. والحاكم في المستدرک ٤: ٤٨١. وصححه والواقدي كما في السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. ابن حجر في الصواعق ١٠٨. السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦: ٩٠، نقلا عن أبي يعلى، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، وابن عساكر وذكره الدميري في حياة الحيوان ٢: ٢٩٩.

(٢) ذكر الزمخشري: افتظنت الكرش إذا اعتصر ماؤها، كأنه عصارة قدرة من اللعنة.

(٣) مستدرک الحاكم ٤: ٤٨١، أسد الغابة ٢: ٣٤، نهاية بن الأثير، الصواعق لابن حجر: ١٠٨ ارشاد الساري للقسطلاني ٧: ٣٢٥. السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. سيرة بن دحلان ٢: ٢٤٥ وكذا جل المفسرين عند تفسير الآية - والذي قال: لوالديه (اف لكما).

(٤) كنز العمال ٦: ٣٩.

بيت ملعونون فوالله لقد لعنك الله وأنت في صلب ابيك^(١). وله مشاجرات كثيرة مع الحسن والحسين عليهما السلام قد يطول المقام بذكرها، وقد عرف عن هذا الخبيث مروان أنه فاحشا متفحشا كما وصفه اسامة بن زيد^(٢).

ولا يخفى على أحد عداً مروان وأبنائه لأهل بيت العصمة والطهارة واغتنامه الفرص لا يذائهم، قال ابن عساكر: أبي مروان أن يدفن الحسن في حجرة رسول الله ﷺ وقال: ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله ﷺ وقد دفن عثمان بالبقيع ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك فلم يزل عدواً لبني هاشم حتى مات^(٣).

فلا غرابة منه فإنه تربى في أحضان من عادى رسول الله وانتهج على ما سن له من العداً لعلي وأبنائه حتى اعتاد على سب علي ﷺ كلما صعد المنبر أيام خلافته وأوصى بها عماله واستمر على ذلك حتى أصبح ذلك من مستلزمات السياسة الأموية ولا بد لهم منها كما في قول مروان: ما كان أذفع عن عثمان من علي. فليل له: فما لكم تسبونه؟ قال: لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

(١) مجمع الزوائد ١٠: ٧٢ وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦: ٩٠.

(٢) الاستيعاب بترجمة اسامة.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٢٧.

آخر كما في كنز العمال^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بيعة مروان: لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسبته، أما إن له إمرة كلعة الكلب أنفه، وهو أبو الاكبش الأربعة^(٢)، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر.

قال ابن أبي الحديد في الشرح: قد روي هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة^(٣). ولم يذكرها صاحب النهج وهي قوله عليه السلام في مروان: يحمل راية الضلالة بعدما يشيب صدغاه وإن له إمرة.. الحديث.

هذه الزيادة أخذها ابن أبي الحديد من ابن سعد قال: قال علي بن أبي طالب يوماً ونظر إليه: ليحملن راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة الكلب أنفه^(٤).

وهذا الحديث كما ترى غير ما في النهج وليس كما حسبه ابن أبي الحديد زيادة كما لا توجد تلك الزيادة في رواية السبط أيضاً في تذكرته^(٥).

ومن طريق أبي يحيى قال: كنت بين الحسن والحسين ومروان يتسابان فجعل الحسن يسكت الحسين فقال: أهل بيت ملعونون فغضب الحسن وقال: قلت أهل

(١) كنز العمال ٦: ٩١. وذكر في ضوء النبي: ١٨٧ في تبرير لعن النبي لهم.

(٢) هم بنو عبد الملك الوليد، سليمان، يزيد، وهشام كذا فسرهم الناس وعند ابن أبي الحديد هم اولاد مروان عبد الملك الخ.

(٣) شرح النهج ٢: ٥٣.

(٤) الطبقات لابن سعد ٥: ٣٠ ط ليدن.

(٥) تذكرة سبط بن الجوزي: ٤٥.

﴿ وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما عن سهل ابن سعد قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القروذ فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات، وأنزل الله الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾^(١) الآية. ومثله عن أبي هريرة في لفظ الحاكم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر وأبي يعلى.

﴿ وروى القرطبي والنيسابوري عن ابن عباس أن الشجرة الملعونة هم بنو أمية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القروذ. فانزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ يعني الحكم وولده. ومصادر الأحاديث التي تثبت هذا المعنى كثيرة^(٢).

ولأهل السنة أقوال مفصلة في تفسير هذه الآية اختصرها بذكر قول الالوسي في تفسيره حيث قال: ومعنى جعل ذلك فتنة للناس جعله بلاء ومختبراً وبذلك فسره ابن المسيب، وكان هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا وعدلوا عن سنن الحق وما عدلوا وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم منهم ممن كان عندهم عاملاً وللخبائث عاملاً أو ممن كان اعوانهم كيف ما كان. ويحتمل أن يكون المراد ما جعلنا خلافتهم وما جعلنا أنفسهم إلا فتنة وفيه من المبالغة في

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) كما في تفسير الطبري ١٥: ٧٧ وتاريخه ١١: ٣٥٦، مستدرك الحاكم ٤: ٥٥، تفسير القرطبي ١٠: ٢٨٣ و٢٨٦، تاريخ الخطيب ٨: ٢٨ و ٩: ٤٤، وتفسير النيسابوري ١٥: ٥٥، النزاع والتخاصم للمقريزي ٥٢، أسد الغابة ٣: ١٤، تطهير الجنان بهامش الصواعق: ١٤٨، الخصائص الكبرى ٢: ١١٨، الدر المنثور ٤: ١٩١، كنز العمال ٦: ٩٠، تفسير الخازن ٣: ١٧٧، تفسير الشوكاني ٣: ٢٣٠.

الشجرة الملعونة في القرآن !

إن حديث الشجرة الملعونة جاء عن رسول الله ﷺ في مناسبات عدة، فعن عائشة إنها قالت لمروان سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك (أبي العاص بن أمية): إنكم الشجرة الملعونة في القرآن^(١). وكذلك جاء ضمن أحاديث الرؤيا.

رؤيا رسول الله في بني أمية،

إن حديث رؤيا رسول الله ﷺ وتفسير الشجرة الملعونة ببني أمية جاء بطرق عديدة اختصرها بما يلي:

﴿ عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء. واهتم (واغتم) رسول الله ﷺ لذلك فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا...﴾ الآية، سورة الاسراء.

﴿ عن علي بن الحسين أن رسول الله أصبح وهو مهموم فقيل: ما لك يا رسول الله؟. فقال: إني أريت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا. فقيل: يا رسول الله لا تهتم فإنها دنيا تنالهم. فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا...﴾ الآية.

ومثله عن سعيد بن المسيب كما أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر.

(١) السيوطي الدر المنثور ٤: ١٩١. والحلي في السيرة ١: ٣٣٧. والشوكاني في تفسيره ٣: ٢٣١ والآلوسي في تفسيره ١٥: ١٠٧. والقرطبي في تفسيره ١٠: ٢٨٦ باختلاف سير في بعض اللفظ.

٢- وعن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً. قال حلام بن جفال: فأنكر علي أبي ذر فشهد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: أني سمعت رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء علي ذي لهجة اصدق من أبي ذر وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله ^(١).

كما ذكره أمير المؤمنين في بعض رسائله إلى معاوية وقد تقدم. كما استشهد به معاوية عند ابن عباس واعترفوا به وذكره ابن حجر قال: أن مروان دخل علي معاوية في حاجة وقال: أن مؤنتي عظيمة، أصبحت أبا عشرة واخا عشرة وعم عشرة. ثم ذهب فقال معاوية لابن عباس وكان جالساً معه علي سريره: انشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا بلغ بنو أبي الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا آيات الله بينهم دولا وعباد الله خولاً وكتابه دخلاً، وإذا بلغوا سبعة وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من كذا؟. قال: اللهم نعم ^(٢).

ونقلت كتب السير أن عمر كان قد قال للمغيرة بن شعبة وكان أعور: أما والله ليعورن بنو أمية هذا الدين كما أعورت عينك ثم لتعمينه حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجيء ^(٣).

(١) مستدرک الحاكم ٤: ٤٨٠، وصححه هو والذهبي كما أخرجه أحمد وابن عساکر وابو يعلى والطبراني والدارقطني من طريق أبي سعيد وأبي ذر وابن عباس ومعاوية وأبي هريرة كما في كنز العمال ٦: ٣٩ و٩٠.

(٢) تطهير الجنان هامش الصواعق: ١٤٧.

(٣) شرح النهج عن الموقفيات للزبير بن بكار.

ذمهم ما فيه، وجعل ضمير (تخوفهم) على هذا لما كان له أولاداً أو شجرة باعتبار أن المراد بها بنو أمية ولعنهم لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة أو الفروج المحصنة وأخذ الأموال من غير حلها ومنع الحقوق عن أهلها وتبديل الأحكام والحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازي الجسام التي لا تكاد تنسى ما دامت الليالي والأيام وجاء لعنهم في القرآن أما على الخصوص كما زعمه الشيعة أو على العموم كما نقول فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾^(٢) إلى آيات أخر، ودخولهم في عموم ذلك يكاد يكون دخولاً أولياً... إلى آخر كلامه^(٣).

إذا بلغت بنو أمية ثلاثين رجلاً،

وجاء الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متقاربة واليك حديث أبي ذر رضي الله عنه بصورتيه:

١- عن أبي ذر رضي الله عنه إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً وكتاب الله دغلاً^(٤).

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) محمد: ٢٢ - ٢٣.

(٣) تفسير الآكوسي ١٥: ١٠٧.

(٤) مستدرک الحاكم ٤: ٤٧٩ وأخرجه ابن عساکر كما في كنز العمال ٦: ٣٩. دلائل النبوة ٦: ٥٠٧.

مجمع الزوائد ٥: ٥٤٣ ولغيره النزاع والتخاصم ٥٢، الخصائص الكبرى ٢: ١١٨.

وسيردون حوضي^(١).

وفي لفظ آخر قوله ﷺ: أسمعوا، هل سمعتم، إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض^(٢).

وفي لفظ: ألا إنه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومالاهم على ظلمهم فليس مني ولا أنا منه، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه^(٣).

وفي لفظ عند أحمد: سيكون أمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون^(٤).

وهذا تنبؤ منه ﷺ الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى بعهد هؤلاء الأغلطة السفهاء عهد هلاك أمته ودور الفساد والانحراف، ومنهم بدأت الفتن والضلال وعليهم عادت، كما نرى الولاة يوم ذاك من طريد لعين إلى وزغ مثله، ومن فاسق مهتوك بنص الذكر الحكيم إلى طليق منافق، ومن شاب نزق إلى خليع يرقص بين غلمانته وجواربه إلى متجاهر بشرب الخمر وزانيا بالأمهات والبنات إلى أغلطة سفهاء يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون....

(١) مستدرک الحاكم ٤: ٤٢٢.

(٢) تاریخ الخطیب ٢: ١٠٧، ٥: ٣٦٢.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢٦٧.

(٤) مسند أحمد ١: ٤٥٦.

حديث أغلمة قريش وتنبؤ الرسول بعهد السفهاء،

إن حديث أغلمة قريش جاء بصيغ عديدة والمعنى سواء، ففي لفظ البخاري قوله ﷺ: هلكة أمتي (أو أن فساد أمتي) على يدي غلمة من قريش^(١).
وفي لفظ الحاكم قوله ﷺ: هلاك هذه الأمة على يد أغلمة من قريش^(٢).
وفي لفظ أحمد قوله ﷺ: إن هلاك أمتي أو فساد أمتي رؤوس أمراء أغلمة سفهاء من قريش^(٣).

وحقاً لرسول الله أن يحذر الأمة من عهد هؤلاء الأغلمة السفهاء بأحاديث ونصوص كثيرة، منها:

قوله ﷺ لكعب بن عجرة: أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء. قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟:

قال: أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم

(١) البخاري الفتن باب ١: ٦٦٩٥ و١٤٦٥، والمعجم الصغير للطبراني: ٢٠٠ والحاكم في المستدرک ٤: ٤٧٠ والذهبي في تلخيص المستدرک، فتح الباري ١٣: ٧، ٨، ومما يثير الدهشة أن تجد هذه الأحاديث وأكثر منها في آل أبي سفيان وال مروان كما هو واضح غير أن ابن كثير في البداية ٦: ٢٥٥ جعلها تحت عنوان: (أخباره ﷺ لما وقع من الفتن من بني هاشم بعد موته) علماً أنه وضعها وفق ترتيبه التاريخي في أحداث العهد الأموي، ولعل المتهم في هذا ناسخ أموي الهوى غاضه ذكر بني أمية في هذا العنوان فقلبه على بني هاشم نقلاً عن صائب عبد الحميد: ١٧٩.

(٢) مستدرک الحاكم ٤: ٤٧٩، والمعجم الصغير للطبراني: ٢٠٠

(٣) مسند أحمد ٢: ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٢٨ وص ٥٢٠.

ضرب ظهره وأخذ مالك فاسمع وأطع^(١).

٢- ورووا ان سلمة بن يزيد سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟ قال: فأعرض عنه رسول الله ثم سأله فقال: اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم^(٢).

وخلاصة تلك الروايات الكثيرة: ما ذكره النووي في هامش ارشاد الساري في ذيل الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم قال: ومعنى الحديث: (لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم) واما الخروج عليهم وقتالهم فحرام باجماع المسلمين وأن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق... - إلى أن قال - فلو طرء على الخليفة فسق قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب. وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخفيفه^(٣). تعالوا على الإسلام نبكي ونلطم!
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤).

(١) صحيح مسلم ٢: ١١٩، سنن البيهقي ٢: ١٥٧.

(٢) صحيح مسلم ٢: ١٢٢، سنن البيهقي ٨: ١٥٨.

(٣) ارشاد الساري ٨: ٣٦.

(٤) المائة: ٤٤.

تبرير أعمال الخلفاء،

والأدهى والأمر ما يستشفه الباحث من سيرة هؤلاء حيث انهم كانوا يرون الخلافة ملكا يتوارثونه بينهم وسياسة زمنية، فلا يبالي أحدهم بإبطال شيء منها أو تبديله بآخر حسبما تقتضيه ظروفه الخاصة وتستدعيه أحواله، وليس لحكم السماء وزنا ولشرعة خاتم الأنبياء قيمة ولنواميس الدين الحنيف أي اعتبار وأهمية عندهم خاصة بعد ما حصلوا على تسهيلات كثيرة من المحدثين تضي عليهم غطاء شرعيا وتبرر أعمالهم وتخذر أفكار البسطاء المساكين وتسكت اصوات المعارضين وذلك باختلاق أحاديث كثيرة عن سيد المرسلين ﷺ تأمر الناس بالخضوع لمثل هؤلاء الأئمة بكل ما يقولون، وتأمرهم بالسكوت عن كل ما يفعلون، ومن خرج عليهم فهو كافر فاجر يجب قتله وأن مات فسوف يموت ميتة جاهلية، وان الإمام لا يخلع بفسق ولا ينتقد بفاحشة مبينة ولا يعاب بجهل ولا يؤخذ بعثرة ولا يشترط فيه أي من الملكات الكريمة والصفات الحميدة وله العتبى في كل ذلك وليس عليه من عتب.

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة استوفيت القول فيها في مبحث شروط الإمام من كتابنا هذا فراجع.

وإليك نماذج منها:

١- رووا ان رسول الله ﷺ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وأن

من أتباعهم من المتعاونين معهم والسائرين في ركابهم من الوزراء والولاة والعمال وكبار القضاة. ولتوضيح هذه الأمور نعرض اليسير من سلوك بعضهم لا على حد الإحصاء لجرائمهم ومنكراتهم أو الاستقصاء لمجونهم ولهوهم ولا محاسبتهم على تبذير أموال المسلمين على بذخهم وسرفهم ولا على تسلسل توليهم الخلافة فما نشير إليه في هذه العجالة النزر اليسير.

حتى برروا لهم ان الخليفة لا حساب عليه ولا عقاب^(١).

(١) دليل المتحرين ١٠٩، عن فيض القدير ٢: ٤١٩.

وبهذا ابتعدوا عن الثقلين الذي خلفهما رسول الله بقوله: خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض... الخ الحديث وسيأتي.

وبهذا سادت الفوضى وعم الفساد في جميع البلاد وحرفت الشريعة وبدلت بالبدع والضلال، وبهذا انتهكت الأعراس وسفكت دماء الآلاف من الأبرياء، وقتل الكثير من الصحابة وكبار التابعين من المعارضين لهم، وابتح حرم الرسول في المدينة وسيلت الدماء في مسجده في وقعة الحرة، واحرق البيت الحرام رميا بالمنجنيق في وقعة ابن الزبير، إلى غير ذلك مما امتلأت به كتب التاريخ والسير والحديث ويصعب علينا عددا وتعدادها.

والذي يهمننا في هذه العجالة ما يتعلق بتحجيمهم لمعارضة أهل البيت، وقتل اتباعهم وتشريدهم وتشويه مكائهم، وإخفاء الكثير من فضائلهم ومناقبهم وخاصة زعيمهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام وأبدلوا بأحاديث مختلفة وموضوعة، وتحكموا ببعضها بالاجتهاد الزائف والتأويل حسب مذاق مرتزقتهم من المحدثين والوعاض ممن يلهثون وراء المال والجاه والمناصب والتقرب للسلطة فباعوا آخرتهم بثمن بخس وذلك هو الخسران المبين.

ومهما يكن من كل ذلك فلا يخفى - على من نبذ التقليد الأعمى وتجرد عن العصبية - ما اطلوه بغلاف ذهبي باسم الخلافة الإسلامية وتدرعوا باسم خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، وتستروا عن بعض المظاهر بإقامة الصلاة، وما جمعه من ثروات باسم الزكاة حتى ولو للخمور والشهوات، وما سعوا إليه من توسيع سلطانهم وبسط نفوذهم باسم الجهاد للسيطرة على العباد، وما حاولوه من أن لا تتجاوز هذه الأموال الطائلة البلاط وقصور الشهوات وتنحصر في أبنائهم والخاصة

توليته للحجاج الثقفي،

وعبد الملك هو الذي أمر بحمل الإمام زين العابدين عليه السلام مقيدا من المدينة إلى الشام^(١). وهو الذي سلط الحجاج بن يوسف الثقفي على رقاب المسلمين عندما ولّاه على الحجاز والعراق، والحجاج ذلك الطاغية الخبيث الذي اذاق الأمة أنواع العذاب، وقد اتخذ ذلك السجن المكشوف الذي يضم بين جدرانه عدداً لا يقل عن مائة وعشرين الفا بين رجل وامرأة يلاقون فيه حرارة الشمس وألم الجوع والسياط، واتخذ في معاملة الناس أقسى ما يتصور من القسوة والشدة، فهو يسل سيفه أنى شاء وكيف شاء، وله أساليب في إنزال العذاب والعقوبة بمن يظفر به، وهي كثيرة ومشهورة^(٢).

وهو الذي أرسله عبد الملك على الجيش لحرب ابن الزبير فكان الحجاج يرمي الكعبة بالمنجنيق^(٣).

وقومه يرمون من جبل أبي قبيس ويرتمزون:

خطارة مثل الفنيق المزيد أرمى بها اعواد هذا المسجد
فجاءت صاعقة فاحرقتهم فامتنعوا عن الرمي فابتكر لهم خديعة^(٤).

(١) حلية الأولياء ٣: ١٣٥.

(٢) وأخرج الترمذي وابن عساكر من طريق هشام بن حسان أنه قال: أحصي ما قتل الحجاج صبرا فوجد مائة وعشرون الفا. (صحيح الترمذي ٩: ٦٤، ابن عساكر ٤: ٨٠، تيسير الوصول ٤: ٣٦).
ووجد في سجنه ثمانون ألف منهم ثلاثون ألف امرأة. (ابن عساكر ٤: ٨٠، المستطرف ١: ٦٦).

(٣) شفاء الغرام للقاضي تقي الدين المكي ١: ١٦٩.

(٤) وذكرها في الإمام الصادق والمذاهب الأربعة وعنه ذكرت الترجمة ١: ١١٠.

خلافة عبد الملك بن مروان

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية وامه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وكان جده المغيرة من أشد الناس عداء لرسول الله ﷺ وله معه حكايات، فظفر به ﷺ في خروجه لغزوة حمراء الاسد فأمر بضرب عنقه^(١).

وقال ابن كثير: أن المغيرة جد عبد الملك لأمه هو الذي جدد انف حمزة بن عبد المطلب يوم أحد^(٢).

وتولى عبد الملك الخلافة بعهد من أبيه مروان سنة ٦٥ وتوفي سنة ٨٦. وكان قبل ولايته يجالس العلماء ويحفظ الحديث ويتعبد ولما أفضى الأمر إليه كان المصحف بيده فاغلقه وقال: هذا آخر العهد بك أو هذا فراق بيني وبينك^(٣).

وكانت أول بادرة صدرت منه وتعتبر منهاجاً لسيرته أنه رفض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال: لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه.

وله إقدام على سفك الدماء، فلما قالت له أم الدرداء بلغني أنك شربت الطلى بعد العبادة والنسك؟! فقال: أي والله والدماء أيضاً شربتها^(٤).

وحج عبد الملك سنة ٧٥ وخطب فهدد الناس وخوفهم وسنتعرض لذلك في فصل قادم.

(١) السيرة لابن حزم: ١٧٥.

(٢) تاريخ ابن كثير ٩: ٦٣.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨٤. تاريخ ابن كثير ٩: ٦٣.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨٤.

وقال ابن عساكر^(١): اختلف رجلان فقال أحدهما: أن الحجاج كافر وقال الآخر: مؤمن ضال فسألا الشعبي فقال لهما: أنه مؤمن بالجبت والطاغوت كافر بالله العظيم.

ومن خطبة للحجاج : اتقوا الله ما استطعتم فليس فيها مثوبة، واسمعوا واطيعوا لأمر المؤمنين عبد الملك فإنها المثوبة. والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من ابواب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت إلي دمائهم وأموالهم^(٢). وقد تنبأ الرسول ﷺ بهذا العهد فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: في تقيف كذاب ومبيرا^(٣).

وطبق الناس سلفاً وخلفاً على أن المبير هو: الحجاج، كما أشار إليه أمير المؤمنين في بعض خطبه، وقالت له أسماء بنت أبي بكر: أنت المبير الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ^(٤).

وقال الجاحظ: خطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: تبا لهم انما يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله^(٥). ومثله ما جاء في رسالته إلى عبد الملك قوله أن خليفة الرجل في أهله

(١) تاريخ ابن عساكر ٤: ٨٠.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦٩.

(٣) صحيح الترمذي ٩: ٦٤ وج ١٣: ٢٩٤، مسند أحمد ٢: ٩١، تاريخ ابن عساكر ٤: ٥٠.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٢١١ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤: ٥٣.

(٥) النصائح لابن عقيل: ٨١.

ولم يزل يخدعهم حتى عادوا فرموا^(١).

كفر الحجاج والحادة،

وكان عبد الملك يشجع الحجاج ويشد ازره ولا يسمع عليه أي شكاية أو إستغاثة، وهذا من الأمور التي استدل بها على جرأة عبد الملك على سفك الدماء فرغم علمه بجور الحجاج وتعسفه ورغم ما كانت تصله من شكايات واخبار نجد عبد الملك يشجع الحجاج ويوصي ولي العهد برعايته وإكرامه^(٢).

وقد استدل العلماء على كفر الحجاج وإلحاده وطعنه بالرسول ﷺ والرسالة، واليك نماذج من تلك الأدلة:

فقد جاء من طريق سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل قال: اختلفت أنا وذر المرهبي^(٣) في الحجاج فقال: مؤمن. وقلت: كافر.

قال الحاكم: وبيان صحته ما أطلق فيه مجاهد بن جبير عنه فيما حدثناه... عن الأعمش قال: والله لقد سمعت الحجاج بن يوسف يقول: يا عجباً من عبد هذيل - يعني عبد الله بن مسعود - يزعم أنه يقرأ قرآنا من عند الله:

والله ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، والله لو ادركت عبد هذيل لضربت عنقه. وزاد ابن عساكر ولأخلين منها المصحف ولو بضع خنزير^(٤).

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤: ٥٠.

(٢) السيوطي: ٨٥.

(٣) كان من عباد أهل الكوفة أحد رجال الصحاح الستة.

(٤) مستدرک الحاكم ٣: ٥٥٦، تاريخ ابن عساكر ٤: ٦٩.

ولم يأت أحد من الولاة بمثل ما جاء به الحجاج من قتل وتشريد لشيعة علي عليه السلام ومطاردتهم وتتبع آثارهم وطمس فضائل أمير المؤمنين ومعاينة من يروي له منها شيء، وجرائمه كثيرة لا يستوعبها هذا المختصر وسيأتي بعضها خلال الابحاث.

وما رواه المسعودي يبين بعض ما يتقرب به الناس للحجاج، فروى المسعودي ان الحجاج قال يوما لعبد الله بن هاني وهو رجل من اود (حي في اليمن) وكان شريفا في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها، وشهد معه تحريق البيت الحرام، وكان من انصاره واتباعه، فقال له: والله ما كافأناك بعد. ثم أرسل إلى اسماء بن خارجة وكان من فزاره أن زوج عبد الله بن هاني ابنتك. فقال: لا والله ولا كرامة فدعا له بالسياط....

ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمامة أن زوج عبد الله بن هاني. قال: ومن أود والله لا ازوجه ولا كرامة. قال: هاتوا السيف. فقال: دعني اشاور أهلي. فشاورهم فقالوا: زوجه لا يقتلك هذا الفاسق. فزوجه فقال له الحجاج: يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما اود هناك. فقال: لا تقل اصلح الله الأمير ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لاحد من العرب. قال: وما هذه المناقب؟. قال: ما سب أمير المؤمنين عثمان في ناد لنا قط. قال: هذه والله منقبة. قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجلاً واحداً وكان والله ما علمته إلا رجل سوء. قال: وهذه والله منقبة. قال: وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب وتتولاه. قال: وهذه والله منقبة. قال: وما منا امرأة إلا نذرت أن قتل

أكرم عليه من رسوله إليهم وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين^(١).

وعن ابن عساکر قال: وسئل عنه واصل بن عبد الأعلى فقال: فسألوني عن الشيخ الكافر. وقال: القاسم بن مخيمرة كان الحجاج ينتقص من الإسلام. وقال: عاصم بن أبي النجود ما بقيت لله تعالى حرمة إلا وقد انتهكها الحجاج. وقال طاووس: عجبت لآخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمناً. وقال الأجهوري: وقد اختار الإمام محمد بن عرفة والمحققون من أتباعه كفر الحجاج^(٢). وجاء عن عمر بن عبد العزيز قوله: لو جاءت كل أمة بخبيثتها وجئنا بالحجاج لغلبناهم^(٣).

وسئل الحسن البصري عن عبد الملك فقال: ما أقول في رجل الحجاج سيئة من سيئاته^(٤).

وروى ابن أبي الحديد: كان الحجاج لعنه الله يلعن علياً عليه السلام ويأمر بلعنه. وقال له متعرض به يوماً وهو راكب: أيها الأمير أن أهلي عقوني فسموني علياً، فغير اسمي وصلني بما أتبلغ به، فإني فقير. فقال: للطف ما توصلت به، قد سميتك كذا ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه^(٥).

(١) البداية والنهاية ٩: ١٣٧ وقريب منه تهذيب ابن عساکر ٤: ٧٢.

(٢) الاتحاف: ٢٢.

(٣) الكامل لابن الأثير ٤: ٢٣٦: ٢٧١.

(٤) تاريخ أبي الفداء: ٢٠٩.

(٥) شرح النهج ١: ٣٥٦.

خلافة الوليد بن عبد الملك

وأقر الوليد بن عبد الملك في خلافته الحجاج على ولايته، وقتل آلاف الأبرياء، وقام الوليد بدس السم للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ويقال: هشام بن عبد الملك بأمر من الوليد وله تفصيل آخر...^(١).

وروى أهل السير أن الوليد كان مستهترا بأحكام الشريعة، غير مبال بما تفعله عمّاله من المنكرات وحتى وزرأوه والمقربون عنده وهو في شغل عنهم بلذاته ومجونه، وقد عرف بنصبه العداء لأمير المؤمنين عليه السلام وتتبع محبيه بالقتل والسجن والتشريد، وكان يتجاهر بسبه ولعنه حتى أنه ذكر علياً عليه السلام فقال: (لعنه الله) بالجر كان لصا ابن لص.

فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ومن نسبته اللصوصية لعلي وقالوا ما تدري أيهما اعجب وكان الوليد لحناً^(٢).

وفي أيامه قتل سعيد بن جبير لحبه وشدة موالاته لعلي، قتله الحجاج سنة ٩٥، وكان سعيد قد هرب من الحجاج إلى أذربيجان ومنها توجه إلى مكة مستجير بالله ولائذا في حرمه فكتب الحجاج إلى الوليد أن جماعة من التابعين قد التجئوا إلى مكة فكتب الوليد إلى عامل مكة خالد القسري يأمره بحملهم إلى

(١) ذكر ذلك جماعة من الحفاظ والمؤرخين كالفرقاني في تاريخه وابن حجر في صواعقه وابن الصباغ في الفصول المهمة وابن جرير في دلائل الإمامة وروضة الواعظين في ذكر ترجمته عليه السلام وغيرهم الكثير مما لا يترك مجال للشك في ذلك.

(٢) شرح النهج ١: ٢٥٦ وفي ط محمد أبو الفضل ٤: ٥٧.

المحسين إلا تنحر عشر جزائر لها ففعلت. قال: وهذه والله منقبة. قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وقال: أزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة. قال: وهذه والله منقبة. قال: وما أحد من العرب له من الملاحاة والصباحة ما لنا. فضحك الحجاج وقال: أما هذه يا أبا هاني فدعها. وكان عبد الله دميماً شديداً لادمة مجذور مائل الشدق أحول قبيح الوجه شديد الحول^(١).

وأرسل الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب والافاضربه أربع مائة سوط واحلق رأسه ولحيته. فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج، فإبى عطية أن يفعل، فضربه أربع مائة سوط وحلق رأسه ولحيته^(٢).
وروى الذهبي عن حجر المدري ما موجهه قال: قال علي بن أبي طالب كيف بك يا حجر إذا أمرت أن تلعني؟ قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم. قلت: كيف اصنع؟ قال: العني ولا تبرأ مني. قال: فأمره محمد بن يوسف أخو الحجاج أن يلعن علياً فقال: أن الأمير أمرني أن العن علياً فالعنوه لعنه الله. فما فطن لها إلا رجل^(٣).

(١) مروج الذهب ٣: ١٤٤ وابن أبي الحديد ١: ٣٥٧. وبتحقيق أبو الفضل ٤: ٦١.

(٢) الطبقات في ترجمة عطية ٦: ٢١٢. الطبري ٢: ٩٤: ٢٤. تهذيب التهذيب ٧: ٢٤٤. وفي تقريب

التهذيب. ومثله تهذيب التهذيب ٢: ٢١١. البداية والنهاية ٩: ١٣٩. تهذيب ابن عساكر ٤: ٨٣.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٥١ ترجمة محمد بن يوسف وذكرها الحاكم في المستدرک ٢: ٣٥٨ ونسبها إلى أحمد بن إبراهيم خليفة بني أمية.

خلافة عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ولي العهد من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩، ومدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان أبوه عبد العزيز ولي عهد مروان بعد أخيه عبد الملك ولكنه مات قبله.

وقد وجد الناس - والحق يقال - في عهد عمر عدلاً فقدوه زماناً، واستراحوا في أيامه مما كانوا يتحملونه من ظلم وتعسف وجور في الحكم واستبداد في الأمر من حكام سبقوه وهم لا يتقيدون بقانون سماوي أو وضعي أو سنة نبوية أو عدل في الرعية ولا ينظرون إلا لأنفسهم وأنصارهم فيستأثرون بما يجبونه من أموال ينفقونه بينهم لشهواتهم ومجونهم.

ولما كان الخراج في عهدهم من أعظم المشاكل التي تواجهها الأمة لسوء تصرف العمال وجشع الولاة، والجباية غير محدودة ولا مقررة بل يعود الأمر إلى العمال أنفسهم فهم يقررون ما أرادوا فيظلمون العباد ويخربون البلاد، فان عمر بن عبد العزيز عالج هذه المشكلة وذلك بتدوين الخراج كما يظهر من كتبه إلى عماله، وذكروا صورة لعامله على الكوفة^(١).

كما عالج مشكلة السب والشتم لعلي عليه السلام الذي اعتادوا عليه طيلة الخلافة الأموية فأمر جميع ولاته بتركه وأبدله بأن تقرأ آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٢) الآية فحل هذا الفعل عند عامة الناس محلاً حسناً وأكثروا مدحه

(١) الكامل لابن الأثير ٥: ٢٩ والطبري ٨: ١٣٩.

(٢) النحل: ٩٠.

الحجاج وكانوا خمسة سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وطلق بن حبيب وعمر بن دينار، ولما دخل سعيد على الحجاج دارت بينهما محاوره... وأسمعه الحجاج كلاما شائنا ثم سأله عن عبد الملك فقال سعيد: تسألني عن امرأ أنت واحد من ذنوبه. وأمر الحجاج بقتله فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له استحفظكها يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة، ولما قتل هلك رأسه ثلاثا افصح بمره والتبس عقل الحجاج يومئذ وجعل يقول: قيدونا قيدونا. فظنوها قيود سعيد التي في رجله فأخذوها من رجله بعد أن قطعوا رجله من ساقه، وكان الحجاج إذا نام يتنبه مرعوبا ويقول: مالي ولسعيد بن جبير^(١). ولم يبق الحجاج بعد ذلك إلا أياما. وواقعة سعيد ذكرها أصحاب السير بأكثر من ذلك تفصيلا.

(١) تاريخ ابن خلدون ٣: ٦٥ والطبري ٨: ٩٥.

الخليفة يزيد بن عبد الملك

يزيد بن عبد الملك بن مروان تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١، وأراد أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، فشق ذلك على الأمويين وقرناء السوء واعوان الظلم والاستبداد ودعاة الباطل فأتوا إليه بأربعين شيخا شهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب^(١)، وكان كلامهم موافقا لهواه فخدعوه بذلك فانخدع بهم فانهمك في اللذات واللهو والطرب ولم يراقب الله ولم يخش^(٢)، وترك التظاهر بالإسلام والقرآن والسنة جانبا، وعادت الأمور إلى وضعها قبل عمر، وعادت مشكلة الخراج من جديد بالسلب والنهب، وعزل جميع عمال عمر، وكتب إلى عماله: أما بعد فإن عمر بن عبد العزيز كان مغرورا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده... الخ^(٣).

قال ابن الأثير: وعمه يزيد بن الوليد إلى كل ما صنعه عمر مما لم يوافق هواه فرده ولم يخف شناعة عاجله ولا اثما عاجلا... الخ^(٤).

والخلاصة: فإن يزيد هذا هو الخليفة للمسلمين وأمير المؤمنين مع جميع الفوارق، وكان يزيد صاحب لهو ولذة، وهو صاحب حباة وسلامة، وهما جاريتان وكان مشغوفا بهما، وماتت حباة فمات بعدها بيسير أسفا عليها، وكان

(١) ابن كثير ٩: ٢٥٢ وفيض القدير ٢: ٤١٩.

(٢) النجوم العوالي ٣: ٢٠٩.

(٣) العقد الفريد ٣: ١٨٠.

(٤) الكامل ٥: ٢٢.

لذلك^(١)، وقد عامل العلويين معاملة حسنة وفرق بينهم أموال كثيرة وكتب إلى عماله بذلك حتى قال في أحد رسائله إلى عماله في المدينة: فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام^(٢).

وله في ذلك قصص وأحاديث كثيرة مشهورة بين المؤرخين.

وصعب على الأمويين ترك هذه البدعة التي تعودوا عليها من السب والشتم فحاولوا اعاتتها بعده، كما ثقل على الأمويين ما قام به من أعمال صالحة بين الأمة ومعالجته مشاكل المجتمع وتحديد من تصرفاتهم في البذخ والمجون والاستهتار فتأمروا عليه وقيل أنه مات بالسم من بني أمية خوفا من إن امتدت أيامه أن يخرج الأمر منهم ولا يعهد لاحد منهم فعاجلوه^(٣).

(١) ابن الأثير ٥: ٢٠.

(٢) مروج الذهب ٣: ١٩٤.

(٣) الاناقة في مآثر الخلافة ١: ١٤٢.

الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان

هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم تولى الخلافة بعهد من أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥.

وكان هشام يعد من دهاة بني أمية وقرنوه بمعاوية وعبد الملك، وقد عرف بالغلظة وخشونة الطبع وشدة البخل وسوء المجالسة وكان أحول.

وكان شديد البغض للعلويين عامّة ولأهل البيت خاصة، وحاول الانتقام منهم والانتقاص منهم كلما أمكنته الفرصة في طيلة خلافته، ولا يسع المجال لعرض ذلك. وله قصة مشهورة مع الإمام زين العابدين، وذلك عندما أراد هشام إستلام الحجر فلم يفسح له مجال، ولما جاء الإمام زين العابدين فسمح له، فتنكر هشام للإمام خجلا ممن كان معه وسئل عنه، فأجابه الفرزدق بالقصيدة المشهورة ومطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته... الخ

فحبس الفرزدق لذلك !

واستدعى هشام الإمام الباقر وولده الإمام جعفر الصادق إلى دمشق وجرت له معهم محاورات عديدة تناقلتها كتب السير والتاريخ.

وفي ثورة زيد بن علي المعروفة اتضح عداء هشام وبغضه لأهل البيت، وباختصار لما أرسل علي بن زيد بن علي ودخل عليه فسلم عليه بالأمر فلم يرد السلام إهانة له واغظ في الكلام معه ولم يفسح له في المجلس.

فغضب زيد وقال: السلام عليك يا أحول إذ لم تر نفسك أهلا لهذه الاسم.

فغضب هشام وجرت بينهما محاورة حادة كان نصيب هشام فيها الفشل فخرج

قد تركها اياما لم يدفنها لعدم استطاعته فراقها، فعوتب على ذلك، فدفنها ويقال:
انه نبشها بعد الدفن حتى شاهدها^(١).
ولو رجعنا إلى كتب السير والقصص وما يجري فيها في سهراته وناديه
وأمثاله من خلفاء لبكينا على الإسلام أسفا وخجلا.

(١) الاناقة في مآثر الخلافة ١: ١٤٦ والبدء التاريخ ٣: ٤٨.

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ولي الأمر بعد هشام بعهد من يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥. وقال ابن حزم: وكان الوليد فاسقا خليعا ماجنا^(١).

وقال ابن فضل الله في المسالك: الوليد بن يزيد فرعون ذلك العصر الذاهب، يأتي يوم القيامة فيورد قومه النار ويرديهم العار وبئس الورد المورود، رشق المصحف بالسهم ولم يخش الاثام.

وقال القلقشندي: وكان مصروف الهمة إلى اللهو والأكل والشرب وسماع الغناء^(٢).

وقال ابن كثير: كان هذا الرجل متجاهرا بالفواحش، مصرا عليها، منتهكا محارم الله عز وجل، لا يتحاشى من معصية، وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال. ولما ولي هشام اكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخطاء السوء ومجالس اللهو... .

وقال هشام للوليد: ويحك، والله ما أدري أعلى دين الإسلام أنت أم لا، فإنك لم تدع شيئا من المنكرات إلا أثبتته غير متحاش ولا متستر. فكتب إليه: يا أيها السائل عن ديننا ديني على دين أبي شاعر^(٣)

(١) السيرة: ٢٦٢.

(٢) الاناقة في مآثر الخلافة ١: ١٥٦.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٠: ٢ و٦.

زيد وهو يقول: (ما كره قوم حر السيف إلا ذلوا).
وأمر هشام برده وقال له: اذكر حوائجك، فقال زيد: أما وأنت الناظر في
أمر المسلمين فلا . وخرج من عنده وقال: من احب الحياة ذل^(١).
ومضى زيد إلى الكوفة وقام بثورة كبيرة مشهورة كانت فيها مختلف الطاقات
ممن كان ينقم على الأمويين في جرائمهم واستبدادهم في الحكم والتعسف في
الرعية والابتعاد عن الدين واحكام الشرعية، وكانت تلك ثاني ثورة اهمية وقوة
بعد ثورة الإمام الحسين في كربلاء.
وبعد شهادته رضي الله عنه صلب جسده عريانا منكوسا بأمر من هشام
وبقى الجسد مصلوبا أربع سنين ونسجت العنكبوت على عورته^(٢).
ثم أمر هشام بإرسال الرأس إلى حنظلة بن صفوان عامله على مصر فأمر
حنظلة بتعليقه وأن يطاف به^(٣).
وبقى جسده مصلوبا إلى أيام الوليد بن يزيد وأقاموا حرّاسا عليه... الخ.

(١) راجع تاريخ الطبري ٨ حوادث سنة ١٢١ وابن عساکر ٦: ٢٢.

(٢) تاريخ الخميس ٢: ٣٢٠.

(٣) النجوم الزاهرة ١: ٢٨١.

منكره وجرائم لا توصف ومخازي تشمئز منها النفس ويقف القلم عندها خجلاً،
واترك الحديث أيضاً عن بقية خلفائهم وما قدمناه من هذه النماذج يكفينا ويعطي
العبرة والذكرى لمن يتذكر ويخشى الله بموالاته هؤلاء والدفاع عنهم وتبرير
جرائمهم وربما يمنحهم الجنة والغفران.

كما لم أتعرض لذكر ولاتهم الذين نصبوهم في الأمصار على رقاب المسلمين،
ولهم من المنكرات ومجالس الغانيات والهوى والطرب وسوء المعاملة للامة
المظلومة ومخالفة الكتاب الكريم والسنة النبوية وابتساف مفاهيم الإسلام ما زاد على
اسيادهم وما يعسر علينا ذكره.

وابو شاکر هو مسلمة بن هشام بن عبد الملك.
وكانت له جرأة عظيمة على انتهاك حرمة الإسلام، فمن ذاك أنه كان
يستهدف المصحف الشريف يرميه بسهامه غير مبال ثم يخاطبه قائلاً:

تهدد كل جبار عنيد فهنا أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب خرقني الوليد^(١)
وكتب إليه عامله على خراسان بتردي الأوضاع وحدث ثورات فأجابه:
أني مشغول بالعريض ومعبد وابن أبي عائشة. وهم المغنون الذين أحضرهم
عنده^(٢).

واشتدت النقمة على الوليد خليفة المسلمين المستهتر الخليع، وبلغ من فسقه
وفجوره أن ثار الناس عليه بقيادة ابن عمه يزيد ابن الوليد.

وقال له يزيد ابن عنبة: ما ننقم عليك في أنفسنا ولكن ننقم عليك انتهاك
حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات اولاد أبيك واستخفافك بأمر الله^(٣).

وذكر الذهبي أحاديث عن رسول الله تنهى عن التسمية باسم الوليد، وجاء
في بعضها سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد^(٤).

وبهذا اترك الحديث والصحائف السود لاولئك الخلفاء وما لهم من أعمال

(١) البدء والتاريخ للمقدسي ٣: ٥٢. تاريخ الخميس ٢: ٣٢٠. ابن الأثير ٥: ١٣٧. الحور العين لابن

نشوان: ١٩٠، وغيرهم.

(٢) البدء والتاريخ ٣: ٥٢.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٧٨.

(٤) ابن كثير ١٠: ٦. تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٧٣.

الفصل الرابع

ثورة العباسيين والإطاحة بالأمويين



ثورة الدعوة إلى الرضا من آل محمد ﷺ ،

وهكذا ينتهي دور السلطة الأموية من آل أبي سفيان وآل مروان غير مأسوف عليه بكل ما فيه من قتل وتشريد وخنق الحريات الدينية والسياسية والاجتماعية وانحراف عن الدين واستهانة برجال الأمة ومحاربة لأهل البيت وتبذير أموال المسلمين على الملذات والشهوات وتسليط الفسقة من الولاة على طول البلاد وعرضها، مما أدى إلى اشتداد إنكار الناس على تلك السياسة المنحرفة وذلك النظام الجائر الذي لا يعرف العدل ولا عهد للمسلمين به من قبل، ولم يغب عن بال الأمة وكبار الرؤساء نهضة الحسين بن علي ﷺ في واقعة كربلاء وما جرى فيها على أهل البيت، فكانت بمثابة صرخة مدوية هزت مضاجع أمية، وكانت بركان بلاء ونقمة عليهم، وكانت ثورة الحسين ﷺ شعلة هداية لدعاة الحق والتأثرين يستنيرون بها إلى الدعوة الصالحة والإطاحة بالمفسدين المستبدين، كما اعقبتها سلسلة ثورات دموية لا مجال لذكرها، فأضعفت النظام وضععت أركانه ومهدت الطريق للثورة عليهم، حيث طال عهدهم الجائر وثقلوا على الأمة حتى نفذ الصبر وسخط عليهم الكثير من المسلمين في كافة الأقطار وحتى عواصم ملكهم، فتآلفت الجمعيات السرية للانقلاب عليهم وإبدالها بخلافة إسلامية من آل محمد ﷺ الذين يرونهم دعاة الحق وأئمة الصدق وسلالة النبوة ومعدن العلم والفضل والشرف.

غيرهم والتظاهر بأخذ الثأر من قتلة الحسين عليه السلام وغير ذلك من الأساليب .
وقد قام السفاح بالأمر وأظهر العدل والمساواة والعمل بكتاب الله وسنة نبيه
كما في أول خطبة له قوله أيها الناس لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله
وذمة العباس علينا أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في
العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... الخ^(١)، ثم ذكر أعمال بني أمية وما
ارتكبوه في الأمة^(٢).

ولما استجابت الأمصار لهم وتم زوال الدولة الأموية وتربعوا على دكة
الحكم حصل ذلك التبدل السريع والتحول الغريب، فآظفروا العداة لأهل البيت،
واصبح العلويون يطاردون من قبل الدولة بلا ذنب إلا إنهم المرشحون للخلافة
واليهم تتجه الأنظار وعليهم تحوم الآمال، فهم أهل الزعامة الدينية والحق
الشرعي، وقد سبق الاعتراف من العباسيين لهم بذلك، فحقا أنه تحول غريب
ولكنه الملك والملك عقيم. ولم تطل أيام السفاح وهي أربع سنوات وتسعة أشهر.

(١) الكامل ٥: ١٩٧.

(٢) أسد حيدر: ٣٥٢.

فكان هدفها الأول تحقيق ثورة إسلامية إصلاحية، ونقل الحكم من بني أمية التي اعتبروها عدوة للإسلام من البداية إلى النهاية.

وكان العباسيون في طبيعة وأنصار العلويين واشد حماسا، وكان شعار ثورتهم باسم العلويين والمطالبة بحقوقهم ورفع الظلم والجور عنهم.

وكان لمحمد بن عبد الله بن الحسن نشاط سياسي في ذلك العهد وبويع له في المؤتمر الأول الذي عقده الهاشميون وجمع كثير من العباسيين والعلويين وأول من بايعه السفاح وأخوه المنصور.

وباختصار فقد اندلعت نيران الثورة وهتافات الثوار بالدعوة إلى آل محمد ﷺ والعلويين، ووقعت الواقعة بأمية، ودارت بهم الدوائر فزال ملكهم وأراح الله العباد والبلاد منهم، وتطلع المسلمون إلى العهد الجديد الذي يأملون به انتشار العدل في الرعية وتطهير البلاد من الفساد، لا سيما إذا قام على رأس الدولة الجديدة زعيم علوي لا شك في حقه بالخلافة، فانتحل العباسيون أحقيتهم بالأمر وأنهم من آل محمد وأهله الادنون.

ولا حاجة لذكر الأسباب والخدع التي تغلبوا بها على الموقف وما جرت من حوادث، فخلاصة الأمر دارت عجلة الزمن وتغلبوا بها وانتقل الأمر إلى بني العباس الذين تشبثوا بانطباق اسم آل محمد عليهم دون غيرهم تمويهها على الرأي العام، وبويع السفاح فكان عهد ثورة وقد شغل الناس بمطاردة الأمويين وتتبع البقية منهم، واستطاع السفاح بمهارة فائقة وبمعاونة المنصور ومكره وخداعه الذي اشتهر به أن يظهر للناس من عطفهم على أبناء عمهم وعدم التعرض لهم واشراكهم في الأمر فيما بعد ليجلب قلوب الأمة التي ترى أن الحق لهم دون

مثل الخصيب النصراني^(١).

وهناك أنواع من ألوان العذاب الذي كان يعذب به لمن وقع تحت قبضته كوضع الأحياء في البناء وغيرها ممن يطول ذكره، وبعد أن سلبت الرحمة والعطف من قلبه كان يقف أمام تلك المشاهد المحزنة موقف طاغية جبار لا تؤلمه مناظر البؤس أو تزعجه مواقف الشقاء.

وبعد أن أحكم سيطرته على البلاد تنكر للعلويين الذين رفع شعار دولتهم بالأمس ورفع الظلم عنهم، فاصبحوا من أعداءه، ولا يرى للملكه بقاء أن بقي منهم أحد في الوجود، وكان الفتك بهم شغله الشاغل لا يتوقف في تنفيذ أرائده مهما كلفه الأمر.

ومثال لذلك: قال له عمه عبد الصمد بن علي: لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو. فقال: لأن بني مروان لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم، ونحن بين قوم قد راونا سوقة واليوم خلفاء فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال القوة^(٢).

وقد عارض العلويون المنصور معارضة شديدة لقسوته وجوره واستهائته بحقوق الأمة وتغيير المفاهيم الإسلامية والتهاون بالأحكام الشرعية وهتك الحرمات وتبذير أموال المسلمين على الشهوات والملذات ولم يقف عند حد حتى امتلأت السجون منهم ودفن سادتهم أحياء، وكمثال على ذلك:

(١) راجع الطبري ٧: ٣٠٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٠٤.

المنصور العباسي

وقد تولى الخلافة بعهد من أخيه السفاح، والمنصور ذلك الداهية الذي اعطته التجارب دروسا من التيقظ وجعلته يحذر أشد الحذر حتى من اقرب الناس إليه، فقد قام المنصور والدولة لم ترتكز دعائمها على أسس قوية فهي مهددة من نواح شتى، فالعلويون يرون العباسيين دعواتهم وأنصار دعوتهم والأمة متجهة بانظارها إليهم، وقادة الثورة يرون أن قيام العباسيين بالأمر كحكومة مؤقتة يستطيعون أن يجولوا الأمر عنهم متى شاءوا وحتى يتم القضاء على الأمويين وأتباعهم خصوصا بعد أن سمعوا فتوى علماء المدينة بأن بيعة العباسيين غير صحيحة، ومن هذا وذاك من الأمور التي لن تغيب عن بال المنصور فتكدر عيشه، وأهم شيء عنده أمر العلويين وفي طليعتهم الإمام جعفر بن محمد الصادق فكان يحذر منه أشد الحذر ويحاول زوال تلك العقبات بكل حيلة ولا يقف عند حد، وهو لا ينسى أيامه الماضية يوم كان جواً خائفاً ولا ينسى ضرب السياط وظلمة السجن في العهد الأموي، ولا ينسى استعطاف الناس عليه بمدح آل محمد ﷺ واستجلاب القلوب بذكر فضائلهم ومناقبهم، ولا تتمحي صورة ذلك عن مخيلته فهي أمامه ومعه، والآن وقد أصبح أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وتجيء له الأموال من الشرق والغرب وتحوط به الآلاف من الجنود والحرس ومع ذلك كان في حذر من اقل واهمة يتخيل بها زوال ملكه، فحصّنه بالسيف والقهر، وجعل بينه وبين الخطر سورا من اشلاء الأبرياء وبحرا من الدماء التي حرمها الله، وقد اتخذ طبييا نصرانيا يستعين به على قتل من لا يود أن يتظاهر في قتله، فكان يدس السم بالدواء

ففي دخوله إلى المدينة مارا بها للحج، وما الحج أراد ولكنه أراد أن يشرف بنفسه على مهمة الفتك بآل محمد ﷺ والقضاء عليهم، وسجن رباح يمتلئ منهم، فأمر بالقبض على من بقي منهم وشرطته وقواده يظهر عليهم الغضب والعنف ويأتون بأبناء علي واحد بعد واحد ويدعونهم في السجن بأشد ما يتصور من القسوة، ثم اصدر أمره بحملهم من المدينة إلى العراق بعد أن أثقلوا بالحديد وضربوا بالسياط وهو مطرب لنغمة السلاسل وانين المعذبين، فسار ذلك الموكب في شوارع المدينة محاطا بالجند وهو يسرع الخطى من المدينة إلى الكوفة إلى مقرهم الأخير فاودعوا ذلك السجن المظلم الذي لا يعرف فيه الليل من النهار، لقد أودعهم المنصور في بطن الأرض، وفعل بهم ما لا يفعل الحيوان المفترس بفريسته وعاملهم باقسي ما يتصور من الشدة، وكان الواحد إذا مات من شدة العذاب بقيت جثته ما بينهم وهم صابرون محتسبون يتلون الكتاب ويقومون الصلاة ولا يعرفون أوقاتها وكانت خاتمة مطافهم أن هدم السجن فماتوا تحت انقاضه^(١).

ولم يقف عند هذا الحد فقد اصدر مرسوم من بغداد إلى مصر بأن لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط وإلى طرف من اطرافها، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد وأن كانت بين علوي وبين أحد من الناس خصومة فلا يقبل قول العلوي ويقبل قول خصمه بدون بيّنة^(٢).

(١) مروج الذهب ٣: ٥٩٩ وابن الأثير ٤: ٣٧١ مع اختلاف نقلاً عن الإمام الصادق لأسد حيدر ١:

(٢) الولاية - القضاة الكندي: ١٩٨.

روى أبو الفرج: أن المنصور قال لمحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أنت الديباج الأصفر. قال: نعم. قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلها أحد من أهل بيتك. ثم أمر بأسطوانة ففرغت ثم أدخل فيها فبنيت عليه وهو حي^(١).

وكان المنصور قد عجز عن جلبهم إليه واستخدامهم في دولته ليأمن جانبهم ويمضي في حكمه بدون معارض له أو مستنكر لأعماله، حيث ان العلويين وطاعة للإمام الصادق عليه السلام زعيم أهل البيت في عصره اثروا الانفصال عن النظام الظالم وعدم الركون اليه.

وبما أن المنصور يعرف مكانة الإمام الصادق ويعلم جيداً منزلته عند عامة الناس ومن العلويين خاصة فصار يحسب له ألف حساب ويهمه أمره ويخشاه وهو على حذر دائم منه، ولأنه عاشه من ذي قبل وتعرف على مقامه ومنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية فحاول اغرائه بالمال الكثير كما اغرى غيره وقدم له افخر الهدايا ومن ثم استدعاه لعدة مرات ووضع تحت الإقامة الجبرية مراقبا تصرفاته، وبين حين وآخر يطلب منه الزيارة ليظهر للناس ذلك. ولما عجز عن كل حيلة عمد إلى سم الإمام الصادق عليه السلام فقضى عليه.

أما بالنسبة للعلويين في عهده وما نالهم من بطشه وجرمه فقد تكفلتها كتب التاريخ والسير عامة وخصصها آخرون بمؤلفات مستقلة لما ارتكبه المنصور وأبنائه مما يعجز عنه القلم وينفر منها القلب ويختار فيها الفكر واعرض ليسيير الأمثلة من ذلك.

(١) الطبري ٩: ١٩٨ ومقاتل الطالبيين.

هارون الرشيد

لم يخف حال الرشيد على أحد بما بناه من سجون رهيبة في أنحاء شتى من البلاد وقد ملئها من العلويين واتباعهم ممن يشم منه رائحة التشيع والمولاة لعلي، ودفن الآلاف وهم أحياء، وجلب سيدهم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إلى بغداد وجعله تحت الإقامة الجبرية وتحت المراقبة، ثم سجنه في عدة مناطق، ينقله من سجن إلى سجن، وآخرها دس إليه السم فقتل في السجن وأخرج منه ميتا عليه السلام، وحاول الرشيد التعقيم على تجهيزه ودفنه والقصة مشهورة.

وذكر صاحب مقاتل الطالبين جماعة من سادة بني هاشم الذين قضى عليهم سجنًا وتشريدًا وقتلًا.

وأوصى جميع عماله بتضييق الخناق عليهم، وعدم السماح بذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وأمر عامله على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضًا وكانوا يعرضون على السلطات كل يوم فمن غاب عنهم عوقب وكانت هذه الأوامر من المهدي والهادي من قبله.

ولما قام يحيى ابن عبد الله بن الحسن بثورة في الديلم وقد قويت شوكته هناك، احتال الرشيد عليه بإعطائه الأمان وتقضه بعد ذلك فسجنه وضيق عليه إلى أن مات في السجن، ووجد جسده معلقًا قد سمرت يداه.

وكان كتاب الأمان فيه شروط وأيمان مغلظة فلما أراد الرشيد إبطاله سئل محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة فقال: هذا أمان صحيح ودمه حرام!! فدفعت الكتاب إلى الحسن بن زياد فقال بصوت ضعيف: أمان. فدخل أبو البخري

وقال المنصور يوماً لعبد الرحمن الافريقي: كيف سلطاني من سلطان بني أمية؟ فقال عبد الرحمن: ما رأيت في سلطانهم شيئاً من الجور إلا رأيت في سلطانك^(١).

وقصة ذلك الرجل الذي يطوف حول البيت ويشكو إلى الله من تدهور الأمور وضياع الحق والمنصور يسمع، ولما استدعاه شرح له من المعانات والطمع والجشع من الجباة والظلم والجور من الولاة - وهي طويلة^(٢) - ما يعطينا صورة لما جرى في زمن المنصور من اشاعة الظلم والفساد.

(١) تاريخ الخلفاء: ١٠٥ وله زيادة أخرى اشتكى فيها منه ومن عماله وحراسه. تاريخ بغداد: ١٠:

(٢) تاريخ ابن الساعي: ١٩.

الخلفاء. قال: أبو معاوية دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا معاوية هممت بمن اثبت خلافة علي فعلت به وفعلت. قال أبو معاوية: فسكت فقال لي: تكلم. قلت: أن اذنت لي تكلمت. قال: تكلم. قلت: يا أمير المؤمنين قالت تيم منا خليفة رسول الله وقالت عدي منا خليفة رسول الله وقالت بنو أمية منا خليفة الخلفاء فابن حظكم يا بني هاشم من الخلافة؟ والله ما حظكم إلا بابن أبي طالب^(١).

ودخل رجل على الرشيد فقال: لقد هجوت الرافضة. قال: هات. فأنشد:

رغمًا وشمساء زيتوناً ومظلمة من أن تنالوا من الشيخين طغيانا

قال الرشيد: فسر له لي. قال: لا ولكن أنت وجيشك اجهد من أن تدري ما

أقول. قال: والله ما أدري ما هو وأجازه. ولاشك أن هذا التشجيع لهذا التافه من

الخليفة وأثره في نفوس الآخرين مما يدفع الشعراء يمدحون العباسيين ويضعون من

العلويين طلبا صلة الملوك طالما كان صرف أموال المسلمين بغير حساب.

وقد وقع من هذا الشيء الكثير وفي قصص لا يسعها هذا المختصر خاصة

وقد صدر من عامة خلفائهم ما يطول ذكره وهذا بشار بن برد المعروف بالزندقة

والإلحاد يقف أمام الخليفة العباسي فينشده:

أئى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثه الأعمام

فيجيزه المهدي بسبعين ألف درهم.

وهو أنه المهدي قال لشريك القاضي: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال:

ما قال جدك العباس وعبدالله. قال: وما قالاً فيه؟ قال: فأما العباس فمات وعلي

(١) تاريخ بغداد ٥: ٢٤٤ ومثله لشريك القاضي مع المهدي أيضاً تاريخ بغداد ٩: ٢٩٢.

وهب بن وهب القاضي وأخرج من خفه سكيناً فقطع الكتاب من غير أن يسئل عنه وقال: هذا أمان مفسوخ وكتاب فاسد ودمه في عنقي^(١). وفي لسان الميزان فقال الرشيد عند صدور هذه الفتيا: أنت قاضي القضاة وأنت اعلم بذلك^(٢). واجازته الرشيد بألف ألف وستمئة ألف درهم.

وما فعله الرشيد من نقضه للأمان يوضح لنا غدر الرشيد وعدم التزامه بالعهود والمواثيق، كما يوضح لنا حالة علماء السوء والقضاة بمؤازرة السلطة الجائرة وتغيير الأحكام وكل القيم من أجل التقرب إليها وكسب المال منها. وجاء في مقاتل الطالبين الشيء الكثير من هذه القصص المؤلمة.

ولما سمع الرشيد أن الشاعر منصور النميري انشاء أبيات منها:

آل النبي وممن يحبهم يتظامنون مخافة القتل
أمن النصارى واليهود ومن في أمة التوحيد في أزل
فغضب الرشيد وأرسل إليه من يقتله فوجده ميتاً فقال: لقد هممت أن أخرج لسانه من قفاه. وأراد أن ينبش عظامه فيحرقها ولكنه لم يفعل^(٣).

وليس بغريب منه ذلك فقد قطعوا لسان ابن قرايا لأنه يمدح آل محمد ﷺ^(٤). وبلغ من حقد الرشيد وبغضه أن ثقل عليه أن يكون علي بن أبي طالب رابع

(١) مفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى بطاش كبرى زاده ٢: ١١٠.

(٢) لسان الميزان ٢: ٢٣٤.

(٣) زهر الأدب ٣: ٧٠.

(٤) باختصار من شذرات الذهب ٤: ٢٤٦.

على المغنين والأموال الكثيرة، حتى ان بعض المغنين الذي كان يغني لسيدة أو ربت ابناً له أربعين ألف دينار. وكان للمغنين والمخنثين سوق رائجة وبضاعة رابحة عند خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين، فإن الرشيد جعل للمغنين مراتب وطبقات، حتى أن للرشيد جارية تسمى (هيلانة) لها منزلة عنده، فلما ماتت رثاها بايات كما رثاها بعض الشعراء تبعاً لرغبته فجاز بعضهم أربعين ألف دينار^(١).

وبالغ الرشيد في البذخ والترف وتفنن في حياته حتى تجاوز الحد إلى الاسراف والتبذير بأموال الأمة المسكينة، وبلغت مظاهر الحياة عنده إلى غايتها، فكان في داره من الجواري والخصايا وخدمهن وخدم زوجته وأخوانه أربعة آلاف جارية، وحضرن عنده يوماً فغنته المطربات منهن فطرب لهن جدا وأمر بمال فنثر عليهن، وكان حاصل كل واحدة منهن ثلاثة آلاف^(٢).

وغنى له مسكين المدني فاطربه فأمر له بأربعة آلاف دينار^(٣).

واضحكه ابن مريم فاعطاه ألف دينار . وكانت زوجته زبيده لا تستطيع أن تقوم لكثرة ما عليها من المجوهرات والحلل، وقد سلكت في صرف الأموال طريقة الرشيد فكانت تستهين بالأموال ولا تحسب لها أي حساب ولها معه قصة^(٤).

واشترى الرشيد من مسلم العراقي درة بسبعين ألف دينار واشترى فص ياقوت أحمر بثمانين ألف دينار وكان وزنه مثقالاً ونصف وكانت بيده سبحة فيها

(١) تاريخ ابن كثير: ١٦٥.

(٢) تاريخ ابن كثير ١٠: ٢٢٠.

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٧٩.

(٤) البداية والنهاية ١: ٢١٩.

عنده أفضل الصحابة، وكان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل وما احتاج هو عليه السلام إلى أحد حتى لحق بالله، وأما عبدالله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حروبه رأساً منيعاً وقائداً مطاعاً، فلو كانت امامته على جور كان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله. فسكت المهدي ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليلاً حتى عزل شريك.

جوائز المهدي العباسي،

ويدخل مروان بن حفص على المهدي فينشده قصيدة يتعرض فيها لآل علي

عليه السلام فيقول:

هل تطمعون من السماء نجومها باكفكم أو تشترون هلالها
أو تدفعون مقالة من ربكم جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الأنفال آخر آية بترائهم فاردتم أبطالها^(١)
فترى المهدي يتزاحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجاباً بما
سمع وتقديراً لهذا الشاعر ثم قال له: كم بيت؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة
ألف درهم^(٢).

إذن: بربك ما حال الرعاع وذوي الحاجة أو الضمائر الرخيصة الذين
باعوها بأبخس الاثمان عند مشاهدة هذا التشجيع واغداق الأموال.
ولم ينحصر هذا التفريط على الشعراء فحسب فنجد الهدايا الثمينة والتحف

(١) يعني بذلك بنو علي وبنو العباس والآية: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ الآية.

(٢) الخطيب ١٣: ١٤٤.

جاهلية وإلى غير ذلك.

وقد احتفظت كتب التاريخ والأدب والقصص بالشيء الكثير الذي يعسر جمعه عنهم ومن ولاتهم المستبدين وأبنائهم المستهترين والذين تزعموا بعد الخلافة الإسلامية، وكان معظمهم يحسن الغناء جيداً ويعرف أصوله ويبتكر الحانا يغنيها هو أو يلقبها على جواريه أو على المغنين. وكان إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد قد بلغ منزلة في الغناء وعرف بشيخ المغنين، وكانت عليّة بنت المهدي تغني احسن الغناء وكان أخوها يعقوب يزمر لها. (١)

وكان الرشيد يعلم بذلك وقد غنت جارية ذات يوم:

يا موريَ الزند قد أعيت قوادحهُ أقبس إذا شئت من قلبي بمقباس
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

فأراد الرشيد أن يعرف لمن اللحن فاسرّت اليه الجارية انه لعلية اخته. وروى أبو الفرج عن أحمد بن زيد قال: حدثني أبي قال: كنا عند المنتصر فغناه منان لحنا من الرمل الثاني: يا ربة المنزل بالبرك، وربة السلطان والملك، تخرجي بالله من قتلنا لسنا من الديلم والترك، فضحكت فقال لي: مم ضحكت؟. قلت: من شرف هذا القائل وشرف من عمل اللحن فيه وشرف مستمعه. قال: وما ذاك؟. قلت: الشعر فيه للرشيد والغناء لعلية بنت المهدي وأمير المؤمنين مستمعه (٢).

وكان اهتمام الرشيد في الغناء والمغنين عظيماً، فقد قرّب منهم عدداً وافراً وأجزل العطاء عليهم، وكان يجمعهم في مجلس واحد ويقترح عليهم في الاصوات

(١) كما في الأغاني ٩: ٨٤.

(٢) المصدر السابق.

مائة حبة كل حبة اشترت بمائة ألف دينار.

وهكذا كانت الأموال تنفق في البذخ والاسراف وهي محصورة في طبقة خاصة من الناس . وقد استغل الولاة هذه الفرصة فجمعوا الأموال الطائلة وبنوا الاملاك ومثلهم الأمراء ومن سار في ركاب الدولة.

واتخذوا الاسرة الذهبية المرصعة بالجواهر، والحصر المنسوجة بالذهب المكللة بالدر والياقوت^(١).

كما كان شغف نسائهم بالتفنن في ألوان الزينة ما يبعث على العجب والاستغراب، واتخذن من الاملاك ما كانت واراداته أكثر من ألف وستمائة الف دينار، هذا في الوقت الذي نجد رجال الأمة وصلحائها والاحرار من ابناءها يتجرعون غصص الحاجة والفقر كما كان نصيب اكثرهم الخوف والتشريد والقتل والتعذيب، وتفنن الطغاة في اتخاذ مجالس اللهو وتباروا في اقتناء المغنيات وتنافسوا في شرائها باغلى الاثمان، فكانت بيوت الخلفاء مجلس للغناء والشراب يتبارى فيها المغنون في اطراب الخلفاء.

ويشهد الله ائني لا أريد الحديث عن امثال هذه المخازي والمجون والاستهتار بالفسق والفجور والانحراف عن ابسط المفاهيم الإسلامية والخلافة التي تزعموها، وأن تعرضت لنبذة منها فإنما اعرضها لمن تولاهم وساندهم وسايرهم بهذا الانحراف ونسب لهم الإيمان ودافع عنهم بالتأويل والتلفيق حتى قال: لا يجوز الخروج على مثل هؤلاء كما تقدم أنفا ومن خرج عليهم فسوف يموت ميتة

(١) ابن خلدون ٥: ١٠٦.

المتوكل العباسي

المتوكل العباسي ولد سنة ٢٠٧ و قتل سنة ٢٤٧ . بويع للخلافة بعد أخيه الواثق وكانت مدة خلافته أربع عشر سنة .

وعرف المتوكل ببغضه الشديد لأهل البيت عليهم السلام ومطاردته لمحبيهم وقتل زعمائهم، وكان مصير من أتهم بميله للعلويين القتل أو السجن المؤبد حتى الموت أو الخنق للخلاص منه.

وظهر النصب في عصره بأجلى صورة، وانتشر بغض أهل البيت عليهم السلام في أيامه حتى عمم في الأقطار، وتقرب الكثير إلى المتوكل بدمهم طلبا لرفده وطمعا في صلته وجوائزه، وسار على ذلك كافة ولاته في الأمصار، فإن واليه على مصر: يزيد بن عبد الله التركي يتبع المواليين لأهل البيت بكل اذى كما حمل جماعة منهم الى العراق فذكر الكندي^(١) أن يزيد التركي أمر بضرب جندي - في شيء ما - عشرة درر فتوسل الجندي إلى يزيد بحق الحسن والحسن أن يعفو عنه فزاده ثلاثين درة ورفع أمره إلى المتوكل في العراق فورد أمر المتوكل بضرب الجندي مائة سوط وحمله للعراق.

حتى كان أخص الناس بالمتوكل وأقربهم عنده من اشتهر بالنصب والعداء لأهل البيت أمثال علي بن الجهم الشامي^(٢) وعمر بن فروخ الرحبي وابو السمط من ولد مروان بن أبي حفص من موالي بني أمية وغيرهم الكثير من هذا النمط.

(١) في كتابه الولاية والقضاء.

(٢) راجع ما ترجمناه في النواصب في رجال الصحاح.

ليطرب فمن أطربه نال أسنى الجوائز وأعظم الهبة^(١).
وقد اختار له إسحاق الموصلي من الغناء مائة صوت وقد عرفت
بالاصوات المائة المختارة، ووضع أبو الفرج الاصفهاني فيها كتاب الأغاني^(٢).
ولا حاجة إلى تفصيل ذلك فقد تكفلتها كتب التاريخ والسير والقصص. كما
لا أريد الخوض في المزيد من فسقهم وفجورهم والتلاعب بامور الدين ومخالفة
الشريعة وقد جعل الرشيد من دولته امبراطورية مستبدة تسحق كل معارض
ومنتقد لها مهما كان وأنى يكون.

(١) مروج الذهب ٣: ٢٧٨.

(٢) الأغاني ١: ١.

منه فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام وأخبره فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين أن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه. فقال: المتوكل للمغنيين غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حرامه^(١)
 وذكرها ابن خلدون بلفظ آخر وأضاف قول المنتصر: فيستخف المتوكل به ويشتمه ويأمر وزيره عبيد الله بصفعه ويتهدده بالقتل ويصرح بخلعه عن ولاية العهد^(٢).

وقد عرف عن المتوكل أنه لا يأنس إلا بالتنقص من علي عليه السلام والحط من كرامته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهل بيته فيأخذ ماله ويهدر دمه... الخ^(٣).

وهكذا يستمر بغضه ونصبه لعلي وأبنائه في طيلة عهده حتى ذكر ابن الأثير قال: وفي هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من اتيانه فنادى بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاث حبسناه في المطبق^(٤)

(١) الكامل لابن الأثير ٧: ١٨.

(٢) العبر ٣: ٥٩٢.

(٣) النجوم الزاهرة ٢: ٣٢٥.

(٤) سجن رهيب.

ومدحه أبو السمط مروان بن أبي الجنوب بابيات يذم فيها العلويين منها:

لكم و تراث محمد وبعد لكم الظلامه
يرجوا التراث بنو البنا ت ومالهم فيها قلامه

ما للذين تنحلوا ميلا تكم إلا الندامة
فيخلع عليه أربع خلع وينثر ثلاثة آلاف دينار ويأمر بالتقاطها ويعطيه
عشرة آلاف درهم ويعقد له على ولاية البحرين واليمامة . ويقصده مرة أخرى
بقصيده يذم فيها آل محمد ﷺ وشيعتهم فينثر عليه عشرة آلاف درهم^(١).

وأمثال هذا الشاعر كثير من الذين دفعهم الطمع والرغبة في المال والتقرب
إلى السلطة وأن غضب الله عليهم.

ومما يدل على بغضه لعلي وآل بيته أن نصر بن علي الجهضمي حدث
بحديث عن النبي ﷺ انه أخذ بيد الحسن والحسين وقال: من احبني وهذين
أباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. فأمر المتوكل بضربه ألف سوط إلى
أن كلمة جعفر بن عبد الواحد بأن نصرا لم يكن شيعياً وإنما هو من أهل السنة
فضربه خمسمائة سوط وعفى عن الباقي^(٢).

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه وسادة
ويكشف عن رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل ويقول: قد أقبل الأصلع
البتين خليفة المسلمين. يحكى بذلك علياً عليه السلام ويسخر منه، والمتوكل يشرب
ويضحك. ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضراً فأوماً إلى عبادة يهدده فسكت خوفاً

(١) الكامل لابن الأثير ٧: ٣٨.

(٢) الخطيب في تاريخه ٢: ٢٦١.

المتوكل والقي الفتح بن خاقان نفسه عليه ليقيه فقتلوه معه^(١) في قصة طويلة.

ورثاه البحتري في قصيدة يقول فيها:

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ناي ومزمر ومدمام
 بين كأسين أورثاه جميعاً كأس لذاته وكأس الحمام
 لم يذل نفسه رسول المنايا بصنوف الأوجاع والأسقام
 الخ...

ولم استطع استيعاب ما جرى من الخلفاء وولاتهم في العهدين الأموي والعباسي على أهل البيت طوال القرون، فذكرت منه أمثلة من قيامهم بلعنهم على المنابر، وإبلاغ رعاياهم بالتبري منهم، وترك رواية أحاديث الرسول ﷺ عنهم وفيهم، وإخفاء فضائلهم ومنزلتهم، ومنع الموالاة لهم بأنواع الأذى والمحن من تشريد وتبعيد وقتل وإبادة وغير ذلك، واختصرت بذكر نماذج من ذلك.

(١) العبر لابن خلدون ٣: ٥٩٢ وغيره.

فهرب الناس وتركوا زيارته وخرب وزرع^(١). ومثله الطبري في حوادث تلك السنة .

ولقد هجاه الكثير من الشعراء على هذه الشنيعة ومما قيل فيه عند هدم قبر الحسين بن علي عليه السلام:

تالله أن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيا مظلوما

فلقد اتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمر كقبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فقتبعوه رميما

وباختصار فإن الخليفة لم يختلف عن جده وآبائه في التفتن بأنواع التنعم في

البذخ والتبذير، وكان يمرح في انسه في لياليه الخضراء بين رقص جواريه وغلمانه

ونغم عيدانه ومجونه حتى اشتهر عنه انه لم يكن من كتّابه وقادته من يوصف بجود

أو فضل أو يتعالى عن مجون وطرب^(٢) فكان واتباعه منهمكين في اللذات

والشراب^(٣) فمرحا للمسلمين بهذا الخليفة.

وحتى كان بنان وزنان لا يفارقانه هذا يضرب وذاك يزمر^(٤).

ولم يفارق لذاته وشرابه حتى في آخر لحظة من حياته، فقد قتل بين الناي

والعود وهو مثل من الشراب حيث اعد المنتصر جماعة من الاتراك... وقتلوا

(١) في حوادث سنة ٢٣٦.

(٢) مروج الذهب ٤: ٤٧.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٣٧.

(٤) ثمار القلوب للثعالبي: ١٣٤.

الفصل الخامس

السقيفة وتوارث الخلافة



الانقلاب على آل الرسول ﷺ

إن أول خلافة وبيعة وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة هو ما دبره وخطط له عمر بن الخطاب يوم كان الرسول ﷺ مسجى - روعي فداه - بين أهله وعشيرته وأراد أن يوصي بوصيته فصدّه عن ذلك بقوله المشهور: أن النبي ليهجر وحسبنا كتاب الله.

ولما لم يدفن الرسول بعد فوجئ الجميع بما سعى له الخليفة لتلك البيعة واستعان باثنين، ولم يحضر معه من أعيان الصحابة وبني هاشم كافة ولا من أهل الحل والعقد وانتهى الأمر في سقيفة بني ساعدة، وبعد العنف والاكراه من عمر ومن انظم إليه وبعد ما جرى من تسابب وتلاكم بينهم وحيل تمت البيعة لأبي بكر، وفصلت ما جرى في ذلك اليوم من الأحداث والوقائع في كتابنا هذا في ذكر السقيفة فلا حاجة للتكرار والحديث ذو شجون، وخير من وصف تلك البيعة ووضح حقيقتها باجمال أبو بكر بقوله: أن بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها... الخ^(١). كما اعترف بذلك أيضاً المخطط الأول عمر بن الخطاب بعد فوات الاوان بقوله: أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، وفي لفظ: ومن عاد إليها

(١) شرح النهج ١: ١٣٢. وج ٢: ١٩٠ أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٥٩٠ وغيرهم.

وذكر النووي في شرحه^(١) أيضاً أقوالاً عديدة وكذلك البيهقي^(٢) والباقلاني^(٣) وقال المارودي: اختلف العلماء في عدد من تتعقد بيعته... وفصل الأقوال^(٤).

والخلاصة: لا أزيد في البحث على ما سبق ذكره مفصلاً.

وبعد مضي حولين وفي اثناء احتضار الخليفة الأول حيث كان يغمى عليه بين حين وآخر يأمر عثمان بكتابة وصيته بالخلافة لعمر بن الخطاب. وعند سماع الوصية هذه يعترض عليه جماعة^(٥) ومنهم الزبير بقوله: ماذا تقول لربك إذا

(١) النووي في شرح صحيح مسلم ١٢: ٢٢٩.

(٢) السنن للبيهقي ٨: ١٥٨.

(٣) التمهيد: ١٨٦.

(٤) في الأحكام السلطانية: ٤، ومثله القرطبي في تفسيره ١: ٢٣٠ وابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي ١٣: ٢٢٩ ومثله إمام الحرمين الجويني في الارشاد: ٤٢٤ باب الاختيار وذكرنا أقوالهم فيما تقدم.

(٥) كما في الخراج: ١١ فقال الناس استخلف علينا فظا غليظا لو قد ملكنا كان افظ واغظ. وقال ابن سعد في الطبقات ٣: ١٩٩ وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ فقال قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك لعمر علينا وقد ترى غلظه. وفي لفظ ابن أبي شيبه في المصنف فقال الناس: تستخلف علينا فظا غليظا ولو قد ولينا كان افظ واغظ فما تقول لربك إذا لقيته... الخ. وذكر في الفائق للزمخشري: ودخل عليه بعض المهاجرين فقال له: استخلف علينا عمر وقد عنا علينا ولا سلطان له ولو ملكنا كان اعنى واعنى فكيف تقول لله إذا لقيته؟. نقلا عن العباثات ٣: ٢٩٨ - ٣٠٣. كما اعترض غير الزبير بلفظة أخرى الكامل ٢: ٤٢٥. وذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١٩، فدخل عليه (أبو بكر) المهاجرون والأنصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا فكيف اذا وليت عنا وروى السيوطي تاريخ الخلفاء: ٨٢، عن أسماء بنت عميس قالت دخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر فقال استخلفت على الناس عمراً وقد رأيت ما يلقي منه الناس وأنت معه فكيف اذا خل

فاقتلوه أو لمثلها فاقتلوه^(١).

وهكذا تسير الأمور بتلك البيعة التي أوجدت الاختلاف بين المسلمين ولا زلنا نعاني منها حتى اليوم وسار عليها من سار، ويأتي من بعدهم من يعتد بالتأويل ويبرر المواقف المؤلمة ويسن لها النظام الجديد، كما ذكره قاضى القضاة وابو يعلى الفراء قال: وانها (الخلافة) تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد، ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه اماما برا كان أو فاجرا فهو أمير المؤمنين^(٢). وقد جاء عن الإمام أحمد: (الإمامة لمن غلب) واحتج لذلك بأن ابن عمر صلى بأهل المدينة في زمن الحرة وقال: فنحن مع من غلب^(٣).

وجاء بمثله لتبرير تلك الأحداث عن عبد الله بن عمر في بيعته ليزيد الفسق والفجور^(٤) في واقعة الحرة الشهيرة التي سفكت فيها دماء الآلاف من الصحابة والتابعين والقراء وانتهكت فيها الأعراض وأبيحت مدينة الرسول ثلاثة أيام (ومر ذكرها).

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود ٨: ٢٦، وشرح النهج ١: ١٢٣ وج ٢: ٢٣ و٢٦ و٢٩ بتحقيق أبو الفضل، والسيرة لابن هشام ٤: ٢٢٦، النهاية لابن الأثير ٣: ٤٦٦ تاريخ الطبري ٣: ٢٠٥، الكامل ٢: ٣٢٧، الصواعق ٥: ٨، تاج العروس ١: ٥٦٨، لسان العرب ١: ٣٧١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٦٧، السيرة الحلبية ٣: ٣٦٠ وص ٣٦٣.

(٢) في احكامه: ٧، ١١.

(٣) الأحكام السلطانية: ٢٠ مآثر الاناقة ١: ٥٨، شرح المقاصد ٥: ٢٣٣.

(٤) صحيح مسلم ١: ٢٠ - ٢٢، كتاب الامارة. وسنن البيهقي ٨: ١٥٨.

عمر بن الخطاب قبل وفاته وليس له قبل هذا التاريخ اثر، كما لم يعمل به أحد من بعده، ولو فكرنا قليلا بهذه الشورى وكيف صارت وأي شورى كانت، وهي محاطة بشروط دكتاتورية عجيبة لا مجال للمناقشة فيها :

- ١ - انها شورى بين ستة لا غير يعينهم الخليفة وحده دون الأمة.
 - ٢ - أن يكون الخليفة المنتخب من هؤلاء الستة لا غيرهم.
 - ٣- إذا اتفق اثنان على رجل واثنان على آخر رجحت الكفة التي فيها عبد الرحمن بن عوف أحد الستة وأن لم يسلم الباقيون ضربت اعناقهم.
 - ٤ - إذا اتفق أكثر الستة على رجل وعارض الباقيون ضربت اعناقهم.
 - ٥- ألا تزيد مدة التشاور على ثلاثة أيام وإلا ضربت اعناق الستة باجمعهم.
 - ٦- يتولى صهيب الرومي مراقبة ذلك في خمسين رجلاً من حملة السيوف على رأسهم أبو طلحة الأنصاري.
- فالحق أن هذا النظام لم يترك الأمر للامة لتنظر وتعمل بمبدأ الشورى كشورى، بل هو نظام سنه الخليفة بهواه ومنحه سمة الأمر النافذ فلا محيد عنه ولا تغير فيه، فلا يمكن لصورة كهذه أن تسمى شورى بين المسلمين ولا بين أهل الحل والعقد.

ولسائل ان يقول للخليفة: ما هو المسوغ الشرعي لقتل المعترض أو المعترضين اجمع؟ وما هي الصفة الذي يمتاز بها عبد الرحمن عن أصحابه حتى يمنح حق (الفيتو)؟ وما هو السبب بتحديد العدد بالستة هؤلاء مع وجود كبار الصحابة مثل ابن عباس وعمار و... وبهذا وغيره طعنت الشورى وعطلت ولم يعمل بها أحد بعده.

وتذمر منها أمير المؤمنين عليه السلام في أحد خطبه (الشقيسية) بقوله: فيا لله

قدمت عليه وقد وليت على الأمة فظا غليظا. فلم يلتفت للاعتراضات وتذهب ادرج الرياح وينتهي الأمر، ويأتي الخليفة الثاني ويصف عهده الإمام علي عليه السلام بقوله في خطبته: فصيرها (أي الخلافة) في حوزة خشناء، يكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة أن اشتق لها خرم وأن اسلس لها تقحم، فمضى الناس لعمر الله بتخبط وشماس... الخ. ويأتي عمر للأمة بنظام جديد في اختيار الخليفة وهو الشورى.

مبدأ الشورى المزعوم.

ومهما قيل فيها وتعددت مفاهيمها فلم يحدثنا التاريخ أو التفسير أو الفقه السياسي عن شيء ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يوكل أمر اختيار الخليفة إلى الشورى، بل ثبت العكس وقد رفض كل شرط بهذا الخصوص في حياته ومما يشهد بذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما عرض الإسلام على القبائل فاشتراط عليه بعضهم أن يؤازره بشرط أن يكون الأمر لهم من بعده ولو ببعض الشيء^(١)، فرفض أي شرط رغم تلك الظروف الصعبة قائلاً: أن الأمر لله يضعه حيث شاء. وعرضت أمثلة أخرى من أقواله في ذكر الوصية، وقد اثبت لنا أصحاب التاريخ والحديث بلا خلاف بينهم واتفقوا على أن ذلك المبدء أو النظام الجديد (اختيار الخليفة بالشورى) قد سنه

☞

بهم وأنت لاقى ربك ويقرب ما في تاريخ الخميس ٢: ٢٤١، وابن سعد في الطبقات ٣: ١٩٩ بلفظ سمع أصحاب النبي وفي مصنف بن أبي شيبة والزمخشري في الفائق.

(١) قول بني عامر بن صعصعة سيرة ابن هشام ٢: ٣٢، الروض الانف ١ ص ٢٦٤ بهجة المحافل لعماد الدين العامري ١: ١٢٨، السيرة الحلبية ٢: ٣ سيرة زيني دحلان بهامش ١ ص ٣٠٢، حياة محمد لهيكل ص ١٥٢.

ولا زلنا نعاني منها حتى اليوم بالنقد اللاذع والاستنكار الصارخ لتصرفات الخلافة الإسلامية من اعدائنا وما احدثته من فتن وانشقاق بين صفوف المسلمين. وتجتمع الوفود مع المعارضين من الصحابة من أهل المدينة ويقتل الخليفة في داره ويمنع من تجهيزه إلا جلسة في الليل وتفر منه أمية ومن ساندها^(١).

(١) راجع تفصيل ذلك في عامة التواريخ وقد جمع تلك الأحداث ونقل الأقوال بتفاصيلها شيخنا الأميني في غديره.

وللشورى... ثم استشهد بالآيات:

فان كنت بالقربى ملكت أمورهم
فغيرك أولى بالنبي واقرب
وان كنت بالشورى حججت
فكيف بهذا والمشرون غيب

تولي عثمان الخلافة

وباختصار وبعد تلك الشورى استقل عثمان منصب الخلافة غير أنه كان ضعيف الإرادة فاستغله قومه من بني أمية وسيطروا على كافة البلاد كما وصفه أمير المؤمنين من خطبة بقوله عليه السلام: وقامت معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع... الخ. فنصبهم ولاية في الأقطار ومستشارين له وعمال، وهم ما بين طريد منبوذ أو وزغ ملعون أو صبي نزق، ومنحهم الحصانة، واقطعهم الاملاك، ووهبهم الأموال الطائلة، كما وصفهم عمر بن الخطاب بقوله: وقد تجاهروا بالفسق والفجور وشرب الخمر ولم تبقى رذيلة إلا ارتكبت ولا حرمة للإسلام إلا انتهكت حتى كثرت شكوى الأقطار عليهم والتذمر منهم وبلغوا الخليفة بذلك، ثم جاءته الوفود بين حين وآخر فرفض أن يستجيب للوفود أو يعتذر منهم بل حاسب بعضهم ووبخهم وهددهم وضرب بعضهم مثل عمار بن ياسر ففتقوا بطنه وكسروا أضلاعه ورموه في الطريق ومثله عبد الله بن مسعود وغيرهم من أصدقائه القداما وكذا صهره عبد الرحمن بن عوف الذي رشحه ونفى أبا ذر إلى الشام ثم الربذة وغيرهم فتقاطرت الوفود عليه وهو مصرّ على ذلك حتى عطل الحدود عن بعض اقاربه فجرى ما جرى من وقائع مؤلمة واحداث مؤسفة كثيرة

وألخص تلك الرسائل بذكر رسالة واحدة بعثها عليه السلام مع جرير البجلي جاء فيها: فإن بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد... إلى أن يقول عليه السلام: وإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج عنه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا.

فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إلى قبلك العافية إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك، وقد اكرت في قتلة عثمان، فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاکمت القوم إلي حملتك وإياهم على كتاب الله، وأما تلك^(١) التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن . واعلم إنك من الطلقاء الذين لا تحمل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الإمامة ولا يدخلون في الشورى وقد بعثت إليك واليا من قبلي جرير بن عبد الله البجلي وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايعه ولا قوة إلا بالله.

فلما قدم جرير على معاوية بكتاب أمير المؤمنين وأبطأ عليه معاوية برأيه استحثة جرير بالبيعة فقال له معاوية: يا جرير أن البيعة ليست بخلصة وانه أمر له ما بعده فابلعني ربيقي.

ودعى أهل ثقته فاستشارهم فقال له أخوه عتبة: استعن على هذا الأمر بعمر بن العاص فإنه من قد عرفت. فكتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو

(١) أي الخدعة التي تعلل بها معاوية وهي أن يدفع له قتلة عثمان.

بيعة الإمام علي عليه السلام

وبعد مقتل عثمان اجتمعت الأمة من مهاجرين وأنصار وعامة الصحابة والوفود التي قدمت وترشح الإمام للبيعة مطبقة عليه بصورة لم يسبق لها مثيل لبيعة وقعت لا من قبل ولا بعد. ولكنه يعتذر حتى حاصروه في داره وأخرجوه إلى المسجد وتمت البيعة هناك من عامة المهاجرين والأنصار والصحابة وعامة الناس إلا نفر القليل من الموتورين من بني أمية ومرتزقتهم واستغل معاوية تلك الأحداث فاستقل بالشام وأعلن التمرد وخرج عما اجتمع عليه المسلمين كافة طمعا بالمنصب وحباً للرئاسة متعللاً بأمور واهية ومستجعماً أذنان أمية المنكوبة والفارة إليه. وقد قدمنا تفصيلاً لنفسية معاوية وحقده القديم على أمير المؤمنين ولنعرض الآن بإيجاز كيف حصل على الخلافة. وموه على العامة بالاستقلال بالبيعة.

اغتصاب معاوية للبيعة.

تقدم تحليل نفسية معاوية وحقده على بني هاشم عامة وعلى علي خاصة، وذكرنا أسباب حب معاوية للرئاسة وطمعه فيها مهما كلف الأمر، وازداد حقه وعناده بعد مقتل عثمان والإجماع الذي امتاز به أمير المؤمنين ببيعته التي عمت الأقطار، فاعلن معاوية العصيان والتخلف عن البيعة، متعللاً - مكرًا وخداعًا - بقتل عثمان ومطالبته بدمه، واحتج عليه الإمام برسائل كثيرة مصرحاً فيها أنه بريء من كل ما وقع وأنه دافع عن عثمان بما يستطيع ولكن زمرة بني أمية الذين حولته تجاهلوا كل الاعتراضات طمعا بالرياسة فكانت السبب في مقتله، ثم حتى لو كان كما تزعم معاذ الله فما أنت وذاك؟.

والا فاقبل والسلام^(١).

ومن هذا يتضح أن معاوية طمع في المنصب من أول يومه ولم يكن في وسعه غير التحايل والتعلل بتسليمه قتله عثمان كما اقترحه عليه اعوانه وخططوا له مثل عمرو بن العاص وجماعة من بني أمية وليشركهم في الأمر أن تم لهم ويعيدوها كما كانت في أيام عثمان.

البيعة ليزيد،

تقدم القول كيف كان معاوية يروّض الناس لسبع سنين ليعقد البيعة لنفله يزيد، وذكرنا شراءه الضمائر، وذكر ابن عبد البر أن معاوية لما أراد البيعة ليزيد خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام قد كبر سني وقرب أجلي وقد أردت أن اعقد لرجل يكون نظاما لكم، إنما أنا رجل منكم، فاروني رايكم. فاصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبدالرحمن بن خالد. فشق ذلك على معاوية واسرها في نفسه، ثم أوعز إلى طيب كان عنده يهوديا اختصه لهذه الاغراض وللقضاء على من لا يريد التظاهر بقتله، فدس السم لعبد الرحمن بن خالد^(٢). وذكرها الطبري فقال: وأمر ابن اثال النصراني أن يحتال في قتله فقتله وتخلص منه^(٣).

وذكر أبو الفرج قال: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدس إليهما سما فماتا منه^(٤).

(١) كتاب صفين: ٣٨ و ٥٨، الإمامة والسياسة ١: ٨٢، شرح النهج ١: ١٣٦ وص ٢٤٩ وص ٢٥١.

(٢) الاستيعاب ٢: ٣٩٦ بترجمة عبد الرحمن وأسد الغابة ٣: ٢٨٩.

(٣) الطبري ٦: ١٢٨. وابن الأثير ٣: ١٩٥.

(٤) مقاتل الطالبين: ٤٣، ويقرب منه ما في أنساب الأشراف ١: ١٠٤ وابن أبي الحديد: ٤: ١١.

بفلسطين ثم طلب حضوره وأمّله أن يعطيه ولاية مصر أن تم له الأمر^(١).
ثم كتب معاوية إلى طلحة والزبير يحرضهما على القيام على علي (فرق
تسد) وان هما اخذا العراق وهما أولى به سيسندهما، ودارت بينهما رسائل كثيرة
لا يسع المقام ذكرها^(٢).

غير أن جرير البجلي طال عليه الوقت فالحّ على معاوية بالجواب فقال
معاوية لجرير: إني قد رأيت رأيا. قال جرير: هات. قال: أكتب إلى علي أن يجعل
لي الشام ومصر جباية فإن حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده في عنقي بيعة،
وأسلم إليه هذا الأمر وكتب إليه بالخلافة. قال جرير: أكتب ما شئت. فكتب إلى
علي عليه السلام يسأله ذلك فلما أتى علياً كتاب معاوية عرف انها الخدعة منه وكتب
إلى جرير بن عبد الله:

اما بعد فإن معاوية إنما أراد بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعة وأن
يختار من أمره ما احب وأراد أن يريثك ويبطنك حتى يذوق أهل الشام،
وقد كان المغيرة بن شعبة أشار عليّ وأنا بالمدينة أن استعمله على الشام فاييت
عليه ذلك^(٣)، ولم يكن الله ليراني أن اتخذ المضلين عضداً فإن بايعك الرجل

(١) وفي بعض كتب عمرو إلى معاوية قد اشترط عليه ولاية مصر كما في كتاب سابق لأمر المؤمنين.

(٢) راجع الغدير ١٠: ٣١٦.

(٣) ومن جملة قول المغيرة اترك معاوية على الشام حتى تأخذ البيعة منه ومن أهل الشام ثم نزله
فرفض الإمام ذلك فولى المغيرة ينشد ابيات منها:

نصحت علياً في ابن هند نصيحة فردت فلم يسمع لها الدهر

كما في مروج الذهب ٢: ١٦، تاريخ الطبري ٥: ١٦٠، ابن كثير ٨: ١٢٨، الاستيعاب ١: ٢٥١، تاريخ
أبي الفداء ١: ١٧٢، ولابن عباس مثل قول المغيرة ورفضه الإمام ودارت محاوره بينهما.

وآخر الأمر يعهد له بولاية العهد رغم العقبات التي مرت، فكان ما حدث من يزيد من جرائم كثيرة لا مجال لذكرها وواقعة الحرة وواقعة الطف وما جرى فيهما يغنيننا عن ذكر غيرهما في بيان جرائم يزيد بن معاوية، وقد تقدم ذكرهما.

توارث الخلافة في السفينيين والروانيين

وهكذا ينتهي العهد السفيناني بتوريثهم الخلافة الإسلامية لهؤلاء، ويتبعه العهد الرواني، ويأتي العهد العباسي بمثلهما، واعرض لبعض النماذج للعهدين وكيف تتم التولية المخالفة لمبادئ الإسلام الأولية، فكانت تتم بالترغيب والترهيب والرشوة والاعراء، فذكر ابن كثير قال: حج عبد الملك في سنة ٧٥ وخطب الناس بخطبة قال فيها: أنه كان من قبلي من الخلفاء يأكلون ويؤكلون، واني والله لا أدري ادواء هذه الأمة إلا بالسيف؟ ولست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا الخليفة المداهن - يعني معاوية - ولا الخليفة المأبون - يعني يزيد - أيها الناس أنا نحتمل منكم ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر، هذا عمر بن سعيد^(١) حقه حقه قرابته وابنه قال براسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا وأن الجامعة التي خلعتها من عنقه عندي، وقد اعطيت إليه عهدا أن لا اضعها في رأس أحد إلا اخرجتها الصعداء فليبع الشاهد الغائب^(٢).

ولما حضرت الوفاة عبد الملك أوصى ولده الوليد في أخذ البيعة له بالسيف وقال وهو في آخر ساعة من الدنيا: يا وليد حضر الوداع وذهب الخداع وحل

(١) وذكر سبب قتله تهذيب التهذيب ٧: ٣٧. وفي عقد الفريد (المأمون).

(٢) تاريخ ابن كثير ٩: ٦٤.

وهكذا يتخلص من المعارضين له وليبعة يزيد وتقدم الحديث.
 وكتب معاوية إلى زياد وهو بالبصرة: أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي، وليس المغيرة باحق بابن اخيك منك، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس من قبلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد. فلما قرأ زياد الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضله وفهمه فقال: أني أريد ان ائتمنك على ما لم أتمن عليه بطون الصحائف، إيت معاوية فقل: يا أمير المؤمنين أن كتابك ورد علي بكذا، فما نقول للناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقروود ويلبس المصبغ ويدمن الشراب ويمشي على الدفون وبحضرتهم الحسين بن علي وعبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ولكن تأمره أن يتخلق بأخلاقهم حولاً أو حولين فعسانا أن نموه على الناس. فلما بلغها الرسول قال معاوية: ويلى علي ابن عبيد، والله لقد بلغني أن الحادي حدا له (أن الأمير بعد زياد) والله لأردنه إلى أمه سمية وأبيه عبيد^(١).
 ومثله أن معاوية كتب إلى مروان (وكان واليه على المدينة) أن يذكر بيعة يزيد لهم فأبى ذلك وأبته قريش وكتب إلى معاوية: أن قومك قد أبوا حاجتك إلى بيعة ابنك فأرني رأيك. فعزله معاوية عن عمله^(٢).

وتستمر رسائل معاوية بهذا المضمون إلى ولاته ويمنيهم بالإمرة والمناصب أن ساعدوه على البيعة وعماله ورؤساء العشائر ويغدق الأموال الطائلة عليهم كما مر.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٤٤ واورد المسعودي باختصار مع اختلاف في الجواب: ١. وتاريخ الطبري ٥: ٣٠٢ والكامل ٣: ٥٠٥ بمعناه.

مبايعته. فحكموا عليه بالقتل وذبح امام الملاء^(١).

ولا حاجة للمزيد من هذا، ومن راجع كتب التراجم والرجال وجد الكثير واضعاف ما ذكرنا . وبهذا وأمثاله من الاساليب فخذ صورة من هذه النماذج وكيفية أخذ البيعة من الناس للخليفة الجديد الذي يتولى ادارة شؤون الأمة، فهل للامة اختيار في الانتخاب؟ أم انها مرغمة وليس لها أي رأي ولا يحق لها الاعتراض على شيء من ذلك والمعارض يقتل والممتنع يرغم؟ فهل تصح مثل هذه البيعة التي سنها نظامها؟.

وهل يصح أن يسمى من يتسلط بمثل هذه الدكتاتورية بأمر المؤمنين وخليفة المسلمين ونأتمر بأمره وننتهي بنهيهِ وقوله مقبول ورايه مطاع؟. أنا لا أدري ولعل هناك من يدري.

فقد توضح لنا من هذه النماذج أن توارث الخلافة الأموية والعباسية وكما جرت سيرتهم وسار عليها من سار أن يرثها الولد عن أبيه أو الاخ عن أخيه، وانها ملك لهم يتوارثونها حتى مع عدم اللياقة أو الأهلية للوارث من صبيان ومتجاهرين بالفسق والمنكرات أو من عرف باللهو والمجون، فهي محصورة بينهم، وليس لأهل الحل والعقد كما زعموا ولا بشورى كما أوصى بها عمر، وانما هي عهد ملكي كما في النظام الملكي في هذه العصور، غير أن العهدين اضافوا الاكراه في البيعة وللمعارض القتل والتعذيب أو التشريد والتباعد.

(١) نقلا عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٢٥٩.

القضاء. فبكى الوليد فقال عبد الملك: لا تعصر عينيك كما تعصر الأمة الوكاء إذا انا مت فغسلني وكفني وصلي علي وسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدلني في حفرتي واخرج أنت للناس، والبس لهم جلد نمر، واقعد على المنبر، وادع الناس إلى بيعتك فمن قال بوجهه كذا فقل له بالسيف كذا، وتكر للصديق والقريب، واسمع للبعيد، واوصيك بالحجاج خيرا^(١).

ولما مات يزيد بن الوليد وكان مولاه فطن وهو الموكل بخاتم الخلافة قد افتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لإبراهيم بن الوليد ودعى ناسا فشهدوا عليه زورا^(٢). ولما أراد عبد الملك أن يبايع لولده الوليد ثم من بعده لسليمان بن عبد الملك امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع، فأمر به هشام فضربه ستين سوطا والبسه ثيابا من شعر واركبه جملا وطاف به المدينة وذلك سنة ٨٥. ولما بلغ عبد الملك ذلك لام هشاما وكتب له: إنا نعلم إن سعيدا ليس عنده شقاق وقال ما ينبغي له إلا أن يبايع وإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيله^(٣).

وفي عهد السفاح ولي عمه داود بن علي بن عبد الله بن العباس على المدينة وضم إليه مكة واليمن واليمامة، ولما دخل المدينة هدد الناس وتوعدهم وقال في خطبته: أيها الناس اغركم الامهال حتى حسبتموه الاهمال، هيهات منكم، وكيف بكم والسوط كفى والسيف مشهر واستشهدا بابيات... الخ.

وامتنع أحد القضاة من البيعة للخليفة المقندر وقال: هو صبي ولا تصح

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٧٤.

(٢) العقد الفريد ٣: ١٩٤.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٣١٠. تاريخ ابن كثير ٩: ٦٠.

الفصل السادس

تأسيس العباسيين للمذاهب



دهاء المنصور العباسي،

إن للدولة العباسية حلم تسعى لتحقيقه بجهود مكثفة دعماً لنفوذها وصيانة لسلطانها وهو إسباغ ابراد القداسة والشرعية عليها، والتظاهر بتعاليم الدين الحنيف واتباع علماء الدين، وإبرازها بشكل يقضي على المعارضين لسياستهم التي انحرفت عن أهدافها بعد تسلمهم زمام الأمور.

والعباسيون يريدون بذلك أن ينظر الناس إليهم كخلفاء الرسول وأمناء على شريعته ونظامه وأنهم ظل الله في أرضه ورعاة عبادته بالرغم من عدم توفر الصفات التي تؤهلهم لان يكونوا بهذا المنصب.

فكان المنصور ذاك الداهية المخادع هو أول من ابرز هذه، وقد أعلن ذلك على المنبر يوم عرفة لينشرها على عامة الأقطار فقال في خطبته: أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازن على فيئه واعمل بمشيئته واقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه ... الخ^(١).

وهذه اللهجة وإن كانت لهجة خادعة ومغالطة مكرة فقد حاول أن يسيطر بها على أفكار البسطاء ليخنق قوة المعارضة التي تؤدي بسلطانه إلى الانهيار، وليستغل تلك الاستعدادات التي في نفوس علماء السوء لمنصرة الخلافة المزعومة

(١) مروج الذهب ٣: ٢٠٧.

فالمصور لم يزل يقلب وجوه الرأي ويدبر الحيل في القضاء على كافة معارضيه من الذين ناصروه أولاً، وخاصة من بعض العلماء الذين لا يقرون له بذلك ولم تنطلي عليهم حيله وخداعه وأهمهم الإمام الصادق الذي يخشاه ويفكر في أمره ويقلق باله في ليله ونهاره ولم يتمكن من القضاء عليه في تلك الظروف كما لم يتمكن من تحصيل التأييد منه وضمه إلى صفوف من ضمهم فيحقق أهدافه ويستريح باله. وقد عرف رأى الإمام في الدولة العباسية كراهه في الدولة الأموية من الظلم في الرعية والاستبداد في الحكم والابتعاد عن مفاهيم الإسلام، وقد نهى عن مؤازرة الدولة الجديد كما نهى عن مؤازرة الدولة المنقرضة، وسنعرض لبعض أقواله في ذلك في ترجمته عليه السلام.

فحاول المصور جاهدا بكل ما يستطيع أن يقرب بعض العلماء ويغدق عليهم الأموال ويمنيهم المناصب والرتب خاصة ممن يشم منهم الميل له والاستجابة لتنفيذ رغباته والسير معه وبذلك يحل مشكلته ويتخلص من القلق الذي يعاينه ويضفي الشرعية لسلطته أمام الناس.

فاختص مالك بن أنس وقربه ورفع منزلته ونوه باسمه وحصر الفتوى به ونادى مناديه (أن لا يفتينا إلا مالك) كما طلب منه أن يضع كتاباً يكون هو المرجع في الفقه رسمياً وشدد بعدم الرجوع لغيره أو الأخذ عن أحد سواه ويقال: إنما خص مالكا بذلك دون غيره من علماء المدينة لعلمه بانحراف مالك عن آل علي وأن نزعته أموية^(١).

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥٦٨ نقلا عن مالك لأبي زهرة ٦٩ و٧١.

ويربط بين وجوده ووجودهم.

وبعد أن تعرفنا على هدف الثوار في النهضة التي أطاحت بالحكم الأموي فانهم يطلبون إقامة دولة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .
وإن الاتجاه العام وهتافات الثوار والبيان الأول لتلك الثورة إنه يتزعمها رجل من أهل البيت دون غيرهم، فحاول المنصور جاهدا تغيير هذا الاتجاه بكل ما يستطيع، كما ادعى أنه من أهل البيت وتجب طاعته وهو أولى بأخذ ثارات العلويين من الأمويين.

وبهذا وغيره تمكن من وضع الطابع الشرعي للدولة ليكسب لنفسه الثقة ولأحفاده من بعده السلطة ووراثة النبي ﷺ، واستدراج البسطاء بأساليب التمويه والخداع من السهولة بمكان ولكن من العسير عليه أن يخدع ذوي الأفكار الواسعة وأصحاب العقائد الراسخة، لذلك كان يحسب لهم ألف حساب؛ لأنه يريد أن يتربع على دست الحكم ويصبح خليفة للمسلمين وأميرا للمؤمنين، وبهذا يلزمه العمل بكتاب الله وسنة رسوله وأن ينصح للمسلمين ما استطاع لذلك سبيلا، فإمرة المسلمين ليست بالأمر الهين فيستطيع كل شخص أن يتلقب بها، وإنما هي تحمل الاعباء الثقيل والعناء المتواصل والجهد كل الجهد في إقرار العدل ورفع الظلم وإنصاف الضعفاء وتحقيق المساواة بين الناس وفوق هذا كله إنصاف الناس من نفسه كأنصاف بعضهم من بعض.

والمنصور لم يتصف بشيء من ذلك، فهو ظالم في حكمه جائر على رعيته، وقد استأثر بأموال الأمة وجعل بيت مال المسلمين ملكا له ولمرتزقته مع ما عرف عنه بالبخل الشديد، وسيرته تتعارض مع تعاليم الإسلام ومفاهيمه. وتقدم عرض نماذج من سيرته.

ثم قال: ما أفسد على هذه الأمة أمرها وأضاع عليها ملكها إلا جعل طاعة هؤلاء الجبارين الباغين واجبة شرعاً على الاطلاق، وجعل التغلب أمراً شرعياً كمبايعة أهل الحل والعقد للإمام الحسن، وجعل عهد كل متغلب باغ إلى ولده أو غيره من عصبته حقاً شرعياً واصلاً مرعياً لذاته^(١).

ولا أريد التفصيل فيما ذكره صاحب المنار حول بيعة أهل الحل والعقد الذي ارتضاها وحسنها وقام عليها اصله وبنائه، وحديثي حول التغلب بالسيف أو بالقهر والاكراه، كما في (الأحكام السلطانية: ٢٠) والحديث الذي جاء عن القلقشندي بقوله: حتى ولو كان فاسقاً أو جاهلاً. وقدما ذكرهما وغيرهما من الأحاديث الموضوععة حول الإمامة أو الخلافة التي هي الاساس والدعم لتبريرها. وقال الأستاذ عبد المتعال الصعيدي أحد علماء الازهر في كتابه ميدان الاجتهاد: فلما رأى بنو العباس أن وسائلهم في القهر لا تجديهم أرادوا أن يأتوا الناس من باب التعليم، فيتولوا أمره بأنفسهم ليربوا العلماء على الخضوع لهم، ويملكوهم بالمال من أول أمرهم، وكانت الأمة هي التي تتولى أمر التعليم بعيداً عن الحكومة كما تتولاهم الآن الامم الراقية في اروبا وامريكا، فيقوم في المساجد حراً لا يخضع لحكم ملك أو أمير ويتربى العلماء بين جدرانها احراراً لا يرقبون الا الله في عملهم ولا يتأثرون بهوى حاكم ولا تلين قناتهم لطاغية أو ظالم، فأراد بنو العباس أن يقضوا على هذا التقليد الكريم ويتولوا بأنفسهم أمر التعليم بين المسلمين، فاخذوا ينشئون له المدارس بدل المساجد، ويحبسون عليها من

(١) الخلافة: ٥١ عند نظرية الحكم والادارة في الإسلام: ١٢٦ نقلاً عن خلافة الرسول بين الشورى والنص: ٤٥، سلسلة المعارف الإسلامية.

واستمر المنصور في تقديم العلماء واحتضانهم ليسندوا له عرشه الذي أصبح مهدداً من خطر الدعوة لأهل البيت وقيام الثورات ضده بعدم الاعتراف له بأهلية الخلافة وهذه حقيقة أثبتها التاريخ في الأسباب التي دعت السلطة لتأسيس المذاهب ودعم أصحابها. وكمثال واحد لذلك فقد قال رشيد رضا صاحب المنار في تفسيره:

وقد عنى الملوك المستبدون بجذب العلماء بسلاسل الذهب والفضة والرتب والمناصب وكان غيرهم أشد انجذاباً، ووضع هؤلاء العلماء الرسميون قاعدة لامرائهم ولأنفسهم هدموا بها القواعد التي قام بها أمر الدين والدنيا في الإسلام، وهي أنه يجوز أن يكون أولياء الأمور فاقدين للشروط الشرعية التي دل على وجوبها واشتراتها الكتاب والسنة وإن صرح بها أئمة الأصول والفقه وقالوا يجوز إذا فقد الحائزون لتلك الشروط.

مثال ذلك أنه يشترط فيهم العلم المعبر عنه بالاجتهاد، وقد صرح هؤلاء بجواز تقليد الجاهل وعدّوه من الضرورة واطلق الكثيرون هذا القول وجرى عليه العمل وذلك من توسيد الأمر إلى غير أهله الذي يقرب خطوب ساعة هلاك الأمة ومن علاماتها ذهاب الأمانة وظهور الخيانة، ولا خيانة أشد من توسيد الأمر إلى الجاهلين.

وقال أيضاً: روى مسلم وابو داود حديث ابن عباس: من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه واعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين^(١).

(١) تفسير المنار ٥: ٢١٥.

وقد اصدر أمراً عاماً يأخذ الناس بالمحنة في كافة أرجاء المملكة الإسلامية، ففي سنة ٢١٨ ذهب المأمون بنفسه إلى دمشق وربما كان في طريقه وهو ذاهب إلى حملته الأخيرة على آسيا الصغرى، وهناك في دمشق اشرف بنفسه على امتحان الفقهاء والعلماء.

كما سارع إسحاق بن إبراهيم إلى بغداد لتنفيذ رغبة المأمون، فاحضر المحدثين والفقهاء والمفتين وانذرهم بالعقوبة الصارمة والعذاب أن لم يقرروا بما طلب منهم وينطقوا بما سئلوا أن ينطقوا به ويحكموا بالحكم الذي ارتآه المأمون من دون تردد أو مراجعة، فنطقوا جميعاً بما طلب منهم واعلنوا اعتناق المذهب . ويعلل ابن كثير أن اجابتهم كانت مصانعة لانهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وضائفه، وأن كان له رزق في بيت المال قطع، وأن كان مفتياً منع من الافتاء، وأن كان شيخ حديث ردع عن الاستماع^(١).

وبعد انقراض الدولة العباسية اعتنق مذهب الحنفية سلاطين الاتراك عندما أرادوا انطباق اسم الخلافة الإسلامية عليهم ولان من شروطها أن يكون الخليفة قرشياً طبقاً للحديث (الخلافة في قریش) والحنفية لا يشترطون هذا الشرط. وأول من تولى الخلافة الإسلامية من غير قریش السلطان سليم الفاتح وصحح الحنفية هذه الخلافة وحثهم أن الخليفة يتولى الخلافة بخمسة حقوق:-

١ - حق السيف.

٢ - حق الانتخاب.

(١) تاريخ ابن كثير ١٠: ٢٧٣.

الاقواق الكثيرة ما يرغب العلماء فيها ويجعل لهم سلطانا عليهم، واخذت الممالك التابعة لهم تأخذ بهذا في سنتهم، حتى صار التعليم خاضعا للحكومات بعد أن كان أمره بيد الرعية وكان لهذا اثره في نفوس العلماء فنزلوا على أرادة الملوك ولم تقو نفوسهم على مخالفتهم في رأيهم أو توجيه شيء من النصح لهم. ثم استمر الأستاذ عبد المتعال في ذكر المدارس التي انشأت ثم ذكر عهد صلاح الدين وما انشأ فيه من المدارس.

ثم قال: وكان صلاح الدين يقصد من هذه المدارس كلها إلى احياء مذهب أهل السنة والقضاء على مذهب الشيعة الفاطميين الذين كانوا يملكون مصر قبله، ورغب الناس فيها بالاقواق التي حبسها عليها، فرغبوا فيها واخذوا في تقليدها وهجروا ما عداها من المذاهب.

وان المأمون قد اشتد في امتحان الناس ولزوم اقرار الفقهاء بما يراه، فجعل يرسل لعامله الكتب وكانت تزداد شدة وعنفا وتهديد وتوعيدا، وكان من نتائج هذا الامتحان أن اجاب جميع الفقهاء لذلك ولم يمتنع منهم إلا نفر قليل .

وكانت الخطوة الأولى التي خطاها المأمون ليضمن انصياع رعيته بالنحلة التي انتحلها والرأي الذي ارتأه أن دعى الفقهاء والمحدثين إلى أن يقولوا بمقالته في خلق القرآن، وكتبه المطولة مقصورة على التوعيد والعزل عن القضاء، وعدم قبول شهادة من لا يتبع رأي الخليفة بلا تعذيب وتنكيل، فهو يحاول الاصلاح بهذه الأمور وأن تعذر عليه فإنه يستعمل القوة.

وارسل نسخة من الكتاب إلى مصر وكان قاضيها يومئذ هارون بن عبد الله الزهري، فاجاب لذلك كما اجاب الشهود المعتمدون، ومن توقف منهم اسقطت عدالته وابطلت شهادته.

على ذلك، فإنهم جبابرة طغاة وظلمة عناة، فلا يصلحون لمركز الولاية على المسلمين وليس لهم كفاءة بصفات الخلافة، ولا قدرة لهم على تنفيذ أحكام الإسلام، فلا تجب طاعتهم بحال، وفي مؤازرتهم ومعاونتهم خروجاً عن أمر الله تعالى ومخالفة صريحة لكتابه حيث يقول: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١) الآية.

٣ - حق الوصاية.

٤ - حماية الحرمين.

٥ - الاحتفاظ بالأمانات وهي المخلفات النبوية المحفوظة في استانة التمدن

الإسلامي.

والخلاصة: لو تتبعنا سيرة الملوك والأمراء بما ألزموا به العلماء وطلابهم والقضاة وغيرهم من الذين ساروا على نهج السلطة وما رسمته لهم لطلال بنا الحديث وخرجنا عن الموضوع . وتعرض المرحوم الشيخ أسد حيدر في كتابه الإمام الصادق والمذاهب الأربعة الشيء الكثير من هذا، ومنه أخذت وعليه اعتمدت.

ولأن عامة الخلفاء من العباسيين وغيرهم مع انغماسهم في الشهوات والترف وارتكاب المحرمات الكبار وعظيم الجرائم فانهم يتظاهرون بخدمة العلماء ورؤساء المذاهب، ويتظاهرون بالزعة الدينية والخلافة الإسلامية، وبهذا تمكنوا من استخدام رجال منهم كوسيلة لتوطيد استبدادهم وذريعة لاختضاع العامة لهم، بأنهم ملزمون شرعا بطاعة السلطان طاعة عمياء ومهما كان تصرفه لا يجوز الاعتراض عليه.

وكان في تلك العصور للعلماء والمحدثين درجات عالية عند الخلفاء.

ومن المؤسف أنا لم نجد من هؤلاء الذين نالوا رضا الملوك والأمراء واختصوا بقربهم - إلا من شذ وندر - أي إنكار أو اعتراض على تلك الجرائم والموبقات كما أمرهم الله ورسوله أو اقل من ذلك بالابتعاد عنهم وعدم مساندتهم حتى لا يستخدموا لمصالحهم الخاصة، فيقيموا منهم جسورا لتحقيق أهدافهم ويستعينوا بهم

منهم ألا يذكروا شيئاً من تصانيفهم ولا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها بل يذكروا كلام الشيوخ السابقين تأديبا معهم وتبركا بهم، فاجاب جمال الدين عبد الرحمن بن الجزوي الحنبلي بالسمع والطاعة، وكذا أيضاً احضروا امام المستعصم واجابوا بالسمع والطاعة ورجعوا عن اعتدادهم بأنفسهم^(١). وبهذا الشكل سارت عوامل انتشار المذاهب مع السياسة جنبا إلى جنب.

وحتى كثر التحول من مذهب إلى مذهب تقرباً للسلطان وطلباً لرفده أو خوفاً من بطشها، فتحول كثير من الشافعية إلى الحنفية لاجل الدنيا، وذلك أن الأمير بلبغا الخاصكي الأمير الكبير صاحب النفوذ والصولة كان يتعصب لمذهب أبي حنيفة ويعطي لمن تحول إليه العطاء الجزيل^(٢).

وهذا أبو بكر البغدادي الحنبلي تحول شافعيًا لاجل الدنيا وولى القضاء، ومثله أبو المظفر سبط بن الجوزي، وغيرهم كثير^(٣).

وان المعز بادبس حمل جميع أهل افريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه، فرجع أهل افريقيا وأهل الاندلس كلهم.

وقال ابن حزم : مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان: -
مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي أبو يوسف كان لا يولي قاضيا إلا من أصحابه والمنتسبين إليه وإلى مذهبه.

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١٧١: ١.

(٢) شذرات الذهب ٦: ٢١٣.

(٣) شذرات الذهب ٥: ٢٦٧.

انتشار المذاهب

وبهذه الأسباب وعوامل الترغيب والترهيب التي اتخذوها أولئك الأمراء وذووا النفوذ والسلطة أخذت هذه المذاهب بين العامة من الصيت والشهرة ما جعلهم متزاحمين على اعتناقها.

وعلى هذا المنوال سارت جماهير المسلمين بدون دليل أو حرية اختيار، واستطاعت المذاهب الأربعة أن تخطوا إلى ساحة الرقي لأنها موضع عناية الخلفاء المتعاقبين والولاة والقضاة بالرغم مما رافقها من خلافات ومنافرات غير أن عناية السلطة تكسب الشيء لونا من الاعتبار والعظمة حسب نظام السياسة، وذلك أن عوامل الترغيب واداة القوة جعلتها تأخذ بالتوسع والانتشار شيئاً فشيئاً ولولا ذلك لما استطاعت البقاء حتى تصبح قادرة على مزاحمة غيرها.

قال المقرئزي: فلما كانت سلطنة الظاهر بيبرس ولى بمصر أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك إلى سنة ٦٦٥ حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة....

وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليها ولم يول قاضي ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب، وافق فقهاء الأمصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها.

وفي سنة ٦٤٥ أحضر مدرسو المدرسة المستنصرية إلى دار الوزير فطلب

فعل الشافعي من قبل حينما انتقل إلى مصر وترك العراق والحجاز فقد غير من مذهبه القديم إلى الجديد وأملى كتاب الأم والرسالة وكما فعل ابن القيم الجوزية^(١). وبهذه النماذج اكتفي عن التفصيل وكما سيوافينا أمثال هذا خلال البحث.

التعصب للمذاهب

ومما يؤسف له إن التعصب للمذاهب بين معتنقيها بلغ حد الغلو والخروج عن تعاليم الإسلام الصحيح، وتغلبت الفكرة القائلة بتحريم تقليد غير المذاهب الأربعة، وتطورت هذه الفكرة بصورة واسعة وازداد نشاطها والسعي إليها، حتى قيل من قلّد غيرها خرج عن الدين الإسلامي وقد تطرق الصادي في حاشيته على تفسير الجلالين إذ يقول ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر لان الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر^(٢)، والأدهى بل الأمر ما كان من نزاع واحتدام بينهم مما أدى إلى معارك دامية أريقت فيها دماء بريئة ونهب أموال وحرق دور ومعاهد علمية واتهام البعض للبعض الآخر وتكفير قوم لآخرين، حتى قال قائل الحنفية لو كان لي من الأمر لأخذت الجزية من الشافعية^(٣) وقال خصمه مثله.

(١) منع الحديث: ٢٣٩.

(٢) حاشية الصادي على تفسير الجلالين ٣: ١٠، ورده جماعة بهذا القول كما في منع تدوين الحديث:

٢٦٧.

(٣) مرآة الجنان قسم ١: ٨: ٤٤.

والثاني مذهب مالك عندنا في الاندلس فإن يحيى ابن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبولا في القضاء فكان لا يولي قاضيا في أقطار الاندلس إلا بمشورته واختياره ولا يسير إلا بأصحابه والناس سراع إلى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم^(١).

وقال شاه ولي الله الدهلوي : وأي مذهب كان أصحابه مشهورين واسند إليهم القضاء والافتاء واشتهرت تصانيفهم في الناس ودرسوا درسا ظاهرا انتشر في أقطار الأرض، وأي مذهب كان أصحابه خاملين ولم يولوا القضاء والافتاء ولم يرغب فيهم الناس اندرس مذهبهم بعد حين^(٢).

وهذا التعليل قد اجمع عليه الكثير من المؤرخين والعلماء حتى شاع بين الناس القول المعروف (الناس على دين ملوكها).

وفي هذه الظاهرة يقول أمير المؤمنين عليه السلام : مالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها... المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم وتعويلهم في المبهمات على آرائهم كأن كل امرئ منهم إمام نفسه^(٣).

وذكرت الدكتورة نادية العمري^(٤) : ومما ثبت أن المتأخرين من الفقهاء قد غيروا كثير من الأحكام التي نقلت عن أئمتهم حين دعت الحاجة إلى التغيير كما

(١) ابن خلكان ٢: ١١٦ ونفح الطيب ٦: ٢٠.

(٢) حجة الله البالغة للدهلوي ١: ١٥١.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٥٦، خطبة: ٨٨.

(٤) في كتابها الاجتهاد في الإسلام: ١٠٤.

في تعصب أهل الجرح والتعديل والتكتم على فضائل أمير المؤمنين فلا حاجة للتكرار . ولأن التعصب هذا قد سيطرت عليه عوامل العاطفة، فحالت بينهم وبين التفكير السليم فيما يكتبون وينقلون، كما أن هناك عوامل أخرى من فرض السلطات لذلك بالقوة والتهديد أو الترغيب والتقريب وكما قيل النفوس مجبولة على حب من احسن إليها.

قال الدكتور تركي: (أما فيما يتعلق بالاستحسان الذي هو طريقة للهرب من القياس لأسباب من التقدير الشخصي، فقد ظهر في القرن الثالث للهجرة على ما ذكره ابن حزم^(١) باحتمالات ضعيفة^(٢)).

كما وقد دفعهم التعصب أو الغلو إلى أنهم إذا وقفوا على آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة تخالف مذهبهم صاروا يؤولونها على غير حقيقتها ويصرفونها عن ظاهرها إلى ما تقرر عندهم من المذاهب والمشارب، وطفقوا يطعنون على من عمل بفحواها الظاهر ومبناها الباهر، كأن الدين - عندهم - هو ما جاء عن آبائهم واسلافهم دون ما جاء عن الله تعالى في كتابه أو عن رسول الله ﷺ^(٣).

والحيل التي وضعها هؤلاء - أبو حنيفة وأصحابه - عمدوا إلى السنن فاحتالوا في نقضها فالذي قيل لهم أنه حرام فاحتالوا فيه حتى احلوه. وقال أيضاً: أنهم يحتالون لنقص سنن رسول الله ﷺ^(٤).

(١) مناظرات في الشريعة الإسلامية: ٣٣٣ نقلًا عن منع الندومي: ٢٣٩.

(٢) الوحدة الإسلامية للسيد رشيد رضا: ٤٥.

(٣) الدين الخالص لصديق حسن: ٣: ٢٦٣.

(٤) طبقات الحنابلة: ١: ١٤٧ وج ٢: ١٥١.

فاصبح كل يحتكر الإيمان بالله والتصديق برسوله ﷺ لأبناء مذهبه وأن
الجنة وقف عليه ولا نصيب لأحد فيها معهم.

وقد اندفع المتطرفون من معتنقي المذاهب لبذل جهدهم في جعل رئيس
مذهبهم هو المؤسس للعلوم والمرجع الأعلى للتشريع، وأن العلم مقصور عليه
والاجتهاد لا يليق إلا به، واستنفذوا كل إمكانياتهم في تصويره بصورة لا تشبهها
صورة، فهو ملك بصورة بشر^(١).

وتمسكوا بأقوال أئمتهم تمسكا جعلهم يقدمونها على كتاب الله وسنة
رسوله^(٢)، فكان يقال لهم : قال رسول الله ﷺ فيقولون: قال فلان^(٣) (أي
رئيس المذهب). ويأنفون أن تنسب إلى أحد من العلماء فضيلة دون إمامهم.

وعلى أي حال فإن تلك الاتجاهات التي سار عليها المتعصبون فيما بينهم.
أما بالنسبة لغيرهم من المذاهب كمذهب أهل البيت وشيعتهم فقد جعلوا منه
فريسة ينتابها كل متهور سخيف، ونسبوا إليهم كل ما يشين، وافتعلوا عليهم أمورا
كثيرة، وخاصة لما ينخص أمير المؤمنين وأهل بيته، فلا تمر فضيلة أو منقبة ولم
يستطيعوا طعنها بجرح أو تضعيف إلا واحتالوا في تأويلها تأويلا باهتا أو
فسروها تفسيرا متهافتا، ولو نظرت بنظرة سطحية إلى أهل الجرح والتعديل أو
بعض المحدثين لرأيت العجب العجاب مما يمجج الذوق العربي السليم من قلب
الألفاظ وتغيير المعنى وإنكار السنن الصحيحة الثابتة. وعرضت لنماذج من ذلك

(١) أبو حنيفة للمحامي السيد عفيف: ٦.

(٢) هم ذوي الأبصار: ٥١.

(٣) توالي التأسيس للحافظ ابن حجر: ٧٦.

حين دعت الحاجة الى التغيير كما فعن الشافعي من قبل حينما انتقل الى مصر وترك العراق والحجاز فقد غير من مذهبه القديم الى الجديد واملى كتاب الأم والرسالة كما فعل ابن القيم الجوزية كما ذكر الذهبي قال ابن الجنيد سمعت يحيى بن معين تحريم النبيذ صحيح ولكن اقف ولا أحرمه فقد شره قوم صالحون بأحاديث صحاح وحرمه قوم صالحون بأحاديث صحاح^(١).

وقد طغى تيار التعصب واستفحل خطر الانقسام والتفوا على صعيد الحقد والخصومة وجعلوا الدين وسيلة للتغلب وطريقا لتأجيج الخصومة فوضعوا أحاديث واختلفوا مناقب ووضعوا بذلك كتبا مليئة بأوهام وخرافات تتعلق بنصرة المذاهب واعلاء كلمتها، والسواد من الأمة تغلبت عليه دعاية العناصر المتداخلة بمعاونة السياسة العمياء. كما سيوافينا خلال البحث امثال هذا كثير.

ومهما كان فقد ارتأيت أن أعرض لكل واحد من رؤساء المذاهب الأربعة نبذة يسيرة من حياته - إذ لا يسع التفصيل ويخرجنا عن الموضوع - لشرح أحوالهم بما يخص تقريب السلطة لهم ومؤازرتهم لها وتنفيذ مهامها واحتضان السلطة لهم واغداقهم بالمال والمناصب العالية لهم ولاتباعهم من قضاة ومحدثين وشيوخ.

(١) سير أعلام النبلاء ١١: ٨٨

وما أكثر الشواهد التي تدل على خلاف ما يذهبون إليه من الإفراط والاندفاع وراء العاطفة والتمسك بأشياء بعيدة عن الصواب فقد كثر الجدل وعظم الخلاف حتى آل بهم التعصب إلى أن أحدهم إذا ورد عليه شيء من الكتاب والسنة على خلاف مذهبه يجتهد في دفعه بكل وسيلة بالتأويلات البعيدة نصرته لمذهبه وقوله^(١).

وجاء عن الاستاذ رشيد رضا قوله من المجازفة في القياس والجرأة على الله القول بنسخ مئات الآيات وإبطال اليقين بالظن وترجيح الاجتهاد على النص^(٢).

وقال الفخر الرازي^(٣) عن أكثر شيوخه في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء وقرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في بعض مسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوها ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إلي كالمتعجب، يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها، ولو تأملت حق التأويل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرية من أهل الدنيا^(٤).

وذكرت الدكتورة نادية العمري في كتابها الاجتهاد في الاسلام: ١٠٤، ومما ثبت ان المتأخرين من الفقهاء قد غيروا كثيراً من الأحكام التي نقلت عن أئمتهم

(١) أبو شامة مختصر المؤمل ١٤: ١٥.

(٢) نقلاً عن منع التدوين: ٢٦٦.

(٣) لم اعثر على هذا القول في تفسير الآية من تفسيره الكبير وربما في موضوع آخر أو في كتبه الأخرى.

(٤) نقلاً عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٣: ١٤٥.

وبهذا يتضح أن هذا الاجتماع هو أول اجتماع بعد ضرب مالك واهانته، ثم أمره أن يضع كتاباً يحمل الناس عليه ويبيته في الأمصار ويأمر الناس بالعمل به وأن لا يقضى بسواه.

فقال مالك: أن أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في علمهم رأينا.

فقال أبو جعفر: يحملون عليه ونضرب عليه هاماتهم بالسيف ونقطع طي ظهورهم بالسياط فعجل بذلك وسيأتي المهدي في العام المقبل وقد فرغت من ذلك. ثم أمر له بألف دينار عينا ذهباً وكسوة عظيمة ثم أمر لابنه بألف دينار^(١). وجاء من بعده المهدي فكانت منزلته في دولته عظيمة، وقد أمره بأن يضع للناس كتباً يحملهم عليه بنفس القوة والارغام كما سبق، وكان يحترمه ويجله غاية الاجلال ويوصله بهدايا جزيلة وعطاء وافر ويقرب مجلسه ويظهر للناس شأنه وعلو منزلته فهابته الناس من أجل هذا.

وطلب المنصور من مالك أن يذهب معه إلى دار السلام وقال له: اذهب معي فلا اقدم عليك أحدا. فقال مالك: إن تكن عزيمة من أمير المؤمنين (يعني شيئاً واجباً) فلا سبيل إلى مخالفته وأن تكن غير ذلك فقد قال رسول الله ﷺ: والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. فقال له المنصور: فلا احمل عليك شيئاً تكرهه ثم أجازته بثلاث صرر كل صرة ألف دينار... الخ.

ودخل مالك بن أنس على المنصور فقال: يا مالك مالي أراك تعتمد على قول ابن عمر دون أصحاب رسول الله... حتى قال: يا مالك عليك بما تعرف أنه الحق عندك ولا تقلدن علياً وابن عباس.

(١) مناقب مالك للزاوي: ٢٥.

أشهر أئمة المذاهب

مالك بن أنس،

مالك بن أنس ولد في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي سنة ٩٣ ووفاته في عهد الرشيد فقد أدرك شطرا من العهد الأموي وشطرا من العهد العباسي، وعاصر منهم السفاح والمنصور والمهدي والهادي وطرفا من عهد الرشيد.

مر مالك في حياته بمرحلتين،

في الأولى اختلف مع السلطة وقيل في أسبابها أقوال عديدة ذكر بعضها في شذرات الذهب.

وقيل أن سبب ضربه بالسياط هو فتواه بما لا يوافق غرض السلطة، وذلك في زمن ولاية جعفر بن سليمان سنة ١٤٦، فإنه جرد مالكا ومده وضربه بالسياط حتى انخلعت كتفاه، وقيل أيضاً أن المنصور قد نهى مالكا عن حديث (ليس على مستكره طلاق) ثم دس إليه من يسأله عنه فحدث به مالك فضربه بالسياط^(١).

وأسباب أخرى لا يهمنا ذكرها ونعرض المرحلة الثانية لحياته:

فقد التقى مالك بالمنصور في السنة التي حج فيها المنصور، على ما يرويه ابن قتيبة أن المنصور كتب إلى مالك أن وافي الموسم في العام القابل ان شاء الله فاني خارج إلى الموسم سنة ١٥٣، ولما دخل عليه مالك اعتذر المنصور إليه مما ناله من الضرب والإهانة.

(١) الانتقاء لابن عبد البر: ٤٣.

ورأى مالك عدم ذكر علي في مقام الفضلين، بل كان يقف بعد عثمان ويقول: هنا يتساوى الناس، فما كان علي كسائر الناس، فهل جهل ذلك الإمام الجليل مناقبه وسابقته في الإسلام وجهاده وحسن بلائه ومقامه من النبي ﷺ، لا تظنه أنه جهل شيئاً من ذلك أو أنكره انما هو يعرف علياً ﷺ ويعرف مقامه ولكنه عند ما يجيب عن المسألة كان يجيب فيما يتعلق بالخلافة والخلفاء ولعل لجوابه بعض المبررات، وأن كنا لا نواقفه في جوابه. (ثم يذكر المبررات لقول مالك) - إلى أن يقول - : وهو في هذا يضرب على نغمه معاوية والأمويين.

ومهما تكن المبررات التي تدفع إلى ذلك الحكم على سيف الإسلام أخي رسول الله وزوج ابنته ومن كانت منه الذرية الطيبة النبوية عليها السلام فإن ذلك الحكم يدل على نزعة أموية^(١).

وجاء دور الرشيد فسار على تلك الخطة التي سار عليها آباؤه، فاحتفظ بمكانة مالك وعظمه غاية التعظيم بما يطول ذكره.

ولما قدم الرشيد المدينة جاء إلى منزل مالك بنفسه فأجلسه مالك على منصته التي كان يجلس عليها، وبعد كلام دار بينهما، نزل الرشيد عن المنصة وجلس بين يديه^(٢).

ومن هذا وذاك وقعت هيئته في نفوس عامة والولاة ورجال الدولة وتلامذته وغيرهم، حتى أنه ليدخل عليه الرجل إلى مجلسه فيلقي السلام فلا يرد عليه أحد إلا همهمة أو إشارة أو يشيرون إليه ان لا يتكلم مهابة واحتراما، ولا يستطيع

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥٦٨، نقلًا عن كتاب الإمام مالك لأبي زهرة ٦٩ و٧١.

(٢) الإمامة والسياسة ٢: ١٩٥.

ويمكن أن تكون كلمة ابن عباس من الزوائد التي الحقت بالعبارة لتبرير موقف المنصور عن النهي عن تقليد علي في الأحكام الشرعية، لأنه بعد أن كان علم علي مفخرة لبني العباس ويجاهرون بفضله وبعلمه (في بدء أمرهم) أصبح عند اشتداد ملكهم وقوة سلطانهم لا يرضون أن يروي أحد عن علي وأهل بيته^(١).

واحتمل أن النهي عن قول ابن عباس ليس كل أقوال ابن عباس لأن الكثير منها عن علي عليه السلام، وكما عرف انقطاع ابن عباس في العلم و التفسير عن علي عليه السلام. فاستجاب مالك للمنصور ووفى بوعدده ولم يروي عن علي عليه السلام في موطأه إلا ثمانية أحاديث.

وله ما يتفرد به في مسألة التفضيل بين علي والخلفاء، وسيأتي الحديث عنه، ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة: أن مالكا عليه السلام يخالف بذلك إمامين آخرين عاصراه أحدهما أسن منه ومات قبله وثانيهما اصغر منه وهو تلميذه الشافعي، فإن أبا حنيفة لا يعد علياً كسائر الناس بل يرفعه إلى مرتبة الراشدين من الخلفاء ويقدمه في الترتيب على عثمان عليه السلام، والشافعي يعلن محبته لعلي ويحكم على خصومه بأنهم بغاة، ويعتمد في استنباط أحكام البغاة على ما كان يفعله علي عليه السلام مع الخارجين عليه والذين بغوا على حكمه حتى لقد اتهم بانه شيعي، وحوسب على ذلك وتعرض للتلف، ولكنه كان يذكر مناقب أبي بكر ويفضله على علي ولذلك لم يكن رافضياً.

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥٠٥.

أسباب انتشار مذهب مالك،

كان الخلفاء من بني العباس - الذين عاصرهم مالك - يعتمدون كل الاعتماد على ما يفتي به مالك وعمومه على ولايتهم في الأقطار حتى حملوا الناس على الأخذ بأقواله ومناديتهم ينادي: (ألا يفتي الناس إلا مالك)^(١).

وكان المنصور يعظمه ويوجه الأنظار إليه ويعلن بأن مالكا هو أعلم الناس كما أن مالكا يعلن بأن المنصور أعلم الناس بالكتاب والسنة. وكذلك المهدي والهادي والرشيد لحظوه بالعناية والتقدير فتوجهت إليه أنظار الناس خاصة بعد محنته، وطلبوا منه وضع كتاب تقرره الدولة ويحملون الناس عليه بالسيف^(٢).

وقد يطول الحديث إذا تعرضنا لعلاقة مالك بالخلفاء والولاة حتى أصبح موضع عنايتهم وأن المنصور يطلب منه مزاملتة للحج ويسميه بركن الإسلام وينوط أمر ولايته به كما أمروا عماهم باستشارته في الأمر وعدم القطع دونه. فالمنصور يقول لمالك: إن رأيت ربيبة من عامل المدينة أو عامل مكة أو أحد عمال الحجاز في ذاتك أو ذات غيرك أو سوء في الرعية فاكتب إلى بذلك أنزل بهم ما يستحقون وقد أكتب إلي عمالي بها أن يسمعوا منك ويطيعون في كل ما تعهد إليهم^(٣) وتقدم صنع الرشيد بمالك.

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٢١٢. المدونة الكبرى ٦: ٤٦٦. تاريخ بغداد ١٠: ٤٣٦.
 (٢) الديباج المذهب لابن فرحون: ٢٥. وشرح الموطأ للزرقاني ١: ٨. مع اختلاف يسير.
 (٣) مالك للخولي: ٣١٨.

أحد أن يستفهمه أو يدنوا منه وكان علي رأسه سودان يأترون بأمره فإذا أشار إليهم بإخراج أحد اخرجوه^(١).

ووصل من المرتبة في الدولة ان لا يسمح بدخول الوالي عليه ويبقى الوالي واقفاً بالباب^(٢)، وهذه صورة واضحة للفرق الشاسع بين العهدين، ففي الأول كما قدمناه نراه مغضوباً عليه ويسحب ويجرد من ثيابه ويضرب خمسين سوطاً ويهان بين الملا، وفي العهد الثاني يتهيب الوالي أن يدخل عليه.

فهذه تعطينا دروساً في معرفة أغراض السلطة وسياستها مع رجال الأمة فلها ألوان من المعاملات لمن تريد أن تستخدمهم لإغراضها.

وقد رعت الدولة مالكاً وقربته إذ وجدت منه عوناً ومؤازرة، فقربوه واحسنوا إليه ورفعوا مجلسه ونشروا علمه واجزلوا له العطاء وأصاب منهم ثروة طائلة، ومع هذا فهم مدينون لمالك في مؤازرته ومعاونته والركون إليهم، حتى بلغ الحال بمالك ان الولاية كانوا يخشون سطوته والحرس يأترون بأمره فيسجن من يريد سجنه وإطلاق من يريد إطلاقه، وكان يحضر عند الوالي فيعرض عليه السجن فيأمر بضرب هذا مائة وهذا مائتين وقطع هذا وصلب ذاك^(٣).

(١) مناقب مالك للراوي: ١٨ والانتقاء لابن عبد البر ١٢: ١٧: ٢٧٥.

(٢) معجم الأدباء.

(٣) مالك بن أنس لامين الخولي: ٣١٩ تقيلاً عن القاضي عياض في الترتيب ١: ٢٧٥.

ويقول المقرئزي: ولما ولي المعز باديس حمل جميع أهل أفريقيا وأهل الأندلس على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه فرجع أهل أفريقيا وأهل الأندلس كلهم إلى مذهبه رغبة فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا^(١). وهكذا يتم نشر المذهب بتلك الاساليب وفي كافة الأقطار الإسلامية وفي كل زمان على تعاقب الولاة والملوك.

وبعد أن ظهر لنا أن القضاء والافتاء في جميع المدن لا يكون إلا لمن تسمى بمذهب مالك فاضطرت العامة إلى احكامهم وفتاواهم فانتشر المذهب هناك وحضى بالقبول لا بحسب مؤهلاته ومقوماته الروحية وإنما سار على حسب نظام القوة التي اخضعت الناس بدون تبصر كما أن انتشاره بالمغرب هو كذلك رغبة بما عند السلطان وخضوعا لما افترضوه على الناس ولم يكن ثبوته مستقلا بروحانيته عن تأثر السلطة التنفيذية فإن دولة (تاشفين) في الأندلس في القرن الخامس وتولي ثانيهم (علي بن يوسف بن تاشفين) فعظم أمر الفقهاء ولم يكن يقرب منه ويحضى عنده إلا من علم مذهب مالك فنفتت في زمنه كتب المذاهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث الرسول ﷺ فلم يكن أحد يعتني بهما كما يعتني بكتب المذهب المالكي... وما ذاك إلا من اختراع السياسة لامور كان الاصلح للامة أن تتخلى السياسة عن التدخل بمثلها إذ من الصعب على الرعية أن تعرف صلاح أمرها مادام مفروضا عليه أمر معين من قبل السلطة وهي تجهل ذلك وبهذه المؤثرات انتشر مذهب مالك بصورة

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥١٩.

ولذلك نرى أن الولاة كانوا يحترمونه غاية الاحترام ويخشونه كخشيتهم من المنصور فعظمت بذلك منزلته وتقرب الناس إليه وازدحموا على بابه كازدحامهم على أبواب الأمراء.

وبهذه القوة والتهديد انتشر مذهب مالك في الحجاز والعراق ومثله في الأندلس ويعود ذلك إلى ثناء مالك على ملك الأندلس عندما سئل عن سيرة الملك فذكر له عنها ما أعجبه فقال مالك: نسأل الله أن يزين حرمنا بملككم فلما بلغ قوله إلى الملك حمل الناس على مذهبه بالقهر^(١) وقد قيل أن سبب انتشار مذهب مالك في الأندلس يعود أمره إلى قوة السلطان فإنه قد حمل أهل مملكته عليه^(٢).

وقد كانوا يعملون بمذهب الاوزاعي وكان يحيى بن يحيى الليثي مقدما مكينا عند السلطان فنشر المذهب هناك إذ جعل إليه تعيين القضاة فلم يول إلا من كان على مذهبه حتى اضطر القضاة الذين كانوا على غير مذهب مالك أن يلتزموا الفتوى به نظرا لالزام السلطة.

فهذا القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة كان يتفقه بمذهب الظاهري ويقضي بمذهب مالك وأصحابه لأنه ألزم بالعمل به من قبل السلطان وقد حمل مذهب مالك في الحجاز فآظهره القاضي إبراهيم المعروف بابن فرحون^(٣).

(١) ميدان الاجتهاد.

(٢) نفع الطيب ٦: ٤٥.

(٣) نيل الابتهاج بهامش الديباج المذهب: ٢٤.

الرأي من أهل العراق حتى ولي أبو يوسف القضاء لثلاثة من الخلفاء في بعض أيام المهدي ثم للهادي ثم للرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله وكان عنده حزيا مكينا لذلك وكانت له اليد الطولا في نشر ذكر أبي حنيفة واعلاء شأنه لما أوتي من قوة السلطة وسلطان القوة^(١).

وهذا من أقوى عوامل انتشار المذهب الحنفي لمكانة أبي يوسف وسلطته التنفيذية يوم ذاك فكان المذهب الحنفي خطوة واسعة في قطع مسافة الشهرة بما لم يسعد به غيره فأبو يوسف هو: تلميذ أبي حنيفة، وقد تربى في نعمه وبتوليته منصب القضاء استطاع نشر المذهب وولي منصب رئاسة القضاء العامة في عهد الرشيد فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلا من أشار به القاضي أبو يوسف^(٢).

وذلك لمكانته ومنزلته عند الرشيد حتى قال الرشيد: يا يعقوب (أبا يوسف) لو جاز لي ادخالك في نسبي ومشاركتك في الخلافة المفضية إلي لكنت حقيقا به وذكره بموقف له وساعده به قبل خلافته فكان الرشيد يشكر له ذلك وحتى قيل لم يتمكن أحد كتمكن أبو يوسف من الرشيد.

وقال بشر المريسي: ما اشتهيت من مراتب السلطان إلا مرتبة رأيت أبا يوسف بلغها عشية من العشايا.

وقال أحمد بن يوسف الكاتب: وبلغ أبو يوسف مع الرشيد مبلغا لم يبلغه عالم

(١) الانتقاء: ٦، تقرأ عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١: ٢٨٠.

(٢) نفع الطيب ٦: ٢٠. ابن خلكان ٢: ١١٦.

هائلة كزميله المذهب الحنفي.

وذكر أن السبب لهذه السياسة وتقريب مالك بن أنس والطلب من مالك أن يضع الموطأ بقوله: (ضعه فما أحد أعلم منك) ^(١) ولأسباب أخرى أنه كان خوفاً من ازدياد نفوذ الإمام الصادق سياسياً وعلمياً إذا كان اجتماع أربعة آلاف راو عنده كل يوم يأخذون عنه العلم لم يكن بالشيء السهل على الخليفة، وأن تقوية هذه الحلقة تعني تضعيف المخطط الحكومي والسياسة العامة للبلاد ^(٢).

المذهب الحنفي،

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي من أهل كابل أو من أهل نسا وكان اسمه عتيق بن زوطره وكان أبوه عبداً مملوكاً لرجل من ربيعة من بني تميم بن ثعلبة من فخذ يقال لهم: بني قفل. ولد سنة ٨٠ في نسا وتوفي سنة ١٥٠ في بغداد وقيل غير ذلك ولما كان في بدء دعوة بني العباس النصر للعلويين ويطالبون بثارات قتلاهم لانهم أبناء عموماتهم واستنكار الطغيان بني أمية وظلمهم وبخالفتهم للدين وقد حاولوا أن يظهرها بصيغة دينية لدولتهم ونظام الإسلام دستوراً تسير الدولة عليه وكل هذا قبل أن يحكموا السيطرة على البلاد فقبوا العلماء واتصلوا بهم اتصالاً وثيقاً فبدلوا لهم كل ما في وسعهم من مال كثير وجوائز ومناصب عالية وتقدم تفصيل ذلك.

ولما جعلوا القضاء والافتاء بيد من مال إليهم وتقرب لهم وسايرهم من أهل

(١) الأئمة الأربعة (الشرباصي): ٩٢. الإسلام بلا مذاهب: ٤١٥. الأئمة الأربعة لشكعة: ٤١٢.

(٢) مالك بن أنس (الخولي). نقلاً عن ضوء النبي المدخل: ٣٥٥.

وانتشاره في العصور المتأخرة وناهيك بما للاتراك من قوة في الدولة وقسوة في الحكم واستبداد في الأمور وقد ناصروه بكل حول وقوة وكان انتصارهم لطمعهم في الخلافة فإن السلطان سليم طمع في الخلافة الإسلامية وتسمى بخليفة المسلمين وأمير المؤمنين تمويها للرأي العام واغراء للبسطاء وانتشار سلطانه ولما أن الخلافة لا تكون إلا لقريش باتفاق المذاهب كما في الحديث باستثناء المذهب الحنفي فإنه جوز أن يتولى الخلافة غير قريش وهو كذلك فحمل الناس على اعتناق هذا المذهب بالقوه والإكراه وابتدعوا شروطا للخلافة تقدم ذكرها.

المذهب الشافعي،

الشافعي هو: محمد بن إدريس ولد سنة ١٥٠ وتوفي ٢٠٤ بمصر ولما اشتهر مالك بن أنس في المدينة وشاع ذكره فتاقت نفس الشافعي إلى الهجرة إلى المدينة طلبا للعلم والحضور عند مالك فأخذ وصيه من والي مكة إلى والي المدينة يطلب منه إيصال الشافعي إلى مالك وتقدم ذكرها في ترجمة مالك واتصل به وأخذ عنه وقرأ الموطأ.

ولما اتصل بمالك اتسعت حاله بواسطته لأنه كان يرعاه ويقوم بشؤونه فلما توفي مالك سنة ١٧٩ فاتفق أن وإلى اليمن قدم المدينة فكلمه بعض القرشيين في أن يصحبه فاخذه الوالي معه واستعمله في أعمال كثيرة^(١).

وباختصار فقد حمل الشافعي إلى بغداد بتهمة المخالفة للدولة أو الانضمام لجانب العلويين بتلفيق من الوالي الذي اختلف معه وتعرض بتلك التهمة إلى خطر

(١) مناقب الفخر الرازي: ١٠.

يعلمه ولا محبوب بمرتبتته (١).

وقد مر قول ابن حزم (٢): مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل أفريقيا فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه الخ...

فقد توضح لنا من هذا للحكومات دخلا في نصرة المذاهب وانتشارها وأن الحكومة إذا كانت قوية وأيدت مذهباً تبعه الناس بالتقليد وظل سائداً إلى أن تزول الدولة وأن انتشارها والاقبال عليها لا يدل على قوتها الروحية وعواملها الذاتية فقد رأينا أن قوة الدعاية وتدخل السلطة من أقوى العوامل لنشر المذهب وقد رأينا المذهب الحنفي هو أكثر المذاهب انتشاراً وأعظمها اقبالاً لقوة أنصاره وكثرة دعواته في البداية والنهاية.

إذ كانت نواة شهرته من غرس أبي يوسف قاضي قضاة الدولة العباسية فهو ناشر المذهب وقد كان أبو يوسف وجيهاً في الدولة مقبولاً عند الخلفاء الذين عاصروهم فكان لا يولي قاضياً إلا من انتسب لمدرسة أبي حنيفة.

واستمر القضاء في نشر المذهب في جميع الأقطار مستمدين قوتهم من السلطة التنفيذية حتى أصبح مذهب أبي حنيفة هو المذهب الرسمي للدولة. ولما اعتنق الاتراك وسلاطين بني عثمان لمذهب أبي حنيفة اثر في قوته

(١) خطط المقرئزي ٤: ١٤٤.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، نقلاً عن المكافاة (ابن الداية): ٦٢، ٦٤، ١١٦، ١٧٣.

والذي يظهر أن سبب اغتياله هو اختلافه مع استاذه في بعض المسائل ولم يحدثنا مترجموه أنه اعترض على سياسة الدولة أو على أحد عمالها أو الولاة الطغاة مع تلك المنزلة وهو يسمع بجرائمهم ويرى المنكرات والظلم مع الرعية، والاستبداد في الأحكام لمخالفة الكتاب وتغيير السنة بل العكس في مؤازرتهم ومساندتهم وقد جاء عن تلميذه حرمله أنه قال: - أي الشافعي - كل شيء غلب على الخلافة بالسيف واجتمع عليه الناس فهو خليفة.

وكان يرى أن الإمامة في قريش ولا يشترط في البيعة ولم يشترط الهاشمية كما اشترطها غيره.

وبهذا وغيره والسكوت على الطغاة بكل ما قالوا أو فعلوا نجد المؤازرة له من قبلهم في حياته وتعظيم شأنه وتقريب تلامذته.

وبعد وفاته جاءت الدولة الايوبية وكان ملوكها شافعية فنصروا مذهب الشافعي وقربوا اتباعه واشادوا بذكره وبنوا لهم المدارس واجروا الموقوفات الكثيرة والمخصصات الشهرية والمنح الجزيلة فأقبل الناس عليه.

وجاء عن إمام الحرمين وابن السمعاني والكنيا الهراسي وغيرهم قالوا لتلامذتهم: يجب عليكم التقيد بمذهب إمامكم الشافعي ولا عذر لكم عند الله في العدول عنه^(١) وقد اتهم الشافعي بالرفض لأسباب عرضنا في اتهام الرواة فلا حاجة للاعادة.

(١) ميزان الشعراي ١: ٤٠.

شديد ولكنه دافع عن نفسه وتوسط له الفضل بن الربيع وتشفع له فنجا هو ومن معه في قصة طويلة.

وذكرها ابن عبد البر^(١) وقال في آخرها: فكانت النتيجة أن عفى الرشيد عن الجميع وأمر لهم بمجازة.

كما ذكرها صاحب الحلية^(٢) وغيره قال في آخرها: وذكر الشافعي كلاما استحسنته الرشيد وطلب اعادته وقال له: كثر الله في أهل بيتي مثلك.

وذهب الشافعي إلى مصر سنة ١٩٨ ونزل بالفسطاط ضيفا كريما على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فآكرم مثواه وآزره وكانت لمحمد بن عبد الله مكانة في مصر ورياسة علمية وكان أهل مصر لا يعدلون به أحد وتأكد بينه وبين الشافعي مودة وإخاء وقام في معاونة الشافعي ومؤازرته ونشر علمه وكان قدوم الشافعي إلى مصر في صحبة الوالي من قبل المأمون وهو العباس بن موسى فلقى هناك اقبالا من المالكية لأنه من أشهر تلامذة مالك بن أنس وهو السبب في رفع شأنه ومنزلته وكان يقول: هذا قول استاذنا (يعني مالك).

ولما استقل بأرائه وتمهدت له الأمور وضع الكتب في الرد على مالك ببعض المسائل الفقهية والحديث عنها يطول.

فتنكر له المالكية وعارضوه وأرادوا إخراجه من مصر حتى اغتالوه فمات بسبب ضربه على رأسه سنة ٢٠٤.

(١) الانتقاء: ٩٦.

(٢) حلية الأولياء: ٩: ٨٥.

تفتيش^(١) فلم يجدوا ما يدل على ذلك.

ولم تكن عناية المتوكل هذه لدافع ديني أو تقدير علمي فقد عرف المتوكل أنه أبعد الناس عن تعاليم الدين واشتهر بالخمير والمجون ولكنها أمور سياسية دعت لذلك وظروف خاصة اقتضت التظاهر بهذه المودة والتقرب للعلماء ولاجل مسابرتهم لمركب الدولة وتنفيذ ما تريده منهم فتستخدمهم لذلك وإذا لحظنا ذلك فنجد أنه عندما خالف رأي الدولة مخالفة عادية امتحن ونكل به من أجل مسألة عقائدية لا تظر بسياسة الدولة وكيانها وكذلك من أجل وشاية من مغرض فتشوا داره بكل دقة حتى نزلوا إلى البئر وبعد التأكد اتحد الرأي وتغير الوضع فلم يكن من أمر أحمد ما يخشى منه على الدولة بل كان مؤيدا لموقفها ويشد أزرها ويتمثل أمرها في السر والعلن.

وقد كشف لنا الرجل بمسابرتة لتلك الدولة المستبدة الظالمة التي تولت نشر مذهبه وفرضته على الأمة في قوله في أحد رسائله والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به من غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين والغزو ماضي مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضي ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة من دفعها إليهم أجزاء عنه برا كان أو فاجرا وصلاة الجمعة خلفه وخلف كل ولي جائزة إمامته ومن أعادها فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة ليس له من فضل الجماعة شيء إذ لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم فالسنة أن تصلي

(١) مناقب أحمد (ابن الجوزي): ٣٦.

أحمد بن حنبل المتولد سنة ١٦٤هـ.

وان أحمد بن حنبل كان أول تلقيه العلم على يد القاضي أبي يوسف وقال:
أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف (١).

وباختصار فإن الإمام أحمد بن حنبل ممن حظى بعناية الدولة كسائر زملائه
من رؤساء المذاهب وشملت رعايتها بكل تقدير واجلال حتى أصبحت له عندهم
المنزلة السامية وظهر اتباعه بمظهر العظمة فكان المتوكل يصله بصلات سنوية
ويعطف عليه وعين له في كل شهر أربعة آلاف درهم (٢).

وطلبه إلى سامراء ليقترب منه فامتنع أحمد ولكنه أجبر على الموافقة فكان
المتوكل يوصي الأمراء باحترام أحمد وتقديره ولما مرض أحمد كان المتوكل يبعث
إليه برسله يستعلم اخباره ويسأل عن حاله.

وكان المتوكل يعظم أحمد ويحبه ويشيد في ذكره ويصله بهدايا حتى بلغ الحال
أنه كان يستشيره في تعيين القضاة الخ... (٣).

وكان الأمراء يدخلون عليه ويبلغونه سلام الخليفة ولا يدخلون عليه حتى
ينزعون ما عليهم من الزينة وقد بلغ من تقدير المتوكل لأحمد واحترامه أنه أصبح
لا يسمع عليه وشاية ولا يصغ لقول خصم فيه إلا الاتهام بالميل للعلويين فإن
المتوكل كان يأخذ في ذلك على الظنة والتهمة وقد تمكن الوشاة أن يبلغوا المتوكل
عن أحمد بالميل للعلويين وأنه يبيع لرجل منهم سراً فكبست داره وفتشت ادق

(١) العلل (أحمد بن حنبل) ١: ٤٧. تاريخ بغداد ١٤: ٢٦١. مناقب أحمد لابن الجوزي: ٣٦.

(٢) البداية والنهاية ١٠: ٣٣٧، ٣٤٨.

(٣) المنتظم ٥: ٥٧. البداية والنهاية ١٠: ٣٤٨.

المذهب الجعفري: مذهب أهل البيت عليهم السلام

وارتأيت من الأنسب أن أعرض للمذهب الجعفري بنماذج مختصرة إسوة بالمذاهب الأربعة المتقدمة فإن المذهب الجعفري هو مذهب أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وهو أقدم المذاهب الإسلامية نشأة وأقواها عاملا إذ يستمد تعاليمه من ينبوع الإسلام الذي لا ينضب القرآن الكريم وسنة نبيه خاتم الأنبياء المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي غرس بذرته الأولى ووجه الناس إليه بتعاليمه وارشاداته وتمسك به في حياته جمع من صحابته فقاموا بنشره امثال أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد الكندي وحجر بن عدي وعمار بن ياسر وابن عباس وغيرهم كثير...

ولم يزل غارسها يتعاهدها بين حين وآخر وينص عليها في حديث تلو حديث وسأعرض لمزيد التفصيل لشيعة علي عليه السلام واتباعه عند ذكر الآية: ﴿أَوْلَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١).

حتى ثبتت قوائمها ونمت أغصانه ثم اثمرت بعد أن التحق صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى ويتعاهدها أهل بيته وخلص أصحابه وقاموا بكل ما يجب عليهم من رعاية لشجرة النبوة وتحملوا من أجلها من نكبات واضطهاد وقتل وتشريد في سبيل حفظها من السلطات المتعاقبة التي كانت تحاول القضاء على نحو شيعة علي واتباعه وذكر آل محمد عليهم السلام.

(١) البينة: ٧.

معهم ركعتين وتدين بانها تامة لا يكن في صدرك شدة ومن خرج على الإمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه واقروا له بالخلافة بأي وجه بالرضا والغلبة فقد شق عصا المسلمين وخالف الاثار عن رسول الله ﷺ فان مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية^(١).

وبعد وقعة المعتزلة ومنح العلماء جوائز أما الإمام أحمد فقد علت منزلته عند المتوكل وقربه إليه وطلب منه أن يتولى تعليم ولي العهد كما كان يتعاهده بالاكرام ويشيد بذكره ويتشوق لرؤيته وطلب أن يزوره في عاصمة ملكه وبحتمية الأمر وعند لمس الناس هذه الأمور من مسؤولي الدولة عامة والعطف والتقريب من المتوكل الذي عرف بقسوة القلب والظلم والاستبداد وسفك الدماء والانهماك في الشهوات فقد انهال الناس على أحمد بن حنبل وازدحموا على بابته وتهافت رجال الدولة واعيانها عليه فكان الطريق إلى بيته مزدحما بالناس واذا سار في الطريق احتشدوا خلفه وتحدثوا في الاندية والمجتمعات عن عظمته وعلو مكانته ويأتي بعضهم إليه بالمنامات المبشرة والكرامات العجيبة وغيرها.

وباختصار فلا بد لمن بلغ هذه المنزلة الرفيعة والمكانة السامية أن يقول كلمة الحق عند السلطان الجائر كما هو شأن العلماء الذين يخشون الله وحسابه وجاء عن محمد أبو زهرة قال: لم يؤثر عنه - أي أحمد - أنه عمد إلى دعوة الأمراء والحكام إلى الامتناع عن الظلم وإلى توجيههم إلى إقامة السنة.

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي: ٧٥ كما ذكر بعض فقرات الرسالة في الأحكام السلطانية للقراء: ٢٠ ومأثر الاناقة: ١: ٥٨ وشرح المقاصد ص ٢٣٣ وذكر بعض فقراته في المذاهب الإسلامية: ١٥٥ قوله ثبت عن الإمام أحمد أنه قال: (بلزوم الصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه عدل أو جور، ولا يُخرج على الأمراء بالسيف وأن جاروا).

وهكذا يستمر المشوار من التابعين وتابعيهم أمام تلك التيارات المنحرفة بوقفة إخلاص وإيمان وثبات وصمود على مبدأ الحق حتى أفرعت أغصان شجرة النبوة وأينع ثمرها بحفيد النبي ووارث علمه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حتى اشتهر المذهب باسمه وسمي بـ (المذهب الجعفري).

وتمر الأيام وتتعاقب الأدوار ويأتي العهد العباسي ومذهب أهل البيت أو (الشيعة) أيضاً يلاقون أنواع الأذى ويخوضون غمار الحرب ويواجهون المصاعب ويتجرعون من ولاة الأمر الجدد ضروب المحن بأكثر من العهد المباد للسبب نفسه، نصرة آل محمد ونشر مذهبهم.

وما دفعهم إلى تحمل ذلك إلا حبهم لآل محمد عليهم السلام والتمسك بهم وامتثالهم لأمر النبي صلى الله عليه وآله في المحافظة عليه ووصاياه الكثيرة باتباعهم وسنعرض لتلك الوصايا في ذكر آل محمد عليهم السلام وسيأتي انشاء الله.

ولما أن الشيعة تقول بالإمامة وهي من أركان الإسلام بانه منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه فالنبي مبلغ عن الله سبحانه والإمام مبلغ عن النبي وسيأتي بيانه في تفصيل حول الإمامة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١)

وما قام به بنو أمية في طيلة العهدين السفياي والمرواني بالسب والشتيم
 لاهل البيت والتجاهر بلعن أمير المؤمنين على منابرهم في خطب يوم الجمعة
 وفرضوه على الكبار وعلموه للصغار في المكاتب وأوصوا به حتى لخدمهم
 وغلمانهم وألزموا به الولاة والعمال في كافة الأقطار حتى صار عندهم سنة ملزمة
 وسيرة متبعة يتوارثونها جيلا بعد جيل وأثبت ذلك عامة المؤرخين وأصحاب
 السير وغيرهم مما لا مجال لإنكاره أو تأويله وقد قدمنا أمثلة كثيرة من هذا فلا
 حاجة للتكرار.

وعلى أي حال فإن اتجاه الأمويين في سياستهم هذه قد توجهوا بها كثيراً من
 الناس في طريق الإنحراف عن تعاليم الرسول وسنته المباركة وهم بذلك كانوا
 يحاولون القضاء على مآثر أهل البيت وإبعاد الناس عنهم فلا يسمحون لأحد أن
 يذكر علياً وأهل بيته بخير أو يروي في فضلهم شيء ومن خالف عوقب بأشد
 العقاب وهدموا عليه داره وسلبوا أمواله أو شردوه في الصحاري والقفار أو طمروه
 في السجون المظلمة كما مر.

وخلص البقية من ذلك بعض أصحاب الرسول والتابعين لهم فنشروا تلك
 الدعوة في الصدر الأول وما بعده وتحملوا ما يعلمه إلا الله.

وتداولت الأيام وأصبح في نظر السلطات المتعاقبة خارجا عن الإسلام
 مفارقا لجماعتهم معارضا لسياستهم وبالرغم من كل هذا فقد ثبتوا على أخذ
 تعاليم الرسول وأحكام الإسلام من طريق أهل البيت لانهم عدل القرآن الذي لا
 يأتيه الباطل والتمسك بهم من دعائم الإيمان وفي أتباعهم الهدى وهم كسفينة نوح
 من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى.

ونبذوا الفرقة فلم تسمح الأدلة بمخالفتهم وترك أقوالهم أو الأخذ عن غيرهم. ووجد الناس فيهم أئمة هدى ودعاة إصلاح لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه وهم العترة الطاهرة يتجدد ذكرهم في كل زمن ويقفوا أثرهم في كل قوم ومكان طالما تحرر الفكر من التعصب الأعمى والتقليد المقيت.

ولم يكن المذهب الجعفري كغيره في تطور نشأته وعوامل انتشاره أن يتلقى تشجيعا من دولة أو تأييدا من سلطه وبقية آرائه ومعتقداته في الأصول والفروع وغيرها أقوى من أن تلين للسياسة وتدخلات الولاة والأمراء حتى امتاز باستقلاله عن المقومات المادية ومؤازرة السلطة واستطاع بمؤهلاته الذاتية إخضاع الزمن واجتياز العقبات التي تقف في طريق نشره.

ولولا فيض من القدسية في مبادئه وقوة روحية في تعاليمه وعناية منه سبحانه قبل كل شيء ورحمة بهذا الخلق لفضت عليه السلطات الجائرة طيلة القرون الماضية ولكن ذهبت والحمد لله تلك المحاولات إدراج الرياح ولم تؤثر على صفوه بالتعليم الاستعماري بما فرض على غيره من العلماء لما كان يغلق عليهم باب الاجتهاد الذي هو من مقترحات الدولة وتشريع السياسة ولم يخضع لذلك النظام المستبد الذي يقضي مؤداه إلى الجمود الفكري وتحجير العقل ورد نعمة الله بما وهب للإنسان.

ومن الواضحات التي لا نقاش فيها أن عدم الالتزام بما تفرضه الدولة هو خروج عن الطاعة وذلك يستوجب العقاب والمقاومة وقد عرف معتنقوا مذهب أهل البيت: بأنهم لا يرون لزوم طاعة أولئك الحكام الذين تربعوا على عروش الخلافة الإسلامية بالقهر والإكراه وانحرفوا عن مفاهيم الإسلام.

والشيعة تعتقد أن تلك المنزلة لم تحصل إلا لعلي عليه السلام وولده والإمامة متسلسلة في اثني عشر إماماً منهم كما أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك وسيأتي الحديث في الوصية.

وختلاصة القول:

ان تمسك الشيعة بمذهب أهل البيت لا لتحزب أو تعصب ولكن الادلة الشرعية أخذت باعناقهم وألزمتهم بذلك ولحكم النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة وتعبدت بسنة سيد المرسلين وآله المنتجبين^(١).

وللحق أقول واعترف لو وجدوا طريقاً مرضياً وحكماً مرعياً للأخذ به عن غيرهم لا تبعوه وناصروه ولم يتحملوا تلك المحن في سبيل أتباعهم ولكن لا طريق لذلك بل وجدوا الحق معهم والحق أحق أن يتبع و(علي مع الحق والحق مع علي) ولأنهم: كانوا يمثلون الرسول في خلقه وهديه وورعه وزهده ووراث علمه وهو مستودع موارد الأنبياء وهم عدل القرآن متكاتفين معه سواء بسواء ويسيروا معه جنباً لجنب يمثلون أمره ويسارعون إلى تنفيذه واطلعوا على أسرار أحكامه ودقائق أطواره وكما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتواتر: ((خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنها لن يفترقا حتى يردها علي الحوض))^(٢) وقد بذلوا جهدهم في هداية الناس والنصح لم يرشدوهم إلى طريق الهداية والسعادة وقد نشروا العلم وقاوموا الجهل وحكموا بالعدل ونهوا عن الظلم وأمروا بالوحدة

(١) مختصراً من قول للإمام شرف الدين في مراجعته: ٦١.

(٢) كل جملة جاءت بهذا القول ستأتي خلال البحث في حديث خاص.

وقد فرضت السلطة عليهم تلك الافتعالات بقوة قاهر لا يستطيعون لها دفعا ولا يجدون من الإذعان لها سبيلا والناس مع القوة عند ضعف الإيمان ولكن الحق لا بد أن يظهر مهما طال الزمن وادهمت الخطوب. ربنا أحكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

ليس من السهل لكاتب أن يحيط بشخصية الإمام الصادق بوريقات يكتبها عنه ويعرض له وهو أول شخصية برزت في عصره علمية ودينية واجتماعية وما كتبه عنه طلاب مدرسته الذين بلغ عددهم أربعة آلاف وافتخروا بالأخذ عنه مثل أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم حتى اعترف الإمام أبو حنيفة في قوله المشهور: (لولا السنن ان هلك النعمان) ^(١) يقصد الفترة التي أخذ بها من الإمام عليه السلام وما كتب عنه في مشاكل عصره مع تعميم الدولة الأموية والعباسية معا فلا يكاد يخلو تاريخ لم يكتب عنه بجمل الثناء والإطراء أو محدث يعرض له بالحديث عن العلوم وتطورها في حياته أو صاحب سيره ويسرد ما عاناه من نكبات واضطهاد والقيام ضده بما عرف عنه أنه زعيم الأسرة العلوية وقد تخصصت كتب مستقلة لهذه الشخصية وتناولوا جوانب من حياته ومن أهم ما كتب عنه المرحوم الشيخ أسد حيدر في موسوعته القيمة (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) في ستة أجزاء واعتذر عن الإحاطة بما تستحقه تلك الشخصية الفريدة كما لا يسعني في هذه العجالة أن أكتب عنه بما يتناسب وشخصيته أو الظروف التي أحاطت به غير أن

(١) المراجعات: ١٥. جوامع الجامع ١: ١٩٣. التحفة الاثنا عشرية: ٨.

وتظاهروا بالفسق والفجور وتجاهروا بالظلم والاستبداد فلا يمكن والحالة هذه أن يؤازروهم أو يتعاونوا معهم أو يسيروا بسيرتهم اقتداء بأئمتهم واتباعاً لأوامر الرسول في مقاطعة الظلمة وحرمة سبحانه المعاونة معهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُرْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١).

ومن الواضح أيضاً أن الطبقة الحاكمة تعد من لا يؤازرها أو يتعاون معها خصماً يجب القضاء عليه لأن عدم التعاون مع الدولة هو عدم الاعتراف باهليتها للحكم وانتقاد لسيرتها وكسر شوكتها.

ولذلك اتجهت قوة السلطة لمعارضة مذهب أهل البيت واتهام أتباعه بسوء العقيدة تارة والخروج عن الإسلام أحياناً وسلكوا في تحقيق ذلك كل الحيل الخداعة واسندوا لهم ما ليس من عقائدهم بتهم باطلة وأقاويل كاذبة وأكدوا على الوعاض في المساجد والخطباء على منابرهم والقصاص في مجالسهم من المرتزقة الذين يطلبون ود السلطان والتقرب إليه وصلة الملوك وجوائزهم ليقوموا بكل ما يأمرونهم بمخالفة الحق واتهام الشيعة بأنهم يكفرون جميع الصحابة وأنهم لا يعملون بالقرآن وأنهم وأنهم ...

كما ألزموهم أن يذكروا ذلك محفوفاً بشواهد وأمثلة يتقبلها السذج وعوام الناس البسطاء حتى تمكنت في نفوس البعض ولهجت بها ألسنتهم ودارت في محافلهم كأنها حقيقة لا تقبل الجدل أو النقاش وبدون تفكير وتدبر وانتشرت في ذلك المجتمع السائر في ركاب الدولة واتهامهم بكل ما يشين. واني لذلك المجتمع وبتلك الظروف أن يظفروا بالتفكير الحر وتحكيم العقل.

وطغت فيه موجة الاحن والاحقاد وتلاطمت فيه امواج الظلم والارهاب. وتقرب الناس إلى ولاية الأمر بالوشايات والاتهامات فلا حرمة للنفوس ولا قيمة للدين ولا نظام يشمل الرعية بل هي فوضى والأمراء يحكمون بما شاءوا والرعية بين أيديهم العبوة لاغراضهم وكل هذه الادوار شاهدها الإمام الصادق وهو يعيش وأهل بيته بتلك الدائرة الضيقة محاطا بالرقابة لتلك الاتهامات التي يحوكها ضده المتقربون لخصوم آل محمد ﷺ وهو يرى بين آونة وأخرى مصرع جده الإمام زين العابدين مسموما وكذلك أبيه الإمام الباقر عليه السلام أيضاً مسموما ومصارع زعماء الشيعة وسجن الآخرين ومطاردة السلطة لبقيت السيف منهم وكان يطرق سمعه مدة تسعة عشر سنة شتم جده أمير المؤمنين على المنابر وكان يرى من بعض ولاية المدينة يجمع العلويين يوم الجمعة قريبا من المنبر يسمعون شتم أمير المؤمنين عليه السلام.

فكانت نشأة الإمام نشأة خشونة وملاقة مصائب وخوض غمرات محن وبلاء من ولاية أضعوا الحق وظلموا الأمة واتبعوا شهواتهم وأعلنوا العداء لآل محمد ومع هذا كله فإنه كان لا يمتنع من الجهر بالحق وإرشاد الناس وتحذيرهم من أولئك الظلمة وكان ينهى عن المرافعة إليهم والاختلاط بهم واعانتهم في شيء والتولي لهم وقبول أي عمل منهم إذ لا يصلحون لمركز الولاية على المسلمين وليس لهم كفاءة صفات الخلافة ولا قدرة لهم على تنفيذ أحكام الإسلام فهم لا يصلحون للولاية ولا تجب طاعتهم بحال وأن في مؤازرتهم والمعاونة لهم خروجاً عن أمر الله ومخالفه لكتابه: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١).

الحديث جرنى لعرض صوراً موجزة عن أئمة المذاهب الأربعة فتعرضت له بنماذج أسوة بهم.

ولادته ونشأته عليه السلام.

ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في سنة ٨٣هـ ونشأ في بيت النبوة وترعرع في ربوع الوحي وتربى بين جده الإمام زين العابدين وأبيه الإمام الباقر عليه السلام فأقام مع جده زين العابدين اثنتي عشرة سنة وقيل خمسة عشر وأخذ عنه وتربى في مدرسته وهو زين العابدين وسيد أهل البيت في عصره وبعد وفاته تفرد بتربيته أبوه الباقر عليه السلام فنشأ الإمام تلك النشأة الصالحة وهو خليفة أبيه والمتحمل لآعباء الإمامة من بعده وعاشر أباه بعد وفاة جده تسعة عشر سنة وأدرك الإمام الصادق عليه السلام من الحكم الأموي ثلاث سنين من خلافة عبد الملك وتسع سنين وثمانية أشهر من خلافة الوليد بن عبد الملك وثلاث سنين وثلاثة أشهر من خلافة سليمان وستين وخمسة أشهر عمر بن عبد العزيز وأربع سنوات وشهر من خلافة يزيد بن عبد الملك وعشرين سنة من خلافة هشام بن عبد الملك وسنة واحدة من خلافة الوليد بن يزيد وستة أشهر من خلافة يزيد بن الوليد وبعده لم يبقى خليفة أموي بعينه لكثرة الاضطرابات حتى زال ملكهم سنة ١٣٢هـ.

وقد نشأ الإمام الصادق عليه السلام في وسط مجتمع لا يتصل بآل البيت: إلا من طريق الحذر أو التكتّم لشدة المراقبة التي تحوط بهم من السلطة الأموية وشاهد طلاب العلم يتصلون بمدرسة جده وأبيه وهم بأشد حذر ومن عرف في ذلك فانما مصيره القبر أو ظلمة السجن.

ونشأ الإمام الصادق في عهد تتنازع فيه الأهواء وتضطرب فيه الأفكار

الدعاة لهذه الفكرة وحصول خلاف بين الأمويين أنفسهم اضطربت الدولة ودب في جسمها الضعف وأحاطت بها عوامل الانهيار فكانت فترة سعيدة ولكنها مؤلمة في الوقت نفسه إذ كان الإمام يرى ما يصيب الدين الإسلامي من وهن وتشويه وانتهاك فانبرى لفتح أبواب مدرسته وليقوم بما يجب عليه من توجيهه الناس وبث الأحكام وتعاليم الدين فهو بين شيخوخة الدولة الأموية وطفولة الدولة العباسية.

وكان بيته عليه السلام في تلك الفترة كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء والكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام فكان يحضر مجلس درسه في اغلب الأوقات ألفان وبعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين ^(١).

وكان يؤم مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية لرفع الرقابة وعدم الحذر بعض الوقت فارسلت الكوفة والبصرة وواسط الحجاز إلى جعفر بن محمد افلاذ اكبادها ومن كل قبيلة ^(٢).

ونقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة واعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريح ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السجستاني وغيرهم وعدوا أخذهم منه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها ^(٣).

(١) مجلة رسالة الإسلام العدد: ٣، سنة ٦.

(٢) كتاب جعفر بن محمد.

(٣) الموسوعة الفقهية الميسرة ١: ٣٥، نقلا عن مطالب السؤل.

وذكر المزي في ترجمة الإمام الصادق: ٥: ٧٥ تلامذته وعدمهم وهم: سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وسفيان الثوري والنعمان بن ثابت (أبو حنيفة) وسلمان بن بلال وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن ميمون إلى آخرهم.

وقد صحح عنه عليه السلام انه قال: لأصحابه (ما احب أن اعقد لهم عقد أو وكيت لهم وكاء ولا مدة بقلم أن الظلمة واعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد).

وكان عليه السلام ينهى عن المرافعة إلى حكاهم ولا يرى لزوم ما يقضون به لأن حكمهم غير جائز كما كان عليه السلام يشتد على العلماء الذين يسيرون في ركاب الدولة ويأمر بالابتعاد عنهم حيث يقول: (الفقهاء امناء الرسل فإذا رأيتم (الفقهاء) قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم) ^(١).

وقد حاول المنصور أن يستميل الإمام الصادق كما استمال الآخرين من أئمة المذاهب ولكنها محاولة فاشلة فلم يزل يبتعد عنه ويعلن غضبه عليه ولا تأخذه في الحق لومة لائم كما أعلن مقاطعته له فكتب المنصور إليه لم لا تغشانا كما تغشانا سائر الناس فأجابه الإمام ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ولا أنت في نعم فنهنيك عليها ولا تعدها نعمة فنعزيك بها فلم تغشاك فكتب إليه المنصور ثانية تصحبنا لتصحنا فأجابه الإمام من أراد الدنيا فلا ينصحك ومن أراد الآخرة فلا يصحبك.

وبهذا يتجلى موقف الإمام الصادق من حكام عصره وابتعاده عنهم وهو النهج الذي أمر اتباعه أن ينهجوه وقد أبدى ذلك في كثير من مواقفه واعلن للأمة وجوب مقاطعة الظالمين وحرمة المعاونة معهم ليحد من نشاطهم في هضم حقوق الناس واستيلائهم على مقدراتهم واستبدادهم في الأمور وجورهم في الحكم. ولكن عناية الله سبحانه قضت بأن يزداد شعور الناس نحو آل محمد وبانتشار

(١) تهذيب الكمال ٥: ٨٨. سير أعلام النبلاء ٦: ٢٦٢.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو أفضى الأمة وأعلمهم وهو نفس الرسول ﷺ وكان ملازماً له في جميع أوقاته في حله وترحاله وأخذ عنه العلم وهو معلمه الأول ومتولي تربيته ونشأته فكان باب مدينة علم الرسول وأمينه على سره ووصيه على أمته فكان له من الكفاءة والاستعداد ما جعله مرجعاً للامة وإماماً هادياً وقد عول النبي ﷺ عليه في جميع شؤونه لاتصافه بصفات الإمامة العامة وإنكار ذلك مكابرة ومغالطة وستأتي هذه الفقرات في أحاديث صحيحة.

وان علم أمير المؤمنين الذي ورثه من رسول الله فقد توارثه أبنائه وحيث لم تسمح الظروف القاسية لنشره لغير المخلص من أصحابهم حتى جاء دور الإمام الصادق عليه السلام واستطاع بالفترة بين هلاك الدولة الأموية ومجيء الدولة الفتية أن ينشر العلم ويشيد المدارس واننا إذ نعبر عن المدرسة فانما المقصود هو تعاليم مذهب أهل البيت: وقد سمي بعد بالمذهب الجعفري نسبة للإمام جعفر بن محمد الصادق وإلا فمذهب الشيعة هو مذهب أهل البيت وعنهم يأخذون الأحكام لانهم أصدق حديثاً وأشدهم محافظة على أداء رسالة التبليغ واتباعاً لأمر النبي إذ قرنهم بالكتاب الكريم الدال بكل صراحة على اتباع أهل البيت والتمسك بهم فإنه نجاة من الضلالة.

وحديث الإمام الصادق كما جاء عنه يروى عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب: وهذا الاسناد هو المعروف بالسلسلة الذهبية وهو اصح الأسانيد وأقواها^(١).

(١) معرفة علوم الحديث (الحاكم): ٥٥.

وعن أحمد بن حنبل أنه قال: عن اسناد الإمام الرضا عن أبيه عليه السلام لو قرأت هذه الاسناد على مجنون

ونالت مدرسة الإمام الصادق شهرة عظيمة ففي تلك الفترة السعيدة كان الإمام عليه السلام زعيم الحركة الفكرية في ذلك العصر ويعتبر في الواقع أنه أول من أسس المدارس الفلسفية في الإسلام ولم يكن يحضر حلقاته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضر طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الانحاء القاصية (١).

وان تلك المدرسة وتلك العلوم أن الغارس لبذرتها الأولى هو الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد وضع منهاجها ونظامها وحث الناس على الانتهاء إليها حذرا من الاختلاف إذ قرن العترة بكتاب الله العزيز بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً)) وفي بعض طرقه: ((فلا تقدموا عليهم فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم)) وستأتي طرق الحديث إنشاء الله.

كما صرح في كثير من تعاليمه بلزوم اتباع أهل بيته والأخذ عنهم وأنهم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق كما أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى لزوم أتباعهم في أحاديث كثيرة ستوافينا بعد.

فالمدرسة كانت نشأتها في عهد صاحب الرسالة ورئيسها الأول هو



وذكر محمد أبو زهرة في مقدمة كتابه الإمام الصادق من حديث... حتى قال: لقد كان أبو حنيفة يروي عنه ويراه أعلم الناس باختلاف الناس وأوسع الفقهاء إحاطة وكان الإمام مالك يختلف إليه دارسا راويا ومن كان له فضل الاستاذية على أبي حنيفة ومالك فحسب ذلك فضل الخ... وفي حلية الأولياء أيضاً مثل قول المزي في التهذيب.

(١) تاريخ العرب (السيد مير علي الهندي): ١٧٩.

وسنة نبية^(١).

وعن داود بن أبي يزيد عن أبي عبد الله الإمام الصادق قال: سمعته يقول: أنا لو كنا نفقى الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنها اثار من رسول الله اصل علم نتوارثها كابرا عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم^(٢).

(١) بصائر الدرجات: ٣٢١.

(٢) بصائر الدرجات: ٣١٩.

وقد أسماه بعض العلماء بالترياق المجرّب وربما تساهل بارسال حديثه ولكنه اعطاه قاعدة مشهورة بقوله حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث أبيه وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب وحديث علي حديث رسول الله ﷺ.

ولم يحدثنا التاريخ عن أئمة أهل البيت أن حكموا بالرأي وافتوا بالقياس أو الاستحسان وقد جاء عنهم في هذا الصدد الشيء الكثير ففي الكافي: سأل رجل أبا عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عن مسألة فأجابه فيها فقال: الرجل رأيته إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه. ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله ﷺ لسنا من (أرأيت) في شيء^(١).

وفي بصائر الدرجات: مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله ﷺ لسنا نقول برأينا من شيء^(٢).

وفي موضع آخر، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام انه قال: أنا لو حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا ولكننا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه فينبها لنا^(٣).

وفي البصائر أيضاً، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له كل شيء تقول به في كتاب الله وسنة نبيه أو تقولون فيه برأيكم قال: بل كل شيء نقوله في كتاب الله



لبرئ من جنونه. ذكر أخبار اصبهان ١: ١٣٨. الصواعق المحرقة: ٥٩٥، ومثله عن أبي حاتم الرازي

كما في التدوين لأخبار قزوين.

(١) الكافي ١: ٥٨. النص والاجتهاد: ١٦.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٢١.

(٣) بصائر الدرجات: ٣١٩.



الفصل السابع

اجتهاداتهم

في تأويل وإنكار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام



لا أريد في هذه العجالة تعريف الاجتهاد وضوابطه ولا الموارد الذي يصح فيها الاجتهاد ولا الاجتهادات الكثيرة في مقابلة النصوص من الكتاب والسنة في الأحكام الإسلامية والعقائد والأمور العامة الأخرى التي اجتهدوا فيها وتأولوها بل اخص الحديث واختصره بما يتعلق بالاجتهادات الباطلة في فضائل أمير المؤمنين ومناقبه.

وقد يخرجنا الحديث عن تعريف الاجتهاد وأصوله فقد تضمنته الكتب الخاصة به ولا بد من الإشارة لأقوال العلماء فيه وخير ما تفضل به سيدنا شرف الدين في مقدمة كتابه النص والاجتهاد والذي جمع فيه فأوعى ويمثل راية مدرسة أهل البيت في الاجتهاد والنص قوله رحمه الله:

وليس لاحد أن يحمل من المأثور عن الله تعالى في آية أو عن رسول الله سنة إلا على ظاهرهما المتبادر منهما إلى الاذهان، وليس له أن يجيد عن الظاهر المتبادر فضلا عن المنصوص عليه بصراحة، إلا بسلطان مبين... والا فقد ضل وابتدع... - إلى أن يقول :- نعم رأيت - بكل أسف - بعض ساسة السلف وكبرائهم يؤثرون اجتهادهم في ابتغاء المصالح على التعبد بظواهر الكتاب والسنة ونصوصها الصريحة فيتأولونها بكل جرأة ويحملون الناس على معارضتها طوعا

الأربعة وتطورت الدعوة إلى ذلك بصورة واسعة وازداد نشاطها حتى جعل من قلد غير هذه المذاهب خارجا عن الدين فكان هناك نزاع واحتدام وبلغ التعصب حتى بين معتنقيها مما أدى إلى معارك دامية واتهام البعض للبعض الآخر وتكفير قوم لاخرين.

واصبح كل يحتكر الإيمان بالله والتصديق بنبيه لابناء مذهبه خاصة وأن اللجنة وقف عليهم ولا نصيب لاحد فيها معهم خلافا لما جاء به النبي ﷺ خروجاً على تعاليم الإسلام وقد اندفع المتطرفون من معتنقي المذاهب الأربعة لبذل جهدهم في جعل رئيس مذهبهم هو المؤسس لعلوم الإسلام والمرجع الاعلى للتشريع وأن العلم مقصور عليه والاجتهاد لا يليق إلا به^(١).

ومن المؤسف له أنهم قد اسرفوا في الجدل اسرافا اخرجهم عن ميزان العدل وراحوا يلتمسون على ذلك الوانا من الحجج ويبدو فيها التكلف ويتجلى فيها البطلان وقد غلب عليهم الجمود الفكري والتزموا بالتقليد في أخذ الأحكام وغيرها عن أئمة المذاهب إذ لا يمكن في نظرهم أن يصل أحد إلى ما وصلوا إليه من العلم فهو مقصور عليهم والاجتهاد من اختصاصهم دون غيرهم. وتمسكوا بأقوال أئمتهم تمسكا جعلهم يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله^(٢) كما جاء عن القاضي... قال: كنا عند الأعمش فتذاكرنا الاختلاف فقال: انا أعلم من أين وقع الاختلاف، قلت: من أين وقع؟ قال: هذا ليس موضع ذكره لك، قال: فأتيته بعد ذلك فخلوت به، فقلت: ذكرنا الاختلاف... إلى أن قال وقد جئتك خالياً فأخبرني من أين وقع الاختلاف؟ فقال: ولي أمر هذه الأمة من لم يكن عنده علم فسئل

(١) أبو حنيفة (السيد عفيفي الحامي): ٨.

(٢) هم ذوي الابصار: ٥١.

وكرها بكل قوة... (١).

وقال وهي سليمان الالباني: الإسلام الذي يقوم على توحيد الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ والذي لا يأذن بتعديل احكامه لا من قساوسه ولا علماء ولا من حكام ولا من افراد لا في سبيل مصلحة ولا من أجل سياسة (٢).

وذكر عبد العزيز بن باز المفتي العام في السعودية أن لم يحكم بما أنزل الله على نبيه فهو كافر ظالم فاسق... وأن الاجتهاد محله المسائل الفرعية التي لا نص فيها أما العقيدة والأحكام التي فيها نص صريح من الكتاب أو السنة الصحيحة فليست محلا للاجتهاد بل الواجب على الجميع الأخذ بالنص وترك ما خالفه وقد نص العلماء على ذلك في كل مذهب من المذاهب المتبعة أن كل من خالف ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الأحكام فهو من حكام الطاغوت ومن عمل المنافقين (٣).

وذكر مصطفى بن محمد سلامة أن التحليل والتحريم يحتاجان لنص والنص يحتاج إلى وحي والوحي انقطع بموت النبي.

وان التحليل والتحريم بلا نص هو دين النصارى لانهم يزعمون أن عيسى عليه السلام سوغ لعلماءهم أن يحللوا ما فيه مصلحة وأن يجرموا ما فيه مصلحة (٤).

ولقد رأينا فيما سبق ذكره (في التعصب بين المذاهب) وكيف تغلبت روح التعصب المذهبي الشديد كما تغلبت الفكرة القائلة بتحريم تقليد غير المذاهب

(١) النص والاجتهاد: ٣ - ٤.

(٢) مجلة الدعوة السعودية العدد: ٦١٢، سنة: ١٣٩٧.

(٣) حكم الإسلام: ٣٠، ط. مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

(٤) كشف الاسرار لمصطفى بن محرر سلامة.

بالاجتهاد والتأويل غير أن معاوية تجاهر بها وصرح مرارا فعن أبي الدرداء من حديث قوله من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله ﷺ وهو يخبرني رأيه لا اسألك بأرض أنت بها. الحديث (١).

وكان محمد بن شجاع أبو عبد الله فقيه أهل العراق يجتال في ابطال الحديث عن رسول الله ﷺ ورده نصره لابن حنيفة (٢).

حتى زعم بعضهم أن رئيس مذهبهم كان اعلم من النبي بالقضاء (٣).
 وذكر أبو شامة وكانت تلك الازمنة مملوءة بالمجتهدين فكل صنف على ما رأى وتعقب بعضهم بعضا مستمدين من الاصلين الكتاب والسنة وترجيح الراجح أقوال السلف المختلفة بغير هدى ولم يزل الأمر على ما وصفت إلى أن استقرت المذاهب المدونة ثم اشتهرت المذاهب الأربعة وهجر غيرها فقصرت همهم إلا قليلا منهم فقلدوا بعد ما كان التقليد حراما لغير الرسل بل صارت أقوال أئمتهم بمنزلة الاصلين الكتاب والسنة وذلك معنى قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (٤) فعدم المجتهدون وغلب المقلدون وكثر التعصب وكفروا بالرسول حيث قال: ويبعث الله في كل مائة سنة من ينفي تحريف الغالين وانتحال

(١) موطأ مالك ٢: ٦٣٤. سنن البيهقي ٥: ٢٨٠. المجموع ١٠: ٣٠. فيض القدير ٦: ٣٠٤. تنوير الحوالك: ٤٩٠. الفارات ٢: ٤٩٨. اختلاف الحديث: ٤٨٠. كتاب المسند (الشافعي): ٢٤٣. المستصفى (الغزالي): ١١٩. المحصول (الرازي) ٤: ٣٧٦. النهاية في غريب الحديث (ابن الاثير) ٣: ١٩٧.

(٢) تاريخ بغداد ٥: ٣٥١.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ٣٤٨.

(٤) التوبة: ٣١.

الناس فاختلفوا^(١).

فكان يقال لهم: قال رسول الله ﷺ فيقولون: قال فلان^(٢).

كما جاء ذلك عن أبي حنيفة فقد روى الخطيب^(٣) عن علي بن عاصم أنه قال: حدثنا أبا حنيفة عن النبي فقال: لا أخذ به فقلت عن النبي فقال: لا أخذ به وروى أيضاً عن أبي إسحاق الفزاري قال كنت آتي أبا حنيفة أسأله عن الشيء من أمر الغزوات فسألته عن مسألة، فاجاب فيها فقلت له أنه يروى فيه عن النبي كذا وكذا قال: دعنا عن هذا.

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار قال يوسف ابن اسباط رد ابو حنيفة على رسول الله أربعمئة حديث او أكثر وحكى عن يوسف ايضاً ان ابا حنيفة كان يقول لو ادركني رسول الله لاخذ بكثير من أقوالي^(٤).

وقال أيضاً كان أبو حنيفة يجيئه الشيء عن النبي فيخالفه إلى غيره.

وليس هذا بمستغرب فإنها سنة ابتدعتها القوم من ذي قبل وموهوا عليها

(١) شرح الأخبار للقاضي نعمان ١: ١٩٦.

(٢) توالي التأسيس (ابن حجر): ٧٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ٣٨٧، وص ٣٩٠، وكتاب المجروحين لبسني ٣: ١٦٥، كما في مقدمة مرآة العقول. قال الشهرستاني في (منع الحديث: ٢٤١):

(وجاء عن الاستاذ رشيد رضا قوله: من المجازفة في القياس والجرأة على الله القول بنسخ مئات الآيات وابطال اليقين بالظن وترجيح الاجتهاد على النص. ثم ذكر الشهرستاني التغيير الذي حصل من بعض فقرات الخطبة الشقشقية وذكر الشهرستاني: ٢٤٩ قول الإمام الكرخي: إن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها محمولة على النسخ أو على الترجيح، والاولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق الخ. وهناك أقوال أخرى مشابهة).

(٤) نقلا عن ليالي نيشابور: ٢٣٨.

يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الرأي سارياً في عروق الاكثرين من أهل الدنيا وذكر أقوالاً أخرى^(١).

وذكر محمد صديق خان وقد ابتلى بهذه البلية من متأخري المقلدة للمذاهب الأربعة المشهورة فابرزوا من التفريعات والتخريجات ما لا تظله السماء ولا تقله الأرض ومنذ حدثت هذه البدع رفعت من السنة غالبها حتى أن الجاهل من هؤلاء يزعم أن كل مسألة في كتاب فقهي من المذهب الحنفي مثلاً أو الشافعي هي في أم الكتاب ويتخرج عن العمل بما ثبت من القرآن والحديث صراحة ونصاً ظاهر ولا يتخرج عن العمل بما قاله إمامه ومنهم من يؤول الحديث إلى مؤدى المذهب ولا يصرف المذهب إلى مدلول الحديث^(٢).

وعلى أي حال فإن تلك الاتجاهات التي سار عليها المتعصبون للمذاهب قد استولت على كثير من اتباعها ومن المؤسف أن نجد البعض: قدمهم على الأنبياء عند تعارض كلامهم - أي أئمة المذاهب - مع الحديث الصحيح فانهم يردون كلام النبي المعصوم مع اعتقاد صحة سنده لقول نقل عن إمامهم ويتعللون باحتمالات ضعيفة^(٣).

وذكر الدهلوي قوله: ولما انقرض عهد الخلفاء الراشدين افضت الخلافة إلى قوم تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام فاضطروا إلى

(١) تفسير الفخر الرازي، نقلاً عن تحفة الاحوذى ٨: ٣٩١.

(٢) الدين الخالص ٣: ٢٤٥.

(٣) الوحدة الاسلامية (رشيد رضا): ٤٥.

المبطلين... حتى آل بهم التعصب إلى أن احدهم إذا اورد عليه شيء من الكتاب والسنة على خلافه يجتهد في دفعه بكل سبيل من التأويلات البعيدة نصره لمذهبه ولقوله^(١).

ومن قول لابن الجوزي: واعلم أن عموم أصحاب المذاهب بعضهم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال: وهذا عين الضلال لأن النظر لا ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل^(٢).

وذكر عز الدين عبد السلام ومن العجب العجيب أن فقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف قول إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا وهو مع ذلك مقلد فيه ويترك من شهد الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبهم جمود التقليد أمامه بل يتحيل لظاهر الكتاب والسنة ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده ولم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء الخ...

الى أن ظهرت هذه المذاهب وتمعصبوها من مقلدين فإن احدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلدا فيما قال كأنه نبي مرسل وهذا نأى عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من أولى الالباب^(٣).

عن الفخر الرازي في تفسير الآية قال: شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في بعض المسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إلي كالمتعجب

(١) مختصر المؤمل لابي شامة: ١٤.

(٢) تلييس ابليس (ابن الجوزي): ٨١.

(٣) رسالة الانصاف: ٣٧. وذكره د. يوسف القرضاوي في الصحوة الإسلامية: ١٢٢.

دالاتها فجمعوا بين جريمتي الخيانة والتضليل فوق ما اقترفوا من جريمة الطعن في فضائل أمير المؤمنين وسيرة أهل البيت.

وعلى أي حال فقد مالت بهم الأهواء واثرت بهم النزعات فنفروا عن الحقايق ولم يتقبلوها فاجتهدوا بما توحىه إليهم مسaire الدول المتعاقبة وتأييد وجهة نظرها بكل ما تعمل وتريد وتبرير كل جريمة وتصحيح كل خطأ فاشتروا طلب العلم لنيل العز والرتب وبعد أن كانوا اعزة بالاعراض عن سلاطين الجور صاروا اذلة بالاقبال عليهم واشتروا رضا المخلوق بمعصية الخالق.

وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحد والثقة بأشياعهم والاتهم لمن عداها وتجاوزهم الاجتهادات الخاطئة مقابل النصوص الثابتة حسب الأهواء وما تمليه السياسة فقد تعدوا إلى الارتزاق والمتاجرة بالدين كما ذكره الأستاذ محمد رشيد رضا (والعهدة عليه) في تعليقه على قول الشاطبي في الاعتصام في الوجه الثامن من الوجوه التي جعلها لمعرفة الإنحراف عن السنة والميل للبدعة ومن فروع هذه البدعة أن بعضهم يستحل أن يجعل المرجح لاحد القولين في الفتوى ما يعطيه المستفتون من الدراهم... والقاعدة في ذلك ما صرح به بعض الفقهاء في بعض الكتب التي تدرس في الازهر (نحن مع الدراهم قلة وكثرة) فإذا كان القولان المتناقضان صحيحين في المذاهب جاز أن يكون السحت هو المرجح في الفتوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

وذكر بعده وقال الشيخ محمد بن عبدالله دراز شارح الموافقات قوله بل اخرجوا الأمر عن كونه قانونا شرعيا وعدّوه متجرا حتى كتب بعض المؤلفين في

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة عن كتاب الاعتصام ٣: ٢٦٨.

الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع احوالهم وكان بقي من العلماء من الطراز الأول فكانوا إذا طلبوا هربوا واعرضوا فرأى أهل تلك الاعصار - غير العلماء - اقبال الامة عليهم مع اعراضهم فاشتروا طلب العلم توصلاً إلى نيل العز فاصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم إلا من وفقه الله...^(١).

وهذا قول الإمام الغزالي ونسبه إليه مع بعض التحريف: أن نهض لطلب العلم رجال طلبوه لاجل الدنيا يتقربون به إلى الحكام لينالوا لديهم الحظوة والجاه وينالوا من دنياهم فاصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم إلا من وفقه الله ولما أن معاوية هو المؤسس لهذا الانحراف والتغيير إذ وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلفوا له ما أرضاه^(٢).

وهكذا يتوارثونها هؤلاء من اسلافهم. وذلك لما افضت الخلافة إلى معاوية وإلى من بعده وتولوها بغير استحقاق فاضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء ورجال الحديث حيث لم يجدوا بدا من تثبيت سلطانهم واضفاء الشرعية عليه وتغريب البسطاء وتضليل العامة فجنّدوا من هؤلاء ممن سار بركبهم ونالهم العطاء الجزيل والمناصب والرتب وتهافتوا على ذلك مدى العصور فحرفوا وبدلوا واجتهدوا لهم في النصوص الثابتة وتأولوا الأحاديث الصريحة أو قلبها وتحريفها بما يخرجها من

(١) الانصاف: ٨٧، وقد ذكره الدهلوي في حجة الله البالغة ١: ٣٣٢، نقلاً عن ضوء النبي ١: ١٨٩.

(٢) تقدم في معاوية يختار من الصحابة لوضع الحديث.

من نطق بالضاد.

وباختصار فلا بد من الإشارة لأقوال بعض العلماء في التأويل وسنعرض فيما بعد لنماذج من الأحاديث الصريحة الواضحة المعنى في فضائل أمير المؤمنين وكيف غيروا معناها عن ظاهر لفظها.

فقال الإمام الغزالي: وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الافهام شيء يوثق به كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم فإن الالفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعوا إليه من دليل أو عقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى ورسوله فإن ما سبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل يتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيلها على وجوه شتى وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الاغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم^(١).

وقال ابن القيم الجوزية: إذا سئل عن تفسير آية من كتاب الله وسنة عن رسول الله فليس أن يخرجها عن ظواهرها بوجوه التأويلات الفاسدة الموافقة نحلتها وهواه ومن فعل ذلك استحق المنع من الافتاء والحجر عليه وهذا الذي ذكرناه هو الذي صرح به أئمة الكلام قديماً وحديثاً^(٢).

(١) إحياء العلوم ١: ٣٧.

(٢) عون المعبود ١٢: ٢٢٨. اعلام الموقعين ٤: ٢٤٥.

الشافعية ما نصه (نحن مع الدراهم كثرة وقله) ^(١).

ويقول الأستاذ عبد اللطيف دراز مدير الازهر والمعالم الدينية.

وقد غذيت هذه الخلافات وهذه السياسة بكثير من الروايات الملفقة والأحاديث الموضوعية والأخبار المفتراة وامتألت كتب التفسير والمغازي والمناقب بما لا يحصى من الأكاذيب وأصبح بجوار كل آية في كتاب الله تعالى رواية من الروايات تحمل عليها وفسر القرآن بما يوافق أصحاب الآراء وقبل من الأحاديث ما يؤيدهم وطعن فيما يخالفهم واشتبه الأمر فيما يقبل وفيما يرضى وفيما يصح ليس على الوسط من الناس فحسب ولكن على بعض ذوي العقول الراجحة والذكاء الأملعي أيضاً ولم يسلم من ذلك إلا من عصم الله وقليل ما هم ^(٢).

وذكر أحمد أمين في فجر الاسلام قوله: وجد العمل بالرأي ونقل عن كثير من كبار الصحابة قضايا افتوا فيها برأيهم كإبي بكر وعمر وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وكان حامل لواء هذه المدرسة أو هذا المذهب فيما نرى عمر بن الخطاب ^(٣).

تأويلهم وطمسهم فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

والتأويل هو النوع الآخر الذي حاولوا من خلاله طمس فضائل أمير المؤمنين ومناقبه وبتلك التأويلات التي ابعدت المعنى عن اللفظ المفهوم للحديث الصحيح حتى بلغ التعصب من بعضهم عندما يدنس المعنى أو يدلس في اللفظ بما يمجها الذوق السليم ويستنكرها الفكر حتى يظهر أن القائل ليس بعربي وهو افصح

(١) الموافقات ٤: ١٣٥.

(٢) رسالة الاسلام العدد الثالث، السنة الأولى سنة ١٣٦٨.

(٣) فجر الاسلام: ٢٤٠.

النبوية إلى ما يروقههم دفاعا لآمامٍ ونصرة لمذهب ومؤازرة لسلطه قربتهم للقضاء على معارضيها وتاويل النصوص الصريحة في خصومهم وخاصة ما يتعلق من الأحاديث في فضائل أمير المؤمنين ومن لاحظ ذلك بعين البصيرة وتجرد عن التعصب الاعمى لرأى العجب العجاب وتعرف على الأسباب فتعال معي لنستمع لأقوال بعضهم باختصار وتقدمت بعض الأقوال في الاجتهاد.

وكما جاء عنهم: (إذا وقفوا على آية محكمه أو سنة قائمة أو فريضة عادلة تخالف مذهبهم صار يؤولونها على غير تأويلها ويصرفونها عن ظاهرها إلى ما تقرر عندهم من المذاهب والمشارب وطفقوا يطعنون على من عمل بفحواها الظاهر ومبناها الباهر كأن الدين عندهم هو ما جاء عن آبائهم، واسلافهم، دون ما جاء عن الله في كتابه أو عن رسوله مع انه كتاب الله سابق على وجود امامهم ومقالاته وسنة رسوله سابقه على هذه الاجتهادات)^(١) ونقل عن ابن الحسن الكرخي ويحكى عن لسان حال المذهبية حين قال: (الاصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو الترجيح والاولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق وكذا الحال مع الحديث)^(٢) ونقل النووي قال العلماء: الأحاديث

(١) الدين الخالص (محمد صديق) ٣: ٢٦٣.

وذكرت الدكتورة نادية العمري في الاجتهاد في الإسلام: ١٠٤ ط بيروت ومما ثبت أن المتأخرين من الفقهاء قد غيروا كثيراً من الأحكام التي نقلت عن أئمتهم حين دعت الحاجة إلى التغيير كما فعل الشافعي من قبل حينما انتقل إلى مصر وترك العراق والحجاز فقد غير من مذهبه القديم إلى الجديد وأملى كتابه الام والرسالة وكما فعل ابن القيم الجوزية.

(٢) مصادر التشريع الإسلامي: ٢٨٧. وغيره نقلا عن تاريخ الاسلام السياسي: ٢٦٥.

وقال بعض أهل العلم: كيف لا يخشى الكذب على الله ورسوله من يحمل كلامه على التأويلات المستنكرة والمجازات المستكرهة التي هي بالالغاز والاحاجي أولى منها بالبيان والهداية وهل يأمن على نفسه أن يكون ممن قال: الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾^(١).

ويكفي المتأولين لكلام الله ورسوله بالتأويلات التي لم يردّها ولم يدل عليها كلامه أنهم قالوا: برأيهم على الله وقدموا آرائهم على نصوص الوحي وجعلوا آرائهم عيارا على كلام الله ورسوله ولو علموا، علموا أي باب شر فتحوها على الأمة بالتأويلات الفاسدة وأي بناء الإسلام هدموا بها، وأي معاقل وحصون استباحوها وكان احدهم لأن يخرج من السماء إلى الأرض احب إليه من أن يتعاطى شيئا من ذلك^(٢).

وقال محمد معين السندي: ومن أشنع ما يخرجون كلام الشارع عن الحقيقة والمجاز ويفتحون فيه باب التأويل فهو فعلهم ذلك إذا حملهم عليه نصره إمامهم على غيره من الأئمة فحفظ رأيه أهم عليهم من اخراج كلام نبيهم ﷺ عن الحقيقة والإمام ليس بمعصوم حتى تأول له كلمات الشريعة وترك حقيقة الكلام ولم يأذن الله تعالى ورسوله لاحد بهذه النصره لاحد^(٣).

وبعد هذا وتدبرنا ما مر علينا من أقوال العلماء في ذم التأويل وهو نوع من البدع والضلال وقد بلغ بالمتعصبين تغيير المفاهيم الإسلامية وتحريف الأحاديث

(١) الأنبياء: ١٨.

(٢) اعلام الموقعين ٤: ٢٤٩.

(٣) دراسات اللبيب: ٨.

نماذج من اجتهاداتهم لطمس مناقب أمير المؤمنين عليه السلام:

ذكر ابن حزم في المحلى^(١) قوله: ولا خلاف بين الأمة في أن عبد الرحمن ابن ملجم المرادي لم يقتل علياً عليه السلام إلا متأولاً، مجتهداً، مقدراً أنه على صواب وفي ذلك يقول عمران بن حطان:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره حيناً فاحسبه أو في البريه عند الله ميزانا
فلو تساءلنا مع ابن حزم عن هذا الاجتهاد المزعوم وتنزلنا عن أن علياً لم يكن ابن عم الرسول ونفسه في صريح آيه المباهلة ولم يكن له من السوابق في بدء الدعوة وحتى آخر لحظة من حياته ولم ينتصر الإسلام بسيفه ودفاعه وحامل رايته في كل موقف ولم يكن وصيه وخليفته وو... وأن علياً فرد من عامة المسلمين فهل يحل قتله وقتله ماجور؟!

ألم يعارض هذا الاجتهاد للنص الصريح في قوله تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»^(٢) وغيرها من الآيات الكثيرة.

أم..... لم يعارض هذا الاجتهاد النصوص الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخرجها الحفاظ واعلام الأئمة في مسانيدهم وصحاحهم بطرق كثيرة وصور عديدة أعرض لبعض منها:

(١) المحلى ١٠: ٤٨٤.

(٢) النساء: ٩٣.

الواردة في ظاهرها حمل على صحابي يجب تأويلها^(١).

وذكر الغزالي قوله: وكل ما ثبت عنهم من الخلاف فلا بد أن يستنبط له

تأويلاً فما تعذر عليك تأويله فقل لعل له تأويلاً وعذراً لم اطلع عليه^(٢).

وهكذا يستمر التأويل ويتبنونه قاعدة شاملة في الأحكام وغيرها في كل ما

يخالفهم هوى الكاتب أو عقيدة المصنف وهو كثير جداً لا مجال لعرضه خشية

التطويل وسيأتي بعضه في الأحاديث خلال الابحاث القادمة في التبرير والتعليل

لاسيادهم. ومثال ذلك ما جاء عن ابن أبي الحديد في منع عمر لرسول الله في

الكتابة عند احتضاره وقوله المشهور أن الرجل ليهجر قال: وهذا الكلام وأن كان

ظاهره منكراً فله عندنا مخرج وتأويل^(٣).

ومثال آخر في تبرير الاجتهاد بالطلاق الثلاث واغرب ما قاله المتأخرون

قول ابن القيم: بأن هذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان. وهناك تعاليل أخرى

كثيرة^(٤).

(١) شرح مسلم ١٥: ١٧٥. وعنه تحفة الاحوذى ١٠: ١٥٦.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد: ١٥٣.

(٣) عمر وفقهه (الرضوي): ٩٤، نقلاً عن ابن أبي الحديد.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي: ٤٠٥، نقلاً عن اعلام الموقعين.

وذكر في منع الحديث: ١٥٦ قول الدكتور مصطفى البغا بعد نقله قول عمر في الطلاق الثلاث فهذا مما

تغيرت به الفتوى لتغير الزمان وعلم الصحابة حسن سياسة عمر وتأديبه لرعيته في ذلك فوافقوه

على ما أُلزم به وصرحوا لمن استفتاهم بذلك نقل عن أثر الادلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي:

٢٧٧ الخ وفنده الشهرستاني.

الصحابة من مهاجرين وأنصار ويخصهم ابن حزم^(١) فيقول: وليس هذا كقتله عثمان رضي الله عنه لأنه لا مجال للاجتهاد في قتله وأنهم فساق ملعونون محاربون سافكون دماً حراماً عمداً.

وعند ابن تيمية^(٢) قوم خوارج مفسدون في الأرض لم يقتله إلا طائفة قليلة باغية ظالمة وأما الساعون في قتله فكلهم مخطئون بل ظالمون باغون معتدون. وعند ابن كثير^(٣): اجلاف اخلاط من الناس لا شك أنهم من جملة المفسدين في الأرض بغاة خارجون على الإمام جهلة متعنتون خونة ظلمة مفترون.

وعند ابن حجر^(٤) بغاة كاذبون ملعونون معترضون لانهم لا فهم لهم ولا عقل. فما أدري هل الاجتهاد يطمط مع الشهوات والاهواء فيعذر به قوم ويشد على آخرين ولكن التعصب والعناد يجبر صاحبه للانحراف وتبديل السنن المتبعة التي لا تبديل بها ويعود بالضلال المبين.

اوليس من الغلو المقيت والتعصب أن يتبجح ابن حزم واضرا به بقول عمران بن حطان الناصبي الخبيث^(٥) الذي يدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين وهو اشقى

(١) سماء المقال في علم الرجال ١: ٢١، نقلاً عن الفصل (ابن حزم) ٤: ١٦١. وعنه ايضا العسكري في معالم المدرستين ٢: ٧٤، والغدير ١٠: ٣٤٢.

(٢) منهاج السنة ٣: ١٨٩، وص ٢٠٦.

(٣) تاريخ ابن كثير ٧: ١٧٦، ١٨٦.

(٤) الصواعق: ٦٧، ١٢٩.

(٥) سياقي ذكره في النواصب.

ما جاء في قوله ﷺ في حديث صحيح لعلي عليه السلام - ويكاد أن يكون متواتراً -

قاتلك أشقى الآخرين،

وفي لفظ: قاتلك أشقى الناس،

وفي لفظ: أشقى هذه الأمة كما أن عاقر الناقة أشقى ثمود^(١).

كما أن هناك أحاديث كثيرة عن أمير المؤمنين بما أخبره رسول الله ﷺ

بان قاتله أشقى الأولين.

فأي اجتهاد يكون بعد هذه النصوص الثابتة ويقتل خليفة المسلمين المفروض

الطاعة وهو في محرابه يصلي بين يدي الله تعالى.

أوليس مثل هذا الاجتهاد يجر صاحبه إلى القول بقتل الأنبياء والاصبياء؟

أوليس هذا الاجتهاد يسرى إلى أبي لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب وهو مجتهد

مأجور ومثاب أم أنه يمتاز بحصانة خاصة وقاتله كافر فاسق معتدي يجب قتله

كما يمتاز عثمان بحصانة أخرى أن قلنا بهذا الاجتهاد وأن الذين قتلوه وفيهم من

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٦٣، و٥: ٣٢٦. خصائص النسائي: ١٢٩. السنن الكبرى ٥: ١٥٣

المستدرک للحاکم ٣: ١٤١. تاریخ بغداد ١: ١٣٥. الجامع الصغير ١: ٤٣٧. احکام القرآن

(المجصاص) ٣: ٥٣٨. شواهد التنزيل ٢: ٤٤٠. تفسير القرطبي ٤: ١٩٢. تفسير ابن كثير ٤: ٥٥٢.

البداية والنهاية ٣: ٣٠٣، و٦: ٣٤٤. قصص الأنبياء (ابن كثير) ١: ١٥٦. مجمع الزوائد ٧: ١٤ و

٢٩٩، و٩: ١٣٦، ١٣٧. مسند أبي يعلى ٧: ١: ٤٣١. المعجم الكبير ٢: ٢٤٧. الفيض القدير ١:

٦٧٢، و٣: ١٢٨. تاريخ ابن عساکر ٤٢: ٥٤٣ و٥٥٠. الإصابة ٥: ٨٥. ينابيع المودة ٢: ٩١، ٢٠٠،

و٣٩٦. السيرة النبوية (ابن كثير) ٢: ٣٦٣. جواهر المطالب في مناقب الامام علي ١: ٣١.

وذكر منها ابن حجر^(١) ستة عشر بيت وقال بكر بن حماد القاهري وقال
حجر بن أحمد الطيب:

يا ضربة من غدور صار ضاربها اشقى البرية عند الله إنسانا
إذا تفكرتُ فيه ظلت العنه والعن الكلب عمران بن حطانا^(٢)
وهكذا يستمر عليهما اللعن والمخازي من الشعراء والعلماء طيلة القرون ولا
مجال للمزيد.

تبرير معاوية وابن العاص بالاجتهاد في محاربتهم علياً عليه السلام:

ذكر ابن حزم^(٣) قوله: قطعنا أن معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مأجورون
أجراً واحداً وعد معاوية وعمرو بن العاص من المجتهدين الخ.
وقال أيضاً: معاوية رحمه الله مخطئ مأجور لأنه مجتهد^(٤).
ثم صار يتخبط ويناقض نفسه بقوله: فصح أن علياً هو صاحب الحق
والامام المفترضة طاعته وان معاوية مجتهداً مخطئاً ومأجور كما قال قبلها فهذا
قطعنا على صواب علي رضي الله عنه وصحة امامته وانه صاحب الحق وان له أجرين
أجر الاجتهاد واجر الاصابة
واعتذر ابن تيمية لمعاوية فيما فعل بأنه مجتهد. وقال: (أنه كعلي بن أبي

(١) الاستيعاب ٢: ٤٧١.

(٢) هامش سير اعلام النبلاء ٤: ١١٥، نقلها عن المبرد في الكامل ٣: ١٩٦. البداية والنهاية ٩: ٦٥.

(٣) الفصل لابن حزم ٤: ١٦١.

(٤) الفصل لابن حزم ٤: ٨٩.

الاولين والآخرين ويعطيه من الدرجات العالية ويصفه بالتقوى والرضوان من ذي العرش واوفى البرية عند الله ميزانا في الايات المتقدمة:
ولم يعلم أن معاصره القاضي أبو الطيب طاهر ابن عبد الله الشافعي يقول في عمران ومعتقده هذا:

اني لا براً مما أنت قائله
يا ضربة من شقى ما أراد بها
اني لا ذكره يوماً فألعنه
عليه ثم عليه الدهر متصلاً
فانتما من كلاب النار جاء به
عن ابن ملجم الملعون بهتانا
إلا ليهدم للإسلام اركاناً^(١)
دوما والعن عمران وحطانا
لعائن الله اسراراً واعلاناً
نص الشريعة برهاناً وتبياناً^(٢)

كما اجابه عبد القادر البغدادي:

يا ضربة من كفور ما استفاد بها
إني لألعنه ديناً وألعن من
ذاك الشقي لأشقى الناس كلهم
إلا الجزاء بما يصلبه نيراناً
يرجو له أبداً عفواً وغفراناً
أخفهم عند رب الناس ميزاناً

وقال بكر بن حسان الباهلي:

قل لابن ملجم والاقدار غالبه
قتلت افضل من يمشي على قدم
واعلم الناس بالقرآن ثم بما
هدمت ويلك للإسلام اركاناً
وأول الناس اسلاماً وايماناً
سن الرسول لنا شرعاً وتبياناً

(١) ترجمته في ابن خلكان ١: ٢٥٣، وج ٢: ٥١٢. الإصابة ٥: ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) أوائل المقالات (الشيخ المفيد): ٢٣٣.

لا يمكن مؤاخذتهم فلا تشملهم تلك النظم والأحكام التي قررها الكتاب والسنة كما نرى ابن حزم وابن كثير وابن تيمية قد غالط الواقع في تصحيح خلافة معاوية والدفاع عنه وتبرير كل ما فعل وبهذا فقد ناقضوا أنفسهم واعوزتهم المعاذير المضلة والتبس الأمر بما اثبتته صحاح قومهم أن معاوية باغ خارج على امام زمانه ونصت على قتل الباغي واخرجوا أحاديث كثيرة بهذا المضمون كما ذكرها ابن حزم في المحلى والفصل أعرض لبعضها باختصار.

فذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما ^(١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة

وهي جميع واضربوه بالسيف كائنا من كان وفي لفظ فاقتلوه ^(٢).

وفي لفظ: من اتاكم وامركم جمع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم

ويفرق جماعتكم فاقتلوه كائنا من كان ^(٣).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص: من بايع إماما فاعطاه

صفقة يده وثمره قلبه فليعطه أن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق

(١) الفصل لابن حزم ٤: ٨٨. المحلى ٩: ٣٦٠. صحيح مسلم ٦: ٢٣. مستدرك الحاكم ٢: ١٥٦. سنن

البيهقي ٨: ١٤٤. مجمع الزوائد ٥: ١٩٨. فتح الباري ١٢: ١٣٩. الديباج على مسلم ٤: ٤٦١.

(٢) صحيح مسلم ٦: ٢٢ - ٢٣. مستدرك الحاكم ٢: ١٥٦. سنن البيهقي ٨: ١٦٨. المحلى ١١: ١١٢.

سبل السلام ٣: ٢٦١. مسند أحمد ٤: ٢٦١. سنن أبي داود ٢: ٤٢٧. صحيح ابن حبان ١٠: ٢٥٥.

المعجم الكبير ٧: ١٤٤. كنز العمال ٦: ٥٧. ح ١٤٨٣٠. التاريخ الكبير ٧: ٦٤.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٢٣. السنن الكبرى ٨: ١٦٩. إرواء الغليل ٨: ١٠٥. ح ٢٤٥٢. تهذيب الكمال

١٩٠: ٥٥٦. الإصابة ٤: ٤٠٠. ح ٥٥٢٤. المجموع ١٩: ١٩٣. المحلى ٩: ٣٦٠. سبل السلام ٣:

٢٦١. نيل الأوطار ٧: ٣٥٨.

طالب في ذلك^(١).

وقال ابن كثير: معاوية مجتهد مأجور انشاء الله^(٢).

ليس من العقل والانصاف أن نصحح هذا الاجتهاد ونمنح أصحابه الاجر وهم الفئة الباغية حفظا على كرامة ابن اكلة الاكباد وابن النابغة المعروفة ونعرض عن الآيات الكريمة التي طهرت أمير المؤمنين من كل دنس وشين وسنعرض للكثير منها وللأحاديث الصحيحة التي خصته بالاخوة مع الرسول وبمنزلة هارون من موسى.

على أن جرائم معاوية لا يمكن السكوت عنها ولا طريق إلى حملها على وجه صحيح وليس انه مجتهد متأول وقد عطل الحدود وابطل الشهود وقتل - من الصحابة الأبرار - وسفك الدماء المحرمة وسبى نساء المسلمين وعرضهن في الأسواق فيكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا اشترت على عظم ساقها^(٣). إلى كثير من تلك الفظائع والفجائع.

كما أن اجتهاداته في الأحكام كثيرة التي احل فيها ما حرم الله وحرم ما احل الله ولا يسعها هذا المختصر كما لا اعرف لباحث أن يسكت عن هذه البدع التي تقضي بطرح الأحكام وهجر الكتاب في مقابل الاجتهاد المزعوم أو تأويل الظاهر المعلوم إذا ليمرح معاوية وبطائنه في ميدان الحياة وليفعلوا ما شاءت نفوسهم ويسرحوا في هواهم ومجونهم فقد ضرب عليهم استار الاجتهاد والتأويل حصانة

(١) منهاج السنة ٣: ٢٦١ - ٢٨٩.

(٢) تاريخه ٧: ٢٧٩.

(٣) الاستيعاب ١: ١٥٧، وانظر: المصنف ٨: ٦٧٢.

فعلى هذا فما قيمة الاجتهاد الذي زعمه ابن حزم وابن كثير في قتال معاوية ومنازعته للامام المنصوب وتمت له البيعة من قبل الأمة بكافة طبقاتها من مهاجرين وأنصار وعامة الأقطار عدا معاوية وشجرته وشرذمة.

من حثالة الأمويين،

وهذا كما سمعت عليه جماهير العلماء ويفرضه الدليل وتوحيه السنة ويحكم به العقل السليم فأين هذا من ذلك.

ورحم الله عبد الله بن هاشم المرقال في قوله: فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية ابن آكلة الاكباد^(١).

ومثله ما تقدم من قول ابن أبي الحديد^(٢) من حديث في معاوية: ولو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربتة الإمام ما يكفي في فساد حاله الخ...

كما احتج أمير المؤمنين عليه السلام على بطلان خلافة معاوية بكتب كثيرة وخطب عديدة في أول البيعة وبداية صفين وأثناء الحرب وبعده وتقدم بعض منها وفي قوله عليه السلام واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحمل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الإمامة ولا يدخلون في الشورى^(٣).

وعن الحسن البصري قال: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيهن إلا

(١) وقعة صفين ٣٥٧. وعنه شرح النهج ٨: ٢٩.

(٢) شرح النهج ١: ٣٤٠.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١١٤. شرح النهج ١٤: ٣٦. تاريخ ابن عساکر ٥٩: ١٢٨. وقعة صفين: ٢٩.

الآخر^(١) الحديث.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) معناه ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتاله ولا ضمان فيه لأنه ظالم معتد في قتاله^(٢).

وقال في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث السابق: (ستكون خلفاء فيكثر الخ...) معنى هذا الحديث إذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة يجرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم جاهلين وسواء كانا في بلدين أو بلد أو احدهما في بلد الإمام المنفصل والآخر غيره هذا هو الصواب الذي عليه أصحابنا وجمهير العلماء^(٣).

وغير هذا كثير وكما جاء عن عبد الله بن عمر عندما نقض أهل المدينة وجملة الصحابة بيعة يزيد بن معاوية فأمتنع عبد الله من ذلك وقال: بايعنا الرجل والبيعة لآخر غدر وأن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة.

(١) صحيح مسلم ٦: ١٨. سنن ابن ماجة ٢: ١٣٠٧. سنن أبي داود ٢: ٣٠١. سنن النسائي ٧: ١٥٣ - ١٥٤. السنن الكبرى ٨: ١٦٩. فتح الباري ١٣: ٦١. المصنف ٨: ٥٩٠. كنز العمال ٦: ٥٣. ح ١٤٨١٣. تفسير القرطبي ١: ٢٧٣. تفسير ابن كثير ١: ٥٣. تهذيب الكمال ١٧: ٢٥٢. البداية والنهاية ٢: ١٨٦.

(٢) شرح مسلم ١٢: ٢٣٤. الديباج على مسلم ٤: ٤٥٦.

(٣) شرح مسلم ١٢: ٢٣١.



الفصل الثامن

ما شهدوا به من تحريم قتال أمير المؤمنين عليه السلام



واحدة لكانت موبقة انتزأؤه على هذا الأمر بالسفهاء وحتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيما خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطناير، وادعاؤه زياد وقد قال رسول الله ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، وقتله حجرا ويلا له من حجر مرتين^(١).

(١) تاريخ ابن عساکر ٢: ٣٨٤. تاريخ الطبري ٦: ١٥٧. ابن الأثير ٤: ٢٠٩. تاريخ ابن كثير ٨: ١٣٠. محاضرات الراغب ٢: ٢١٤. النجوم الزاهرة ١: ١٤١، المنتظم ٥: ٢٤٣.

وبالإضافة لما تقدم أن هناك نصوص ثابتة لا مجال لابن حزم وابن كثير في الاجتهاد الذي نسبوه لمعاوية وموهوا به على تلك الجرائم الشنيعة وفيها نصوص صريحة في حرمة محاربة علي عليه السلام وقتاله وأن محاربتة كمحاربة الرسول وطاعته كطاعة الرسول وطاعة الرسول طاعة الله ^(١).

ومثله الحديث الذي جاء بطرق عديدة وأكد عليه الرسول في مناسبات كثيرة وحتى جاء عن ابن أبي الحديد قوله: لقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: حربي حربي وسلمك سلمتي، ثم قال: وقاله رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي في ألف مقام: أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت ^(٢).

وأخرج الحديث جمع من أصحاب الصحاح والمسانيد. وحديث أبي هريرة، قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم ^(٣).

(١) سياقي الحديث عنه عند ذكر الآية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

(٢) شرح النهج ٢٠: ٢٢١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٤٢. الحاكم في المستدرک ٣: ١٤٩. الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٠، ح

٢٦٢١. المعجم الصغير ٢: ٣. ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٤٠. الذهبي في سير اعلام النبلاء ٢:

١٢٢، ٢٥٨. كز العمال ١٣: ٩٧، ح ٣٤١٦٤. مجمع الزوائد ٩: ١٦٩. تاريخ بغداد ٧: ١٤٤.

الكامل ٢: ٨٧. تاريخ ابن عساکر (الامام الحسين): ٩٩، ١٤٣، ١٤٦. ينابيع المودة ٢: ٣٢٥. كز

وفي لفظ قال رسول الله ﷺ: حرب علي حربي وسلمه سلمي وطاعته طاعتي ومن فارقه فارقني^(١).

إخبار النبي ﷺ بقتال علي عليه السلام.

ان من المعلوم الثابت أن معاوية وشجرته هم الفئة الباغية التي قاتل علياً وأنه على الحق وأن الرسول ﷺ قد أكد على ذلك مرارا ونص عليه في مناسبات كثيرة ورواه عنه جمع من الصحابة واحتجوا به على معاوية سواء في رسائلهم أو مقابلة وجهها لوجه في وقعه صفين وقبلها وعلى أصحاب الجمل والنهروان واستوفى الكثير منه أصحاب التواريخ والسير وللاختصار أعرض لنماذج منه:

قوله ﷺ: سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً حقاً على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه فمن لم يستطع بلسانه فبقلمه وليس وراء ذلك بشيء^(٢).



٩٦، ح ٣٤١٥٩. صحيح ابن حبان ١٥: ٤٣٤. ميزان الاعتدال ١: ١٧٦، وج ٢: ٣٠٧. سير اعلام النبلاء ٢: ١٢٥، وج ٧: ٤٣٢. بشارة المصطفى: ١٠٦. تاريخ ابن عساكر ١٣: ٢١٨، وج ١٤: ١٥٧، وفي ترجمة الامام الحسن: ٩٨. وفي ترجمة الامام الحسين: ١٤٣، ١٤٦. موارد الظمان (الميثمي): ٥٥٥. نظم درر السمطين: ٢٣٢. سنن ابن ماجه ١: ٥٢. سنن الترمذي ٥: ٣٦٠. المستدرک ٣: ١٤٩. المعجم الأوسط ٥: ١٨٢، وج ٧: ١٩٧. ضعيف سنن الترمذي (الألباني): ٥٢٠. أحكام القرآن (الجصاص) ١: ٥٧١. تهذيب الكمال ٢: ٣٥٩، وج ١٣: ١١٣. كما جاء الحديث عن علي عليه السلام - ذكرناه في أحاديث الولاية - وعن أم سلمة وأبي سعيد وعن صبيح مولى أم سلمة وغيرهم وفي هذا القدر كفاية.

(١) مسند أحمد ٣: ٤٤٢. المستدرک ٣: ١٢٤. الصواعق: ١٤٤.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١: ٣٢١، ح ٩٥٥. كز العمال ١١: ٦١٣، ح ٣٢٩٧١، و ١٥:

حديث أبي بكر:

أخرج محب الدين الطبري عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربية وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: معاشر المسلمين أنا سلم لم سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يجبههم إلا سعيد الجد طيب المولد ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء المولد. وذكر بعضهم في الحديث عن زيد بن تبيع فقال: سمعت أبا بكر الحديث... وزاد في آخره فقال: رجل لزيد يا زيد أنت سمعت أبا بكر يقول هذا، قال: أني ورب الكعبة^(١).

حديث زيد بن أرقم:

عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم^(٢).



العمال ١٣: ٨٤، ومنتخبه ٥: ٩٢، طبقات المعتزلة: ٨٢.

(١) الرياض النضرة ٢: ١٨٩. الخوارزمي في المناقب: ١٤٩، ٢٩٧. أرجح المطالب: ٣٠٩. مناقب العشرة: ١٨٩. مرآة المؤمنين: ٨٤، توفيق أبو علم في أهل البيت ٨: ٢٢٨. السكاكيني في أمهات المؤمنين: ١٩١.

(٢) تحفة الاحوذى ١٠: ٢٥٢. الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٠، ٥: ١٨٤، ح ٢٦١٩، وح ٢٦٢٠. المعجم الصغير ٢: ٣. أسد الغابة ٥: ٥٢٣. الإصابة ٨: ٢٦٦. الدولابي في الكنى والألقاب ٢: ١٦٠. الخوارزمي في المناقب: ٩٩. ابن الأثير في جامع الأصول ١٠: ١٠٢. الطبري في الرياض ٢: ١٨٩. التبريزي في مشكاة المصابيح ٣: ٢٥٨. النابلسي في ذخائر الوارث ١: ٢١٣. السيوطي مسند فاطمة: ٧٠. ابن جعفر النحاس (الناسخ والمسنوخ): ١٥٦. المزي في تحفة الاشراف ٣: ١٩٣. محمود شلبي في حياة فاطمة: ٢٥٣. ذخائر العقبى: ٢٥. كنز العمال ١٣: ٦٤٠، ح ٣٧٦١٨، و ١٢:



ولما تعددت صورة في مناسبات^(١).

وعن صالح جزرة قال: كان عباد يشتم عثمان وسمعته يقول: الله أعدل من أن يدخل طلحة والزبير الجنة قاتل علياً بعد أن بايعاه^(٢).

وقد حكم الله تعالى بوجوب قتال الفئة الباغية بقول تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ﴾^(٣).

اجتهادات ابن تيمية:

ولقد اضاف ابن تيمية على ثرثرة ابن حزم ونصبه: وجاء بعريضة جديدة افقدته الموازين العلمية خروجاً عن الأحاديث النبوية والتاريخ والسيرة ويغلو

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣: ٣٦٦ بعدة طرق. الطبري في الرياض ٢: ٢٧٣. ابن حجر في فتح الباري ٦: ١٦١، و١٣: ٤٦. المصنف ١١: ٢٤١، وج ٨: ٧١٩. شرح النهج ١: ٢٣٤، وج ١٣: ٢٨٧. كنز العمال ١١: ٣٣٠-٣٤. فيض القدير ٤: ٣٥٨. كشف الخفاء ٢: ٤٤٣. ضعفاء العقلي ٣: ٦٥. علل الدارقطني ٤: ٢٤٥. تاريخ ابن عساكر ١٨: ٤٠٩. تهذيب الكمال ١٨: ٩٣. تهذيب التهذيب ٦: ٢٩٠. الإصابة ٢: ٤٦٠. البداية والنهاية ٦: ٢٣٧، وج ٧: ٢٦٨، ٢٦٩. الإمامة والسياسة ١: ٩٢. الاستغانة ٢: ٦٨. المناقب (الخوارزمي): ١٧٩. ينابيع المودة ٢: ٣٨٩. أبو الفرج في الاغانى ١٦: ١٣١. العقد الفريد ٢: ٢٧٩. مروج الذهب ٢: ١٠. الخفاجي في شرح الشفاء ٣: ١٦٥. الكامل (ابن الأثير) ٣: ١٠٢. مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥. القسطلاني في لامواهب ٢: ١٩٥. الزرقاني في شرح المواهب ٣: ٣١٨، وج ٧: ٢١٧. السيوطي في الخصائص والحلي في السير ٣: ٣١٥. الأخبار الطوال: ١٤٧. وذكر القدير مصادر أخرى ٣: ١٩١.

(٢) سير اعلام النبلاء: ١١ ص ٥٣٧ وج ١٤: ٢٩ وتهذيب التهذيب: ٥: ٩٦ تهذيب الكمال: ١٤: ١٧٨ وميزان الاعتدال ٢: ٣٧٩.

(٣) الحجرات: ٩.

وعن ابن أبي الحديد^(١) قال: روى كثير من المحدثين عن علي أن رسول الله ﷺ قال له: أن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال: فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال: قوم يشهدون أن لا اله إلا الله واني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد قال: على الأحداث في الدين ومخالفة الأمر. فقلت يا رسول الله: انك كنت وعدتني الشهادة فاسأل الله أن يجعلها لي بين يديك، قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ... فقلت يا رسول الله: لو بينت لي قليلا، فقال: أن أمتي ستفتن من بعدي فتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال الخ...

تذكير الزبير بقتاله عليا عليه السلام،

ومثله ما جاء عن رسول الله ﷺ في قوله للزبير: انك تقاتل علياً وأنت ظالم له. أو قوله: كيف بك لو خرجت عليه وأنت ظالم. وبهذا احتج به أمير المؤمنين على الزبير يوم الجمل وقال: أتذكر لما قال رسول الله ﷺ انك تقاتلني وأنت ظالم لي، فقال: نعم وقد انسانيه الدهر. وبعبارة أخرى: ومن هذا ترك الزبير الحرب وجاء الحديث بالفاظ متقاربة



١٠٢، ح ٤٠٢٦٦٦. خصائص الوحي المبين: ٧٢. مجمع الزوائد ٩: ١٣٤. جامع الأحاديث لأحمد صقر ٧: ٦٠٥.

(١) شرح النهج ٩: ٢٠٦.

ألا من يسأل هذا الرجل متى كان للملوك ووزرائهم قوة الإستنباط ومملكة الاجتهاد التي لم تتيسر إلا لمن اتعب نفسه وسهر ليله بقوة تفكيره مثابرا لسنين عديدة وبعد ان تفتن خشية قوله وتفرد به بدعته هذه تستر بتأويل لينقذ غريقه الهالك فقال: وفي الانوار من كتب أئمتنا المتأخرين والباغون ليسوا بفسقه ولا كفره ولكنهم مخطئون فيما يفعلون ويذهبون إليه ولا يجوز الطعن في معاوية^(١). فلا أطيل مع هذا الرجل وأقواله تلك واحيل القارئ على كافة قواميس اللغة لمعرفة الباغي وكذا كتب التفسير في تفسير الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾ والآية الكريمة أيضاً استدل الأئمة بأن معاوية وصحبه هم الفئة الباغية كشافعي في قتال أهل البغي^(٢). وذكر الشيباني^(٣) لو لم يقاتل معاوية علياً ظالماً له متعدياً باغياً كنا لا نهتدي لقتال أهل البغي.

وذكر القرطبي^(٤) في ذكر هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيتها على الإمام أو على أحد المسلمين.

وذكر القاضي أبو بكر بن العربي هذه الآية اصل في قتال المسلمين والعمدة في حرب المتأولين وعليها عول الصحابة واليهما لجأ الاعيان من أهل الملة، وإياها عني النبي ﷺ بقوله: تقتل عمار الفئة الباغية، وقوله في الخوارج: يخرجون على خير فرقة أو على فرقة والرواية الأولى اصح لقوله ﷺ: تقتلهم أولى الطائفتين

(١) الصواعق: ٢٢١، وعنه تقوية الايمان: ١٤٨.

(٢) سنن البيهقي ٨: ١٧١.

(٣) الجواهر المضيئة ٢: ٢٦.

(٤) في تفسيره ١٦: ٣١٧.

حقده وعناده وينفي الفئة الباغية عن معاوية ومن معه. فيقول: وعلي لم يكن قتاله يوم الجمل وصفين بامر من النبي ﷺ وإنما كان رأياً رآه وهو الذي ابتدأ أهل صفين في القتال وعلي إنما قاتل الناس علي طاعته لا على طاعة الله (١).

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (٢) ولا احسب أن الرجل غافل عما اثبتته صحاح قومه ومسانيدهم وخصت طاعة علي من طاعة رسوله وطاعتها من طاعة الله سبحانه كما في الحديث السابق واذا لم تكن كذلك فهل يستطيع اثبات طاعة معاوية من طاعة الله فبهيات ذلك مهما حاول بتدليسه بالقول وتغوير العامة حتى يجعل لكل واحد من علي ومعاوية الاجتهاد ويخلط الاوراق ليخلص من اجماع الأمة وأحاديث جمهور الصحابة بتعيين معاوية وحزبه الفئة الباغية ويرد لمعاوية ماء وجهه بكل ما استطاع من تلفيق بالأقوال والبهتان والتضليل ولكن هيهات هيهات لن يتساوى النور والظلام والحق والباطل والفرق بينهما بعد السماء عن الأرض فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي.

ويأتي مثله زميله ابن حجر في صواعقه قائلاً ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضاً أن معاوية رضي الله عنه لم يكن في أيام علي خليفة وإنما كان من الملوك وغاية الاجتهاد أنه كان له أجر واحد على اجتهاده وأما علي فكان له أجران أجر علي اجتهاده وأجر علي إصابته... (٣).

(١) منهاج السنة ٢: ٢٠٢، ٢٠٥، وص ٢٣٢.

(٢) الكهف: ٥.

(٣) الصواعق لابن حجر: ٢١٦.

واجمعوا على أن علياً كان مصيباً في قتال أهل الجمل وهم طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وأهل صفين وهم معاوية وعسكره وقد أظهرت عائشة الندم^(١) والأقوال في تعيين الفئة الباغية وهم معاوية وحزبه كثيرة وذكرها يخرجنا عن الموضوع.

• وذكر الدكتور أحمد صبحي^(٢) فالحق أن علياً قد مثل مثلاً سامية في الإسلام عزت على أفهام الكثيرين وأنه حارب من أجل (كيف) الإسلام لا من أجل (كمه) أي أنه حارب من أجل معنى الإسلام ومغزاه لا من أجل اتساع رقعة الإسلام وزيادة عدد المسلمين ولكن الناس عن المبادئ والقيم غافلون بينما هم للأشخاص موالون ومقدسون.

عزل معاوية عن ولاية الشام

فلو تساءلنا مع ابن حزم وابن تيمية وابن كثير علامَ هذا الضجيج والتهويل وتشويه القيم وتحريف الشريعة بتغيير النصوص الثابتة إلى اجتهادات زائفة وتأويل مقيت والتكلف في الاعتذار عن طغاة بغاة وتبرير جرائم ما ارتكبه من تبذير أموال المسلمين على شهواتهم وسفك دماء عشرات الآلاف من الأبرياء وهتك المحرمات رغبة في السلطة وحبا للدنيا.

ثم إن معاوية لم يكن خليفة ولا انعقدت له بيعة وهي لا تحل له وإنما كان والياً لمن سبق فليزم عليه البيعة للخليفة الجديد الذي اختارته الأمة واستقل

(١) هكذا حكاه الزيلعي عن الارشاد ولكن تجده محرفاً عند طبعه راجع الارشاد نقلاً عن الغدير ١٠:

(٢) د. أحمد محمود صبحي في الزيدية: ٥٢.

إلى الحق وكان الذي قتلهم علي بن أبي طالب ومن كان معه فتقرر عند المسلمين وثبت بدليل الدين أن علياً عليه السلام كان اماماً وأن كل من خرج عليه باغ وأن قتاله واجب حتى تفيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح.

فهذا ما تقرر عند المسلمين وثبت عندهم بدليل الدين إلا ابن تيمية الذي استولى عليه الحقد والعناد وتخبط في أقواله تارة بالتكذيب واخر بالتأويل ولم يفرق بين من دافع عن الإسلام من حين بدء الدعوة إليه وهو أول المسلمين حتى مات عليه وبين من حارب الإسلام هو وآبائه وشن عليهم الغارة تلو الأخرى ولم يكتفي بهذا الحد حتى اكل الحقد والنصب قلبه وتمكن على مشاعره وافقده الصواب فخرج على اجماع المسلمين وتفرد بالنصب والعداء لأمر المؤمنين عليهم السلام مدافعاً عن معاوية وزمرته مهما كلف الأمر فيصف الإمام ظالماً باغياً وقتل المسلمين على امارته وطاعته ويريد علواً في الأرض وفساداً ^(١) فحسبه الله يوم القيامة وخصمه أمير المؤمنين وعند الساعة يخسر المبطلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وذكر الزيلعي ^(٢) قال: وأما أن الحق كان بيد علي في نوبته فالدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية ولا خلاف أنه كان مع علي وقتله أصحاب معاوية.

قال: امام الحرمين في كتاب الارشاد: وعلي عليه السلام كان اماماً حقاً في ولايته ومقاتلوه بغاة وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وأن أخطئوا

(١) منهاج السنة المصدر السابق.

(٢) نصب الراية ٤: ٦٩.

وله عليه السلام في جواب آخر:

وقد أكثر في قتلة عثمان فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمت القوم إلى حملتك وإيأهم على كتاب الله وأما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن.

ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى فتجن ما بدا لك^(١).

كما خاطبه شيبث بن ربعي قائلاً له: والله لا يخفى علينا ما تفزه وما تطلب فانك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به اهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك (قتل امامكم مظلوما) فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا ان قد ابطأت عنه بالنصر واحببت له القتل لهذه المنزلة التي اصبحت تطلب... الخ فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الامر أهله^(٢).

أقوال الإمام عليه السلام بعد أن اضطر إلى قتالهم:

وبعد أن ثبت عنه عليه السلام ارسال الوفود وبعث الكتب الكثيرة إلى جماعة الناكثين والقاسطين وتناقلتها السير وكتب التاريخ وحتى استدعاهم وجه لوجه في ميادين الحرب وحذرهم مغبة الأمور وفرقة المسلمين كما وقع له مع الزبير^(٣) في ميدان الحرب وذكره بأقوال الرسول بهذا الموقف وبيعة الغدير كما سبقت منهم ومثله مع طلحة ومراسلة عائشة وارسال الوفود إليها ولم يبدئهم بحرب حتى رموه

(١) وقعة صفين: ٥٨. المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٧٠.

(٣) تقدم تذكير أمير المؤمنين للزبير وطلحة.

بالأمره ووجبت طاعته فأما أن يقر معاوية على ولايته أو يعزله كما هي سيرة الدنيا وإلى اليوم.

فلم يصدر مرسوم بتثبيته ولا يراه أهلا للولاية فعزله وأرسل إليه مرارا من يبلغه بلزوم الطاعة لمن عنده من المسلمين واللحوق بالجماعة. غير أن استهوته الدنيا وغره السلطان فخرج عن الطاعة ومفارقة الجماعة وفرق وحدة المسلمين وأبى إلا أن يكون رأس البغاة كما كان رأس الأحزاب هو وأبوه يوم كان وثنيا وما أشبه أوله بآخره.

وبعد أن ضاق عليه الخناق واشتد الأمر ابتكر الحيل والخداع وتباطأ عن البيعة وكاتب طلحة والزبير ليستقلا بالأمر في الكوفة والبصرة ورغبهما مساندا ودعمهما بما يستطيع مفرقا المسلمين ويفت في عضد الإمام بتمزيق الأمة وجماعة المسلمين فأحبط الله سبحانه مكره وخدعه وقتل صاحبيه وكان ما كان من أمر وقعة الجمل وحيث لم يجد مهرب وضاق الخناق عليه فعاد إلى تلك الحيل وتترس بالطلب بقتل عثمان ليستميل من بني أمية الذين فروا إليه، ويفرر بالبسطاء والسذج من شراذم أهل الشام.

فكتب إليه الإمام عليه السلام رسائل عديدة تقدم بعضها واختصر ذلك لصورتين من اجوبته فكتب إليه الإمام من جواب: وأما قولك أَدْفَعُ إِلَى قَتْلِ عَثْمَانَ فَمَا أَنْتَ وَذَلِكَ وَهَاهُنَا بَنُو عَثْمَانَ وَهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ أَقْوَى عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِّ عَثْمَانَ مِنْهُمْ فَارْجِعْ إِلَى الْبَيْعَةِ الَّتِي لَزِمْتَكَ (لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر) وحاكم القوم الي (١).

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٢، ١٢٢. الكامل للمبرد ١: ٢٢٥. العقد الفريد ٢: ٢٨٤. شرح النهج ١: ٢٥٢، ٢٤٨، وج ٣: ٣٠٠.

الفصل التاسع

الأحاديث النبوية

في قتال الناكثين والقاسطين



وأصحابه فقال: كما عرف عنه لقد جاءتكم رسل القوم وكذا الأمر بصفين وبعد كل التحذيرات اللازمة مع هؤلاء اضطر فقال ﷺ لم اجد بدا من قتلهم أو الكفر بما أنزل على محمد ﷺ.

وفي لفظ: وما هو إلا الكفر بما أنزل على محمد أو قتال القوم^(١).

وذكر بعضهم في آخر الحديث أن الله تعالى لم يرض لاوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرن بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون على من معالجة في الاغلال في جهنم^(٢).

كما ذكر بعضهم في صدر الحديث قوله ﷺ ضربت الأمر ظهر البطن فلم اجد إلا القتال^(٣) الحديث وذكر ابن أبي الحديد أقوالاً كثيرة في هذا المضمون.

(١) نهج البلاغة ١: ٩٤. شرح النهج ٢: ٢٠٨. مستدرک الحاکم ٣: ١١٥. كنز العمال ١١: ٣٤٩. ح ٣١٧١٠. تفسير ابن كثير ١: ١٢٩. نظم درر السمطين: ١١٧. تاريخ ابن عساکر ٤٢: ٤٣٩. أسد الغابة ٤: ٣١. أنساب الاشراف: ٢٣٦. تاريخ الطبري ٦: ٢٢٦. وقعة صفين: ٤٧٤. مناقب الخوارزمي: ١٧٣. ينابيع المودة ٢: ٨. الشفاء للقاضي عياض. والبحر الزاخر ٥: ٤١٥. الرياض النضرة ٢: ٢٤٣. ذخائر العقبى.

(٢) وقعة صفين: ٤٧٤، ومثله في شرح النهج ٢: ٢٠٨. الاخبار الطوال: ١٨٨. ينابيع المودة ٢: ٨. ويقرب منه حلية الأولياء ١: ٨٥. الاستيعاب ١: ٤١١، ترجمة حوشب. اسد الغابة ٢: ٦٣.

(٣) المستدرک للحاکم ٣: ١١٥.

في قتال علي عليه السلام للناكثين والقاسطين،

ذكر ابن أبي الحديد^(١) قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين فكان الناكثون أصحاب الجمل لانهم نكثوا بيعته وكان القاسطون أهل الشام بصفين وكان المارقون الخوارج في النهروان وفي الفرق الثلاث قال الله تعالى ﴿فَمَنْ نَكَثَ فِئْمًا يَنْكُثْ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾^(٢) وقال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(٣).

وقد جاء الحديث بذلك بطرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة ممن سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن عديدة مثل أبي ذر رضي الله عنه كما جاء عنه^(٤).

الحديث الأول، عن أبي أيوب الأنصاري،

ولما تكرر الحديث عن أبي أيوب الأنصاري في مناسبات عديدة أعرض لبعضها فقاله قبل وقوع الحرب وفي زمن خلافة عمر وبعدها واخرى عند ذهابه

(١) شرح النهج ١٣: ١٨٣. ومثله ابن الاثير في النهاية ٥: ١١٤.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) الجن: ١٥.

(٤) جامع الاحاديث لعباس احمد صقر ٤: ٣٧٥، ٣٧٧، ج ٥: ٢٩٩. المناقب (الخوارزمي): ٥٢. كفاية

الطالب: ١٩١. ومنتخب كنز العمال ٥: ٣٦.

مع علي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فاما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل طلحة والزبير وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمر وأما المارقون فذكرهم وقال: والله ما أدري أين هم ولكن لا بد من قتالهم انشاء الله^(١).

الحديث الرابع، قبل وقعة صفين

عن عتاب (عقاب) بن ثعلبة قال أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر ابن الخطاب قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب^(٢).

الحديث الخامس، عند قدومه العراق

فعن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق وسألوه فاجابهم كما في الحديث الثالث الخ^(٣).

حديث عبد الله بن مسعود:

عن عبد الله بن مسعود قال: أمر رسول الله ﷺ عليا الحديث الخ...^(٤).

(١) تاريخ بغداد ١٣: ١٨٨، تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٧٢، الموضوعات ٢: ١٢، البداية والنهاية ٧:

٣٤٠، كفاية الطالب: ٧٢.

(٢) ابن عساكر ٣: ٢١٣، وأخرجه الحافظ ابن حبان والطبري كما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ج

٣ ص ٥٣ والحاكم في المستدرک ٣: ١٣٩ وذكره السيوطي في الخصائص ٢: ١٣٨.

(٣) ابن أبي الحديد في شرح المختار (٤٨) من الخطب ٣: ٢٠٧ وتاريخ ابن عساكر، تاريخ ابن كثير ٧:

٧٠٦، كنز العمال ٦: ٨٨.

(٤) أخرجه الحاكم في أربعينه في طريقين والاستيعاب ٣: ٥٣ والهيتمي مجمع الزوائد ٧: ٢٣٨ وج ٦:

إليها وثالثة فيهما بين الحربين التي قاتل فيها وانتصاره للطائفة الاخيرة التي وعد بها وفي احتجاجه الكثير مع الخصوم من القوم.

فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي بن أبي طالب تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالسفعات قال: أبو أيوب قلت يا رسول الله مع من تقاتل هؤلاء قال: مع علي بن أبي طالب ^(١).

الحديث الثاني، وهو في صفين،

عن مخنف بن سليم قال: أتيت أبا أيوب وهو يعلف خيلاً له بصفينا فقلنا قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بقتال ثلاثة وذكرهم. فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل انشاء الله المارقين بالسفعات بالطرقات بالنهروانات وما أدري أين هم ^(٢).

الحديث الثالث، بعد رجوعه من صفين

عن علقمة والاسود قالوا: اتينا أبا أيوب عند منصرفه من صفين فقلنا له يا أبا أيوب أن الله أكرمك بنزول محمد عليك بمجيء ناقته تفضلا من الله واکراما لك حتى اناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله فقال: يا هذا الرائد لا يكذب اهله وأن رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة طوائف

(١) الحاكم في المستدرک ٣: ١٣٩، والذهبي في التلخیص وابن عساکر في ترجمة أمير المؤمنين ٣: ٢١٣

وفي شرح النهج ٣: ٢٠٧ بتغيير وزيادة في آخره والخطيب في تاريخه ١٣: ١٨٦.

(٢) مجمع الزوائد ٦: ٢٣٥. ابن عساکر ترجمة أمير المؤمنين ٣: ٢١٣ والطبراني في المعجم الكبير ١:

٢٠٥ وعنه كفاية الطالب: ٣٧ ومنتخب كنز العمال ٥: ٤٥١ والهيثمي مجمع الزوائد ٦: ٢٣٥ وفرائد

السمطين ١: ١٧٨ وبعضهم لم يذكر صدر الحديث.

ومثله عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي سنقاتلك الفتنه الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني. (١)

حديث خاصف النعل.

حديث خاصف النعل عن أبي سعيد الخدري وغيره وهذه بعض صورة.
فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله فتخلف على يخصفها فمشى قليلا ثم قال: أن منكم من يقاتل على تاويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قال: أبو بكر أنا هو قال: لا قال: عمر أنا هو قال: لا ولكن خاصف النعل يعني علياً فأتيناه وبشرناه فلم يرفع رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ. (٢)



٢١٦ قال: أبو سعيد ليس بمتروك بل صرح الحاكم في المستدرک ووافقہ الذهبي في التلخيص وقال: أبو سعيد عفيصاء ثقة مأمون.

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخه والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦: ١٥٥ وحكاة الزرقاني عن ابن عساکر في شرح المواهب ٣: ٣١٧.

(٢) مستدرک الحاكم ٣: ١٢٢، وابن عساکر في ترجمة أمير المؤمنين ٣: ١٦٢ عن أبي سعيد بأحد عشر طريقا والنسائي في الخصائص: ٤٠ وتهذيبه: ٨٨، وأسد الغابة ٤: ٣٢ والطبري في الرياض النضرة ٢: ١٩١ وله في ذخائر العقبى: ٣٩ وص ٧٦، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢: ٢٠٢، وابن كثير في البداية ٦: ٢١٧ والهشمي بجمع الزوائد ٩: ١٣٣، وج ٦: ٢٤٤، وج ٥: ١٨٦ ثم قال: رجاله رجال الصحاح والسيوطي تاريخ الخلفاء: ١٧٣ عن أحمد والحاكم ومثله ابن حجر في الصواعق: ٧٤ وكنز العمال ٦: ١٥٥ و٣٩٠، وج ١٢: ٢١١، وج ١٥: ٩٤ ومنتخبه ٥: ٢٧ والمروزي في شرح الفقه لأبي حنيفة: ٦٧ وبهجت أفندي في تاريخ آل محمد: ١٢٢، وأحمد صقر جامع الأحاديث ٢: ٧٨١، وج ٣: ٧٦، وشرح النهج ٣: ٢٠٦، وفي شرح المختار ٢: ٢٧٧، ومسنند أحمد ٣: ٣٣ وص ٨٢ عن أبي ذر باختصار ومحمد سلمان المالكي في جمع الفوائد من جامع الأصول ١: ٣٢٤ ط الهند.



حديث أبي سعيد الخدري:

قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلنا يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب ومعه يقتل عمار بن ياسر^(١).

حديث وهب البصري:

وعن وهب بن صفي البصري قال: قال رسول الله ﷺ: انا اقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تاويله^(٢).

حديث عمار بن ياسر:

والحديث عن عمار جاء بطرق عديدة وفي مناسبات كثيرة ومضمونه سواء كما سبق فأعرض لواحد منها.
عن أبي سعيد عقيصاء التيمي قال: سمعت عمار ونحن نريد صفين قال: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٣).

(١) ابن عساكر ٣: ٢١٣ والحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي والكنجي في كفاية الطالب: ٧٢ وابن كثير في تاريخه ٧: ٣٠٥ والمناقب للخوارزمي: ١٢٢ والحموي فرائد السمطين ١: ٢٨١ وغاية المرام: ٧٤ في رجال البخاري للبازي تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٧٣ ابن حجر في الصواعق: ٧٤ والهروي في شرح الفقه لابن حنيفة: ٦٧، وذكر بعضهم الحديث وحذف آخره في قوله: (مع من) وأسد الغاية ٤: ٣٣. الاصابة ١: ٣٩.

(٢) ابن حجر في الاصابة ١: ١٩١. كنز العمال ١١: ٦١٣، ح ٣٢٩٦٨. ينابيع المودة ٢: ٢٣٥.

(٣) رواه الطبراني كما في الثالئ ١: ٢١٤، وكنز العمال ١١: ٢٧٨، والهيشمي مجمع الزوائد ٧: ٢٣٩ وقال في آخره: وأبو سعيد متروك فذكر المحمودي في هامش ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين ٣:

وذكره عنه أصحاب اللغة في معاجمهم مثل ابن الأثير في النهاية: قال في حديث علي^(١): أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين أراد من الناكثين أهل الجمل وبالقاسطين أهل الشام وبالمارقين الخوارج وذكره ابن منظور في لسان العرب وتعرض الطريحي في مجمع البحرين، وتاج العروس^(٢).

حديث عمار تقتلك الفئة الباغية،

حديث عمار تقتلك الفئة الباغية لقد جاء بعدة طرق^(٣).

(١) النهاية في غريب الحديث ٤: ٦٠.

(٢) لسان العرب ٢: ١٩٦، وج ٧: ٣٧٨. مجمع البحرين ٤: ٣٦٨. تاج العروس ١: ٦٥١، ج ٥: ٢٠٦. وذكره في الاستيعاب ٣: ٥٣. أسد الغابة ٤: ٣٣.

(٣) بخمسة وعشرين طريقاً في الغدير ٣: ٢٥٠ وفي ٩: ٢١ وذكر السيوطي في الخصائص ٢: ١٤٠ قال: متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر، كما بينت ذلك في الأحاديث المتواترة، كما مر في الخصائص والاستيعاب ٢: ٤٣٦ قال: تواترت الآثار عن النبي بالحديث وهذا من اخباره بالغيب واعلام نبوته وهو من أصح الأحاديث. الإصابة ٢: ٥١٢، قال: تواترت الأحاديث.

ومن الذين رووا الحديث: صحيح مسلم ٨: ١٨٦. سنن الترمذي ٥: ٣٢٣. المستدرک ٢: ١٤٨، ج ٣: ٣٨٦. ج ٣٩١. مجمع الزوائد ٧: ٢٤٢، ج ٩: ٢٩٦، ٢٩٨. تحفة الاحوذى ١٠: ٢٠٤ مسند أبي داود: ٢٢٣. الاستغاثة ١: ٥٤. المحلى ١١: ٩٧. العمدة (ابن البطريق): ٣٢٣. سبل السلام ١: ٩٥. شرح الأخبار ١: ٤٠٧. مسند أحمد ٥: ٣٠٧، ج ٦: ٣٠٠، ج ٦: ٣١١. سير اعلام النبلاء ١: ١٤٢، ج ١: ٤٢٠. الإصابة ١: ٣٧١. أحكام القرآن (الجصاص): ٥٣٢. الدر المنثور ٤: ٣٧١. الدرجات الرفيعة (ابن معصوم): ٢٦٠. الكامل (ابن عدي) ٣: ٢٠٧ - ٢٠٨. علل الدار قطني ١١: ١٢٧. تاريخ بغداد ٧: ٤٢٥، ج ١٣: ١٨٨. أسد الغابة ١: ٢٩، ج ٤: ٤٦. تهذيب الكمال ١٠: ٣٨٩، ج ١٧: ١١٤. ج ٢١: ٢٢٤، ج ٣٤: ١٩٦. نصب الراية (الزيبلي) ٥: ٤٧. مسند ابن الجعد: ١٨٢. الآحاد والمثاني ٣: ٤٣٦. السنن الكبرى ٥: ٧٥، ج ٨٢٧٥، ج ٥: ١٥٥، ج ٨٥٤٤، ج ٥: ١٥٥، ج ٨٥٤٥. خصائص أمير المؤمنين (النسائي): ١٣٢، ١٣٣. المعجم الأوسط ٧: ٢٩١. المعجم الكبير ١: ٣٢، ج ٥: ٢٢١، ٢٦٦، ج ١٩: ٣٣١. تاريخ الطبري ٤: ٢٩. البداية والنهاية ٦: ٢٣٩. تاريخ ابن عساکر

حديث عبد الرحمن بن بشير،

كما جاء الحديث عن عبد الرحمن بن بشير بلفظ قال: كنا جلوسا عند النبي إذ قال: ليضربنكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله فقال أبو بكر: أنا هو. قال: لا، وقال عمر: أنا هو. قال: لا، ولكن خاصف النعل وكان علي يخصف نعل رسول الله ﷺ ثم قال: أخرجه الثلاثة وأبو نعيم (١).

حديث علي،

وجاء الحديث عن علي عليه السلام في لفظ: (أمرني رسول الله أو عهد إلي رسول الله) أو (أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين) وروى عنه بسبعة أسانيد. كما في مجمع الزوائد، وتاريخ ابن عساكر من أربعة عشر طريقا وشرح المقاصد (٢)، كما رواه جمع من الصحابة عن علي عليه السلام ويطول المقام بذكرهم (٣)، وذكره في الاستيعاب ٣: ٥٣، وأسد الغابة ٤: ٣٣، والمستدرک ٣: ١٣٩، وتاريخ بغداد ٨: ٣٤٠.



والخطيب في تاريخ بغداد ١٣: ١٨٦ والبيهقي دلائل النبوة ٦: ٤٣٥، أبو نعيم في الحلية ١: ٦٧. فضائل الصحابة ٢: ٦٢٧. الاحسان بترتيب ابن حبان ٩: ٤٦. تاريخ بغداد ٨: ٤٣٣. ابن عساكر ترجمة أمير المؤمنين: ١٦٣.

(١) أسد الغابة ٤: ٢٨٢، والإصابة ٤: ٢٤٥ ينابيع المودة ١: ١٨٧. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٥٥.
 (٢) المعجم الأوسط ٨: ٢١٣. كنز العمال ١١: ٢٩٢، ح ٣١٥٥٢. الكامل ٢: ٢١٩. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٦٩. ميزان الاعتدال ١: ٥٨٤. البداية والنهاية ٧: ٣٣٨. النهاية في غريب الحديث ٤: ٦٠.
 (٣) وذكرهم في الغدير ٣: ١٩٢. تاريخ بغداد ٨: ٣٤٠ عن خليلد العصري، قال: سمعت أمير المؤمنين علياً.

وفي لفظ البخاري^(١) ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار،

وفي لفظة عن عمار قال: أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ انه تقتلني الفئة الباغية وأن آخر زادي من الدنيا من لبن (أو شربة من لبن).

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ في حديث: أن عمار ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه^(٢).

وعن عائشة قالت ما أحد من أصحاب رسول الله إلا لو شئت لقلت فيه ما خلا عمارا فاني سمعت رسول الله يقول: ملأ إيمانا إلى مشاشة^(٣).

ومن حديث أن عمارا مع الحق والحق معه يدور عمار مع الحق أينما دار وقاتل عمار في النار^(٤).

(١) صحيح البخاري ٣: ٢٠٧. الذهبي تاريخ الإسلام ٢: ١٧٩، وسير اعلام النبلاء ١: ٤١٩. وابن كثير في البداية ٣: ٢٦٤، ج ٦: ٢٤٠، ج ٧: ٢٩٦. تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٢.
(٢) حلية الاولياء ١: ١٣٩. تفسير الزمخشري ٢: ١٧٦. البيضاوي ١: ٦٨٣. تفسير الرازي ٥: ٣٦٥.
تفسير الخازن ٣: ١٤٣، كنز العمال ١١: ٧٢٤، ح ٢٣٥٤١. تفسير الآكوسي ١٤: ٢٣٧. فيض القدير ٤: ٤٧٣. تفسير العياشي ٢: ٢٧١.

(٣) الهيثمي مجمع الزوائد ٩: ٢٩٥ وتيسير الوصول ٣: ٢٧٩ والبداية والنهاية ٧: ٣١١ وكنز العمال ١١ : ٧٢١. سنن ابن ماجه ١: ٥٢. سنن النسائي ٨: ١١١. المستدرک ٣: ٣٩٢. فتح الباري ٧: ٧٢. المصنف ٧: ٢١٧. السنن الكبرى ٥: ٧٤، ح ٨٢٧٣، ج ٦: ٥٣٢. صحيح ابن حبان ١٥: ٥٥٢. الجامع الصغير (السيوطي) ٢: ١٧٨، ح ٥٦٠٤، ج ٢: ٥٣٩، ح ٨٢٠٣. فيض القدير ٤: ٤٧٣. علل الدارقطني ٤: ١٥٢. تاريخ ابن عساكر ٤٣: ٣٥٩. أسد الغابة ٥: ٣٨٣. تهذيب الكمال ٢١: ٢٢٢. سير اعلام النبلاء ١: ٤١٣. تهذيب التهذيب ٧: ٣٥٨. الإصابة ٤: ٤٧٣. النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٣٣.

(٤) الطبقات لابن سعد ٣: ٢٦٢. ومثله في تاريخ ابن عساكر ٤٣: ٤٧٦. الاستغاثة ١: ٥٤.

وقاله عليه السلام في مناسبات كثيرة منها في بناء المسجد وحفر الخندق وكلمة
 لاحظ عمار أو مر عليه اتحفه بالحديث وتواتر الحديث بذلك^(١) والحديث يكاد
 لا تخلو الصحاح^(٢) والمسانيد والمعاجم منه وتصحيح سنده وبالفاظه العديدة
 ومنها:

ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية،

وفي لفظ تقتل عمار الفئة الباغية وقاتله في النار^(٣)،

١٣: ٩، ٣٧٠، ج ٢١: ٤١٥، ج ٣٦: ٢٣١، ج ٤٢: ٤٧٢، ج ٣٧٢: ٤١٢، ٤١٥ - ٤٣٠، ج ٦٧: ١٥٠،
 ج ٦٨: ٢٧، ينابيع المودة: ١: ٣٨٥، غريب الحديث (ابن قتيبة) ١: ١٠٣، كنز العمال ٩: ١٦٩، و
 ١١: ٣٦٧، ج ٣١٧٦٢، و ١١: ٧٢٢ - ج ٣٣٥٣٢، و ١١: ٧٢٥، ج ٣٣٥٤٩ - ٣٣٥٦٤، و ١٣: ٥٢٨،
 ج ٣٧٣٦٧، و ١٣: ٥٣٠، ج ٣٧٣٧٢، و ١٣: ٥٣٥، ج ٣٧٣٩٢، و ١٣: ٣٦، ج ٣٧٣٩٩، و ١٣: ٥٣٦،
 ج ٣٧٤٠٠، ج ٣٧٤٠١ - ج ٣٧٤٠٦.

(١) ونص على تواتره السيوطي في قطف الازهار: ١٠٤ والكتاني في نظم المتناثر: ٢٠٨.

(٢) مثل صحيح مسلم ٨: ١٨٦ وصحيح البخاري ٢: ٩٣ وج ١: ٦١ باب التعاون في بناء المساجد
 وباب مسخ الغبار عن الناس.

(٣) مسند أحمد ٢: ١٦١، وج ٣: ٥، وج ٦: ٣٠٦، السنن الكبرى ٨: ١٨٩، فتح الباري ١: ٤١٥، مسند
 أبي داود: ٨٤، ٩٠، ٢٨٨، ٢٩٣، مسند ابن راهويه ٤: ١٤٦، السنن الكبرى ٥: ١٥٦، ج ٨٥٤٦،
 ج ٨٥٤٧، ٨٥٤٨، مسند أبي يعلى ٣: ٢٠٩، ج ١٦٤٥، و ٧: ١٩٠٥، ج ٤١٨١، المعجم الأوسط ٨:
 ٢٥٢، المعجم الكبير ٢٣: ٣٦٣، كنز العمال ١١: ٨٢٥، ج ٣٣٥٤٨، و ١١: ٧٢٧، ج ٣٣٥٦١، و ١٣:
 ٥٣٠، ج ٣٧٣٧٤، ج ١٣: ٥٣٥، ج ٣٧٣٩٦، و ١٣: ٥٣٨، ج ٣٧٤٠٨، سير أعلام النبلاء ١: ٤١٩،
 أنساب الاشراف: ٣١٧، البداية والنهاية ٣: ٢٦٣، الطبقات الكبرى ١: ٢٤١، و ٣: ٢٤٨، ٢٥١ -
 ٢٥٣، الثقات (ابن حبان) ١: ١٣٥، ١٤١، ٢: ٢٩١، ٤: ٢١٦، السيرة النبوية (ابن كثير) ٢: ٣٠٦،
 لسان العرب ٢: ٦٣٩، تاج العروس ٢: ٢٤٩.

ولما كان عمار ووصفه النبي وانه دائماً يميل مع الحق والحق معه فليس بكثير عليه ذلك خاصة بعد أن اشاد الذكر الحكيم بنزول خمس آيات^(١) في فضله وجهاده وصبر في بدء الدعوة الإسلامية مع أبويه ياسر وسمية.

عندما كانوا يعذبون في رمضاء مكة في الهجيرة وقول الرسول فيهم: صبرا آل ياسر أن موعدكم الجنة. وبلفظ ابشروا آل ياسر بالجنة^(٢).

وقتل ياسر معذبا وسمية التي مثلوا بها في سبيل دعوتهما للإسلام ومناصرة الرسول ﷺ.

واستمر عمار ملازماً للنبي يتحفه بين آونة وأخرى مذكراً أصحابه بمكانة عمار عند الله تعالى وانتقل من بعده متابعا لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب في حاله وترحاله ولن يغيب عنه وصايا الرسول وأمره بمتابعة علي عليه السلام وروى الأحاديث الكثيرة التي سمعها من النبي في فضل علي ولم يفارقه في حروبه الثلاثة وهي الأخرى التي سمعها من النبي في مقاتلة الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي وتقتله الفئة الباغية ويحضر معه في وقعة الجمل لقتال الناكثين طلحة والزبير وعائشة ويحتج عليهم في الكثير من خطبه وأقواله التي سمعها من النبي.

كما لم يتخلف عن القاسطين الفئة الباغية ويخطب عليهم في ميادين الحرب مذكراً بأقوال الرسول وموجهها خاصة إلى معاوية وعمرو بن العاص وثم يذكر

(١) وذكر مفصلاً الأميني في الغدير: ٩ عن جماعة من المفسرين.

(٢) الطبري في تاريخه ٤: ٢٧ ومجمع الزوائد ٩: ٢٩٣ وأخرجه عن جماعة كما في كنز العمال ١١:

٧٢٨، ح ٣٣٥٦٧. وسيرة ابن هشام ١: ٣٤٢ وحلية الأولياء ١: ١٤١. أسد الغابة ٤: ٤٤. الإصابة

٤: ٢٢٦. البداية والنهاية ٣: ٧٦.

وأضاف بعض المتعصبين إلى الحديث عمار مع الحق أينما دار فقال: ما لم تغلب عليه ولهة الكبر كما حذفوا ما اثبت التاريخ وما وقع بينه وبين عثمان من مشاجرات عديدة وآخرها يوم حمل عمار رسالة المعترضين على عثمان فقام إليه مروان وركله برجليه حتى كسر أضلاعه وعثمان رفسه حتى فتق بطنه وبعد ان أغمي عليه رموه في الطريق وأخذته أم سلمة إلى بيتها إلى آخره والحديث طويل^(١)، ونسبوا إليه الانحراف واستمالة ابن السوداء إلى غير ذلك.

كل ذلك دفاعا عن عثمان ومروان وتحفظا على كرامة معاوية ومثله الحديث إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق^(٢).

وعن جماعة من الصحابة، أن ابن سمية ما عرض عليه أمران قط إلا أخذ بالارشاد منهما وبالفاظه العديدة^(٣).

ومن حديث: من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا ابغضه الله وبألفاظ أخرى مشابهة^(٤).

والأحاديث في فضل عمار كثيرة لا يسعها هذا المختصر وقد تخصصت كتب مستقلة في أحواله وجهاده.

(١) انظر: الغدير ٩: ١٦.

(٢) ابن كثير في تاريخه ٧: ٣٠٠. النزاع والتخاصم (المقريزي): ١٠٧. سير أعلام النبلاء ١: ٤١٦. علل الدارقطني ٥: ٢٣٣.

(٣) مسند أحمد ١: ٣٨٩ و٦: ١١٧، سنن ابن ماجه ١: ٦٦، مصابيح البغوي ٢: ٢٨٨، تفسير القرطبي ١٠: ١٨١، تيسير الوصول ٣: ٢٨٩، كنز العمال ٦: ١٨٤، الإصابة ٢: ٥١٢.

(٤) مسند أحمد ٤: ٨٩، مستدرك الحاكم ٣: ٣٩١، تاريخ بغداد ١: ١٦٣ الاستيعاب ٢: ٤٣٥، أسد الغابة ٤: ٤٥، تاريخ ابن كثير ٧: ٣١١، الإصابة ٤: ٤٧٤، كنز العمال ١١: ٧٢٢، ح ٣٣٥٣٤. مجمع الزوائد ٩: ٢٩٣. السنن الكبرى ٥: ٧٣. الدر المنثور ٢: ١٧٦.

وعن ابن عبد الرحمن السلمى قال: شهدنا مع علي عليه السلام صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتبعونه كأنه علم لهم وسمعت عمارا يقول: يومئذ لهاشم بن عتبة يا هاشم تقدم الجنة تحت الابارقة اليوم القى الأحبة؛ محمداً وحزبه والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا إنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال: نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله... الخ^(١).

والخلاصة: فهذا عمار ومواقفه في بدء الدعوة وحتى آخر لحظة وقد مر علينا بعض أحاديث الرسول في فضله وإخلاصه كما اثني عليه الذكر الحكيم ووصفه بأنه قانت أثناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة.

ويدع ربه بالغداة والعشي يريد وجهه، ووصفه قلبه مطمئن بالإيمان ووعده وعدا حسناً فهو لاقيه.

ووصفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ملئ إيماناً إلى مشاشه (أو اخمص قدميه). وتقتله الفئة الباغية وقاتله وسالبه في النار ويدع إلى الجنة ويدعونه إلى النار إلى غيرها.

اجتهاد أبو الغادية قاتل عمار

وبعد الذي مر علينا من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية في عمار بن ياسر فهل من العدل والانصاف أن نتابع ابن كثير وابن تيمية في الدفاع عن الفئة الباغية أو نقر لابن حزم في اجتهاده المزعوم في قوله^(٢) وعمار عليه السلام قتله أبو الغادية إلى

(١) الاستيعاب ٢: ٤٢٣.

(٢) الفصل لابن حزم ٤: ١٦١.

جيشهم المغرر به ويقاتل ويبرز إلى الحرب مع ضعف جسمه وعمره تجاوز الرابع والتسعين.

واحتج به أبو أيوب الانصاري من حديث طويل واللفظ للحموي قال أبو أيوب: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: أنه سيكون بعدي في أمي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يتبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني - يعني علي بن أبي طالب - فإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي واخل الناس^(١)،
يا عمار أن علياً لا يردك عن هدى ولا يدخلك على ردى،
يا عمار طاعة علي وطاعتي وطاعة الله...^(٢)

وكان يقاتل ويقول اليوم ألقى الأحبة^(٣) محمداً وحزبه وبهذا الاندفاع والصمود الذي اعتقد به ولم يفارقه وبعد وقوع الخلاف في صفين والنكسة كان يقول: والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا إنا على الحق وأنهم على الباطل^(٤).

(١) كما جاء الحديث بسند آخر وبلفظ وفيه أن سلك علي وادياً وسلك الناس وادياً آخر الخ وذكره ابن عساكر ٣: ٢١٤ ترجمة أمير المؤمنين والخطيب تاريخ بغداد ١٣: ١٢٦ كنز العمال ١٢: ٢١٢ من طريق الديلمي وجامع الأحاديث أحمد صفر ٧: ٧١٢ باختصار وهو غير الأول.

(٢) الحموي فرائد السمطين ١: ١٧٨ وينايع المودة: ١٢٨ والخوارزمي في المناقب: ١٢٤ والهمداني مودة القربى وغيرهم.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٢٣، تاريخ ابن كثير ٧: ٣٦٩.

(٤) كفاية الطالب للكنجي: ١٧٥ وذكره في هامشه عن جماعة. والحموي فرائد السمطين ١: ٢٨٦ والمناقب للخوارزمي: ١٦٥ وذكره أيضاً عن جماعة.

على معاوية فقال له: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار بن ياسر فقال: قتل عمار فماذا؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية.

ولما سمع من عمرو بن العاص ما حدثه بالحديث المشهور قال له: انك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت ترحض في بولك انحن قتلناه انما قتله علي وأصحابه جاؤا به حتى القوه بين رماحنا^(١).

وعندما سمع الإمام بهذه المقالة يا سبحان فكان رسول الله هو الذي قتل حمزة وجاء به وكذا فلان وفلان وذكر ابن القيم الجوزية^(٢) انها من تأويلات أهل الشام الباطلة.

ثم قال له: أفسدت علي أهل الشام، أكل ما سمعت من رسول الله تقوله؟ فقال: عمرو قتلها ولست أعلم الغيب ولا أدري أن صفين تكون قتلها وعمار يومئذ لك ولي وقد رويت أنت فيه مثل ما رويت.

ولهما في ذلك مناشدة شعرية منها:

تعاتبني أن قلت شيئاً سمعته وقد قلت لو انصفتني مثله قبلي^(٣)
وذكر ابن سعد^(٤) من حديث وكان الذي قتل عمار بن ياسر أبو الغادية المزني طعنه برمح فسقط وكان يقاتل في محفة وقتل وهو ابن أربع وتسعين سنة

(١) الحاكم في المستدرک ٢: ١٠٠، ٣: ٣٨٦. مجمع الزوائد ٧: ٢٤١، ٩: ٢٩٦، ووثق رجاله نقلًا عن دليل المتحرين: ١٣٣.

(٢) الصواعق: ١٠.

(٣) وذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج ٨: ٢٧.

(٤) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٩. تاريخ ابن عساکر ١٦: ٣٧٠، و٤٣: ٤٧١. تهذيب الكمال ٢١: ٢٢٥.

أن يقول: فأبو الغادية عليه السلام تناول مجتهد مخطئ فيه باع عليه مأجور اجرا واحداً.
فما أدري هل يريد ابن حزم أن نتابعه بهذا الاجتهاد المزعوم الذي عارض
من النصوص الآيات الكريمة والسنة النبوية ونضرب بهما عرض الحائط.
او نعترف له بتحكمه واختلاق المعاذير بتبرير قتل المؤمن وسفك الدماء
المحرمة أو التغاضي عن جهله بالسيرة والتاريخ.

﴿فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(١).

فمعاذ الله من ذلك أن هذا إلا هو الضلال المبين.

وكان الرجل قد تعامى وتناسى سيرة سلفه والضجة التي حدثت بعد قتل
عمار والاضطراب الذي حصل في معسكر الشام وكادت الهزيمة أن تقع أو
الانقلاب الداخلي بين صفوفهم لولا ابتكار الحبل والخداع من معاوية وابن العاص
وتترسوا بها.

ومن حديث^(٢) وكان ذو الكلاع مع معاوية وقال له يوماً ولعمرو بن
العاص: كيف تقاتل علياً وعمار بن ياسر فقال له: أن عمارا يعود إلينا ويقتل معنا
فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار، ولما قتل عمار قال معاوية: لو كان ذو الكلاع حيا
لمال بنصف الناس إلى علي. الحديث^(٣).

ومن حديث^(٤) لما سمع عمرو بن العاص بمقتل عمار فقام فزعا حتى دخل

(١) النساء: ٧٨.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٧٢.

(٣) أسد الغابة ٢: ١٤٣.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ٢٣. تاريخ ابن كثير ٧: ٣٦٩.

فاجابه الحجاج معترفا بواقع الحال... حتى قال: والله لو أن عمارا قتله أهل الأرض كلهم لدخلوا كلهم النار. فأين الاجتهاد والاجر والثواب لهذا الخبيث. وذكر ابن أبي الحديد وقد روى عبد الرحمن المسعودي... قال: رأيت أبا بردة قال لأبي الغادية الجهني قاتل عمار بن ياسر: أنت قتلت عمار؟ قال: نعم. قال: فناولني يدك فقبلها وقال: لا تمسك النار أبدا^(١).

وروى أبو نعيم عن هشام بن المغيرة عن غضبان بن يزيد قال: رأيت أبا بردة قال لأبي الغادية قاتل عمار: مرحبا بأخي هاهنا هاهنا فاجلسه إلى جانبه وليس بغريب ذلك من أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري الذي يرث البغض والعداء لأمر المؤمنين لا عن كلاله له، وذكره ابن أبي الحديد في المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام والمبغضين الغالين.

﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٢). الآية.

(١) شرح النهج ٤: ٩٩.

(٢) سورة محمد: ١١.

فلما وقع اكب عليه رجل آخر فاحتز رأسه فاقبلا يختصمان فيه كلاهما يقول: أنا قتلته فقال عمرو بن العاص والله أن يختصمان إلا في النار فسمعها منه معاوية فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمر بن العاص: ما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما انكما تختصمان في النار فقال عمرو: هو والله ذلك والله انك لتعلمه ولوددت أني مت قبل عشرين سنة^(١).

غير أن معاوية استمر على عناده وبغيه وأبى ألا أن يكون رأس البغاة حتى بعد مقتل عمار وانتهاء وقعة صفين وهو غير نادم أو مبالا بما ارتكب واقترب. وذكر ابن الأثير^(٢) قوله: أبو الغادية كان محبا في عثمان وهو قاتل عمار وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: قاتل عمار بالباب وكان يصف قتله له إذا سئل عنه ولا يباليه الحديث.

ويستمر التقدير والحفاوة بأبي الغادية من بني أمية واتباعهم. وذكر ابن حجر^(٣) أن أبا الغادية عاش إلى زمن الحجاج ودخل عليه فآكرمه الحجاج وقال له: أنت قتلت ابن سمية يعني عمارا قال: نعم. فقال: من سره أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية.

ثم سأله أبو الغادية حاجة فلم يجبه إليها فقال: نعطي لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم أني عظيم الباع يوم القيامة.

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٩.

(٢) أسد الغابة ٥: ٢٦٧.

(٣) الإصابة ٧: ٢٥٩.

الفصل العاشر

اجتهادات عائشة



في قتال أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل،

ان لأم المؤمنين عائشة الكثير من الاجتهادات في الأحكام والسنة النبوية وقد رد عليها عمر بن الخطاب في بعض المسائل وعثمان وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأن اعترفت له ببعضها حتى جاء عنها نعم القول ما قاله علي لأنه اعرف بالسنة منا أو اعرف بالقضاء وحيانا تحيل عليه الجواب إذا اخرجت بالمشهور الذي خالفته فنقول بلي أن علياً أكثر ملازمة للرسول في حله وترحاله فهو أدري بذلك وكما رد عليها وعارضها الكثير من الصحابة الكرام وبعض نساء النبي.

وكما جاء عنها امثال هذه الأحاديث في السيرة النبوية وسلوكها الحياتي مع النبي صلى الله عليه وسلم بما يشين مقام النبوة وكرامة الرسالة ونسبت له صلى الله عليه وسلم انه نسي في بعض صلاته وانه كان يتبول قائماً ولم يتحرج من الناضرين إليه وانه لم يعرف نفسه أنه كان نبيا حتى عرفه بعض السحرة بذلك وانه كان صلى الله عليه وسلم يحملها على كتفه ويتفرجان معا على رقص السودان وغيره في مواطن اللهو في الاعياد بما يتحاشاه ابسط الناس ويخجل منه وامثال هذا كثير^(١).

(١) ومن أراد المزيد فعليه مراجعة: (أحاديث أم المؤمنين عائشة) ٢: ٢٠٩ الى: ٢٣٠، والقدير للأميني، (والنص والاجتهاد) لشرف الدين في اجتهادات عائشة و(أضواء على السنة النبوية) وغيرهم.

لعزل من بايعوه ونكثوا بيعته وهم أول من بايع وأول من نكث تلك البيعة التي تمت باهل الحل والعقد وكافة المهاجرين والأنصار ولم يحدثنا التاريخ وأصحاب السير المعتمدة لبيعة تمت بمثلها من اجتماع المسلمين عليها ورضاهم بها لا من قبل ولا من بعد.

ولا يسع المجال لعرض واقعة الجمل وتفصيل ما وقع فيها من أحداث وفرقة صفوف المسلمين وغيرها واعرض لنماذج من الإصرار والعناد لعائشة ومن معها من طامعين بالأمرة وحاقدين على الإمام عليه السلام والانحراف التاريخي وتغيير الحقائق وصاغوا بتلك الاساليب الرخيصة والمعاذير الواهية بالاجتهاد تارة وبالتوبة والندم أخرى رغم النصوص الصريحة في مقابل ذلك الاجتهاد المزعوم رغم التحذيرات الكثيرة من النبي صلى الله عليه وسلم لها من ذلك اليوم المشؤوم والخروج على إمام زمانها والتبرج الجاهلي ونهى كبار الصحابة لها قبل الواقعة وفي حومة الحرب ونهى أمهات المؤمنين لها واحتجاج الإمام المنصوب المفروض الطاعة عليها وعلى من خدعها بشن الحرب عليه وقتل المسلمين ونهب اموالهم وباختصار لتعرض صورة موجزة لتلك الاجتهاد أولاً.

نقل العلامة الحلبي حديث طويل حول السيدة عائشة وأنها خالفت أمر الله

في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١)...

فأجاب ابن تيمية عن ذلك قائلاً: فهي لم تتبرج صلى الله عليه وسلم اتبرج الجاهلية الأولى

والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة... إلى أن يقول: والمجتهد

ومن المؤسف الشديد أن يتناقلها الصحاح الستة والمسانيد المهمة عندهم ويعطونها أعلى درجات الصحة والثقة لأن الراوي لها أم المؤمنين عائشة لا غير بدون تبدير في النقل وتحقيق في الاسانيد وهي عادتهم الدءوبة تحفظا على كرامتها وكرامة أمثال ما جاء عن معاوية وابن العاص وخالد بن الوليد و... وأضرابهم. أو تحفظا على سمعة الرواة امثال أبي هريرة والمغيرة بن شعبة وسمرة وكعب الاحبار وغيرهم من القصاصين ممن حملوا الخرافات من الديانات السابقة وبهذا التعصب دخلت الأحاديث الإسرائيلية فشوهت من معالم الإسلام الحنيف والسيرة النبوية الصحيحة وتناسوا منزلة النبوة السامية التي نزهها سبحانه ووصفها ووصفه تعالى أنه رسول كريم وليس بقول ساحر أو مجنون وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى وغيرها من الآيات الكثيرة.

ومما يزيد الاسف واللوعة أن يفتحوا الباب على مصراعيه بهذه الاوهام السخيفة للكفرة وبعض المغرضين من الديانات البائدة ويتشبت بها من طغاة المستكبرين والمستعمرين للنيل من الإسلام والطعن بنبيه ﷺ الذي أرسله سبحانه رحمة للأمم، وهدى ونورا، وهادياً ومبشراً، وسراجاً منيراً ما أرسلناه إلا رحمة للعالمين.

والخلاصة: وقد يطول الحديث عن اجتهادات أم المؤمنين وأحاديثها واختصره بما يتعلن في حربها ليوم الجمل المؤسف وقتل الالاف من المسلمين ونهب الأموال وهتك الأعراض ومخالفتها لتحذير النبي من ذلك اليوم المشؤوم واصرارها على الحرب عناداً لما تكنه من بغض لأمير المؤمنين وساندها شرازم من الأمويين ومن طمع بالأمرة والسلطة من طلحة والزبير وحاولوا بها جاهدين

حين خرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مآزق الطعن والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجوز لها.

كما أخرج الخطيب في تاريخه عن عروه قال: ما ذكرت عائشة مسيرها في واقعة الجمل إلا بكت حتى تبل خمارها وتقول يا ليتني كنت نسيا منسيا^(١) ولنعرض لبعض أقوال الاشاعرة أن أصحاب الجمل اخطئوا ولكنه خطأ مغفور كخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع ولا يلزم به الكفر ولا الفسق ولا التبري ولا العداوة^(٢).

وقال غيرهم: أنهم اجتهدوا فلا اثم عليهم ولا نحكم بخطأهم ولا خطأ على وأصحابه^(٣).

وروى الجاحظ^(٤) عن بعض السلف أنهم كانوا يقولون إذا ذكروا يوم الجمل: (هلكت الاتباع ونجت القادة).

(١) تاريخ بغداد ٩: ١٨٤. وذكره ابن الاثير في النهاية في غريب الحديث ٥: ٥١. والخوارزمي في المناقب: ١٨٢. وسبل الهدى والرشاد ١١: ١٧٠. ولسان العرب ١٥: ٣٢٤. وتاج العروس ١٠: ٣٦٧.

وعن عمارة بن عمير قال: حدثني من سمع عائشة إذا قرأت هذه الآية: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فتبكي حتى تبل خمارها. طبقات ابن سعد ٨: ٨١. تفسير القرطبي ١٤: ١٨٠. الدر المنثور ٥: ١٩٦. تاريخ بغداد ٩: ١٨٤. سير اعلام النبلاء ٢: ١٧٧. أنساب الأشراف: ٢٦٦. المناقب للخوارزمي: ١٨٢.

(٢) أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ٢٥٣.

(٣) الملل والنحل ١: ١٤٤. الفصل ٤: ١٥٣.

(٤) العثمانية للجاحظ: ٢٤٦.

المخطئ مغفور له خطاه فالمغفرة لعائشة لكونها لم تقر في بيتها إذا كانت مجتهدة أولى إلى الخ... ومثله ابن كثير في تفسيره للآية حيث يقول: اجتهدت واخطأت وهي مثابة وماجورة.

وذكر القرطبي في الاعتذار عنها (مجتهدة مصيبة مثابة في ما تأولت ماجورة فيما فعلت إذ كل مجتهد مصيب) ^(١).

وجاء عنها في حديث عن مجمع قال: دخلت مع أمي على عائشة فسألتهما قالت أرأيت خروجك يوم الجمل قالت أنه كان قدرا من الله سبحانه وتعالى. او كما ذكر البيهقي في حديث قيل لها كيف سرت إليه قالت: أنا نادمة وكان ذلك قدرا مقدورا وفي لفظه عن عروة في حديثه قلت ايش كان سبب خروجك عليه قالت لم تزوج ابوك امك قلت ذلك من قدر الله قالت وذلك من قدر الله فيظهر أن غلاة الجبرية منها اخذوا وعليها استندوا كما جاء عن القرطبي ^(٢) قال ابن عطية: بكاء عائشة انما كان بسبب سفرها أيام الجمل ^(٣) ولعلها اشارة لهذا الندم والبكاء كما جاء في أحاديث أخرى ومنها كما أوصت عند وفاتها أن لا تدفن مع النبي لأنها مستحية منه لأنها قد احدثت من بعده ^(٤).

وذكر القرطبي أيضاً قال ابن العربي تعلق الرافضة لعنهم الله بهذه الآية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الآية على أم المؤمنين عائشة إذ قالوا: انها خالفت أمر رسول الله

(١) تفسير القرطبي ١٤: ١٨٢.

(٢) شواهد التنزيل ٢: ٦٢. خصائص الوحي المبين: ١٠٦. نظم درر السمطين: ١٣٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٤: ١٨١.

(٤) تقدم الحديث.

وقد بايع الناس ذا تدرأ يزيل الشبء يقيم الصعر
ويلبس للحرب اثوابها وما من وفي مثل من قد غدر^(١)

قال: فانصرفت إلى مكة على باب المسجد فقصدت الحجر واجتمع الناس
إليها فقالت: أيها الناس أن عثمان قتل مظلوما والله لا طلبن بدمه^(٢).

- وأمثال هذا التناقض من عائشة كثير جدا فبينما كانت من أشد المعارضين له في حياته إذ اختلف الأمر بعد وفاته لتجعله السبب المبرر لخروجها للحرب ومثال ذلك ما نقله أصحاب السير عنها كما نص ابن أبي الحديد^(٣) أن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى انها اخرجت ثوبا من ثياب رسول الله فنصبتة في منزلها وكانت تقول الداخلين إليها هذا ثوب رسول الله لم يبل وعثمان قد ابلى سنته^(٤) ومرة تخرج نعل رسول الله وتشهر بعثمان وكما أن طلحة والزبير من أشد المؤلبيين عليه واشدهما كان طلحة^(٥) وهو ممن هجم عليه الدار وطعنه. كما أن عائشة لها أقوال عديدة عند سماعها بمقتل عثمان تقول ابعدوا الله قتله ذنبه وافاده الله بعمله يا معشر قريش لا يسؤنكم قتل عثمان كما ساء اوحيمر ثمود قومه أحق الله بهذا الأمر لذو الاصبع - يعني طلحة - فلما جاءت الأخبار

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٧.

(٢) الطبري ٥: ١٧٢. الكامل ٣: ١٠٥. الغدير ٩: ٨٠.

(٣) شرح النهج ٢: ٧٧.

(٤) تاريخ أبي الفداء ١: ١٧٢، أنساب الاشراف ٥: ٤٨: ٨٨، الأغاني لأبي الفرج ٤: ١٨٠، الغدير ٨:

١٢٣ وج ٩: ٧٧، المعيار والموازنة: ٢١، شيخ المضيره: ١٨١.

(٥) تاريخ الطبري ٥: ١٢٢ الى: ١٦٥، ابن الأثير ٣: ٨٧، تاريخ ابن خلدون ٢: ٣٩٧، أنساب

الاشراف ٥: ٤٤ الى ٩٠، الإمامة والسياسة ١: ٣٤ الغدير ٩: ٩١، شرح النهج ٢: ٥٠٦.

نبأ وفاة عثمان واستعداد عائشة للحرب

روى كافة أصحاب التواريخ وأهل السير واللفظ للطبري أن عائشة كانت يوم ذاك في مكة معتمرة ومعها بعض نساء النبي معتمرات أيضاً والتحق بها طلحة والزبير وبعد فراغها كرت راجعة إلى المدينة ولما انتهت إلى سرف لقيها عبد ابن أم كلاب وهو عبد ابن أم سلمة فقالت له مهيم قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا؟ قال: اخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على علي بن أبي طالب فقالت والله ليت هذه انطبقت على هذه أن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني فرجعت إلى مكة وهي تقول والله عثمان قتل مظلوما والله لا طلبن بدمه فقال لها ابن أم كلاب ولم فوالله أن أول من امال حرفه لانت وقد كنت تقولين اقتلوا نعتلا فقد كفر^(١) قالت أنهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير من قولي الأول فقال: لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وانت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا أنه قد كفر
فهبنا اطعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم تنكسف شمسنا والقمر

(١) نعتل يهودي كان بالمدينة ورجل لحياي كان يشبه به عثمان وقول عائشة اقتلوا نعتلا فقد كفر تعنى عثمان تاريخ الطبري ٤: ٤٥٩، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٠٦، تذكرة الخواص ٦١: ٦٤، الإمام والسياسة ١: ١٠٥. وفي قول لها اقتلوا نعتلا قتل الله نعتل النهاية لابن الأثير ٥: ٨٠، تاج العروس ٨: ١٤١، لسان العرب ١٤: ١٩٣، شرح النهج ٢: ٧٧ وتتمه المراجعات رقم: ٨١٤ (ذكر بعضهم فقد فجر) السيرة الحلبية ٣: ٢٨٦، العسكري أحاديث أم المؤمنين عائشة: ١٠٥.

أيدينا فقالت أم سلمة انك كنت بالأمس تحرضين علي عثمان وتقولين فيه أخبت القول وما كان اسمه عندك إلا نعتلا وإنك لتعرفين منزلة علي عند رسول الله.

أفأذكرك؟ قالت: نعم. قالت: أتذكرين يوم أقبل رسول الله... وذكرتها بحديث المناجاة مع علي عليه السلام... (١).

فقالت عائشة نعم اذكر ذلك ثم قالت وأذكرك أيضاً فذكرتها بحديث الحوآب... فقالت اذكر ذلك ثم قالت أم سلمة واذكري أيضاً يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وذكرتها بحديث خاصف النعل... فقالت عائشة نعم اذكر ذلك...

فقالت أم سلمة فأني خروج تخرجين بعد هذا يا عائشة.. الخ (٢)

وروي أيضاً عن أم سلمة لما همت عائشة بالخروج (٣) قالت لها: يا عائشة انك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أمته حجابك مضروب على حرمة وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسكن الله عقيرك فلا تصحريها الله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك عهد بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد ما كنت قائلة لو أن رسول الله قد عارضك باطراف الفلوات ناصة قلوصلك قعوداً من منهل أن بعين الله مثواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرضين ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن القى محمداً هاتكة حجاباً جعله الله على فاجعليه

(١) الغدير ٩: ٨٣. شرح النهج ٦: ٢١٧.

(٢) النص والاجتهاد: ٤٣٠ نقلا عن المعيار والمؤانسة ٢٧: ٢٩، والغدير ٢: ٣١٩ وج ٩: ٨٣.

(٣) بلاغات النساء: ٨ (وفي نسخة كتبت إليها أم سلمة) وراجع الفائق للزمخشري ١: ٢٩٠ والعقد الفريد ٣: ٦٩، وشرح النهج ٢: ٧٩، ورواه يعقوبي وابن قتيبة في غريب الحديث مع اختلاف ببعض الألفاظ.

بيعة علي قالت تعسوا تعسوا... الخ^(١).

وذكر بعضهم لما بلغها مقتل عثمان لم اشك في أن طلحة هو صاحب الأمر
فقالت بعداً لنعثل وسحقا الخ^(٢).

ولما أرادت عائشة الخروج للحرب جمعت إليها من بني أمية واتباعهم ممن
هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان فاداروا الرأي فقال بعضهم: نسير إلى علي
فنقاتله فقالت عائشة وجماعة منهم ليس لكم طاقة باهل المدينة فقال: بعضهم
نسير إلى الشام فقالت عائشة واخرون يكفيكم الشام معاوية ولكن نسير حتى
ندخل البصرة والكوفة واطلحة في الكوفة هوى والزبير بالبصرة اولياء فاتفقوا
على ذلك وما خرجت من مكة حتى استنفدت ما في وسع الأمويين من نصره لها
لأن عدوهم واحد.

محاولة عائشة خداع بعض نساء النبي ﷺ

ذكر أهل السير أن عائشة جاءت إلى أم سلمة تخادعها على الخروج معها
للطلب بدم عثمان فقالت لها يا ابنة أبي أمية أنت أول مهاجرة من ازواج النبي وأنت
أكبر أمهات المؤمنين وكان رسول الله يقسم لنا في بيتك وكان جبرئيل أكثر ما يكون
في منزلك فقالت لها أم سلمة لامر ما قلت هذه المقالة، فقالت عائشة أن القوم
استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما في الشهر الحرام وقد عزمت على الخروج
إلى البصرة ومعني طلحة والزبير فاخرجني معنا لعل الله يصلح هذا الأمر على

(١) النص والاجتهاد: ٤٢٠.

(٢) الغدير ٩: ٨٢، أنساب الاشراف ٢: ٢١٧.

نسائه ومشيرا بها إلى عائشة وحذرهن مغبة الأمر وسمعه منه بعض الصحابة واحتج به على عائشة أمثال ما جاء عن حذيفة عندما قيل له يا حذيفة حدثنا ما سمعت من رسول الله قال: لو فعلت لرجتموني قلنا يا سبحان الله قال: لو حدثتكم أن بعض امهاتكم تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتموني قالوا: سبحان الله ومن يصدقك بهذا قال: اتتكم الحميراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها^(١).

فقد روى جميع أهل السير والأخبار أن عائشة لما انتهت في مسيرها إلى ماء الحوآب نبحتها الكلاب حتى نفرت الإبل فقال: قائل من أصحابها ألا ترون ما أكثر كلاب الحوآب فامسكت أم المؤمنين بزمام بعيرها فقالت ردوني ردوني وأن الحديث بهذا جاء بصيغ عديدة مع تغيير بعض الالفاظ والمعنى سواء أعرض لبعضها باختصار أيتكن صاحبة الجمل الأدب تخرج فتنبحها كلاب الحوآب يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت تقتل^(٢).

(١) مستدرک الحاکم ٤: ٤٧١، الخصایص ٢: ١٣٧. المعجم الأوسط ٢: ٣٥. ملحق تنبجها كلاب الحوآب وبالصيغ المذكورة. الحاکم في المستدرک ٣: ١٢٠، مسند أحمد ٦: ٥٢ وص ٩٧، صحيح ابن حبان ٨: ٢٥٨، مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤ وصححه الالبانی في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ٧٦٧ ونقل بصحيحه عن الحاکم والذهبي وابن حبان وابن كثير وابن حجر وقال: وعلى هذا فالحديث صحيح من اصح الأحاديث ولذلك نتابع الأئمة على تصحيحه قديما وحديثا - ونقله أصحاب التواريف كالطبري في تاريخه ٣: ٤٧٥ وابن الأثير ٣: ٢١٠ وابن خلدون في تاريخه ٢: ١٥٥ وابن كثير في البداية ٧: ٢٤٢.

(٢) أخرجه البزار وأبو نعيم وابن أبي شيبة المارودي في الاعلام: ٨٢، الزنجشري في الفائق ١: ١٩٠، ابن الأثير في النهاية ٢: ١٠، الفيروزبادي في القاموس ١: ٦٥، القسطلاني في المواهب اللدنية ٢: ١٩٥، شرح الزرقاني ٧: ٢١٦، الهيثمي مجمع الزوائد ٢: ٢٣٤ ومثله في فتح الباري ١٣: ٤٥ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، كنز العمال ٦: ٨٣، الحلبي في السيره ٣: ٣١٢ والهيثمي أيضاً ٧: ٢٣٤.

سترِك وقاعة البيت قبرك حتى تلقيه وهو عنك راضٍ. وشرح ابن أبي الحديد الكلمات اللغوية.

وزاد في العقد الفريد بعد الحديث قول أم سلمة لعائشة ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهشتني نهش الحية الرقطاء.

وروى البيهقي (١) أن أم سلمة حلفت أن لا تكلم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب على فدخلت عليها عائشة يوماً وكلمتها فقالت أم سلمة ألم أنك؟ ألم أقل لك؟ قالت: أني استغفر الله كلميني فقالت أم سلمة: يا حائط ألم أنك؟ ألم أقل لك؟ فلم تكلمها أم سلمة حتى ماتت.

كما أن عائشة أرسلت إلى بعض أمهات المؤمنين تسألن الخروج معها إلى البصرة فما أجابها إلا حفصة لكن أخاها عبد الله أتاها فعزم عليها بترك الخروج فحطت رحلها بعد أن همت (٢).

مواصلة مسير عائشة إلى ماء الحوَاب:

وبهذا الإصرار والعناد تواصل مسيرة الحرب حتى تصل إلى ماء الحوَاب (٣) فتنبحها كلابه وأن حديث: (تنبحها كلاب الحوَاب) من الأحاديث المستفيضة وهو من أحاديث أعلام النبوة الغيبية التي صرح بها الرسول قبل وقوعها مخاطباً بها

(١) المحاسن والمساوي ١: ٤٨١.

(٢) شرح النهج ٢: ٨٠، تاريخ الطبري ٥: ١٦٧ وص ١٦٩، الكامل في التاريخ ٣: ١٠٦ نقلاً عن النص والاجتهاد: ٤٣٢.

(٣) وهو ماء لبني عامر بن صعصعة.

وغير هذا كثير ما تناقلته السير وأهل الأخبار وفيما تقدم كفاية والغريب كما رأيت أن الحديث اخرجته بعض الصحاح فلا يجدي صراخ ابن العربي في العواصم والمعلق عليها الخطيب وحيث لم يجدوا مجال للطعن في سند الحديث أو التأويل في معناه أو التحريف في لفظه وبكل سهولة تحكموا بلا دليل ولا حجة فقوالوا: أن النبي لم يقل ذلك ولم تقل عائشة وما يقول ابن العربي والخطيب في تنبأ الرسول ﷺ في هذا المضمون كالحديث الذي مر قوله ﷺ مخاطبا أمير المؤمنين ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين والحديث قوله ﷺ سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً حقاً على الله جهادهم... الخ^(١).

وما قولهما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وقد أشار بقوله له بيت عائشة فعن عبد الله قال: قام النبي ﷺ فأشار إلى مسكن عائشة فقال: هاهنا الفتنة هاهنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان^(٢). ولفظه عند مسلم: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من هاهنا من حيث يطام قرن الشيطان^(٣).

وما رأيهما في قول عائشة في مواجهة الحقيقة التي سمعتها من النبي ﷺ وتذكره الموقف ولكن سبق اصرارها وعنادها تناست ذلك بخديعة ابن اختها في مهادة الزور.

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٣٤. المعجم الكبير ١: ٣٢١. كنز العمال ١١: ٦١٣، ح ٣٢٩٧١ وج ١٥ ص ١٠٢، ح ٤٠٢٦٦. خصائص الوحي المبين: ٧٢. شواهد التنزيل ١: ٢٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٤٦.

(٣) صحيح مسلم ٨: ١٨١. المصنف ٧: ٥٥٢.

- وقوله ﷺ: لمن كيف بإحداكن إذا نبج عليها كلاب الحوآب^(١).
- وقوله ﷺ: أيتكن التي تنبح عليها (تنبحها) كلاب الحوآب^(٢).
- وقوله ﷺ لعائشة: كأني بإحداكن قد نبجها كلاب الحوآب وإياك أن تكوني أنت يا حمراء^(٣).
- وقوله ﷺ لها يا حمراء كأني بك تنبحك كلاب الحوآب تقاتلين علياً وأنت له ظالمة^(٤) وقوله ﷺ لها انظري يا حمراء أن تكوني أنت^(٥).
- وفي لفظ ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوآب^(٦).



- والعسقلاني فتح الباري ١٦: ١٦٥. وزيني دحلان في سيرته ٣: ١٩٣، هامش أمثلة عن ابن عباس شرح النهج ٢: ٨٠.
- (١) أخرجه أحمد في المسند ٦: ٥٢ وكنز العمال ٦: ٨٤، مسند أبي يعلى ٨: ٢٨٢، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ودلائل النبوة والخصائص ٢: ١٣٧ ومجمع الزوائد ٨: ٢٨٩، وكنز العمال ٦: ٨٣.
- (٢) أحمد في مسنده ٦: ٩٧، تاريخ الطبري ٥: ١٧٨، كنز العمال ٦: ٨٤، مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤ وقال: رجال أحمد رجال الصحاح تذكرة سبط بن الجوزي: ٣٩، السيرة الحلبية ٣: ٣١٣ وابن دحلان بهامشها ٣: ١٩٣، اسعاف الراغبين: ٦٧ والاستيعاب ٢: ٧٤٥ وقال: ابن عبد البر وهذا الحديث من اعلام نبوته ﷺ.
- (٣) الإمامة والسياسة ١: ٥٦، تاريخ يعقوبي ٢: ١٥٧، كنز العمال ٦: ٨٤.
- (٤) وحديث الحوآب هذا حديث صحيح أخرجه الكثير منهم: مسند أحمد ٦: ٥٢، ص ٩٧. مسند أبي يعلى ٨: ٢٨٢، المستدرک ٣: ١٢٠. فتح الباري ١٣: ٤٥. دلائل النبوة ٦: ٤١٠. البداية والنهاية ٦: ٢٣٦. صحيح ابن حبان ١٥: ١٢٦. مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤. المصنف ٨: ٧٠٨. مسند ابن راهويه ٢: ٣٢. المعجم الأوسط ٦: ٢٣٤. كنز العمال ١١: ١٩٧، ح ٣١٢٠٨. الكامل ٤: ٤٢٠. تاريخ ابن عساکر ٤٩: ٤٦٤. أنساب الأشراف: ٢٢٤.
- (٥) سنن ابن ماجة ٢: ٨٢٧. المستدرک ٣: ١١٩. البداية والنهاية ٦: ٢٣٧.
- (٦) مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤. فتح الباري ١٣: ٤٥. الأنساب ٢: ٢٨٦. البداية والنهاية ٦: ٢٣٦.

خطبة عائشة في البصرة،

وقالت في خطبتها: أن أمير المؤمنين عثمان كان قد غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوماً تائباً وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأثيره الشبان وحمائته موضع الغمامة فقتلوه محرماً في الشهر الحرام.... حتى قالت: أما والله ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلمن الله عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب..... أيها الناس وبايعتم ابن أبي طالب من غير مشورة من الجماعة ابتزازاً وغصبا تروني اغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا اغضب لعثمان من سيوفكم.

إلا أن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته فإذا ظفرتهم بهم فاقتلوه ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان (١).

وفي رواية الزهري (٢) قام طلحة والزبير خطيين فقال طلحة: يا أهل البصرة توبة بحوبه إنما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه فقال الناس لطلحة: قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا (٣). ثم قام الزبير وذكر قتل عثمان واظهر عيب علي فقام إليه رجل فقال: أيها الرجل أنصت حتى نتكلم فقال عبد الله بن الزبير: وما لك والكلام.

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦. شرح النهج ٩: ٣١٥ - ٣١٦. أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ١٨٨.

(٢) الطبري ٥: ١٧٨.

(٣) ومثله جاء عن عبد الله بن حكيم بكتب كانا كتبها إليه، فقال طلحة: يا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا قال: بلى، قال: فكتبت أمس فدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا نائراً بدمه. (أحاديث أم المؤمنين: ٢٥٤).

وأعرض لمثالين من ذلك:

أخرج الطبري وغيره لما سمعت عائشة - رضي الله عنها - نباح كلاب الحوآب فقالت أي ماء هذا فقالوا: الحوآب، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون أي لهي قد سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه ليت شعري ايتكن تنبجها كلاب الحوآب فأرادت الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال: إن هذا الحوآب ولم يزل حتى مضت^(١). وقيل اتوها باربعين شاهد إلى غير ذلك.

وقال العرني^(٢) لما طرقتنا ماء الحوآب فنبحتها كلابها قالوا: أي ماء هذا قلت ماء الحوآب قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بغيرها فاناخته ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوآب طروقا ردوني (تقول ذلك ثلاثا) فاناخت واناخوا حولها... قال: فجاء عبد الله بن الزبير فقال: النجاء النجاء فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب قال: فارتحلوا وشتمونني.

فسارت بجيشها حتى انتهت إلى حفر أبي موسى قريبا من البصرة. وما أن حطت رجالها في البصرة حتى استنجدت بالرؤساء وشيوخ القبائل في رسائل عديدة مثيرة فيهم النخوة والحمية وكاتبة بعض الصحابة مستنهضته فيهم العزائم لنصرتها في الحرب وخذلان علي بن أبي طالب ونقض بيعته واستبداله بابن عمها طلحة كما تمنته والقت الخطب الحماسية بين الحشود التي دعته.

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٥ - ٤٨٦. البداية والنهاية ٦: ٢٣٦. تاريخ ابن خلدون ٢: ١٥٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤٧٥.

المخالص زيد بن صوحان أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاقدّم وانصرتنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي.

فكتب إليها... أما بعد فأنا ابنك المخالص أن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك وإلا فأنا أول من نابذك^(١).

احتجاج ابن قدامة على عائشة،

وأخرج الطبري عن نصر بن مزاحم قال: واقبل جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح أنه قد كان لك من الله ستر وحرمه فهتكت سترك وابتحت حرمتك أنه من رأى قتالك فإنه قتلك أن كنت آتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وأن كنت آتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس. قال: فخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير فقال:... وأرى أمكما معكما فهل جئتم بنسائكما قال: لا، قال: فما أنا منكما في شيء واعتزل وقال السعدي:

في ذلك صنتم حلائلكم وقدتم أمكم هذا لعمر كقلة الإنصاف
أمرت بجر ذبولها في بيتها فهوت تشق البيد بالايحاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها بالنبل والخطى والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها هذا المخبر عنهم والكافي^(٢)
ومن خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام في المعنى السابق قوله... فخرجوا يجرون

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٢. شرح النهج ٢: ٨١. جبهة رسائل العرب ١: ٣٧٩.

فقال العبدى في خطبة:... ثم بايعتم علياً من غير مشورة منا فما الذي نقتم عليه فنقاتله هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه وإلا فما هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فقام من دونه عشيرته فلما كان من الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلاً منهم^(١).

كتابها إلى كعب بن سوار

وروى ابن سعد وغيره من حديث أن الازد تأخرت عنهما لعود كعب بن سوار وكان سيد الازد فانفذا إليه رسوليها يسألانه النصره لهما والقتال معهما فأبى عليهما فصارا إليه واستأذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبا فصارا إلى عائشة فخبرها وسألاها أن تسير إليه فأبت وأرسلت إليه تدعوه إلى الحضور فاستعفاها من ذلك.

فقال طلحة والزبير: يا أم أن قعد عنا كعب قعدت عنا الازد كلها وهي حي البصرة فاركبي إليه فإنك ان فعلت لم يخالفك وانتقاد لرأيك فركبت بغلا وأحاط بها نفر من أهل البصرة وذهبت إلى كعب... حتى أشركته في الحرب وللأزد أراجيز كثيرة في الحرب^(٢).

كتابها إلى زيد بن صوحان

وأخرج الطبري قال: لما قدمت عائشة رضي الله عنها البصرة كتبت إلى زيد بن صوحان: من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنها

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٦.

(٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ٢٣١. الجمل: ١٧٢ - ١٧٣.

رضى ببيعتي فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله تعالى وارجعا عما أنتما عليه وأن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما لي السبيل عليكما باظهاركما الطاعة وكتمانكما المعصية وأنت يا طلحة يا شيخ المهاجرين وأنت يا زبير يا فارس قريش ودفعتما هذا الأمر قبل أن تدخلوا فيه فكان أوسع لكما من خروجكما منه بعد اقراركما. وأنت يا عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثم تزعمين انك تريدان الإصلاح بين المسلمين فخبيريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحترمة ثم انك طلبت على زعمك دم عثمان وما أنت وذاك وعثمان رجل من بني أمية وأنت من تميم ثم أنت بالأمس تقولين في ملاء من أصحاب رسول الله ﷺ اقتلوا نعتلاً فقد كفر ثم تطلبين اليوم بدمه فاتقي الله وارجعي إلى بيتك واسبلي عليك سترك والسلام. فما أجابوه بشيء.

وفي رواية أخرى فأجابت يا بن أبي طالب جل الأمر عن العتاب ولن ندخل في طاعتك أبداً فاقض ما أنت قاض والسلام^(١).

وفي تاريخ ابن الأعمش أن طلحة والزبير لم يكتبوا إليه ولكنها أجاباه: انك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعا وفي نفسك منه حاجة فامض لأمرك أما أنت فلست راضياً دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض.

قال في خطبته استعداداً للحرب،

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٠. جمهرة رسائل العرب ١: ٣٧٩. الفتوح لابن الأعمش ٢: ٣٠١.

حرمة رسول الله كما تُجر الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وبرزوا حبيس رسول الله لهما ولغيرهما الخ... (١).

خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله قرب حرب الجمل.

إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما سمع باستعداد القوم على حربه وتحشيد الجيوش عليها أرسل لعائشة وطلحة والزبير رسائل عديدة حذرهم مغبة الأمر واراقة دماء المسلمين وتحريم الخروج عليه بعد بيعتهم وتذكيرهم بأقوال الرسول في هذا النكت لبيعته وألقى عليهم الحجج الواضحة والعدول عنها قبل فوات الاوان وأن لا يجمعوا العار والنار في هذه الحرب واغراء الأمويين الالداء وغير ذلك وهي كثيرة جدا في فصول التاريخ وأصحاب السير كما له عليه السلام الخطب العديدة في نهج البلاغة في هذا المضمار واعرض لبعضها بإيجاز.

روى أصحاب السير والتاريخ واللفظ لابن الجوزي (٢) أن علياً عليه السلام لما قارب البصرة كتب إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم كتاباً لترتيب الحججة عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى طلحة والزبير وعائشة سلام عليكم أما بعد يا طلحة والزبير قد علمتما أنني لم أرد البيعة حتى أكرهت عليها وأنتما ممن

(١) نهج البلاغة ٢: ٨٥، خطبة [١٧٢]. وقال السعدي وقام عمار بن ياسر بين الصفيين وقال: أيها الناس ما أنصفتكم نبيكم حيث كففتهم عتقاء تلك الخدور وبرزتم عقيلته للسيوف الخ. نقلاً عن أحاديث أم المؤمنين: ٢٢٠.

(٢) تذكرة الخواص: ٦٩، مناقب الخوارزمي: ١٨٤.

وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة وأنا معجل إليك انشاء الله (١).

كتاب عامل علي عليه السلام إلى القوم:

ولما وصل الكتاب من أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف ووصول عائشة وطلحة والزبير إلى حفر أبي موسى (٢) قريبا من البصرة فأرسل عثمان إلى أبي الأسود الدؤلي إلى القوم يعلم له علمهم فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت اطلب بدم عثمان.

قال: أنه ليس في البصرة من قتلة عثمان أحد.

قالت صدقت ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة وجئت استنهض أهل البصرة لقتاله أنغضب لكم من سوط عثمان ولا تغضب لعثمان من سيوفكم فقال: ما أنت من السوط والسيف إنما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرك أن تقري في بينك وتتلي كتاب ربك وليس على النساء قتال ولا لهن الطلب بالدماء وأن علياً لأولى بعثمان منك وأمس رحما فانهما أبناء عبد مناف.

فقالت: ليست بمنصرفة حتى امضي لما قدمت إليه افتظن يا أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي فقال: أما والله لتقاتلن قتالاً أهونه الشديد.

ثم قام فأتى الزبير فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذلك.

(١) نقلاً عن كتاب أم المؤمنين عائشة: ٢٠١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٥٧، وشرح النهج ٢: ٨٠.

روى ابن عبد البر ^(١) أن علياً قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل: -
 أن الله عز وجل فرض الجهاد وجعل نصرته وناصره وما صلحت دنيا ولا
 دين إلا به - إلى يقول ﷺ - : والله ما أنكروا عليّ شيئاً منكراً ولا استأثرت بمال
 ولا ملت بهوى وأنهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه ولقد ولوه دوني وأن كنت
 شريكهم في الإنكار لما أنكروه وما تبعة عثمان الدم إلا عندهم وأنهم لهم الفئة
 الباغية بايعوني ونكثوا بيعتي وما استأنسوا بي حتى يعرفوا جورى من عدلى واني
 لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم فإن قبلوا
 فالتوبة مقبولة والحق أولى ما انصرف إليه وأن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به
 شافيا من باطل وناصره والله أن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أنى على الحق
 وهم مبطلون.

كتابه ﷺ إلى عامله على البصرة، عثمان بن حنيف،

وكتب أمير المؤمنين إلى عامله لما بلغه مشاركة القوم البصرة قوله ﷺ: من
 عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف أما بعد فإن البغاة عاهدوا الله ثم
 نكثوا وتوجهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به والله أشد
 بأسا وأشد تنكيلا فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد
 والميثاق الذي فارقونا عليه فإن اجابوا فاحسن جوارهم ما داموا عندك وأن أبوا
 إلا التمسك بجبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم
 وهو خير الحاكمين.

(١) شرح النهج ٩: ٣١٢-٣١٣. الاستيعاب برتجمة طلحة، والعقد الفريد في ذكر الجمل مع اختلاف،
 والاغانى ١١: ١١٩.

الحصين. الخ...

ولم يترك حجة إلا وأوضحها واستدل بها ولا عذرا تعللوا به إلا وفنده. ثم أرسل الإمام ابن عباس إلى الزبير خاصة وقال له لا تلقين طلحة فإنك أن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول الذلول ولكن القى الزبير فإنه ألين عريكة فقل له: يقول لك ابن خالك عرفني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا^(١).

وفي رواية ابن عساكر يقول لك علي: نشدتك الله ألسنت بايعتني طائعا غير مكره فما الذي أحدثت فاستحلك به قتالي^(٢).

قال ابن عباس: قلت الكلمة للزبير فلم يزدني علي أن قال: قل له إنا مع الخوف الشديد لنطمع^(٣).

ثم أرسل أمير المؤمنين عبد الله بن عباس وزيد بن صوحان إلى عائشة^(٤) وقال لهما ما خلاصته، اذهبا إلى عائشة وقولا لها: أن الله أمرك أن تقري في بيتك وألا تخرجي منه وإنك لتعلمين ذلك غير أن جماعة قد اغروك فخرجت من بيتك فوقع الناس لاتفاقك معهم في البلاء والعناء وخير لك أن تعودي إلى بيتك ولا تحومي حول الخصام والقتال وأن لم تعودي ولم تطفئي هذه النائرة فإنها سوف تعقب القتال ويقتل فيها خلق كثير فاتقي الله يا عائشة وتوبي إلى الله فإن الله يقبل

(١) نهج البلاغة ١: ٧٦. تاريخ الطبري ٥: ١٩٩.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٨: ٤١٠.

(٣) شرح النهج ٢: ١٦٥، وج ٩: ٣١٧. نهج السعادة ١: ٢٩٣.

(٤) نهج السعادة ١: ٢٩٣. شرح النهج ٢: ١٦٥، وج ٩: ٣١٧. تاريخ ابن الاثم ٢: ٣٠٦.

فذكر له دم عثمان قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول: فذهب إلى طلحة فوجده سادرا في غيّه مصرا على الحرب والفتنة^(١).

وفي رواية عن أبي الأسود قال: بعثني وعمران بن حصين عثمان ابن حنيف إلى عائشة فقلنا يا أم المؤمنين أخبرينا عن مسيرك هذا اعهدده عهد رسول الله ﷺ أم رأى رايته قالت بل رأى رايته^(٢).

وعن عوف الاعرابي قال: جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة قال: نشدتكما بالله في مسيركما اعهد اليكما فيه رسول الله ﷺ شيئا. فقام طلحة ولم يجبه فناشد الزبير فقال: لا ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها^(٣).

احتجاج الإمام علي عليه السلام على القوم،

وروى الطبري^(٤) قال: سار علي من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة وساروا يريدون عليا، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد... فاقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال يرسل إليهم علي ويكلمهم ويردعهم. ولم يذكر الطبري ما دار بينهم من كتب ومحاججات وإنما ذكر بعضها^(٥) ما كتبه إليهم مع عمران بن

(١) شرح النهج ٦: ٢٢٦. النص والاجتهاد: ٣٤٧.

(٢) بلاغات النساء: ٩. أحاديث أم المؤمنين ١: ١٨٧. العقد الفريد ٣: ٩٨. البيان والتبيين ٢: ٢٠٩. مواقف الشيعة ٣: ١٧٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٩١.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٥١٤.

(٥) كما في شرح النهج ٢: ١٢٢. الإمامة والسياسة: ٦٥. تاريخ ابن الاعثم: ١٧٣ وغيرهم.

قال: قتل الله أولانا بدم عثمان^(١) أما تذكر قول رسول الله (وذكره بالحديث الذي مر) وهو قول الرسول للزبير ستقاتل علياً وأنت له ظالم الخ.

فقال الزبير: استغفر الله ولو ذكرت ما خرجت^(٢).

فقال: يا زبير ارجع فقال: كيف ارجع الآن وقد التقت حلقتنا البطان، هذا والله العار الذي لا يغسل.

فقال: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عارا على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عذل أبا حسن بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

فقال له ابنه عبد الله: أين تدعنا؟!

فقال: يا بني أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد نسيت.

فقال: لا والله ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب فإنها طوال حداد تحملها فتيه انجاد!

وفي رواية ابن الأعمش وشرح النهج فقال الزبير: ما لك اخزاك الله من ولد ما اشأمك.

وفي رواية الطبري: لما رجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن

(١) وفي لفظ ابن الأعمش: أنت وطلحة وليتماه، وفي رواية اتطلب مني دم عثمان وأنت قتلت... الخ.

الطبري ٣: ٥٢٠.

(٢) وفي لفظ الطبري: اللهم نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبداً... .

التوبة من عباده ويعفو واياك أن يدفعك حب عبد الله بن الزبير وقرابة طلحة إلى أمر تعقبه النار.

فجاء إلى عائشة وبلغا رسالة الإمام إليها فقالت: أني لا ارد على ابن أبي طالب في الكلام لاني لا ابلغه في الحجاج فرجعا إليه وأخبراه بما قالت. وفي رواية أخرى أن طلحة نادى بأصحابه ناجزوا القوم فانكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب.

واحتجاجات الإمام عليه السلام على القوم كثيرة لا مجال لتفصيلها في هذا المختصر وأن تقدم بعضها واختمها بما احتج به على الزبير خاصة.

احتجاج الإمام عليه السلام على الزبير،

وقد احتج عليه خاصة في حومة الحرب وقابله وجها لوجه واستدعاه مناديا: يا زبير وتقلها عامة من كتب^(١) في واقعة الجمل واللفظ للمسعودي^(٢) قال: وخرج علي بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا سلاح عليه فنادى يا زبير أخرج إلي فخرج شاكا سلاحه، فقيل لعائشة فقالت: واحرباه بأسماء. فقيل لها: أن علياً حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه.

فقال له علي: ويحك يا زبير ما الذي أخرجك؟!

قال: دم عثمان.

(١) مثل الطبري وابن الاثم وابن أبي الحديد واليعقوبي وغيرهم.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٦٣.

ولم ينتهيا بل كتبوا إليه اخلاء دار الامارة ^(١) ودارت بينهما معركة دامية وقتال شديد حتى تحاجوا واصطلحوا في شروط وكتاب.

ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الامارة وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله باهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جرحاكم فمكثوا اياما ثم أن طلحة والزبير قالوا أن قدم على ونحن على هذا الحال من القلة والضعف ليأخذن باعناقنا فاجمعا على مراسلة القبائل واستحالة العرب وارسال الرسل إلى الرؤساء يدعونهم للطلب بدم عثمان وخلع الإمام علي بن أبي طالب الخ... ولما تم الأمر لهم.

وذكر اليعقوبي في تاريخه والمسعودي وابن عبد البر بترجمة حكيم بن جبلة واللفظ له: أن عثمان بن حنيف لما كتب كتاب الصلح بينه وبين طلحة والزبير وعائشة على أن يكفوا عن الحرب ويبقى هو في دار الامارة خليفة لعلي حتى يقدم علي عليه السلام فيرون رأيهم.

وفي رواية في العقد الفريد... ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم الكتاب أن يكفوا عن القتال حتى يقدم علي بن أبي طالب ولعثمان دار الإمارة والمسجد الجامع وبيت المال فكفوا وبعد يومين تقضوا الصلح وغدروا به في ليلة ذات ريح وبرد شديد هجموا بعسكرهم إلى دار الامارة (وقيل في الجامع) واخذوا عثمان ثم انتهوا به إلى بيت المال وقتلوا حراسه السباجة.

وفي رواية المسعودي قتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت أعناقهم صبوا من بعد الأسر.

(١) وذكر الكتاب ابن أبي الحدي في شرح النهج ٢: ٤٩٧.

منذ عقلت إلا وأنا اعرف فيه أمري غير موطني هذا... الخ^(١).

كما احتج غير الإمام من بعض الصحابة على طلحة والزبير على هذه الحرب وبأقوال عديدة وذكر منها الغدير: الشيء الكثير وكتاب أم المؤمنين عائشة للعسكري وابن أبي الحديد في شرح النهج وغيرهم من المؤرخين وتركناها خشية التطويل. ومن حديث له عليه السلام قال: ... وما تبعة عثمان إلا عندهم وأنهم الفئة الباغية والله أن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وأنهم مبطلون^(٢).

وواقع الأحداث يدل على أن عائشة وطلحة والزبير لم يكن طلبهم بدم عثمان صادقا وذلك تواترا في نصرته حياً كانت عائشة وطلحة من أشد الناس عليه كما مر وإنما صار الطلب بدمه ذريعة للخروج على علي عليه السلام الذي كانت عائشة تجدد عليه وكان طلحة والزبير قد سألاه أن يولى أحدهما البصرة والآخر الكوفة فأبى^(٣).

بدء المعركة الصفري

ولما وصل طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة وكان عامل علي عليها عثمان بن حنيف فأرسل إليهم الرسل كما تقدم ثم خرج إليهم في أصحابه وناشدهم الله والإسلام وذكرهما ببيعتهما علياً وحذرهم عاقبة الأمر... ثم قال: اللهم قد أعذرت إلى هذين الرجلين.

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥١٤. أنساب الأشراف: ٢٥٥. تاريخ ابن عساكر ١٨: ٤٠٧. وكما صرح بها

الزبير مع غلامه، وقال غير هذه فتنة فقال: تسميها فتنة وتقاتل بها.

(٢) الاستيعاب ٢: ٢١٣، نقلاً عن في رحاب العقيدة ١: ٥٢، وذكره غيره كثير.

(٣) البداية والنهاية ٧: ٢٥٣. شرح النهج ١: ٢٣٢. تاريخ الطبري ٣: ٤٥١ - ٤٥١. الكامل ٣: ١٩٦.

يبدأ بحرب في حروبه الثلاث حتى يبدؤنه فيرد عليهم وهكذا وقع في هذه الحرب. روى الحاكم^(١): لما كان يوم الجمل نادى علي في الناس: لا يرمين رجل بسهم ولا يطعن برمح ولا يضرب بسيف ولا تبدءوا القوم بالقتال وكلموهم بالطف الكلام فإن هذا مقام من افلح فيه؛ فلح يوم القيامة. ثم أرسل بعض أصحابه مثل عمار وأقرب منهم وخاطب عائشة وجيشها وحذرهم مغبة الأمور فرشقوه بالسهم فعاد وأرسل شاب يحمل كتاب الله فرشقوه أيضاً^(٢) وسقط الكتاب من يده ومات ولما عادت رسل الإمام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب^(٣).

فقام أمير المؤمنين وحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال: أيها الناس أني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرفعوا او يرجعوا ووبختهم بنكتهم وعرفتهم بغيهم فلم يستجيبوا وقد بعثوا إلى أن ابرز الطعان واصبر للجلاذ وإنما تمنيك نفسك امانى الباطل وتعذك الغرور. ألا هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب ولقد انصف القارة من رامها فليرعدوا وليبرقوا فقد رأوني قدما وعرفوا نكايتي فكيف رأوني أنا أبو الحسن الذي فللت حد المشركين وفرقت جماعتهم وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم واني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد وعلى يقين من أمري وفي غير شبهة من ديني.

أيها الناس أن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ليس عن الموت

(١) المستدرک ٣: ٣٧١. السنن الكبرى ٨: ١٨٠. كنز العمال ١١: ٣٣٨.

(٢) وفي رواية: ان عائشة قالت: ارشقوه بالرمح.

(٣) تاريخ ابن الاثم: ١٧٥. شرح النهج ١: ١٠١.

وفي رواية ابن أبي الحديد قال: كانت السباجة القتلى يومئذ أربعمئة رجل. وقال: وكان غدر طلحة والزبير بعثمان أول غدر في الإسلام وكان السباجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا.

وفي رواية الاستيعاب والطبري واللفظ له أنهم لما أخذوا عثمان أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره فقالت أقتلوه فقالت امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله فقالت ردوا أبان فردوه فقالت احبسوه ولا تقتلوه. فقال (أبان) لو علمت أنك تدعيني لهذا لم أرجع. فقال لهم مجاشع اضربوه وانتفوا شعر لحيته وراسه وحاجبيه وأشفار عينيه ولما تم الأمر لهم خلال تلك الفتن برزت ربة الجمل إلى تسلم القيادة وكانت تلهب الحماس في جيشها وتوجه الرسل إلى رؤساء القبائل وأشراف العرب تؤلبهم على أمير المؤمنين وتقض بيعته وتدعوهم لنصرتها. وأصبحت الآمرة والناهية وتنظيم العساكر وتعيين الأمراء وتعزل من تشاء وتأمّر بقتل هذا وتعفو عن ذاك وتسجن آخرين وتفتح الأوسمة للقبائل المحيطة بجملها الذي كان بمثابة الراية الحربية لجيوشها في البصرة.... الخ.

وروما للاختصار فكل جملة في هذا الفصل تجد تفصيلها ومصادرها في عامة التواريخ مثل الطبري وابن الأثير وابن الأعمم واليعقوبي والمسعودي وابن عساكر والبلاذري وابن قتيبة وابن أبي الحديد. وقد سمي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر.

بدء الحرب

ومن المتسالم عليه ولا خلاف بين كتّاب التاريخ والسير، أن أمير المؤمنين لم

وروى الحاكم أن الزبير قال للاساوره الذين كانوا معه: ارموهم برشق كأنه أراد أن ينشب القتال.

وان عائشة رمت الجيش بالحصى وقالت شأهت الوجوه الخ...

وقال المسعودي:.... وقام عمار بن ياسر بين الصفيين وخاطب القوم وعائشة بالذات...

فتواتر عليه الرمي واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه ورجع فقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب.

فرمى أصحاب الجمل^(١) عسكر علي بالنبل رميا شديدا متتابعا فضج إليه أصحابه وقالوا عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين وجيء برجل إليه وانه لفي فسطاط له صغير فقيل له: هذا فلان قد قتل فقال: اللهم أشهد ثم قال: اعذروا إلى القوم فأتى برجل آخر فقيل وهذا قد قتل فقال: اللهم أشهد اعذروا إلى القوم ثم أقبل عبد الله بن بديل - وهو من أصحاب رسول الله - يحمل أخاه وقد أصابه سهم فقتله فوضعه بين يدي علي وقال: يا أمير المؤمنين هذا أخي قد قتل فعند ذلك استرجع علي ودعا بدرع رسول الله ﷺ ذات القضول فلبسها. وطاف علي على أصحابه وهو يقرأ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢).

(١) ابن الاثم : ١٧٦. الاغانى ١٦ : ١٢٧. شرح النهج ٩ : ١١٢ واللفظ له. وانظر: أنساب الأشراف:

٢٤٠، وتاريخ الطبري ٣ : ٥٢١ - ٥٢٣.

(٢) البقرة: ٢١٤.

معيد ولا محيص... (١).

حتى قال: ثم مد يده بالدعاء وقال: اللهم أن طلحة نكث بيعتي وألب علي عثمان حتى قتله ثم غضهني به ورماني اللهم فلا تمهله.

اللهم أن الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر علي عدوي فكفنيه اليوم بما شئت ثم نزل (٢).

قال ابن الأعمش ثم دنت العساكر بعضها إلى بعض واستعرض علي جيوشه فبلغوا عشرين ألفا واستعرض طلحة والزبير فبلغوا ثلاثين ألفا.

ونقل أهل السير والأخبار (٣) لما تراحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي: لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فأنكم بحمد الله على حجة وكفاكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح وإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من أموالهم شيئا.

وفي رواية المسعودي بعده ولا تقربوا من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبدا وأمه وما سوى ذلك فهو لورثتهم على كتاب.

وقبل بعده ولا تهيجوا امرأة وأن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم...

(١) شرح النهج ١: ٣٠٦. أمالي الطوسي: ١٦٩.

(٢) شرح النهج ١: ٣٠٦. الغدير ٩: ١٠١.

(٣) رواه اليعقوبي والمسعودي وابن الاعثم وفي شرح النهج ٩: ١١١.

لها بنو ناجية فقالت صبرا يا بني ناجية فاني اعرف فيكم شمائل قريش. قالوا:
وبنو ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش. فقتلوا حولها جميعا.

وروى الطبري وكان عمرو بن يثربي يحضض قومه يوم الجمل وقد تعاوروا
الخطام ويرتجزون... حتى قتل على الخطام أربعون رجلاً وقالت عائشة ما زال
جملي معتدلاً حتى فقدت اصوات بني ضبة^(١).

وقال أيضاً: أن ضبة والازد اطافت بعائشة يوم الجمل وإذا رجال من الازد
يأخذون بعرج الجمل فيفتونه ويشمونونه ويقولون بعرج أمنا، ريح المسك^(٢).
وذكر ابن أبي الحديد أمثال هذه الأراجيز الشيء الكثير.

وقد سقط ثلاثة من فادتهم فرار الزبير وقتل طلحة وجرح عبد الله بن الزبير
والحرب مع هنا قائمة والقبائل تلتف حول الجمل والموت والدماء حوله
والأبطال تتساقط كأوراق الشجر ولما حمل مالك الأشر على ميسرتهم فعالت
الميسرة إلى عائشة فلا ذوابها واعظهم بنو ضبة وبنو عدي ثم عطفت الازد،
وضبة، وناجية، وباهلة إلى الجمل فأحاطوا به واقتتل الناس حوله قتلاً شديداً.
وان أم المؤمنين تمنح الأوسمة إلى القبائل وتثير عزائمهم فلما رأى أمير
المؤمنين رق على الجميع وأن الحرب نحوه قبلية وعنصرية جاهلية ولكثرة الرمي
على الجمل صار مثل القنفذ وبلغ من ضبة والازد أنهم كانوا حول الجمل يحامونه
عنه ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكراهل والأيدي تطيح من المعاصم وهم حول
الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل.

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٢٧. انظر: تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٠.

ثم قال: افرغ الله علينا وعليكم الصبر واعز لنا ولكم النصر وكان لنا ولكم
ظهير في كل أمر.

ثم خرج الإمام علي وقد تععم بعمامة سوداء فعبأ أصحابه وخرجت أم
المؤمنين راكبة على الجمل وعبأت أصحابها^(١).

وكان ذلك الجمل لواء أهل البصرة ولم يكن لواء غيره.

وذكر ابن أبي الحديد^(٢) وكان جمل عائشة راية عسكر أهل البصرة قتلوا
دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها.

وأعطى علي رايته في أول الحرب إلى ابنه محمد بن الحنفية وقال محمد^(٣):
دفع إلي أبي الراية يوم الجمل وقال: تقدم. فتقدمت حتى لم أجد متقدما إلا علي
رمح. قال تقدم لا أم لك فتكأكأت وقلت لا أجد متقدما إلا علي سنان رمح
فتناول الراية من يدي متناول لا أدري من هو فنظرت فإذا أبي بين يدي وهو
يقول:

أنت التي غرك مني الحسنى يا عيش أن القوم قوم أعدا
الخ. وذكر بعضهم غير هذا الرجز.

واخذ خطام الجمل سبعون من قريش قتلوا كلهم ولم يكن يأخذ بخطام
الجمل أحد إلا سالت نفسه، أو قطعت يده وجاءت بنو ناجية فاخذوا بخطام
الجمل ولم يكن يأخذ الخطام أحد إلا سالت عائشة من هنا فسالت عنهم فقيل

(١) تاريخ ابن الاعثمك ١٧٦.

(٢) شرح النهج ١: ٢٥٢. وابن الاعثم: ١٧٦، ومثله ذكره اليعقوبي.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٢٤.



الفصل الحادي عشر

اجتهادات يزيد بن معاوية



واختلط الناس وضرب بعضهم بعضا وهم دون الجمل كالجبال كما خف قوم
جاء أضعافهم.

فصرخ الإمام علي بأعلى صوته ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان اعقروه
والا فنيت العرب لا يزال السيف قائما وراكعا حتى يهوى هذا البعير إلى الأرض
وفي رواية أن الإمام لما رأى هذا التعصب قال: ادعوا لي الأشتر وعمار فجاءا
فقال: اذهبا فاعقرا هذا لجمل فإن الحرب لا يبوخ ضرامها ما دام حيا أنهم اتخذوه
قبلة.

ويصدر العفو العام عن الجميع وإرجاع عائشة إلى بيتها في أحاديث كثيرة^(١).

(١) انظر كتاب أحاديث أم المؤمنين: ٢٤٠.

ألا نعجب كيف يحرف التاريخ وتعكس الوقائع الثابتة وتقلب الموازين الصحيحة وترى كيف تنتهك الأعراض وتسفك الدماء بقتل الآلاف من صلحاء الأمة وتهدر الكرامات وتبدد أموال المسلمين ويغفر لأصحاب الجرائم والمستبدين ويؤجروا عليها ويخرج من تبعاتها بكلمة بسيطة موجزة بانه مجتهدا متأولا مخطئاً كما تم ذلك لرأس الفئة الباغية معاوية وعمرو بن العاص^(١) ومسلم بن عقبة وسمره وأضرابهم.

وهكذا يأتي المجتهد الآخر يزيد الخمور والفجور ويعتذر عنه ويبرئ من ارجاسه وادانسه ويغفر له وينهي من لعنه أو ذكره بسوء وأيضاً بجملة خفيفة في اللسان ثقيلة في الميزان بانه مسلم لم يثبت كفره وانه إمام مجتهد^(٢) وهكذا يستمر ابن كثير ويبرر جرائم ويعتذر عنهم بقوله: وحملوا ما صدر منه - أي يزيد - من سوء التصرفات على أنه تأول فإخطأ وقالوا أنه مع ذلك كان إماماً فاسقاً... ولا يجوز الخروج عليه وأما ما ذكره أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم في وقعة الحرة فرح بذلك فرحاً شديداً فإنه يرى أنه إمام وقد خرجوا عن طاعته وأمروا عليه غيره فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة^(٣).

(١) الفصل لابن حزم ٢: ٨٦. ابن كثير في تاريخه ٧: ٢٧٩.

(٢) تاريخ ابن كثير ٨: ٢٢٣. وج ١٣: ٩.

(٣) البداية والنهاية ٨: ٢٤٥.

النهضة التي هزت عروشهم واسفرت على انحرافهم عن الإسلام وفهمه.
ومن حديث للعقاد قال: وخير لبني الإنسان ألف مرة أن يكون فيهم خلق
كخلق الحسين الذي اغضب يزيد بن معاوية من أن يكون جميع بني الإنسان على
ذلك الخلق الذي يرضى به يزيد^(١).

ويقول ابن تيمية في مثل هذا هو رأي فاسد فإن مفسدته أعظم من مصلحته
وقل من خرج على امام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم
مما تولد من الخير.

وقال أيضاً: ولم يكن في خروجه مصلحة لا في دين ولا دنيا وكان خروجه
وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل أو قعد في بلده^(٢).

حقاً انها لغة وعاظ السلاطين وسيرة عبيد الملوك الذين لم يذوقوا طعم
الحرية والكرامة ولم يعرفوا قيمة التضحية والاباء ولم يدركوا لرسالة السماء حقيقة
ولم يتدبروا كتاب الله بما سنه من الجهاد في سبيله وفرضه على كافة عبادته ولم
يمجد أحداً بعد الأنبياء كتمجيده الشهداء في سبيله ومرضاته وطاعة أمره
ومقاومة نهيه إذا فما بال الأنبياء والمرسلين واتباعهم من ذي قبل واستشهد الآلف
منهم في سبيل إحقاق الحق ونشر دعوات السماء. وما بال سيدنا محمد ﷺ
الذي قاوم فساد الجاهلية بحروب عديدة. فلو جلسوا في بيوتهم لكان أسلم.

وما بال أبنائه وخيار الأمة من الثائرين على الطغاة والمستبدين في طيلة
القرون وهزوا عروش اسياده من قبل الغيارى على قيم دينهم وكرامة بلادهم

(١) عباس محمود العقاد / أبو الشهداء: ١٠٨.

(٢) منهاج السنة ٢: ٢٤١.

وبهذا الاجتهاد والتأويل يتسنى له ولإضرابه أن يدافعوا عن الطغاة البغاة بكل ما يستطيعون ولو على حساب الدين والحق وتصحيح الأباطيل وأن اعوزتهم المعاذير تشبثوا بالطحلب لاغراء البسطاء من الناس ونسبوه للاجتهاد وهو الباب الذي لا يغلق حتى في وجه المتجاهر بالفسق والفجور وترى في احضان الرذيلة ومستنقع الدناءة. فمعاوية حين يأمر بسم الإمام السبط الحسن فهو من باب قتال بعضهم بعضاً^(١).

اجتهادات ابن تيمية وتأويلاته في نهضة الحسين عليه السلام

لا يسع القول لبسط أحاديث الرسول في فضل الحسين السبط وعظيم منزلته والإشادة بنهضته المباركة المتممة لسنة جده في وجوب مقاومة الطغاة والمنحرفين ولا لسيرة الرسول مع الحسين منذ ضباه وأخباره بما سيخلفه في نشر دعوة الإسلام الذي جاء به والتضحية من أجله فقد تضمنت ذلك كتب التاريخ والسير والحديث بفصول خاصة وافردوا لها كتب مستقلة منذ قيامها وحتى يومنا ولها منابر وأيام.

وللتعرف على تشويه المتعصبين من اتباع الأمويين بما ورثوه من أسلافهم قنلة الحسين من حقد وعداء فجاء الخلف يتبع السلف يتستر على جرائمهم وفضائحهم بقتل الحسين واخوته وأبنائه وأصحابه ومحبيه وسبي حريم عقائل النبوة ومخدرات الرسالة.

وبالتمويه على ذلك حاول تخفيف وقع المصاب والتقليل من شأن تلك

(١) منهاج السنة ٢: ٢٢٥.

فالاسلام عند الحسين هداية نفس وشرف بيت (١).

ويأتي ابن خلدون بأمر جديد بعد أن استعصى عليه أمر الحسين فلم يفته تبرير فسق الفاسقين وظلمهم وحاول بلباقه أن يجمع بين النقيضين وهو محال في جمعه بين الحق والباطل والصحيح والخطأ فيساوي بين المعتدي الغاشم والمعتدى عليه المظلوم فيقول: والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهاد (٢).

فمن هو الذي على باطل ومن هو الذي يستحق القتل.

ومن أراد المزيد على اسس ونظام تلك الثورة المباركة فليرجع إلى خطب الإمام الحسين ورسائله واختصر القول على البيان الأول لتلك الثورة الكبرى فقال عليه السلام: أيها الناس، ان رسول الله ﷺ جدي قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان على الله أن يدخله مدخله. ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واطهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالقيء واحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غير (٣).

لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لهم إقرار العبيد (٤).

(١) أبو الشهداء: ١١٨ عن مارين في كتابه السياسة الإسلامية.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١: ٢١٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤. الكامل في التاريخ ٤: ٦٢.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣. البداية والنهاية ٨: ١٩٤. ينابيع المودة ٣: ٦٦. الكامل في التاريخ ٤: ٤٨.

وامتهم وحقاً انها فكرة أبناء الدنيا ممن يلهث على المصالح الشخصية الذين تقنعوا بالذل والهوان وخضعوا للسلطة الجائرة وصفقوا الغالب المستكبر مهما كان وما أراد وحقاً أنهم لم يعرفوا أهداف ثورة الحسين ونهضته حق معرفتها كما قدسها كبراء الشرق والغرب واعترف بها البعيد واعتز بها القريب وجعل منها سراجاً منيراً يضيء الدرب للسائرين في طريق طلاب الحق والحرية.

وخشية التطويل اختصر القول لواحد من المستشرقين الذين لا تشده العقيدة لدين الإسلام ولا التطرف الطائفي بعكس ابن تيمية وتأويلاته فيقول المستشرق الألماني ماريين: أن حركة الحسين في خروجه على يزيد كانت عزيمة قلب كبير عز عليه الاذعان وعز عليه النصر العاجل فخرج باهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته ويحيى به قضية مخدولة ليس لها بغير ذلك حياة^(١) ويقف العقاد على اوهام بعضهم ممن انخدع بافكار ابن تيمية وابن كثير وأضرابهم ممن استولى عليهم التعصب الاعمى فابتعدوا عن التاريخ الصحيح ومجرى الأحداث خاصة بما يتعلق باهل البيت.

فيقول: أن بعض المؤرخين من المستشرقين وضعاف الفهم من الشرقيين ينسون هذه الحقيقة ولا يولونها نصيباً من الرجحان في كف الميزان وكان خليقاً بهؤلاء أن يذكروا أن مسأله العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة وانه كان رجلاً يؤمن اقوى الإيمان بأحكام الإسلام ويعتقد أشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين هو اكبر بلاء يحيق به وباهله وبالامة قاطبة في حاضرها ومصيرها لأنه مسلم ولانه سبط محمد فمن كان اسلامه هداية نفس

(١) أبو الشهداء: ١١٨ عن ماريين في كتابه السياسة الإسلامية.

وهكذا يستمر ابن تيمية مدافعاً عن سيده بالتأويل تارة وبتلفيق الاعذار وتخفيف هول الواقعة مرة أخرى.

فيقول لكنه (أي يزيد) لم يقتل جميع الاشراف ولا بلغ عدد القتلى عشرة آلاف ولا وصلت الدماء إلى قبر النبي ﷺ (١).

وليت ابن تيمية ابدل بهذه الاعذار الواهية والتأويلات المختلفة بجرائم سيده وتعرض ولو ليسير الأسباب خروج أهل المدينة او لأي شيء كانت الواقعة وماذا أراد منهم يزيد بعدها.

نعم أراد منهم ما يخرج أمامه الذي دافع عنه وتأول له من ابسط مفاهيم الإسلام فقد تكبر واستعلاء واراد منهم من صحابة الرسول ولمن بقى حبا من المهاجرين والأنصار أن يكون عبيد ليزيد بن معاوية ومن أبى ضربت عنقه ومر تفصيله.

ولا احسب أن هذا يستنكره ابن تيمية ولربما يسنده إلى التأويل فلم يفعله يزيد إلا لحفظ ملكه وسلطانه.

تأويل إحراق الكعبة:

لما قضى جيش يزيد على حركة أهل المدينة والامتناع عن بيعته في وقعة الحرة توجه إلى مكة قاصدا ابن الزبير وحاصروه ورموه بالمنجنيق حتى احرقوا استارها وصعد قاضي ابن الزبير ينادي: يا أهل الشام هذا حرم الله الذي كان مأمنا في الجاهلية فاتقوا الله.

(١) منهاج السنة ٢: ٢٥٣.

تأويل ابن تيمية لوقعة الحرة:

ويقول الشيخ ابن تيمية: فأما أهل الحرة لما خلعوا يزيد واخرجوا نوابه أرسله إليهم مرة بعد أخرى يطلب الطاعة فامتنعوا فأرسل إليهم مسلم بن عقبه وأمره إذا ظهر عليهم أن يبيح المدينة ثلاثة أيام وهذا الذي عظم إنكار الناس له من فعل يزيد^(١).

وبالرغم من كل ما جرى في تلك الواقعة الدامية وقتل أهل المدينة وفيهم الصحابة والمهاجرين والأنصار وأبنائهم والقراء وعامة الناس وتقدم تفصيلها فلا حاجة للتكرار.

ويحاول شيخ الإسلام أن يرد ماء وجه إمامه يزيد بقوله وكان له موقف في القسطنطينية وهو أول جيش غزاها ما يعد من الحسنات^(٢).
وتعرض لذكر هذه الغزوة جمع من المؤرخين فلم ينسبوا ليزيد أي حسنة تذكر غير شرب الخمر اللهو^(٣).

ويعتذر عنه بأقوال كثيرة ومنها قوله: فمن أين يعلم الإنسان أن يزيد لم يتب من هذه أو لم تكن له حسنات ماحية.

نعم يا شيخ أنه لم يتب - أن قبلت له توبة - واثبت التاريخ في سبب موته أقوالاً لم تثبت له توبة ومنها أنه سقط من على ظهر القرد الذي طاش به ومات وهو مثل.

(١) منهاج السنة ٢: ٢٥٣.

(٢) رأس الحسين عليه السلام: ٢٠٧.

(٣) راجع تفصيله في كتاب ابن تيمية لصائب عبد الحميد: ٣٧٣.

يلعن من لعنه الله تعالى^(١) ولأحمد قول آخر وقد ذكر أحمد في حق يزيد ما يزيد على لعنه^(٢).

وذكر العماد الحنبلي^(٣)، قال التفنازاني في (شرح العقائد النسفية): اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر به أو اجازته أو رضى به والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك واهانتته أهل بيت رسول الله ﷺ مما تواتر معناه وأن كان تفصيله آحاد فنحن لا نتوقف في شأنه بل كفره وإيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

(١) وهذا القدر جاء في نسخة الرد على المتعصب العنيد بتحقيق المحمودي كما في الصواعق: ٢٢٢، عن كتاب ابن الجوزي، ونقل الشبراوي عنه ابن الجوزي أكثر من هذا نقلاً عن ابن تيمية: ٢٨١ لصائب عبد الحميد.

(٢) الرد على المتعصب: ١٣.

(٣) شرح أصول الكافي (المازندراني) ٥: ٢٥٥. نقلاً عن العقائد النسفية. شذرات الذهب ١: ٦٨

فيصيح الشاميون الطاعة الطاعة، الكره الكره الرواح قبل المساء فلم يزالوا على ذلك حتى احترقت الكعبة وقال أهل الشام: أن الحرمة والطاعة اجتمعتا فغلبت طاعة السلطان على حرمة الله ومر تفصيله.

فيقول ابن تيمية: أن حريق الكعبة لم يقصده يزيد وإنما كان مقصوده حصار ابن الزبير والضرب بالمنجنيق كان له لا للكعبة ويزيد لم يهدم الكعبة ولم يقصد احراقها.... (١)

ومن أراد المزيد فيراجع إلى كتب التاريخ وأهل السير ليعرف قيمة هذه التخريجات والتاويل لتبرير تلك الجرائم بهتك حرمة الكعبة واهانة البيت الحرام وقبلة المسلمين ولكن ليس من العجب قول الماركسية: (الدين افيون الشعوب) فإذا كان شيوخ الإسلام آلة لتمهيد دنيا الخليفة الخليفة المستهتر بمقدسات الإسلام وتصحيح كل خطأ له في قول وفعل ويختلق التاويل بعدم الجدية أو الاجتهاد الذي يؤجر ويثاب عليه ويمنع من سبه ولعنه.

بعدها صنف كتب عديدة في تجويز لعنه مثل الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي وذكره ابن تيمية (٢).

وكتب القاضي ابن يعلى الفراء كتاباً في بيان من يستحق اللعن وذكر فيهم يزيد وقال: الممتنع من ذلك أما أن يكون غير عالم بجواز ذلك أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك وكما جاء عن الإمام أحمد بن حنبل في حديث طويل قوله: ولم لا

(١) منهاج السنة ٢: ٢٥٤.

(٢) منهاج السنة ٢: ٢٥٣.



الفصل الثاني عشر

رسائل معاوية لجميع الأقطار



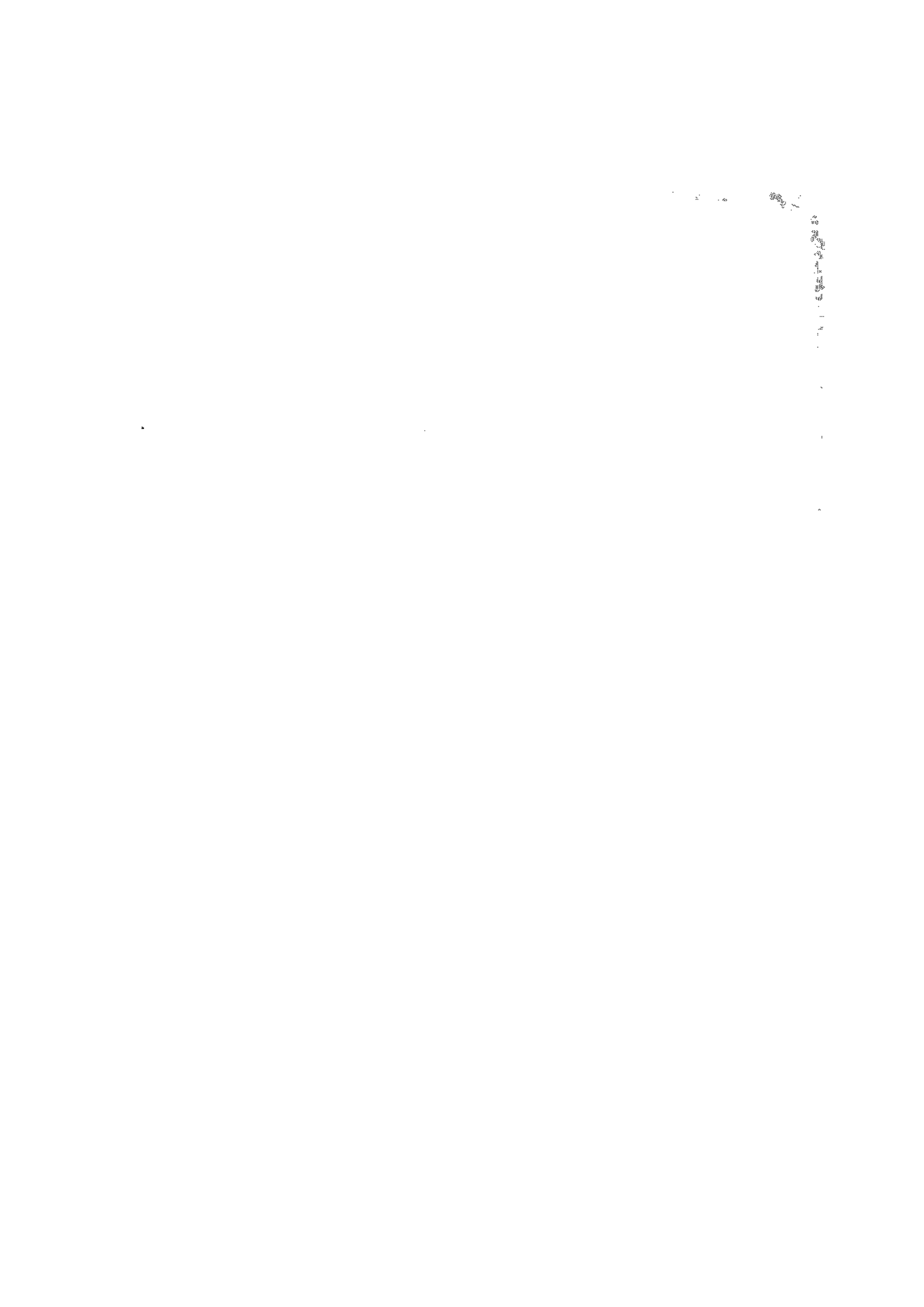
روى المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله (بعد عام الجماعة) أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته وكان أشد الناس بلاء أهل الكوفة.

وكتب معاوية ^(١) إلى عماله في جميع الافاق: ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

وكتب إليهم أن أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واکرموهم وأكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ففعلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطايع ويفضيه في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يأتي مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة

(١) الغدير ١١: ٢٨. أضواء على الصحيحين: ٥٢. شرح النهج ١١: ٤٤. الدرجات الرفيعة: ٦. النصائح الكافية: ٩٧. ونقله أحمد أمين في فجر الإسلام: ٢٧٥.



وروى ابن عرفة المعروف بنفطويه في تاريخه: ... أن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به انوف بني هاشم (١).

وقد وصف الإمام الباقر عليه السلام حالة أهل البيت وشيعتهم في ذلك العهد إلى أن قال: وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعله يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حق لكثرة من رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقله ورع (٢).

ووصف تلك الحالة أبو بكر الخوارزمي (٣) وهي طويلة كثيرة في مدى القرون أعرض نموذجاً واختصره علي وصف أبي جعفر الاسكافي كما في العبقات فقال أبو جعفر الاسكافي: لولا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد لم نحتج إلى نقض ما احتجت به العثمانية فقد علم الناس كافة أن الدولة والسلطان لارباب مقاتلتهم وعرف كل واحد علو اقدار شيوخهم وعلمائهم وامرائهم وظهور كلمتهم وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم والكرامة، والجائزة لمن روى الأخبار والأحاديث في فضل أبي بكر وما كان من تأكيد بني أمية لذلك وما ولده المحدثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم. فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا أن يخملوا ذكر علي وولده ويطفئوا نورهم ويكتنوا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم

(١) النصائح الكافية: ٩٩. الدرجات الرفيعة: ٨. شرح النهج ١١: ٤٦.

(٢) شرح النهج ١١: ٤٤. النصائح الكافية: ١٥٣. وذكر له في العبقات ١٥: ٤ وصفاً مطولاً.

(٣) رسائل أبو بكر الخوارزمي: ١١٨.

والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبر يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إلي وأقر إلى عيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر والقي إلى معلمي الكتاتيب فعملوا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله.

فضهرت أحاديث كثيرة موضوعة وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولايتهم ويقربون مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يضمنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها^(١).

ومن كتاب معاوية قوله أنظروا من قامت عليه البينة أنه يجب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطائه ورزقه ومن اتهمتموه بموالاتة هؤلاء القوم فنكلوا به وهدموا داره...^(٢).

(١) وضوء النبي ١: ٢٥٤. وللمدائني ترجمة وافية ووثقه الذهبي في سير اعلام النبلاء ١٠: ٤٠٠. شرح النهج ١١: ٤٦.

(٢) النصائح الكافية: ٩٨.

عبد الله وأبي ما عرفوها ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان؛ لالف العادة وطول الجهالة لأنه إذا استولت على الرعية الغلبة وطالت عليهم أيام التسلط وشاعت فيهم المخالفة وشملتهم التقية اتفقوا على التخاذل والتناكب فلا تزال الايام تأخذ من بصائرهم وتنقص من ضمائرهم وتنقص من مراتبهم حتى تصير البدعة التي احدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها.

ولقد كان الحجاج ومن ولاة كعبد الملك والوليد ومن كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أمية على إخفاء محاسن علي وفضائله وفضائل ولده وشيعته واسقاط اقدارهم احرص منهم على اسقاط قراءة عبد الله وأبي لأن تلك القراءات لا تكون سببا لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم وفي اشتهار فضل علي عليه السلام وولده واظهار محاسنهم بوارهم وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله وحملوا الناس على كتمانها وسترها...

ويصف لنا ابن قتيبة اوضاع عصره ونصيبهم العداء لأهل البيت وبغضهم للشيعه في تفضيلهم علياً عليه السلام قال: وقد رأيت هؤلاء أيضاً كلما راوا غلو الرافضة في حق علي وتقديمه... قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأخير علي - كرم الله وجهه - وبخسه حقه ولحنوا في القول وأن لم يصرحوا إلى ظلمه... ولم يوجبوا له اسم الخلافة لاختلاف الناس عليه واوجبوها ليزيد بن معاوية لاجماع الناس عليه واتهموا من ذكره بغير خير وتحمى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله - كرم الله وجهه - أو يظهروا ما يجب له وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح... - إلى أن يقول :- واهملوا من ذكره أو روى حديثاً من فضائله تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية - يعني

ويحملوا الناس على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلبه عددهم وكثرة عدوهم فكانوا بين قتيل واسير وشريد وهارب ومستخف ذليل وخائف مترقب - إلى أن يقول :- ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها من خارجي مارق وناصب حنق ونابت مستبهم وناشئ معاند ومنافق مكذب وعثماني حسود يعترض فيها ويطعن ومعتزلي قد نقض في الكلام وابصر علم الاختلاف وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل قد التمس الحيل في ابطال مناقبه وتأول مشهور فضائله فمرة يتأولها بما لا يحتمل ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقص ولا تزداد إلا قوة ورفعة ووضوحا واستنارة^(١).

وقد علمت ان معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم وذلك نحو ثمانين سنة لم يدعوا جهدا في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله وستر مناقبه...

وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما احدثوا قولاً أو ديناً لهوى فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره كنحو ما أخذ الناس الحجاج بقراءة عثمان وترك قراءة أبي مسعود وأبي بن كعب وتوعد ذلك بدون ما صنع هو وجبابرة بني أمية وطغاة بني مروان بولد علي وشيعته وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ونشأ أبنائهم ولا يعرفون غيرها لامساك الاباء عنها وكف المعلمين عن تعليمها حتى لو قرئت عليهم قراءة

(١) شرح النهج ١٣: ٢٢٠.

ولقد تقدمت أقوال كثيرة عن رسول الله ﷺ محذرا من بني أمية ومنها الحديث إذا بلغ بنو أمية أربعون رجلاً اتخذوا مال الله دولا ودين الله دخلا وعباد الله خولاً^(١) بالفاظه العديدة.

كما جاء في خطبة للامام أمير المؤمنين محذرا من فتن بني أمية وباختصار: أن اخوف ما اخاف عليكم فتنة بني أمية.

فانها فتنة عميا مظلمة.. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا لهم أو غير ضار بهم ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشبه وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى^(٢).

ومن قول لأبي الحسن الندوي^(٣):

انه من سوء حظ العالم البشري أن تولى منصب الخلافة في الإسلام رجال لم يكونوا له اكفاء ولم يعدوا له عدة ولم يأخذوا له اهبة ولم يتلقوا تربية دينية وخليقية كما تلقى الاولون وكثير في عصرهم وجيلهم ولم يسيغوا الإسلام اساغة تليق بقيادة الأمة الإسلامية والاضطلاع بزعامتها ولم تتق رؤوسهم ولا نفوسهم من بقايا التربية القديمة ولم يكن عندهم من روح الجهاد في سبيل الإسلام ومن قوة الإجتهداد في المسائل الدينية والدينيوية ما يجعلهم يضطلعون باعباء الخلافة الإسلامية وهذا الحكم عام يشمل خلفاء بني أمية وبني العباس حاشا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

(١) العمدة لابن بطريق: ٤٧١. دلائل النبوة ٦: ٥٠٧. كز العمال، ح ٣١٠٥٨. مسند أحمد ٣: ٨٠.

مجمع الزوائد ٥: ٢٤١.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٨٤.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ١٣٢.

الموضوعة - كأنهم لا يريدونها بذلك وإنما يريدونه فإن قال قائل: (أخو رسول الله ﷺ علي، وأبو سبطيه الحسن والحسين، وأصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين تمعرت الوجوه وتنكرت العيون وطهرت حسايك الصدور وأن ذكر ذاكر قول النبي ﷺ: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) ((وأنت مني بمنزلة هارون من موسى)) واشباه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج لينقصوه ويبخسوه حقه بغضا منهم للرافضة وإلزاما لعلي عليه السلام بسببهم ما لا يلزمه وهذا هو الجهل بعينه...^(١).

وهكذا تأثر ذلك المجتمع بتلك السياسة ولم تجري الأمور طبقا للحقيقة مما أدى إلى مخالفة الواقع والابتعاد عن الحق ولا يسع القول لبسط القول في ذكر تلك الأوضاع التي عمت البلاد وسار عليها من سار.

وفي معرض حديث لابن حجر قال: قال الأئمة الحفاظ: لم يرد لاحد من الصحابة رضي الله عنهم من الفضائل والمناقب والمزايا ما ورد لعلي كرم الله وجهه وسببه أنه (رضي الله عنه، وكرم الله وجهه) لما استخلف، كثرت أعداءه وساورت المتقولون عليه فآظفروا له مصائب ومثالب زورا وبهتانا والحادا وعدوانا وورث ذلك من تبعهم على ضلالتهم فلما رأى الحفاظ ذلك نصبوا أنفسهم لبيان الباطل من ذلك واظهار ما يرد مما ورد عندهم في حقه فبادر كل أحد إلى بث جميع ما عنده من فضائله ومناقبه^(٢).

(١) فتح الملك العلي: ١٥٣-١٥٥. نقلها عن كتاب الرد على الجهمية. دفع الارتياب عن حديث الباب: ٣٣ نقلها عن ابن قتيبة.

(٢) تطهير الجنان: ٧٤.

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثاً عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام فسألته عنهما يوماً فقال: ما تصنع بهما ومجديتهما الله اعلم بهما أني لاتهمهما في بني هاشم^(١).

قال: فأما الحديث الأول فقد ذكرناه وأما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل العباس وعلي فقال: يا عائشة أن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب.

وأما عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين.

وأما أبو هريرة فروى عنه الحديث الذي معناه: أن علياً خطب ابنة أبي جهل، ولما أن هذا الحديث قد كذب فلا حاجة لتفصيله.

وروى له حديث آخر قال: قدم أبا هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مرارا وقال: يا أهل العراق اتزعمون أني أكذب على رسول الله واحرق نفسي بالنار والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أن لكل نبي حرما وأن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور^(٢) فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وأشهد بالله أن علياً احدث فيها فلما بلغ معاوية قوله

(١) خلاصة عبيقات الأنوار ٣: ٢٨٨. شرح النهج ٤: ٦٤.

(٢) وذكر ابن أبي الحديد: (أن ما بين عير إلى ثور فالظاهر أنه غلط من الراوي لأن ثوراً بمكة والصواب ما بين عير إلى أحد).

ومن قول محمد قطب (١):

ان الإنحراف عن حقيقة الإسلام ابتداء من هذا العهد من القضايا المسلمة التي لا ينازع فيها أحد إلا أن يكون قد صرعه الهوى وغلبته العصبية أو يكون هو الآخر منحرفاً بمثل ذلك الإنحراف حتى صار يرى البدعة سنة والمنكر معروفاً والجاهلية إسلاماً والا فانا حين نراجع تاريخ هذه الفترة المتطاولة من الزمان فنجد ولا شك انحرافاً تدريجياً عن حقيقة الإسلام.

والخلاصة: ومن نظر إلى كل ما ابتلى به المسلمون من فتن وفرقة واختلاف يجد أن الطمع في الملك وراءه والرغبة في السلطان أمامه.

معاوية يختار من الصحابة والتابعين لأغراضه،

ذكر أبو جعفر الاسكافي (٢): أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تفتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلفوا ما أرضاه منهم: ابو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير وغيرهم وألحق بعضهم سمرة وغيره.

ومنها: روى الزهري: أن عروة بن الزبير حدثه قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل العباس وعلي فقال: يا عائشة أن هذين يموتان على غير ملتي أو قال: على غير ديني.

(١) كيف نكتب التاريخ الاسلامي، عنه تاريخ الاسلام لصائب عبد الحميد: ٦٣٤.

(٢) الغارات ٢: ٦٥٩. شرح النهج ٤: ٦٣.

وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام قائلين فيه السوء ومنهم من كتم مناقبه واعان اعداءه ميلا مع الدنيا وايثار للعاجلة وذكر منهم جماعة^(١) وخشية التطويل لم نعرض لهم وبعضهم سنذكره في النواصب وقد كانوا من قبل مع علي وبعد أن انحرفوا عن سيرة علي وسرقوا أموال المسلمين فردوا إلى معاوية بما عندهم فاستقبلهم بصدر رحب واعطاهم ما أرادوا من الدنيا والمناصب.

وذكر إبراهيم بن هلال صاحب الغارات فيمن فارق علياً عليه السلام والتحق بمعاوية يزيد بن حجية التيمي وكان قد استعمله على الري ودستبني^(٢) فكسر الخوارج واحتجن^(٣) المال لنفسه فحبسه علي عليه السلام... فهرب بحيلة فالتحق بمعاوية ثم خرج حتى أتى الرقة وكذلك كان يصنع من يفارق علياً يبدأ بالرقة حتى يستأذن معاوية في القدوم عليه وكانت الرقة والرها وقرقيسيا وحران من حيز معاوية فكان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو عليه اللهم أن يزيد بن حجية هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين فاكفنا مكره وكيده واجزه جزاء الظالمين^(٤) ومنهم القعقاع بن شور استعمله علي عليه السلام (كسكر) فنقم منه امورا منها أنه تزوج امرأة فاصدقها مائة ألف درهم فهرب إلى معاوية^(٥).

(١) شرح النهج ٤: ٧٤.

(٢) دستبني، بالفتح ثم السكون وفتح التاء: كورة كانت مشتركة بين الري وهمدان. (هامش شرح النهج ٤: ٨٣).

(٣) شرح النهج ٤: ٨٣. الغارات ٢: ٥٢١. واحتجن المال يعني: ضمه واحتواه. (القاموس المحيط ٤: ٢١٢).

(٤) شرح النهج ٤: ٨٥. الغارات ٢: ٥٢٨. الثقات لابن حبان ٢: ٢٩٩.

(٥) وغيرهم من الذين سخرتهم الدولة لهذه الاغراض وما لهم في تلك الظروف من الاثر في توجيه الرأي العام واغراء البسطاء لقبول تلك المنكرات فانهم قاموا في المساء والجوامع والطرق

اجازه واكرمه وولاه اماره المدينة^(١).

وذكر بعضهم الحديث واطاف إليهم سمرة بن جندب وهو أيضاً من الذين استمالهم معاوية لاختلاق الأحاديث في علي عليه السلام.

فقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٢) وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٣) فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك^(٤).

وهكذا استطاع معاوية أن يستقطب الكثير ممن يميل إلى الدنيا والمال حتى سخر لذلك من المتجولين الذين باعوا دينهم بثمن بخس حتى روي عن عمر بن ثابت أنه كان يركب ويدور القرى بالشام ويجمع أهلها ويقول: أيها الناس أن علياً كان رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة فالعنوه فيلعنه أهل تلك القرية ثم يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك^(٥).

(١) شرح النهج ٤: ٦٧. النص والاجتهاد: ٥١٤.

(٢) البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) الغارات ٢: ٨٤١. شرح النهج ٤: ٧٣. ومثله فقد ورد أن هشام بن عبد الملك طلب من الزهري

أن يروي أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ نزلت في علي سورة النور

تقلا عن منع التدوين: ٣٣٩.

(٥) الغارات ٢: ٥٨١ - ٥٨٢. شرح النهج ٤: ١٠٣.

ولادة معاوية،

وبعد أن تم الأمر لمعاوية وعمت السياسة في تشويه الحقائق وتغيير المثل الإسلامية وحمل الناس على مخالفة الواقع وتدخلت في ذلك بأشكال كثيرة والوان مختلفة مما افسد على المجتمع ما صلح وتولى على الأمة ^(١) رجال اجلاف قسات فلا ضمير يمنعهم عن منكر فعلوه ولا شرف يردهم عن هتك الأعراض ولا دين يمنعهم عن قتل آلاف المسلمين الابرياء والنفوس الآمنة حتى النساء والاطفال ممن يتولى أمير المؤمنين عليه السلام في كافة الاقطار كما نصب قادة لشن الغارات واوصاهم بتنفيذ تلك السياسة الغاشمة وبعد قتل النساء والاطفال وهتك الحرمات وهدم البيوت على أصحابها ونهب كل ممتلكاتهم فنفذوا له بكل ما أراد وزادوا عليه تزلفاً لتلك السلطة وطمعاً في وده فسادت الفوضى وغيروا المسار الصحيح بكل ما استطاعوا ومهما كلف الأمر وقد تعرفنا أن النزعة الأموية نزعة عداة وحقد لعلي وشيعته ولا بقاء لسלטانهم مع بقاء ذكر علي ولا يستقيم لهم الأمر إلا بذلك.

والغريب أن يُعْتذر عن معاوية بتلك السياسة والانحراف بقوله ولعل معاوية كساسة اليوم قد علم أن الدعاية من أشد اسلحة الحرب مضاء وأبلغها نفاذاً فاستعمل هذا السلاح ليصرف الناس عن آل البيت ويحول قلوبهم عنهم وفي هذا دوام ملكه فاستحل سياسياً ما حرمه الدين ووضح لمن بعده شرعة السباب لهذا

(١) ولما تم الأمر لمعاوية اشترى دهاة الرجال الفسقة والطفاة الفجرة ممن هان عليه دينه وباعه لقاء المال والأمره والاستلحاق بنسبه وتنصيبهم ولاية مهما قتلوا وسلبوا مادام متربعا في سلطنه فاستجاب له جمع منهم والتفوا حوله مآثرين أمره ونهيه واصابوا من ديناهم المال الكثير والجاه الكبير وخالفه اخرون فاصابهم القتل والتشريد كانت ضحيتها آلاف من خيار الصحابة والمسلمين الابرياء.

ومنهم النجاشي الشاعر من بني الحارث كان شاعرا أهل العراق بصفين فشرب الخمر فحده علي عليه السلام فغضب ولحق بمعاوية وهجا علياً.
 وغضب اليمانية لذلك وعاتبوا أمير المؤمنين عليه السلام بكلام طويل فاجابهم وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فاقمنا عليه حدا كان كفارته أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(١) وغيرهم كثير وربما يطول الحديث واختمه بقول يحيى بن عروة قال: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه.

وقال لي مرة: يا بني والله ما احجم الناس عنه إلا طلبا للدنيا...^(٢) وقد وصفهم الإمام عليه السلام في رسالة بعثها إلى سهل بن حنيف عامله على المدينة. اما بعد فإنه بلغني أن رجالا من أهل المدينة يخرجون إلى معاوية فلا تأسف عليهم فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وإيضاعهم إلى العمى والجهل وانما هم أهل دنيا مقبلون عليها قد علموا أن الناس في الحق اسوة فهربوا إلى الاثرة فبعداً لهم وسحقاً^(٣).

والانديه يبغون تلك المنكرات نصرة السلطة وتأييد للمبادئ المبتدعة ولقد اتخذت السياسة منهم سلاحا فاتكا فكانوا ينشرون القصاصين في ساحات الحرب يشجعون الجند على التضحية حتى تطورت الحالة إلى اختراع الأحاديث والقصص لا يقاع الفتن بين طوائف المسلمين ولقد خضعت العامة لتصديقهم وقبول مفتعلاتهم حتى اصلح من العسير الانكار عليهم ولهم أقوال آخر: ٢٦٨، أسد حيدر.

(١) المائة: ٨.

(٢) الغارات ٢: ٥٧. نهج السعادة ٤: ١٢٧. شرح النهج ٤: ١٠٢.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٣١. خصائص الأئمة: ١١٣. شرح النهج ١٨: ٥٢. أنساب الأشراف: ١٥٧.

تسبونه على المنابر قال: لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك^(١).

وكتب إلى معاوية في رجلين حضرميين انهما على دين علي ورأيه فأجابه: فمن كان على دين علي ورأيه فاقتله ومثل به فصلبهما على باب دارهما بالكوفة^(٢) وختم حياته بما ذكره المسعودي وابن عساكر قال ابن عساكر جمع أهل الكوفة فملاً منهم المسجد والرحبه والقصر ليعرضهم على البراءة من علي^(٣).

وقال المسعودي: وكان زياد جمع جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي فمن أبي ذلك عرضه على السيف ثم ذكر أنه اصيب بالطاعون في تلك الساعة فأفرج عنهم^(٤).

وارسل معاوية سفيان بن عوف بن المغفل الازدي في سنة ٣٩ وقال له فيما اوصاه: فاقتل من لقيته ممن ليس هو علي رأيك واخرب كل ما مررت به من القرى واحرب الأموال فإن حرب الأموال شبيهة بالقتل وهو اوجع للقلب^(٥) ووجه الضحاك بن قيس وامره أن يمر باسفل واقصه وأن يغير على كل من يمر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب ووجه معه ثلاثة آلاف رجل^(٦).

وفي سنة أربعين بعث معاوية بسر بن أرطاة^(٧) في جيش فسار حتى دخل

(١) الغدير ٧: ١٤٧. أنساب الأشراف: ١٨٤. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٢٨. والصواعق لابن حجر: ٣٣.

(٢) أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ٣٧٧. المحبر: ٤٧٩.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٩: ٢٠٣. البداية والنهاية ٨: ٦٨.

(٤) المسعودي في ذكر أيام معاوية ٣: ٣٠. وابن عساكر ترجمة أمير المؤمنين: ٤٢١.

(٥) الغارات للثقفى برواية شرح النهج ٢: ٨٦ - ٩٠. تحقيق محمد أبو الفضل.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ١٠٤. وابن الأثير ٣: ١٥٠.

(٧) بسر بن أرطاة كان مع معاوية في صفين فبرز له الإمام علي فتلقاه بسووته كما سيأتي في شجاعة

البيت (١).

وبهذا تأثر ذلك المجتمع وتكيف بما رسمته الدولة ولم تجر الأمور طبقاً للحقيقة مما أدى إلى مخالفة الواقع والابتعاد عن الحق ولا يسع المجال لبسط القول في ذكر ذلك الإنحراف السياسي الذي سار عليه ولاة الأمر وحملوا الناس على الخضوع به واعرض لامثلة من ذلك.

روى الطبري قال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ٤١ هـ. فلما أمره عليها دعاه وقال له: وقد أردت ايصائك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك... ولست تاركا ايصائك بمخصلة لا تترك عن شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والاقصاء لهم... والاطراء لشيعة عثمان والادناء لهم والاستماع منهم فقال له المغيرة: قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي... فستبلو فتحمد ثم قال: بل نحمد ان شاء الله (٢).

وروى أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين انك قد بلغت ما املت فلو كفت عن هذا الرجل فقال: والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاك فضلاً (٣).

ومثله عن الوزغ بن الوزغ مروان قال: ما كان في القوم أحد أذع عن صاحبنا - أي عثمان - من صاحبكم - يعني علياً - قال: فقلت له: فما لكم

(١) أدب الشيعة: ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٨٨. ابن الأثير ٣: ١٧٨ واللفظ له.

(٣) الغدير ٢: ١٠٢. شرح النهج ٤: ٥٧. النصائح الكافية: ٩٧.

التهديد لمن ذكر فضيلة علي عليه السلام

وبعد ملاحظة رسائل معاوية إلى عماله وتعميمها على جميع الاقطار وذكرها المدائني وجاء في احدى فقراتها فكتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع الاقطار: أنظروا من قامت عليه البينة أنه يجب علياً وأهل بيته فاحموه من الديوان واسقطوا عطائه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتموه بموالاتة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما الكوفة حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدث حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليتمكن عليه الحديث.

واستجاب لمعاوية جمع من الصحابة والتابعين فنالوا المناصب الكبيرة ونفذوا أمره ونهيه وخالفه آخرون فاستنكروا بدعة وضلاله فاصابهم القتل والتشريد كما وقع لحجر وأصحابه وغيره الكثير كما تجده في غارته على جميع الاقطار الموالية لعلي كانت نتائجها آلاف الضحايا البريئة من خيار المسلمين^(١).

فكان سمرة ممن امثل أوامر معاوية فولاه البصرة فاسرف في قتل من خالفه.

روى الطبري^(٢) قال: سئل ابن سيرين: هل كان سمرة قتل أحدا؟

(١) فعمت هذه السياسة البلاد الإسلامية واتبعها ونفذها غير من ذكرنا من الأمراء كبسر بن أرطاة في ولاية البصرة وابن شهاب في الري وغيرهم ولهم فجائع مؤلمة بشعة وذكرها المؤرخون وأصحاب السير.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٧٦.

المدينة واخاف اهلها وبقية الأنصار فيها وهدم دورا ثم سار حتى أتى اليمن ولقى ثقل عبيد الله بن العباس عامل الإمام علي وفيه ابنان صغيران فذبحهما^(١).

وقتل في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي.

وفي كتاب الغارات بعثه في ثلاثة آلاف وقال: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من اصبت له مالا فمن لم يكن له دخل في طاعتنا..^(٢).

وفي التهذيب قال: وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز وامره أن يتقرب من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل بمكة والمدينة افعالا قبيحة^(٣).

وقال ابن عساکر: يستعرض الناس فيقتل من كان في طاعة علي فقتل قوماً من بني كعب على مالهم فيما بين مكة والمدينة وألقاهم في البئر^(٤).

وذكر المسعودي^(٥) قال: قتل بالمدينة وبين المسجدين خلق كثير من خزاعة وغيرها وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيراً من الأبناء ولم يبلغه عن أحد يمالئ علياً أو يهواه إلا قتله.

وهذا موجز الغارات التي ارسلها معاوية إلى الاطراف الموالية إلى علي عليه السلام وتركنا الكثير منها خشية التطويل وتجد تفاصيلها في عامة التواريخ والسير.

(١) الطبري ٦: ٨٠. الغارات ١: ٩٠. الثقات ٢: ٢٩٩ - ٣٠٠. تاريخ ابن عساکر ١٠: ١٥٢.

(٢) الغارات ٢: ٦٠٠.

(٣) تهذيب الكمال ٤: ٦١. تهذيب التهذيب ١: ١٣٨١.

(٤) تاريخ ابن عساکر ١٠: ١٥٢..

(٥) مروج الذهب ٦: ٩٣ بهامش ابن الأثير. هامش الغارات ٢: ٦٤١.

ومثله من حديث أن الزهري يحدث معمرًا حديثاً في علي ويقول له اكنتم هذا الحديث واطوه دوني فإن هؤلاء - أي الأمويين - لا يعذرون أحداً في تقييد علي وذكره قلت: فما بالك ادعيت مع القوم يا أبا بكر وقد سمعت الذي سمعت قال: حسبك يا هذا أنهم اشركونا في أموالهم فانحططنا لهم في اهوائهم^(١).

ودخل شريك القاضي على المهدي فقال له المهدي: ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين قال: ولم. قال: لخلافك على الجماعة وقولك بالإمامة.

فقال شريك: أما قولك بخلافك على الجماعة اخذت ديني فكيف اخالفهم وهم اصلي في ديني وأما قولك بالإمامة ما اعرف إلا كتاب الله وسنة رسوله وأما قولك مثلك ما يقلد في الحكم فهذا شيء أنتم فعلتموه فإن كان خطأ فاستغفروا الله منه وأن كان صواباً فامسكوا عنه.

فقال: الرشيد ما تقول في علي بن أبي طالب؟.

قال: ما قال جدك العباس وعبد الله.

قال: وما قالاً فيه؟.

قال: فأما العباس فمات وعلي عنده افضل الصحابة وكان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما نزل من النوازل وما احتاج هو عليه السلام إلى أحد حتى لحق بالله. وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً فلو كانت امامته على جور كان أول من يقعد عنها ابوك لعلمه وفقهه في أحكام الله فسكت المهدي ولم يمضي بعد هذا المجلس إلا قليلاً حتى عزل

(١) وضوء النبي ١: ٣٤٥ نقلًا عن المناقب لابن المغازلي: ١٤٢. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي

فقال: وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب استخلفه زياد على البصرة واتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس وروى أنه قتل في غداة واحدة سبعة واربعين كلهم قد جمع القرآن.

وقال: مات زياد وعلى البصرة سمرة فأقره معاوية اشهرًا ثم عزله فقال: سمرة لعن الله معاوية والله لو اطعت الله كما اطعت معاوية ما عذبتني أبداً^(١).

وروى الطبري: ان المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدي وكان المغيرة يومذاك أميراً على الكوفة: اياك أن يبلغني عنك انك تعيب عثمان عند أحد من الناس واياك أن يبلغني عنك انك تذكر شيئاً من فضل علي علانية فإنك لست بذكر من فضل علي شيئاً اجهله بل أنا اعلم بذلك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد اخذنا باظهار عيبه للناس فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدأ ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بيتك وبين أصحابك وفي منازلكم سرا وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يتحمله الخليفة لنا ولا يعذر فيه^(٢). الحديث.

ومثله ان زياد بن أبيه يوم كان والياً لمعاوية في الكوفة قائلاً لحجر بن عدي رأيت ما كنت عليه من المحبة والموالة لعلي؟ قال: نعم، قال: فإن الله قد حول ذلك بغضة وعداوة، رأيت ما كنت عليه من البغض والعداوة لمعاوية؟ قال: نعم، قال: فإن الله قد حول ذلك كله محبة وموالة فلاعلمنك ما ذكرت عليا بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢١٧. البداية والنهاية ٨: ٧٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٤٤.

فغضب الرشيد وارسل إليه من يقتله فوجده ميتا فقال: لقد هممت أن أخرج لسانه من قفاه وأراد أن ينبش عظامه فيحرقها ولكنه لم يفعل^(١).

ومثله لبعض الشعراء الكثير من هذا.

وعن أبي بكر الطائي وأصحابه قال سليمان ابن ربوة: اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام فوثب علينا قريب من مائة يضربونا ويسحبون إلى الوالي فقال لهم: أبو بكر الطائي يا سادة اسمعوا لنا انما قرئنا اليوم فضائل علي وغدا نقرأ فضائل معاوية وقد حضرتني ابيات فإن رأيتم أن تسمعوها فقلوا له: هات فانشأ قائلاً:

يرجف من خيفته القلب	حب علي كله ضرب
يزيد والدين هو النصب	ومذهبي حب امام الهدى
ليس له عقل ولا لب	من غير هذا قال: فهو أمرؤ
يسلم والا فالقضاء نهب	والناس من يغدد لاهوائهم

قالوا فخلوا عنا^(٢).

وهكذا تطور الحال واشتد الأمر من قبل الولاة حتى قتل من عرف بحب علي وأهل بيته واتخذوا لذلك شتى الطرق ومختلف الاساليب واقرب طريق سلكوه للفتك بمن عرف بحب أهل البيت وهو مسألة تفضيل علي على الخلفاء وجعلوه قاعدة ثابتة فمن فضل علياً فقد طعن على الصحابة ومن طعنهم طعن

(١) زهر الآداب ٣: ٧٠.

(٢) قام المنون للصفدي: ١٨٨.

شريك^(١).

وذكر أبو معاوية قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا معاوية هممت بمن اثبت خلافة علي بن أبي طالب فعلت به وفعلت قال أبو معاوية: فسكت فقال لي: تكلم قلت: أن اذنت لي تكلمت قال: تكلم فقلت يا أمير المؤمنين قالت تيم منا خليفة رسول الله وقالت عدي منا خليفة رسول الله وقال بنو أمية منا خليفة الخلفاء فأين حظكم يا بني هاشم من الخلافة والله ما حظكم منها إلا علي بن أبي طالب^(٢) وبهذا استطاع أبو معاوية أن يصرف الرشيد عن راية وكان إبراهيم بن هرثة شاعرا مجيدا مدح آل البيت بابيات منها:

ومهما (الام) على حـبهم فاني احب بني فاطمه
بني بنت من جاء بالمحكما ت وبالدين والسنة القائمه

إلى آخر الابيات فلما دخل على المنصور قال: لا مرحبا ولا اهلا يا إبراهيم قد بلغني عنك أشياء لولا ذلك لفضلتك على نظرائك فاقر لي بذنوبك فاستغفاه فعفى عنه حفظا لدمه وقال: لئن بلغني عندك أمراً اكرهه لاقتلنك^(٣).

ومثله منصور النميري انشأ ابيات منها:

آل النبي ومن يحبهم يتظامنون مخافة القتل
الخ...

(١) تاريخ بغداد ٩: ٢٩١ - ٢٩٢.

(٢) تاريخ بغداد ٢: ٣٠١.

(٣) تاريخ بغداد ٦: ١٢٦ - ١٢٧. تاريخ ابن عساکر ٧: ٧١ - ٧٢.

وتحريف الأحاديث النبوية من الفضائل والمناقب التي امتاز بها أمير المؤمنين أو الطعن فيها أو اتهام الناقل لها أو المتحدث بها بقولهم هذا رافضي مبتدع وذاك زنديق وكذاب وو... ولا شك أن السلطة بيدها السيف والقلم والدرهم والدينار والنفوس مجبولة على حب العاجلة والناس على دين ملوكها.

ولطول المدة وتركيز السلطة على مقاومة المعارض لسياستها التي أصبحت كقانون لها وعلى هذا سار الناس على غير هدى وتأثر الكثير من السذج وعامة الناس لرغبة أو رهبة واستمر الحال حتى يومنا وبلغ التزلف منهم للسلطة بما رسمته أن يهددوا كل مخالف ويقتلوا كل معارض فاستنكروا على الخطباء ونكلوا بالمحدثين وطردهوا أئمة المساجد ومن سبر كتب التراجم والمعاجم الرجالية يجد الكثير من الفظائع والجرائم التي لحقت بالمخالفين لتلك السياسة وبلغ الحال بخطيب واسط كما يحدثنا الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمه الحافظ بن السقا عبد الله الواسطي قال: املي حديث الطير في واسط فوثبوا عليه واقاموه وغسلوا موضعه. وما اصاب كبار العلماء المنصفين الذين كتبوا في فضائل أمير المؤمنين وبيان الحقائق ونشر المواقع وقد يطول الحديث عنهم وذكر اسمائهم وما لا قوه وخصص شيخنا الأميني في كتابه شهداء الفضيلة لبعضهم وكذا القاضي التستري وغيرهم.

أختصر على نموذج لصورتين:

ذكر ابن خلكان ^(١) بترجمة النسائي صاحب كتاب السنن وأحد أصحاب الصحاح الستة أنه خرج إلى دمشق وسأله بعضهم عن كتابه الخصائص (في

(١) وفيات الأعيان ١: ٥٩، تذكرة الحفاظ ٢: ٦٩٩، سير أعلام النبلاء ١٤: ١٢٩، تهذيب التهذيب ١: ٣٣.

برسول الله ومن طعنه ﷺ فهو زنديق وبهذه الذريعة صار مدح علي وما خصه الله ورسوله من الفضائل التي امتاز بها طعنا على الصحابة وموهوا على السذج وانخدع بها البعض واستجاب اخرون تحت التهديد فساير اكثرهم تلك السياسة بمجارات الأمور دفاعا عن النفس وطمعا في الحياة فخضعوا لرأي الدولة وتجنبوا الحديث عن فضائل علي ودرج الناس علي ذلك الخ.

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير فقلت يا أبا عبد الله من كان حامل راية رسول الله قال: فنظر إلي وقال: انك لرخي البال فغضبت وشكوته إلى اخوانه من القراء إلا تعجبون من سعيد أني سألته من كان حامل راية رسول الله ﷺ فنظر إلي وقال: انك لرخي البال قالوا: انك سألته وهو خائف من الحجاج وقد لاذ بالبيت فاسأله الآن فسألته فقال: كان حاملها علي ﷺ هكذا سمعته من ابن عباس (١).

ونقل عن الشعبي قال: لقد ابتلينا بعلي أن احببناه افتقرنا وأن ابغضناه كفرنا (٢).

ومما لا جدال فيه أن السلطة الأموية قد حاربت الإمام أمير المؤمنين في حياته بالسيف والرمح والغارات المسلحة على الاقطار الموالية له وكذا بعد وفاته بكل ما تستطيع من حول وقوة واستحالت افكار طائفة من أهل المطامع ورجال السوء من المرتزقة والمتأخرين بالحديث لمصالحها وتغيير السنة لتثبيت اركانها

(١) وذكره الطبري في الذخائر: ٧٥. مستدرك الحاكم ٣: ١٣٧. وذكره ابن سعد في الطبقات ٣: ١٥ مع اختلاف، وأخرجه احمد في المناقب.

(٢) أي ان السلطة تقطع عنهم الأرزاق وجاء عنه بلفظ آخر كما في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١١٢. المناقب للخوارزمي: ٣٣٠. ينابيع المودة ٢: ١٦٧.

بجامع دمشق^(١).

وذكر أبو شامة المقدسي قال: قتل بالجامع الخفر محمد بن يوسف الكنجي وكان من أهل العلم بالفقه والحديث لكنه كان فيه كلام وميل إلى مذهب الرافضة جمع لهم كتباً توافق اغراضهم وتقرب بها إلى الرؤساء منهم في الدولتين الإسلامية والتاتارية... إلى أن يقول فانتدب له من تأذى منه والب عليه بعد صلاة الصبح فقتل وبقر بطنه كما قتل اشباهه من اعوان الظلمة مثل الشمس بن الماسكيني وابن البغيل الذي كان يسخر الدواب^(٢).

وتبجح بقتله ابن كثير^(٣) ومثله ابن تغرى فقد استر بتلك الفعلة الدنيئة فقال: فسر عوام دمشق واهلها بذلك سرورا زائدا... الخ^(٤). كما جرى للكثير من العلماء من غير الشيعة وحكم عليهم بالموت بتهمة التشيع مثل المولى ظهير الدين الاردبيلي وذلك لأنه ذهب إلى عدم وجوب مدح الصحابة على المنبر وانه ليس بفرض فقبض عليه وقدم للمحاكمة وحكم عليه القاضي بالاعدام ونفذ الحكم في حقه فقطعوا راسه وعلقوه على باب زويلة بالقاهرة^(٥).

ومثله سليمان بن عبد القوي الحنبلي كان من علماء الحنابلة ومن المبرزين في عصره ودرس في أكثر مدارس الحنابلة في مصر فقد نسب إلى الرفض وقامت عليه الشهود حتى تعجب هو من هذه النسبة واستغربها فقال:

(١) تذكرة الحفاظ ٤: ١٤٤١ رقم [١١٤٥].

(٢) الذيل على الروضتين: ٢٠٨.

(٣) البداية والنهاية ١٣: ٢٢١.

(٤) النجوم الزاهرة ٦: ٨٠.

(٥) شذرات الذهب ٧: ١٧٣.

فضائل أمير المؤمنين) فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير فصنفت الخصاص رجاء أن يهدم الله تعالى .

فقال ابن خلكان: أنه خرج إلى دمشق فسئل عن معاوية وما روى في فضائله فقال: أما يرضى معاوية أن يخرج راسا براس حتى يفضل وفي رواية أخرى لا اعرف له فضيله إلا لا (اشبع الله بطنك) فما زالوا يدفعونه في حضنه وفي لفظ في خصيته وداسوه حتى حمل إلى مكة ومات بها (١).

وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني: لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول.

ومثله الحافظ الكنجي صاحب كتاب كفاية الطالب ونقل في أحد جلساته في الموصل قال: ودار الحديث المهاجر به وحضر المجلس صدور البلد من النقباء والمدرسين والفقهاء وارباب الحديث فذكرت بعد الدرس أحاديث وختمت المجلس بفضل مناقب أهل البيت فطعن بعض الحاضرين لعدم معرفته بعلم النقل في حديث زيد بن ارقم في غدير خم وفي حديث عمار بن ياسر في قوله ﷺ: طوبى لمن احبك وصدق فيك فدعتني الحمية لمحبتهم على املاء كتاب يشتمل على بعض ما رويناه عن مشايخنا في البلدان من أحاديث صحيحة من كتب الأئمة والحفاظ في مناقب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه (٢) الخ. وضيق عليه وهورب فخرج من الموصل متوجها إلى دمشق لطلب الحديث وبعد وصوله لها واقامته فيها قتل

(١) الوافي بالوفيات ٦: ٤١٦. ومرآت الجنان والعقد الثمين ٣: ٤٥، وفيض القدير ١: ٢٥، تهذيب الكمال ١: ٣٢٨، وتذكرة الحفاظ ١: ١٩٨.

(٢) المناقب للخوارزمي: ١٢.

يكتفي بهذا فحسب، بل خصص بعض الصحابة وجماعة من بعض التابعين وبعض المرتزقة من المحدثين والوعاض إلى لعنه وشتمه فاختلفوا له معائب ومن ذكر الكثير منها كما ورثها من كافة خلفائهم وولائهم وعرضنا لها في ذكرهم وهكذا يأتي الدور العباسي ويسير بنفس الاتجاه - ان لم يكن بزيادة - وعرضنا صور لذلك في تراجمهم مثل المنصور والرشيد والمتوكل وولائهم وبمثل هذا او ذاك يأتي دور المحدثين والمؤرخين واصحاب الجرح والتعديل وغيرهم وبنفس السلوك الذي رسمه لهم الاسلاف وللتعليل نعرض له نماذج يسيرة:

ذكر المدائني أخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال: قال خالد القسري ^(١) أكتب لي السيرة فقلت له فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب فاذكره قال: لا إلا أن تراه في قعر الجحيم ^(٢).

قال معمر: سألت الزهري عن كاتب الكتاب يوم الحديبية فضحك وقال: هو علي بن أبي طالب ولو سألت هؤلاء - يعني بني أمية - لقالوا عثمان ^(٣) وللزهري موقف آخر واحتمل أن سؤال معمر له عن كاتب الكتاب كان سؤالاً خاصاً وعلى انفراد ولم يخشى أحد أما موقفه في السير والمغازي فعكس الأول لما يخشاه من بني أمية وبهذا نجح الزهري فكان حضياً عند الامويين لا يقدمون عليه أحد حتى توفي ومن تتبع روايات الزهري للسير والمغازي يجد أنه لم يكن منصفاً فعلى

(١) هو: والي مكة للوليد بن عبد الملك ثم لسنان بن عبد الملك وولي العراق لهشام. الطبقات الكبرى ٧ : ٤٢٨.

(٢) الاغاني ٢٢: ٢١، أخبار خالد القسري.

(٣) مكاتيب الرسول ٣: ٨٤. انظر: المصنف ٥: ٣٤٣. الدر المنثور ٦: ٧٨.

حنبلي رافضي ظاهري اشعري انها احدى الكبر
وبهذه التهمة لهذا الحنبلي يتعرض الضرب والسجن والتباعد عن وطنه
وفصل عن وظيفة التدريس^(١).

وعن أن نصر بن علي الجهضمي حدث بحديث عن النبي ﷺ انه أخذ بيد
الحسن والحسين وقال: (من احبني وهذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم
القيامة) فأمر المتوكل بضربه ألف سوط إلى أن كلمة جعفر بن عبد الواحد بأن
نصر لم يكن شيعيا وإنما هو من أهل السنة فضربه خمسمائة سوط وعفى عن
الباقي^(٢).

التعظيم على فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

ذكر صاحب تاريخ المذاهب: ... قال لا بد ان يكون للحكم الاموي اثر في
اختفاء كثير من آثار علي في القضاء والافتاء لانه ليس من المعقول ان يلعنوا عليا
فوق منابرهم وان يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه وينقلوا فتاواه واقواله خصوصاً
ما يتصل باساس الحكم الاسلامي^(٣).

فلم يكن ذكر فضائل أمير المؤمنين او التحدث عنها بالامر الهين عند
الامويين لانه مما يقض مضاجعهم ويهز عروشهم وقد اسس معاوية حكومته على
ذلك وقد مر الكثير منه في ذكر معاوية ورسائله إلى عماله في كافة الاقطار ولم

(١) تاريخ علماء بغداد للسلامي: ٥٩.

(٢) المعجم الصغير ٢: ٧. المعجم الكبير ٣: ٥٠. رقم [٢٦٥٥]. ميزان الاعتدال ٣: ١١٧. رقم [٥٧٩٩].

سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨٤. ترجمة الإمام الحسين (ابن عساكر): ٥٢. تاريخ بغداد ٢: ٢٨١.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٢٨٥.

وبزید في تغيير وجه السيرة ما يقع اثناء الحديث من ذكر لموقف اشترك فيه مع علي بن أبي طالب برجل آخر فحين يحذف اسم علي سيرز الآخر في صورة جديدة لم تكن هي الصورة التي تحققت في الواقع... الخ^(١).

ومن حديث طويل عن عمر بن عبد العزيز قال فيه: كان أبي إذا خطب فنال من علي تلجلج فقلت يا ابت انك تمضي في خطبتك فإذا أتيت علي ذكر علي عرفت منك تقصيرا.

قال: اوفظنت لذلك قلت نعم فقال: يا بني أن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا إلى أولاده^(٢).

وقيل: أن الوليد خرج حاجا فمر بمسجد النبي ﷺ فدخله فرأى بابا طاعنا في المسجد شارعا باباه فقال: ما بال هذا البيت فقيل هذا بيت علي بن أبي طالب اقره رسول الله وردم سائر ابواب الصحابة فقال الوليد: أن رجلاً نلعه علي المنابر في كل جمعة ثم نقر باباه طاعنا في مسجد رسول الله ﷺ اهدم يا غلام... الخ^(٣).

وروى عن زياد بن المنذر أنه كان يقول: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الاعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك أن الحسن البصري يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل:

(١) تاريخ الاسلام / صائب عبد الحميد: ٨٥.

(٢) ابن الأثير ٥: ٢٠.

(٣) مختصر تاريخ البلدان: ١٠٧.

امتداد سيرة النبي ومغازيه لا تجد لعلي بن أبي طالب ذكراً إلا حين لا ينطوي ذكره على فضيله تميزه على غيره وحين سئل عن فضيلة له جردها فمثلاً في ذكر أول من أسلم نقل عبد الرزاق ما نقله معمر عن غير الزهري أن أول من أسلم علي بن أبي طالب لكن الزهري قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة^(١) في حين لا يكاد يعرف هذا عن أحد غير الزهري ثم يواصل الزهري^(٢) ذكر من أسلم فلا يذكر إسلام علي ولا أحد من بني هاشم.

ثم يمضي في ذكر السيرة والمغازي فلا تجد علياً فيها إلا رجلاً غريباً ليس له فيها خبر ولا اثر مع أنه لا يمر على اثر لأبي بكر وعمر إلا فصل فيه وزينه أما علي فلا ذكر له لا في العهد المكي ولا في الهجره ولا في المؤاخات ولا في بدر ولا في أحد ولا في الخندق ولا في خيبر ولا في فتح مكة ولا في حنين ولا في تبوك ولا في غير ذلك أنه لبيدو لقارئ مغازي الزهري أن علياً رجل غريب على السيرة ولقد استشعر عبد الرزاق ذلك وهو يروي مغازي الزهري فتداركه في مواضع معدوده فقط.

وربما كان يتحوف من السلطة التي قربته ورفعت شأنه فقد روى أنه كان يحدث معمرًا في علي ويقول له أكنتم هذا الحديث واطوه دوني فإن هؤلاء - أي الأمويين - لا يعذرون أحداً في تقريظ علي وذكره قلت فما بالك ادعيت مع القوم يا أبا بكر وقد سمعت الذي سمعت قال: حسبك يا هذا أنهم اشركونا في أحوالهم فانحططنا لهم في أهوائهم^(٣).

(١) المصنف ١١: ٢٢٧، رقم [٢٠٣٩٢]، [٢٠٣٩٣]. أسد الغابة ٢: ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) سيأتي تفصيله.

(٣) المناقب لابن المغازلي: ١٤٢.

يتظاهر بالعداء لأهل البيت ويظهر ذلك في نظم أو نثر أو تأليف أو وضع حديث أو اختلاق حكاية وقد أصبح ذلك طريقاً لكسب المغنم وحصول الجوائز.

وذكر ابن أبي الحديد^(١): فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعاييب والمثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه الخ...

ومن حديث طويل لأبي جعفر الاسكافي^(٢)... حتى أن الفقيه والمحدث والقاضي والمتكلم ليتقدم إليه ويتوعد بغايه الايعاد واشد العقوبة ألا يذكروا شيئاً من فضائلهم ولا يرخصوا لاحد أن يطيف بهم وحتى بلغ من تقية المحدث أنه إذا ذكر حديثاً عن علي عليه السلام كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش وفعل رجل من قريش ولا يذكر علياً ولا يتفوه باسمه...

وقد بلغ الحال أن التسميه باسم الإمام علي تستوجب الاتهام وقطع الصلة وهكذا مما يطول به الحديث والتاريخ حافل بالأعمال الارهابية التي اتخذها الحكام في توجيه الطاقات لبناء مجتمع يخضع لأرادتهم وتكليف الجماعات لبغض أهل البيت وكان الدور الأموي يلقنوا ابناءه بغض علي ويوجبون شتمه علناً فكان في المملكة الأموية سبعون ألف منبر يشتم عليها علي بن أبي طالب^(٣).

وصفوة القول أن الأمويين كانوا يبذلون جهودهم في توجيه المجتمع لاختفاء

(١) شرح النهج ١: ٢٢.

(٢) شرح النهج ١: ١٧. وعنه ينابيع المودة ١: ١١.

(٣) شرح النهج ١٣: ٢١٩.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فقال: لو أراد أن يخبر به لأخبر به ولكنه يخاف^(١).

ودخل المهدي على أبي عون بن عبد الملك يعوده وطلب إليه أن يعرض عليه حوائجه فقال أبو عون: يا أمير المؤمنين حاجتي أن ترضى عن عبد الله بن أبي عون وتدعو به فقد طالت موجدتك عليه وكان عبد الله يرى رأى الشيعة في الخلافة وأن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله فقال: المهدي يا أبا عون أنه على غير الطريق وعلى خلاف راينا.

فقال أبو عون: هو والله يا أمير المؤمنين على الأمر الذي خرجنا عليه ودعونا إليه^(٢) فإن كان قد بدا لكم فمرونا بما أحببتم حتى نطيعكم^(٣).
كما عرضت على المهدي وصية وفيها ذكر علي بن أبي طالب فلما رأى ذلك رمى بالوصية ولم ينظر فيها^(٤).

الحظر على من تسمى باسم علي عليه السلام

ومما لا جدال فيه وما يلزمنا الاعتراف به أن كلا من الدولتين الأموية والعباسية قد تنكرتا لأهل البيت واصبح من عرف بالولاء لهم هدفا للنقمة كما هو مفهوم تلك السياسة إذ هو الخطر الذي يهدد كيانها وذلك ذنب لا يغفر.
وكان اسهل شيء على من يخشى سطوة الدولة أو يتهم بالانحراف عنها أن

(١) شواهد التنزيل ١: ٢٥٤. وللحسن البصري أمثال هذا كثير واعترف بخوفه من الأمويين.

(٢) يقصد أن الدعوة العباسية كانت في بادئ أمرها طلب النار للعلويين وتعظيمهم.

(٣) تاريخ ابن عساکر ٣٧: ١٨١. تاريخ الطبري ٦: ٤٠١.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ٣٩٧، حوادث سنة ١٦٩.

وبلغ من تقيته أنه إذا حدث عن علي فلم يذكر اسمه بل يرسله فيقول: قال رسول الله ﷺ فقيل له: انك تقول قال رسول الله وإنك لم تدركه...

فقال: أني في زمان كما ترى فكل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن اذكر علياً^(١).

وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٢) بترجمة علي بن رباح قال المقرئ: كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه فبلغ ذلك رباحا فقال: هو علي مصغرا وكان يغضب من علي ويخرج على من سماه به. وقال الليث: قال علي بن رباح لا اجعل في حل من سماني علي فإن اسمي علي فكان الناس يبدلون اسماء اولادهم قاله زين العراقي.

وكان علي بن الجهم السلمي يلعن أباه لأنه سماه علي^(٣).

وروى كان الحجاج لعنه الله يلعن علياً ﷺ ويأمر بلعنه وقال له متعرض به يوماً وهو راكب: أيها الأمير أن اهلي عقوني فسموني علياً فغير اسمي وصلني بما انبلغ به فاني فقير فقال: للطف ما توصلت به وقد سميتك كذ ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه^(٤).

وفي حديث كان معاوية أو عبد الملك بن مروان أو هما معا يأمران ابن

(١) تحفة الاحوذى في شرح الترمذي ٤: ٥٧١. تهذيب الكمال ٦: ١٢٤. تهذيب التهذيب ٢: ٢٣٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٧: ٢٨١. سير أعلام النبلاء ٥: ١٠٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٤٢٩. تاريخ ابن عساكر ٤١: ٤٨١.

(٣) لسان الميزان ٤: ٢١٠.

(٤) شرح النهج ٤: ٥٨. وج ١١: ص ٤٦. النصائح الكافية: ٩٩.

مأثر علي فلا يسمح لاحد أن يروي عنه أو يتحدث بحديث عنه حتى صار المحدثون يكتنون عنه بأبي تراب.

فمثلاً أن الحسن البصري على عظيم قدره وعلو منزلته في الدولة الأموية ومناصرته لهم وكان هو في ثغر البصرة بقوة الدفاع عنهم من الجيوش المدربة في ساحات الحرب حتى قالوا لولا لسان الحسن البصري وسيف الحجاج لوئدت الدولة مروانية في لحدها واخذت من وكرها وهو مع ذلك يخشى وقوع النقمة عليه أن ذكر علياً بخير وقد الجأه الأمر إلى أن ينال من علي وكان لا يذكره وإذا حدث عنه بقول قال أبو زينب: ويظهر الابتعاد عن علي حتى ظهر منه ما يوجب الإنكار عليه فقال له أبان بن عياش ما هذا الذي يقال عنك انك قلته في علي.

فقال: يا ابن اخي احقن دمي من هؤلاء الجبابرة - يعني بني أمية - ولولا ذاك لسألت أبي أعشب^(١).

ومن حديث عن أبي حنيفة قال: ... وكان علي لا يذكر في ذلك العصر باسمه والعلامة عنه بين المشايخ أن يقولوا قال الشيخ ومنعوا الناس أن يسموا أبناءهم باسمه ويتعرض للبلاء من سمي ابنه علياً^(٢).

وسئل الحسن ذات مرة مالنا لا نراك تثنى على علي وتقرظه قال: كيف وسيف الحجاج يقطر دما أنه أول من أسلم وحسبكم بذلك^(٣).

(١) الحسن البصري لابن الجوزي: ٧.

(٢) مناقب الإمام أبي حنيفة ١: ١٧١.

(٣) شرح النهج ١٣: ٢٣١. طرق حديث الائمة الاثنا عشر: ٣٦. الغدير ٣: ٢٣٤.

فورد الكتاب على يزيد يأمره بضربه مئة سوط وحمله إلى بغداد^(١).

نعم أن الأمة الإسلامية قد منيت بالتحريف فجاء في تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة قوله... لا بد أن يكون للحكم الأموي اثر في اختفاء كثير من اثار على في القضاء والافتاء لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا علياً فوق المنابر وأن يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه وينقلوا فتاواه واقواله وخصوصاً ما يتصل باساس الحكم الإسلامي^(٢).

قال الإمام محمد عبده: أن عموم البلوى بالاكاذيب حق على الناس في دولة الأمويين فكثرت الناقلون وقل الصادقون وامتنع كثير من اجلة الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه^(٣).

ترك السنن بغضاً لعلي عليه السلام.

وبعد أن اتضح لنا من سير الحوادث اهتمام ولاية الأمر في تلك العصور بتحويل انظار الناس عن اتباع علي عليه السلام وأهل البيت وعدم الاخذ بتعاليمهم ووجهوا الناس لمعاداة من اتبعهم في الأحكام الشرعية وهجرهم للسنة الصحيحة بغضاً لعلي.

وخلاصة القول: أن الأمويين كان اتجاههم للسياسة وقد ابتعدوا عن شؤون الدين فكان من سياستهم أن يقبلوا قول كل أحد غير قول علي وأهل بيته ويعاقبون من يذكرهم في ذلك.

(١) تاريخ بغداد ٤: ١٥٣.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٢٦٥. منع الحديث: ٣٩٥.

(٣) منع تدوين الحديث: ٢٥٢.

عباس أن يغير اسم ولده على وكنيته (١).

وان هذا المولود هو الذي طلب من أمير المؤمنين تسميته فسماه بذلك وكناه
وذكر المبرد فلما قدم معاوية قال لابن عباس: ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبا
محمد فجرت عليه (٢).

عن أبي جعفر الاسكافي قال: وقد صح أن بني أمية منعوا من اظهار فضائل
علي عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوي له حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا
يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول: عن أبي زينب (٣).
وذكر الخطيب عن الفتح بن شخرف قال: ... حملتني عيني فتمت فينما أنا
نائم إذا أنا بشخصين فقلت للذي يقرب مني من أنت يا هذا فقال لي: من ولد آدم
قلت كلنا من ولد آدم فما الذي وراءك قال لي: علي بن أبي طالب قلت له: أنت
قريب منه ولا تسأله قال: أخشى أن يقول الناس: أني رافضي (٤).

وهكذا تجرى الأمر ويبلغ الحال كما يحدثنا المقرئ أن يزيد بن عبد الله
أمير مصر أمر بضرب جندي تأديباً لشيء صدر منه وعندما احس الجندي بالم
الضرب اقسم على الأمير بحق الحسن والحسين أن يعفو عنه فأمر الأمير بضربه
ثلاثين سوطاً جزاء لهذا القسم وكتب إلى المتوكل في بغداد يخبره بخبر الجندي

(١) تاريخ الطبري ٨: ٢٣٠. حلية الأولياء ٣: ٢٠٧. الكامل للمبرد ٢: ١٥٧. ابن الأثير ٥: ٧٨.

تاريخ ابن خلدون ١: ٣٥٠. تهذيب التهذيب ٧: ٣٥٨. شذرات الذهب ١: ١٤٨.

(٢) الكامل للمبرد ٢: ١٥٧.

(٣) شرح النهج ٤: ٧٣.

(٤) تاريخ بغداد ٢: ٢٥١.

وفي كنز العمال عن ابن عباس قال: لعن الله فلانا أنه كان ينهى عن التلبية في هذا اليوم - يعني يوم عرفة - لأن علياً كان يلي فيهِ^(١).
وعن ابن كثير عن سعيد عن ابن عباس: أنه ذكر معاوية وأنه لبي عشية عرفة فقال فيه قولاً شديداً ثم بلغه أن علياً لبي عشية عرفة فتركه^(٢).
وعن ابن مسعود بلفظ قال: انسى الناس أم ضلوا سمعت الذي انزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المكان: لبيك اللهم لبيك^(٣).

الجهرببسم الله،

ذكر الفخر الرازي في تفسيره^(٤) أقوال عديدة الخصها بما يلي فذكر قال: نقل أن علياً عليه السلام كان مذهبه الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع الصلوات وأقوال هذه الحجة قوية في نفس راسخة في عقلي لا تزول البتة بسبب كلمات المخالفين.
ثم قال: الحجة الرابعة: ما رواه الشافعي بإسناده أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معاوية سرقت منا الصلاة أين بسم الله الرحمن الرحيم وأين التكبير عند الركوع والسجود ثم أنه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير قال الشافعي: أن معاوية كان سلطاناً عظيم القوة شديد الشوكة فلولا أن الجهر بالتسمية كان كالأمر المتفرد عند كل الصحابة من المهاجرين والأنصار والا

(١) كنز العمال ٥: ١٥٢.

(٢) البداية والنهاية ٨: ١٣٩. وهنا أحاديث في الصلاة تركناها.

(٣) صحيح مسلم ٢: ٩٣٢، و ٢٧٠.

(٤) تفسير الرازي ٢: ٢٠٤.

كما يحدثنا الإمام أبو حنيفة عندما دعي ليسأل عن مسألة فقهية من قبل أحد الأمويين.

قال أبو حنيفة: فاسترجعت في نفسي لاني أقول فيها بقول علي عليه السلام وادين الله به فكيف اصنع قال: ثم عزمت أن اصدقه وافتيه بالدين الذي ادين الله به وذلك أن بني أمية كانوا لا يفتون بقول علي ولا يأخذون به - إلى أن يقول: وكان علي لا يذكر في ذلك العصر باسمه وكانت العلامة بين المشايخ أن يقول: قال الشيخ ^(١). ولا مجال لذكر مخالفات السنن بغضا لعلي وقد استوفتها كتب الحديث والمجاميع الفقهية ولنضع صورة موجزة بين يدي القاريء من هذه المخالفات.

ترك التلبية بغضا لعلي عليه السلام

أخرج البيهقي عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس بعرفة فقال: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبون فقلت: يخافون معاوية فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبيك اللهم لبيك وأن رغم انف معاوية اللهم ألعنهم فقد تركوا السنة من بغض علي ^(٢).

وذكر السندي في تعليقه على السنن - من بغض علي - أي لاجل بغضه إذ هو عليه السلام كان يتقيد بالسنن - كما عرفها من صاحب الرسالة - وهؤلاء تركوها بغضاً له ^(٣).

(١) وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ١: ٢٤٩. مناقب أبي حنيفة ١: ١٧١.

(٢) النسائي في سننه ٥: ٢٥٣، ومثلها ابن خزيمة في صحيحه ٤: ٢٦٠، والاعتصام بحبل الله المتين ١: ٣٦٠.

غير أن النسائي وابن خزيمة قد حذفوا (ارغام انف معاوية وكذلك لعنه من الحديث) واثبتته ابن جرير من ثلاثة وجوه عن ابن عباس كما في كنز العمال ٥: ١٥٢، ح ١٢٤٢٨، ح ١٢٤٢٩.

(٣) حاشية السندي على النسائي ٥: ٢٥٣.

ترك التكبير بغضا لعلي عليه السلام.

عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكبر عند كل خفض ورفع ^(١).

وعن ابن مطرف بن عبد الله قال: صلينا خلف علي بن أبي طالب عليه السلام أنا وعمران بن حصين فكان إذا سجد كبر وإذا رفع راسه كبر وإذا نهض من الركعتين كبر فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران فقال: قد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وسلم أو قال: لقد صلى بنا صلاة محمد ^(٢).

وفي لفظ لأحمد: قال عمران ما صليت منذ حين أو قال: منذ كذا وكذا أشبهه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الصلاة صلاة علي ^(٣).

وبالفاظ أخرى متقاربة كما في صحيح البخاري ^(٤).

وفي لفظ عند العسقلاني في شرح حديث عمران أنه صلى مع علي في البصرة فقال: ذكرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع رسول الله الخ ^(٥).

ومثله عن أبي موسى الأشعري: لقد ذكرنا علي بن أبي طالب صلاة كنا



قرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرأ بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص. انظر: تذكرة الحفاظ ١: ١١٠.
 (١) صحيح البخاري ٢: ٧. سنن الدارمي ١: ٢٨٥. سنن النسائي ٢: ٢٠٧، ٢٣٠. المدونة الكبرى ١: ٧٣. بدائع الصنائع ١: ٢٠٧. البحر الرائق ١: ٥٣٢. مسند أحمد ١: ٣٨٦. سنن الترمذي ٢: ٢٠٥. مجمع الزوائد ٢: ١٠٤.

(٢) مسند أحمد ٤: ٤٤٠. وج ٤: ص ٤٤٤. صحيح مسلم ٢: ٨. سنن أبي داود ١: ١٩٢. فتح الباري ٢: ٢١٤.

(٣) مسند أحمد ٤: ٤٢٩.

(٤) صحيح البخاري ١: ١٩٠ وص ١٩١، وص ٢٠٠. صحيح مسلم ٢: ٨.

(٥) فتح الباري ٢: ٢١٤. سنن النسائي ١: ٢٠٤. سنن أبي داود ١: ١٣٣. مسند أحمد ٤: ٤٢٨ - ٤٤٤.

لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب التسمية.

الحجة الخامسة: روى البيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يجهر في الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم ثم أن الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عمر وابن الزبير. وأما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى والدليل عليه قوله ﷺ اللهم أدر الحق مع علي حيث دار.

ثم ذكر الرازي عن بعض الصحابة ذلك فذكر لأنس ستة روايات متناقضة ثم قال: بعدها يتبع فثبت أن الرواية عن أنس في هذه المسألة قد عظم فيها الخبط والاضطراب والبقية متعارضة فوجب الرجوع إلى سائر الدلائل. وأيضاً فيها تهمة أخرى وهي أن علياً رضي الله عنه كان يبالي في الجهر بالتسمية فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعياً في ابطال آثار علي رضي الله عنه فلعل انساً خاف منهم فلهذا السبب اضطربت أقواله فيه ثم قال: ونحن وأن شككنا في شيء فلا نشك أنه مهما وقع التعارض بين قول أنس وأبي المغفل وبين قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي بقي عليه طول عمره^(١) فإن الاخذ بقول علي أولى... إلى أن يقول: وأن الدلائل العقلية موافقة لنا وعمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه معنا ومن اتخذ علياً اماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه^(٢).

(١) وهكذا تابعه أبنائه الأئمة الميامين رضي الله عنهم كما ثبت في فقههم ونقل الرازي في أحكام البسمة: ٤٠ عن البيهقي عن جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه قال: اجتمع آل محمد ﷺ على الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وقال: جعفر بن محمد لا ينبغي الصلاة خلف من لا يجهر نقلاً عن منع تدوين الحديث: ٢٨٧.

(٢) نقلاً عن تدوين السنة: ٢٨٣، غير أن البيهقي في السنن ٢: ٥٠ قال: وجاء عن الزهري أول من

ترك المسح في الوضوء بغضا لعلي عليه السلام.

وكما أن الوضوء أيضاً تغير بغضا لعلني في أحاديث كثيرة لا مجال للتفصيل وقد استوفي القول بذلك السيد علي الشهرستاني في كتابه وضوء النبي ﷺ، عن البيهقي ^(١) قوله انها لا تتم صلاة احدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح براسه ورجليه.

ينظر أن غسل القدمين في الوضوء مسألة حادثة إذن بعد الرسول ﷺ وقد رجح الشهرستاني انها ظهرت أيام عثمان فكافحها الإمام علي وصحح العمل وفقا للكتاب والسنة فلما جاء بنو أمية عادوا إلى الخلاف بغضا لعلني.

وقد حكم بعضهم بافضلية المسح على الخفين لا للدليل وإنما كان ذلك الحكم لاجل طعن الشيعة في ادلة المسح وقال: واحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن افضل من تركه ^(٢).

وليس هنا مجال للتعرض للمسائل الفقهية الاخرى التي غيرتها السلطة بغضا لعلني ولا غرابة من بني أمية التهاون بالدين والاستخفاف بالشرعية لأن خليفتهم افضل من رسول الله ^(٣) وربما يوجه الأمة كيفما أراد (وما على الخلفاء حساب ولا عذاب) ^(٤).

له: قال رسول الله ﷺ فيقول أقول أنا. وتقدم الحديث.

(١) السنن الكبرى ١: ٤٤. وج ٢: ٣٤٥.

(٢) نيل الأوطار ١: ٢٢٢. فتح الباري ١: ٢٦٤. تحفة الاحوذى ١: ٢٦٤.

(٣) البداية والنهاية ٩: ١٥١.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٣٢٩.

نصليها مع رسول الله ﷺ اما نسيناها أو تركناها عمدا^(١).

غير أن معاوية - كما أخرج في كتاب الام عن عبيد بن رفاعه عن أبيه - قدم المدينة فصلى بهم فلم يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ولم يكبر إذا خفض وإذا رفع فنادهه المهاجرون والأنصار حين سلم أن يا معاوية سرقت صلاتك أين البسملة وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت فصلى بهم صلاة أخرى فقال: ذلك فيما الذي عابوا عليه^(٢).

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب أنه قال: أول من نقص التكبير معاوية^(٣).

وكما جاء في نيل الاوطار بعد كلام حكى عن الطحاوي: أن بني أمية كانوا يتركون التكبير في الخفض دون الرفع وما هذه باول سنة تركوها^(٤). وذكر لمعاوية في الوسائل إلى مسامرة الاوائل، أمور كثيرة ابتدعها معاوية وسارت عليها الأجيال وصارت هي السنة تبعاً لما سنته أيدي الهوى وعمل بها حتى يومنا هذا وكما ذكر له امورا أخرى ابتدعها معاوية^(٥).

(١) مسند أحمد ٤: ٣٩٢. فتح الباري ٢: ٢٢٤. علل الدارقطني ٧: ٢٢٣.

وفي حديث قال: أبو موسى الاشعري لقد ذكرنا علي بن أبي طالب صلاة كنا نصليها مع رسول الله أما نسيناها أو تركناها عمداً تقيلاً عن في رحاب العقيدة: ١٢٢، عن مسند أحمد ٤: ٣٩٢، ٤١١ وص ٤١٥، مصنف ابن أبي شيبة ١: ٢١٧، وشرح معاني الآثار ١: ٣٣١، وفي لفظ آخر فراجع.

(٢) كتاب الأم ١: ١٣٠. ومن طريق أنس كما في البحر الزاخر ١: ٢٤٩.

(٣) نيل الأوطار ٢: ٢٦٦. فتح الباري ٢: ٢٢٤. تحفة الاحوذى ٢: ٨٦. عون المعبود ٣: ٤٥. تاريخ الخلفاء (السيوطي): ١٣٤. شرح الموطأ ١: ١٤٥، وعن أبي هريرة مثله كما في نيل الأوطار والطبراني.

(٤) نيل الأوطار ٢: ٢٦٦.

(٥) كما في الغدير ٨: ١١٧، والنصائح الكافية ولا تنس قول أبي الدرداء من يعذرني من معاوية أقول

وكان أصحاب محمد ﷺ يسجدون على الأرض فأثر ذلك في جباههم وقد مدحهم الله تعالى بذلك إذ يقول: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(١). وذكر في صفة عمه النبي ﷺ على رواية علي عليه السلام في اسدالها على منكبیه حين عممه رسول الله ﷺ ثم ذكر قول المحافظ العراقي: أن ذلك أصبح شعار كثير من فقهاء الإمامية فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم^(٢).

وذكر ابن تيمية^(٣) عند بيان التشبه بالشيعة ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعارا لهم فإنه وأن لم يكن الترك واجبا لذلك لكن في اظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميز السني من الرافضي ومصلحة التمييز عنهم لاجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة ذلك المستحب.

وقال مصنف الهداية من الحنفية: أن المشروع التختم باليمين ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار.

وأول من اتخذ التختم باليسار خلاف السنة هو معاوية كما في ربيع الأبرار وقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن: السنة في القبر: - التسطیح وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي وقال أبو حنيفة وأحمد: التسنيم أولى لأن التسطیح صار شعارا للشيعة^(٤).

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) المواهب اللدنية للزرقاني ٥: ١١٣.

(٣) منهاج السنة ٢: ١٤٢.

(٤) كتابه (رحمة الأمة في اختلاف الأئمة)، المطبوع بهامش ميزان الشعراfi ١: ٨٨.

ترك التشبه بالشيعة،

وهكذا طغت موجة التعصب على كثير من الفقهاء ممن ترك أمر دينه لمصلحة دنياه فتركوا أمور قد ورد الدليل من الشارع في استحبابها أو وجوبها ولكنهم رجحوا الترك لأن العمل بها يدعو إلى التشبه بالشيعة والتشبه بهم ينبغي تجنبه كما افتي بذلك المحافظ العراقي شرح المواهب اللدنية وابن تيمية عند بيان التشبه بالشيعة.

وهنا يجب الالتفات إلى هذا الأمر وما حدث من ورائه من ترك الأعمال المستحبة ولعله أدى إلى ترك بعض الواجبات استناداً إلى هذه الحجة وهي مراعاة المصلحة وبالطبع انها مهمة حتى التقرب للولادة الفسقة والعمل لهم بالظلم والجور.

نعم أن مصلحة التمييز عن الشيعة اهم من مصلحة المستحبات الشرعية عندهم ولعله من هذا الباب يفتح ترك كثير من الأخبار الصحيحة الواردة عن صاحب الرسالة لأن في نقلها واثباتها يثبت التشيع والمصلحة تدعو إلى التمييز عنهم فيلزم تركها... ومن المصلحة أيضاً تأويل بعض الآيات ووضع الأحاديث بما يدعو إلى اظهار التجنب عن تهمة التشيع.

ومن المصلحة أيضاً قالوا: يمنع المصلي عن اختصاص جبهته بما يسجد عليه من ارض وغيرها لأن ذلك الاختصاص من شعار الشيعة (انظر غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى ١: ١٣٥ الفقه الحنبلي) وطبعاً أن اتخاذ شعار الشيعة فيه حظر فمن المصلحة تركه لأن الشيعة قد التزموا بالسجود على الأرض أو ما انبته لقوله ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

باليمن فإنه في الاصل سنة لكنه صار شعار أهل البدعة والظلمة صارت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا كما في شرح القهستاني ومن قرء يوم عاشوراء واوائل المحرم مقتل الحسين عليه السلام فقد تشبه بالروافض خصوصاً إذا كان بالفاظ مخلة بالتعظيم لاجل تحزين السامعين وفي كراهية القهستاني لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولاً مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض.

وذكر الغزالي يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج بغض الصحابة والظلمة فيهم الخ... وذكر المقرئ قوله وقد ادركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذهم يوم عاشوراء يوم سرور.

ويشير بذلك لملوك بني أيوب في مصر وحثالة الشجرة الملعونة في الشام باتخاذهم يوم عاشوراء يوم فرح وسرور ويصنعون فيه ما يجري في الاعياد من رقص ولهو وبذل الطعام وتقديم الحلوى وتبادل التهاني.

ألا تر خصوم الشيعة واعداء الحسين أنهم يسرون على ما سنه فرعون زمانه؛ الحجاج وطغاة الأمويين من ابناء الطلقاء.

فما أدري هل حسبوا أنهم احسنوا صنعا بهذا.

وهل سروا رسول الله بذلك كما فرحوا بقتل سبطه وفلذة كبده وريحانته وسيد شباب الجنة.

ام جهلوا منزلة أبي الضيم الحسين بن علي الذي رفض الذل والرضوخ لانحراف المستبدين بتغيير سنة جده سيد المرسلين.

ولكن اندفع ولاة الجور للدفاع لتثبيت سلطانهم وكيان ملكهم بتشويه المسار الصحيح لثورة الإمام الحسين التي قضت مضاجعهم وهزت عروشهم فبثوا روح

وقال الغزالي: أن تسطيح القبور هو المشروع والتختم باليمين ولكن لما جعلته الرافضة عدلنا عنه إلى التسنيم^(١).

وقال الزمخشري^(٢): القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٤). ولكن للعلماء تفصيل في ذلك وهو أنها أن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي واله فلا كلام فيها وأما إذا افرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو مكروه لأن ذلك شعار لذكر رسول الله ﷺ ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض... الخ. ومثله ابن حجر قوله: اختلف في السلام على غير الأنبياء وبعد الاتفاق على مشروعيتها في تحيته الحي فقيل يشرع مطلقا وقيل بل تبعا ولا يفرد لواحد لكونه صار شعارا للرافضة ونقله النووي عن الشيخ أبي محمد الجويني^(٥).

وقال الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره^(٦): (عقد الدرر واللئالي): المستحب في ذلك اليوم - يعني يوم عاشوراء - فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرها ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبهه بيزيد بن معاوية في بعض الافعال وبالشيعة والروافض والخوارج أيضاً يعني لا يجعل ذلك اليوم عيداً أو يوم ماتم - إلى أن يقول - : فإن ترك السنة سنة إذا كان شعاراً لأهل البدعة كالتختم

(١) وضوء النبي ﷺ ١: ٤٥٤.

(٢) في تفسيره ٢: ٤٣٩.

(٣) الاحزاب: ٤٣.

(٤) التوبة: ١٠٣.

(٥) فتح الباري ١١: ١٤٦.

(٦) تفسير روح البيان ٤: ١٤٢.

الحذف من بعض الأحاديث

من المعلوم الذي لا نقاش فيه أن الخيانة للعلم والحقيقة في نقل الحديث الثابت عن رسول الله أو الرواية عن صحابته ويثبت نصها الصحيح المشهور أو يتواتر نقلها في أهم المصادر وعرفت بذلك غير أن البعض يحذف منها قسما تسوقه العصبية أو بطعن في سندها تحكما وزورا تبعا لهواه ولم يخشى الله سبحانه في خيانتته وجريمتته في حق العلم والأمة وسأعرض لصور من ذلك.

وبعد ملاحظة الكتب التي يعاد طبعها وتعرض للزيادة أو النقيصة أو الحذف والتصحيح ولا اعني بالكاتب المعاصر الذي يعيد طبع كتابه فيغير من المواضيع التي تخصه.

ولكن ما نلاحظه من الاعادة لطبع بعض الكتب القديمة ويتصرف الشارح أو المعلق أو ما يسمى بالمحقق أو من صاحب الطبع فيحذف من الحديث ما يريده أو يضيف إليه ما يرغب به.

وهكذا تتسرب الخيانة وتشمل كتب التاريخ والسير والحديث وحتى دواوين الشعر ومعاجم الأدب ويتصرف بشعر الشاعر حسب مذاقه ومرامه.

ولم تختصر تلك الخيانة بحذف الجملة أو زيادة كلمة بل توسعت إلى فصل من الكتاب أو موضوع لا يرغب فيه الطابع أو الشارح فيحذفه كليا ولم يشير إليه كما ذكر (المغماري في هامش: ١٦٣ من كتاب البرهان الجلي) فقال: ومثل هذا وذاك ما حصل في تفسير البحر المحيط فإن أبا حيان تعرض فيه لابن تيمية وذمه.

الفرقة بين افراد الأمة للسيطرة على استحصال غاياتهم التي لا تتم مع اتفاق المسلمين كما صبغوا تلك الجرائم بصبغة دينية ولكنها في الواقع بعيدة عن روح الدين ورسالة الإسلام.

وقد افصح لنا التاريخ عن نياتهم السيئة وما يقصدون من وراء ذلك من أحقاد بدرية وضغائن أحدية والشواهد على ذلك كثيرة وكما أظهره طاغيتهم يزيد عندما قتل الإمام الحسين وسبى اهله وحرّبه ودخول السبايا عليه استشهد وهو فرح جذان بأبيات ابن الزبيري.

ليت اشياخي يبدر شهدوا...

حتى يقول: متشمتا برسول الله بأخذ الثأر منه.

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فعدل

ويقصد بهم اجداده واعمامه الذين قتلهم أمير المؤمنين يوم بدر مع رسول الله ﷺ وكما أن والي المدينة (١) عندما سمع واعية نساء بني هاشم بقتل الحسين خاطب قبر الرسول الشريف مؤشرا إليه بيده: (يوم بيوم بدر يا رسول الله) فعاتبه الأنصار وغضب من سمعه من الناس.

واستمرت الأجيال على ما ورثوه من سلفهم وازرهم رجال من خلفهم فابتعدوا عن الحق وشوهوا الحقائق أمثال ابن تيمية وابن حزم وابن كثير وابن خلدون فبرروا ليزيد الخمار السكر افعاله الشنيعة بالاجتهاد ومنحوه الاجر والثواب بقتل الحسين السبط ووقعة الحرة الشهيرة وغيرها وتأولوا له من الموبقات الصريحة بما يضحك الثكلى ويبكي المسلم الغيور. وتقدم الحديث عن ذلك.

(١) وذكر أبيات يا حبذا يردك في الديدن. شرح النهج ٤: ٧١.

٣- حذف عبارة من: ٨٧ وهي (وفي رواية للحاكم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فقال: اللهم صل على محمد وال محمد الخ).

٤ - وفي: ٢٠ في قوله صراط (علي) مستقيم فحذفت كلمة علي.

إلى غير ذلك مما ذكره السيد طيب في جدولته المفصل فمن أرادته فليراجعه نقلا عن كتاب دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام للسيد جعفر مرتضى وأشار إلى بعض الكتب التي شملتها الخيانة بالحذف والتحريف بسبعة وعشرين كتاباً وفيها بعض الصحاح والمسانيد وكتب الحديث.

وذكر المرحوم الشيخ المظفري في دلائل الصدق: ٢٦٨/٢ حول حديث المؤاخاة فقال: نقل في ينابيع المودة الباب التاسع مع حديث المؤاخاة عن أحمد في مسنده عن زيد بن أبي أوفى كما نقله المصنف (رحمه الله) في منهاج الكرامة عن مسند أحمد أيضاً - إلى أن قال -: ثم حكى في الينابيع أيضاً عن أحمد في مسنده عن حذيفة بن اليمان قال: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكان يواخي بين الرجل ونظيره ثم أخذ بيد علي فقال: هذا أخى الخ... وحكى عن عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ثمانية أحاديث في مؤاخات النبي لعلي - إلى أن قال - وكان القوم قد تعللوا لحذفها من المسند في الطبع بدعوى انها من الزيادات فاني لم اعثر على شيء منها وليراجع (الدلائل ٢: ١٤٣).

وذكر السيد جعفر مرتضى في كتابه دراسات قال: ولقد راجعت أنا بدوري مسند أحمد فلم اجد فيه مسند لزيد بن أبي اوفى نعم فيه مسند لآخيه عبد الله بن أبي اوفى ولم يكن فيه حديث المؤاخاة وكذلك في مسند حذيفة بن اليمان... كما أن الأحاديث الثمانية لا توجد.

وذم بدعته فحذف المشرف على الطبع بمطبعة السعادة ذلك الكلام من اصله ولم يترك له في التفسير ما يدل عليه.

ومثله في كشكول الشيخ البهائي وكتاب المحلاة ما ذكره العلامة السيد مهدي الخرسان في المقدمة: قوله والأمر يلفت النظر في الطبقات المصرية جميعها اسقاط جميع ما فيه من الأدب الفارسي وهو يبلغ ثلث الكتاب مضافا إلى وقوع التصحيف والتحريف والتحوير والتزوير مما امكن معه سلب الكتاب من مؤلفه. وما وقع للدكتور علي سامي النشار وعصام الدين قد طبعا كتاب طبقات المعتزلة وحذفا من الكتاب (١٢٠ إلى ١٤٠).

وعلق ابن حجر وشرح صحيح البخاري بجمل منه وشرحها مطيلا تارة ومختصرا أخرى ولكن لا توجد هذه الجمل في اصل صحيح البخاري وعد منها السيد جعفر مرتضى ما يقرب من خمسين جملة في كتابه: (دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام: ٢٧).

وغير هذا كثير من الكتب ولسنا بصدد احصائها ولو جمعت لاصبحت كتاب ضخمة ولا يهمنا هذا بقدر ما يتعلق بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته وخشية التطويل أعرض لنماذج من ذلك ولو اُحد منها وهو الصواعق المحرقة لابن حجر كما قابل السيد طيب الجزائري بين طبعتي الكتاب في سنة ١٣١٢ وبين طبعة سنة ١٣٨٥ وطبعت الاخير بالافست.

١ - حذف عبارة (ذكر علي عبادة) من ٧٤.

٢ - حذف عبارة من ٧٦ وهي (وأخرج الطبراني عنه قال: كانت لعلي ثمانية عشر منقبة ما كانت لاحد في هذه الأمة).

فكري للدار بمراجعة الكتب التي يشتم منها التأييد للشيعة الإمامية أو لأهل البيت فكانت اللجنة تحذف ذلك الكلام كله وتختتم الكتاب بالعبارة الآتية (راجعتة اللجنة المغيرة للكتب) بتوقيع رئيس اللجنة علي فكري^(١).

كما ذكر ابن قتيبة في المعارف: أن أنس بن مالك كان بوجهه برص وذكر قوم أن علياً عليه السلام سأله عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقال: كبرت سني ونسيت، فقال علي: ((أن كنت كاذباً فضربك الله ببياض لا تواريه العمامة))^(٢) الخ غير أن الايدي الاثيمة إذا لم تستطع الطعن في سند الحديث اضافة إليه عبارة بعد الحديث (قال أبو محمد: ليس لهذا اصل) خروجاً عن سياق الأحاديث في الكتاب ووقع نظير هذا مع البغوي في (المصاييح)، وقال: ليس لهذا اصل وعلق عليه الشارح وقال: هذه زيادة من بعضهم وليس من اصل الكتاب، كما سيأتي.

ومثله ما جاء عن ابن أبي الحديد: أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة انشدك الله اسمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول لعلي بن أبي طالب: ((اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)) فقال: اللهم نعم قال: فاشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قال: عنه وردت الرواة أن أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ويلعب معهم وكان يخطب وهو أمير المدينة فيقول:

(١) نقلاً عن ضوء النبي: ١٦٠-١٦١.

(٢) وذكره عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤: ٣٨٨، وذكرنا تفصيل الحديث في المناشدة بيوم

ولقد طبع كتاب طبقات ابن سعد عدة طبعات وترجمة الحسين عليهما السلام فيه اوراق معدودة يراها كل ناظر فيه. ولكن المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائي قد وجد مخطوطه للطبقات في تركيا كانت فيها ترجمة الحسين أضعاف ما هو مذكور في المطبوع من الكتاب وقد طبع في مجلد خاص.

وذكر السيد طيب الجزائري في مقدمته لكتاب الصواعق المطبوع سنة ١٣١٢ وبهامشها تطهير الجنان فذكر جدولاً للتحريفات الواقعة فيه وعلى سبيل المثال قال: قد حذفت العبارة التالية:... أمير المؤمنين ثم جاءها علي فقالت سلوه ما يريد فذكر لها ما ذكر عمار ثم قالت اطلب بدم عثمان.

وذكر ابن شهر آشوب في (المناقب): وهو يتحدث عن اولاد فاطمة قال: وفي المعارف (لابن قتيبة): أن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي^(١) فقال الكنجي في كفاية الطالب/٤١٣ و ٣٥٢ وزاد على الجمهور وقال: أن فاطمة عليها السلام اسقطت بعد النبي ذكراً كان سماه رسول الله ﷺ محسناً وهذا شيء لم يوجد عند أحد من أهل النقل إلا عند ابن قتيبة.

ولكن الموجود في معارف ابن قتيبة المطبوع/١٣٥٣ وص ٩٢ هكذا... وأما محسن بن علي فهلك وهو صغير.

وجاء بهامش كتاب آراء علماء المسلمين /٢٤٦ للسيد مرتضى الرضوي قبل نصف قرن تقريباً (قامت دار الكتب المصرية بالقاهرة بمديرية الأستاذ علي

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٣٣.

الموجود فيها حديث: ((أنا دار الحكمة))^(١) وهو غيره كما أنه لم يسلم من الأيدي العابثة وسيأتي الحديث عنه.

حذف تصحيح حديث رد الشمس:

أخرج الطحاوي في مشكل الآثار^(٢): حديث رد الشمس لأمير المؤمنين وأخرجه بلفظين وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواهما ثقات وقد نقل هذا التصحيح عن الطحاوي جماعة منهم القاضي في الشفاء غير أن يد الطبع قد حرفته عن مشكل الآثار.

كما ذكر الحديث عن الطحاوي جماعة منهم ابن حجر في فتح الباري^(٣): وقال: روى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل وفي عمدة القاري، وغيرهم.

حديث انذار العشيرو:

أخرج الطبري في تاريخه: وغيره الحديث عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٤) وتلخيص فأمر علياً أن يصنع لهم وليمة ولثلاث مرات، فقال رسول الله ﷺ مخاطباً أعمامه: يا بني عبد المطلب أي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما

(١) سنن الترمذي ٥: ٣٠١، ح ٣٨٠٧.

(٢) المصدر ٢: ١١.

(٣) فتح الباري ٦: ١٥٥.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

الحمد لله الذي جعل الدين قياماً وابتاً هريرة إماماً يضحك الناس بذلك. وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق فإذا انتهى إلى رجل يمشي أمامه ضرب برجليه الأرض ويقول: الطريق الطريق! قد جاء الأمير يعني نفسه^(١).

وقد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب المعارف المطبوع سنة ١٣٥٣ ولكن الأيدي قد تلاعبت به كما أنها حذفت من الكتاب جبن حسان بن ثابت وغيره كما نسبها ابن أبي الحديد وحيث لم يتعلق بفضائل أمير المؤمنين لم نذكره.

حذف حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها.

ذكر العلامة الحلي حديث: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) عن صحيح الترمذي^(٢) واعترف ابن رزيهان بصحة ذلك قائلاً وأما ما ذكره عن صحيح الترمذي فصحيح. ونقله عن الترمذي قبل العلامة ابن الأثير الجزري في جامع الأصول^(٣). ومحمد طلحة في مطالب السؤول/٣٥ واعترف به ابن تيمية وهو معاصر العلامة في منهاج السنة برواية الترمذي.

كما نقله عن الترمذي جماعة كثيرة من علماء السنة المتأخرين منهم السيوطي في تاريخ الخلفاء، والمبيدي في شرح الديوان، وابن حجر في الصواعق، والسخاوي في المقاصد، والدهلوي في أسماء رجال المشكاة، والزرقاني في شرح المواهب اللدنية، الصبان في اسعاف الراغبين، والمرقاة في شرح المشكاة، وغيرهم ومع هذا كله فإن حديث أنا مدينة العلم غير مذكور في نسخ صحيح الترمذي بل

(١) شرح النهج ٤: ٦٨.

(٢) كشف اليقين: ٥١.

(٣) جامع الأصول ٩: ٤٧٣. أسد الغابة ٤: ٢٢.

والسيوطي في الدر المنثور والشعبي في تفسيره وأصحاب السير مثل الحلبي^(١)، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه^(٢) نقلاً عن الطبري^(٣) وفي (٣٩٧) عن الحفاظ الستة ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي ولم يطعن فيه أحد واحتجوا به في دلائل النبوة والخصائص العلوية وصححه أبو جعفر الاسكافي كما في شرح النهج، وشهاب الدين الخفاجي في شرح الشفاء للقاضي عياض^(٤) وقال: ذكر في دلائل البيهقي وغيره بسند صحيح كما ذكره في مسند أحمد ١: ١١١، وغيرهم.

ونقل العلامة الحلبي من مسند أحمد: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع النبي من أهل بيته ثلاثين فاكلوا وشربوا ثلاثاً ثم قال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة فقال: علي أنا فقال: أنت.

فقال الفضل بن رزبهان: وفي مسند أحمد بن حنبل: (ويكون خليفتي) غير موجود بل هو في إلحاقات الرافضة وهذان الكتابان اليوم موجودان وهم لا يباليون من خجلة الكذب والافتراء^(٥).

(١) المصدر ١: ٢٨٦.

(٢) المصدر ٦: ٣٩٢. وروى الحديث أحمد بن حنبل في مسنده ١: ١٥٩. والهيثمي في مجمع الزوائد ٨:

٣٠٢ وغيرهم.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.

(٤) المصدر ٣: ٣٧.

(٥) دلائل الصدق ٢: ٣٥٩.

قد جئتكم به أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه فايكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم قال: فاحجم القوم عنها جميعا وقلت واني لاحدثهم سنا... أنا يا نبي الله ولثلاث مرات فأخذ برقبتي ثم قال: أن هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطبع. وأخرج هذا الحديث سندا ومنتنا جمع من الحفاظ والمؤرخين وأصحاب السير وبعض المفسرين وبطرق عديدة أخرى.

ولما أن الحديث فيه ذكر الوصية والخلافة قلبوا له طهر المجن فهذا يحرفه وذاك يحوره ويحذف من اخره واولهم الطبري نفسه بعد ما أثبتته في تاريخه وصححه كما مر فاخرجه في تفسيره حرفيا متنا واسنادا فندم على قوله الأول واجمل القول بما صرح به الرسول وحرف قوله ﷺ (أن يكون أخي ووصيي وخليفتي) فقال: (ويكون أخي وكذا وكذا) وكذلك في تفريع الرسول بالقول لما وضع يده برقبة علي وقال: (بأن هذا أخي وكذا وكذا).

وتبعه على هذا التحريف ابن كثير في بدايته^(١) وفي تفسيره أيضاً على أن مصدره في التاريخ هو تاريخ الطبري كما صرح في مقدمة كتابه فعلام هذا ولم يتبع للمؤرخين أمثاله الذين ذكروا الحديث تاما مثل ابن الأثير في كامله وابن عساكر في تاريخه ترجمة أمير المؤمنين^(٢) وغيرهم أو مثل بعض المفسرين كالحازن

(١) البداية والنهاية ٣: ٥٣. تفسير ابن كثير ٣: ٣٦٤. السيرة النبوية (ابن كثير) ١: ٤٥٩. شواهد

التنزيل (المسكاني) ١: ٤٨٧.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٥٠.

واضاف إليه أمر جديد لم يأتي به أحد من رواة الحديث وطرقه الكثير وهي قول علي: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب لمن حاربت وانتهى بسخرية بني عبد المطلب (١).

ونقل عن الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (فلسفة التوحيد والولاية: ١٧٩ و ١٣٢): أن هيكل نفسه قد حذف ذلك لقاء (٥٠٠) جنيه ويقول السيد هاشم معروف في سيرة المصطفى أنه حذفها لقاء شراء ألف نسخة من كتابه (٢) فحيا الله الامانة في النقل وبيع الضمير بالمتاجرة والتلاعب بالأحاديث والتاريخ. كما أن الحديث رواه الخازن في تفسيره ٣: ٣٧١: بصورة صحيحة نقلا عن سيرة ابن إسحاق وليس له في سيرة ابن هشام - التي هي مختصرها - عين ولا اثر (٣). وله من هذا كثير فقد ذكر حديث الوصية وهو حديث مثبت في القسم الموجود من سيرة ابن إسحاق (٤) وليس له في سيرة ابن هشام أي أثر.

حذف حديث المباهلة:

أن حديث المباهلة ونزول الآية الكريمة في أهل البيت وتخصيصهم بذلك دون عامة الناس وتحدى الرسول ﷺ لنصارى نجران وما ظهر في ذلك اليوم من أحقية الإسلام على كافة الأديان رجوع الوفد خائبين وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد أجمع أهل التفاسير وأصحاب الحديث على ذلك ولكي يتضح

(١) نقلاً عن الغدير ٢: ٢٨٨.

(٢) دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام: ٢٠.

(٣) نقلاً عن صائب عبد الحميد: ١٠٢.

(٤) بتحقيق د. سهيل زكار: ١٢٥.

فذكر الشيخ المظفري من أعجب العجب أن يكذب هذا الرجل وينسب الكذب إلى العلامة وشدد النكير عليه وإذا أردت أن تعرف كذبه فراجع المسند تجد الحديث مشتملا على لفظ (خليفة) (١).

وهكذا نقله في كنز العمال (٢): وعن أبي جرير قال: وصححه وعن الطحاوي والضياء في المختارة كما نقله المظفري أيضاً في دلائل الصدق (٣) عن مصادر أخرى.

وتبع ابن كثير على هذا التحريف ابن خلدون في تاريخه كما أن مصدره الطبري أيضاً وزاد على من سبقه فبتر الحديث ولم يعطي فيه أي مزية لعلني فقال: فجمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون على طعام صنعه لهم علي بن أبي طالب بأمر رسول الله فدعاهم إلى الإسلام ورجبهم وحذرهم وسمعوا كلامه وافترقوا ومنهم هيكل دون هذا الحديث بصيغته الصحيحة في مقال له نشر في ملحق جريدة السياسة المصرية (٤). وكذلك في كتابه (حياة محمد: ١٠٤) الطبعة الأولى وبعد أن طبعه في طبعات أخرى اسقط ما فرع به الرسول وهي كما في الحديث ووضع يده على رقبة علي وقال: (هذا أخي ووصيي ووارثي).

(١) مسند أحمد ١: ١١١.

(٢) كنز العمال ١٣: ١٢٩، رقم [٣٦٤٠٨].

(٣) دلائل الصدق ١: ١٤٧. ومن المصادر الأخرى التي نقلت الحديث بلفظ خليفة: مجمع الزوائد ٩:

١١٣، خصائص الوحي المبين: ١٢٢، تفسير ابن كثير ٣: ٣٦٣، و٣٦٤، تاريخ ابن عساکر ٤: ٣٢،

وج ٤٢، ص ٤٨، البداية والنهاية ٣: ٥٣، نهج الإيمان: ٢٣٨، السيرة النبوية لابن كثير ١: ٤٦٠،

ينابيع المودة ١: ٣١٢.

(٤) العدد ٢٧٥١ الصادر في ١٢ / ١١ / ١٣٥٠هـ والعدد ٢٧٨٥.

الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا...

ثم قال الرازي بعد الحديث: واعلم أن هذه الرواية كالمثقف على صحتها بين أهل التفسير والحديث.

غير أن البخاري خرج من هذا الاتفاق من بين أهل التفسير والحديث واختصره بحديث عن حذيفة وحذف منه ما يتعلق بتحدي الرسول لنصارى نجران واحقية دين الإسلام ومنزلة علي وأهل بيته عند الله حتى فرطم الحديث وعز عليه أن يشير إليهم لا من قريب ولا من بعيد وكأنهم غرباء عن آية المباهلة التي خصتهم ونزلت فيهم.

وللتعرف على التحريف والتعظيم الذي تبناه البخاري في جميع فضائلهم فهذا نص حديثه، عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريد أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فو الله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا معنا قالوا أن نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث إلا رجلاً أميناً فقال: لا بعثن معكم رجلاً أميناً حق أميناً فاستشرق له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة.

وبهذا يظهر أن البخاري بروايته لحديث حذيفة وحرف فيه ما يرغب فأراد

أن يشيد بفضيلة لأبي عبيدة لا غير^(١).

(١) ومن أراد التعرف على أمين هذه الأمة فليراجع نفحات الازهار ١١: ٣١٥ - ٣٢٨.

الأمر نعرض لواحد منهم باختصار، فذكر الفخر الرازي في تفسيره ٥ : ٨٠ عند ذكر الآية. فقال: روى أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم أنهم أصروا على جهلهم، فقال عليه السلام: أن الله أمرني أن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم فقالوا: يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ونأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد جائكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم قط نبيا فعاش ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فإن أبيتتم إلا الإصرار على دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي عليه السلام خلفها وهو يقول: إذا دعوت فأمنوا.

فقال اسقف نجران: يا معشر النصارى أني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لازاله بهم فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة ثم قالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نترك على دينك، فقال صلوات الله عليه: فإذا أبيتتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال: فأنى انجازكم القتال فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصلحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك في كل عام ألفي حلة ألفا في صفر وألفا في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل

بكل ما يستطيع ويرغب، فبعضهم حاول التكنم لهذه المنزلة بالحذف لأصل القضية أو حذف اسم علي أو فاطمة من حديث المباهلة أو اشراك غيرهم معهم خروجاً عن النصوص الثابتة.

فان مسلم في صحيحه ذكر الواقعة باختصار أيضاً ولكنه نص على ذكر اسم علي فيهم ولما نقله عنه صاحب البحر المحيط حذف منه اسم علي، ومثله البلاذري في (فتوح البلدان: ٧٥) يذكر المباهلة ولم يذكر اسم علي، ومثله ابن القيم في (زاد المعاد ٣: ٢٩) في قوله: ... فاقبل مشتملاً على الحسن والحسين (رض) في خميل له وفاطمة (رض) تمشي عند ظهره للمباهلة وله يومئذ عدة نسوة،

ومثله ابن كثير في (البداية والنهاية ٥: ٥٣) لما حصل مثل هذا التلاعب والتحريف في حديث جابر بن عبد الله ونقله طائفة من المفسرين أما في نقل الشعبي عنه فقد حذف اسم علي أيضاً كما في (تاريخ المدينة ١: ٥٨١) وقوله: ... فاصبح رسول الله ﷺ وغدا حسن وحسين وفاطمة وناس من أصحابه.

وجاء عند الطبري في (تفسيره ٣: ٢١١) ونقل بعد الخبر المذكور... قال: فقلت للمغيرة أن الناس يروون في حديث أهل نجران أن علياً كان معهم فقال: أما الشعبي فلم يذكره فلا أدري لسوء رأي بني أمية في علي أو لم يكن في الحديث. فإذا كان هذا من الشعبي فلا غرابة لأنه أمين آل مروان وقاضي الكوفة في زمانهم وكان نديماً لعبد الملك بن مروان ومقرباً إليه.

كما جاء بمثل ذلك التحريف والزيادة في حديث في السيرة الحلبية عن عمر فإنه قال للنبي ﷺ: لو لاعتنهم بيد من كنت تأخذ؟ فقال: أخذ بيد علي

كما ثبت من سير الواقعة أن كاتب الصلح هو أمير المؤمنين عليه السلام كما أشار إليه البيهقي في السنن^(١)، وفتوح البلدان^(٢)، وحتى أن ابن حجر شارح صحيحه^(٣) تتبعه إلى هذا التحريف والتعظيم فاعتذر عنه، وقال: ذكر ابن إسحاق أن النبي بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزياتهم وهذه القصة غير قصة أبي عبيده. فما أدري والحال أن قصة المباهلة هي واحدة ونزل الذكر الحكيم فيها ولم تتكرر ولم يحدثنا أحد بثانية غيرها.

ولو واقفنا البخاري على اختصار الواقعة من حديث حذيفة فإن غير البخاري ذكر حديثه ولم يحصل فيه هذا التعظيم.

وهذا نصه واللفظ للحاكم المسكاني^(٤)، قال: عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد اسقفا نجران يدعو النبي ﷺ إلى الملاعنة فقال: العاقب للسيد: أن لاعن بأصحابه فليس نبي وأن لاعن بأهل بيته فهو نبي فقام رسول الله فدعا علياً فأقامه عن يمينه ثم دعا الحسن فأقامه على يساره ثم دعا الحسين فأقامه عن يمين علي ثم دعا فاطمة فأقامها خلفه فقال العاقب للسيد: لا تلاعنه انك ان لاعنته لا نفلح نحن ولا أعقابنا، فقال رسول الله ﷺ لو لاعنوني ما بقيت بنجران عين تطرف.

وهكذا تستمر الايدي بالتلاعب فيما يتعلق بفضائل أمير المؤمنين وأهل بيته

(١) المصدر ١٠: ١٢٠.

(٢) المصدر: ٧٦.

(٣) فتح الباري ٨: ٧٧.

(٤) شواهد التنزيل ١: ١٢٦.

التحريف والتصحيح في فضائل أمير المؤمنين ﷺ

ذكر اليعقوبي في تاريخه ٢: ٣٧ ط سنة ١٣٥٨... وقد قيل أن آخر ما نزل عليه: (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بغدير خم.

ولكن المطبوع في سنة ١٣٧٩ في دار صادر بيروت في ٢: ٤٣، فحرفت على النحو التالي وكان نزولها يوم النفر على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد ترحم وحوار الخطيب البغدادي في تاريخه ١: ١٩١، وله أمثال هذا كثير فقال: خرج عدي بن حاتم وجرير البجلي وحنظلة الكاتب من الكوفة فنزلوا قرقيساء وقالوا لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان والصواب يشتم فيه علي فبدل علي بعثمان وللدكتور ملحم إبراهيم شارح ديوان أبي تمام وعند قوله من قصيدة (ويوم الغدير استوضح الحق أهله) فيقول الدكتور: (أن يوم الغدير واقعة حرب معروفة). ومثله الدكتور أحمد رفاعي في تعليقه على معجم الأدباء ١٤: ٤٨ من شعر

لأمير المؤمنين ﷺ:

وأوصاني النبي على اختيار بيعة غداة غدير خم
فيذكره (غداة غد برحم).

ومثله مصحح لطائف أخبار الدول ط مصر سنة ١٣١٠ فإنه يترك البيت

المذكور من شعر أمير المؤمنين في: ٣٣ هكذا:

واوجب طاعتي فرضاً عليكم رسول الله يوم غدا برحمي

وفاطمة وحسن وحسين وعائشة وحفصة.

ومثله جاء عند ابن عساکر في تاريخ الشام في ترجمة عثمان بن عفان قال:
فجاء بأبي بكر وولده، وبعمرو وولده، وعثمان وولده، وبعلي وولده والغريب أنه
تفرد بنقله ولم ينقله غيره والاعراب أن يرويه عنه السيوطي والشوكاني والمراغي
ساکتین عن هذا التحريف غير ان الآلوسی قال: وهذا خلاف ما رواه الجمهور^(١).

(١) روح المعاني ٣: ١٩٠.

لحسان في تلك المناسبة وتناقلها أصحاب السير والتاريخ وغيرهم ولكن لم نجد لها اثر في ديوانه المطبوع.

ومثله ديوان الفرزدق الذي اسقطوا منه الميمية المشهورة ومطلعها هذا الذي تعرف البطحاء وطئته...

وقد طفحت بذكرها الكتب والمعاجم حتى أن الناشر أشار إليها في مقدمة شرح ديوانه.

ومثله أن ديوان أبي تمام فيه سقط كثيراً من شعره لأن النجاشي في فهرسته قال: له شعر في أهل البيت كثير وذكر أحمد بن الحسين رحمه الله أنه رأى نسخة عتيقة ولعلها كتبت في أيامه او قريباً منه وفيها يذكر قصيدة يذكر فيها الأئمة حتى انتهى إلى الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام لأنه شوفي في أيامه ولا يوجد في ديوانه المطبوع شيء من ذلك الشيء الكثير^(١) وديوان الكميت فإنه حرفت منه ابيات كما زيدت عليه أخرى وقصائد الكميت (الهاشميات) المقدرة بخمسمائة وثمانية وسبعين بيتاً كما نص به صاحب الحدائق الوردية غير أنه عاثت في طبعها يد النشر فنقصت منها شيئاً كثيراً.

وديوان أمير الشعراء أبي فراس الحمداني وديوان كشاجم الذي زحزحوا عنه كمية مهمة من مرثي سيدنا الإمام الحسين عليه السلام واثبتوا تلك القصائد في دواوينهم المخطوطة وتناقلها بعض مترجميهم ولكنها حذفت من الدواوين المطبوعة وفيها الكثير من مرثي أهل البيت ومناقب أمير المؤمنين.

(١) نقلاً عن الغدير ٢: ٣٣٧.

في رد الشمس لعللي

وفي بيت شعر الملك العادل قوله:

وردت بهم شمس العطايا لو فدهم كما قال: قوم في علي وتوسع

هكذا يوجد البيت في مختار ديوانه المطبوع في المانيا/٢٨٨.

وهو تصحيف غريب والصحيح، كما قال: قوم في علي ويوشع نقلا عن

الغدير: ٣٧١/٤.

التحريف في دواوين الشعر:

ولم تسلم دواوين الشعر ومعاجم الأدب من التحريف والتصحيف والزيادة

والنقيصة الذي يعاد طبعها أو شرحها في مطابع مصر والشام وبيروت خاصة بما

يتعلق بفضيلة أو منقبة لأمر المؤمنين.

وقال أبو الطيب المتنبي: وقد عوتب علي تركه مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

وتركت مدحي للوصي تعمدا إذ كان نورا مستطيلا كاملا

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ومما يؤسف له أن هذين البيتين حذفنا من بعض طبعات ديوان المتنبي حتى

أن الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي ذكرهما في الطبعة ذات الجزئين في: ٥٤٦/٢

وحذفهما في الطبعة ذات الأربعة اجزاء.

ومثله الكثير الذي جاء عن حسان بن ثابت في مدح مولانا أمير المؤمنين

وبحضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحيانا يأمره بذلك وفي أخرى أن حسان يطلب من النبي

صلى الله عليه وآله وسلم بقوله هل تسمح أن أقول بذلك شيء من الشعر عندما يسمع بنزول

الآيات الكريمة في أمير المؤمنين أو بعض الأحاديث واثبتتها المصادر الكثيرة

تحريف شروط المعاهدة،

وحرّفوا شروط المعاهدة بين الإمام الحسن بن علي ومعاوية فقالوا: فيها وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدا بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين^(١).

ولكن الأمر عكس هذا فقد نقل جماعة^(٢) صورة غير هذا وفيه (أن لمعاوية الإمامة مادام حيا (وشروط غيره) فإذا مات فالأمر للحسن من بعده.

في الرسائل والخطب،

وهكذا يتم حذف جمل أو تغيير فقرات من خطب ورسائل أمير المؤمنين عليه السلام خاصة إذا كانت فيها فضيلة له أو حدث يشين خصومه من كتاب لأمر المؤمنين إلى عمرو بن العاص قوله عليه السلام:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الابتر بن الابتر عمرو بن العاص بن وائل شائي محمد وال محمد في الجاهلية والاسلام سلام علي من اتبع الهدى.
اما بعد فإنك تركت مروءتك لأمرء فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بمخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما قيل (وافق شن طبقه فسلبك دينك وامانتك ودنياك وآخرتك الخ الكتاب).

(١) نظام الخلافة: ١٨٠، والمعتزلة وأصول الحكم: ٤٧، نقلاً عن تاريخ الاسلام الثقافي: ٢٧٢. ينابيع المودة ٢: ٤٢٦.

(٢) الامامة والسياسة: ١٤٠. أسد الغابة ٢: ١٤. البداية والنهاية ٨: ٤٥. فتح الباري ١٣: ٥٥. الإصابة

١: ٣٣. مختصر تاريخ دمشق ٧: ٣٥.

ومثال ذلك قصيدة النعمان بن عجلان وهو شاعر الأنصار ولسانهم^(١) قال
 قصيدة ردا على أقوال عمرو بن العاص على أحاديث السقيفة ومواقف الأنصار
 في حروبهم مع الرسول ﷺ وتعرض فيها على الخصومات والمشاجرة في
 السقيفة وذكر الخليفة الأول ثم ذكر الوصية لأمر المؤمنين وذكر الايات في
 الموقيات^(٢) ومنها:

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم	عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
واهل أبو بكر لها خير قائم	وأن علياً كان اخلق بالأمر
وكان هوانا في علي وانه	لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى	وينهى عن الفحشاء والبغي والفكر
وصي النبي المصطفى وابن عمه	وقاتل فرسان الضلالة والكفر

وأورد ابن عبد البر تمام القصيدة بترجمة النعمان من الاستيعاب غير أنه
 حذف منها البيتين الرابع والخامس لما فيها من الثناء على أمير المؤمنين وانه
 الوصي وجاء بعده ابن الأثير في ترجمة النعمان من أسد الغابة ثم ذكر من أول
 القصيدة ابياته في أيام الأنصار وحذف منها الايات التي تشير إلى الخلاف الذي
 وقع في أيام السقيفة وكذلك البيتين الذي حذفهما صاحبه وجاء ابن حجر بعده
 فذكر الايات في المفاخرة بايام الأنصار فحسب ولم يذكر ما فيه ذكر الخلافة.

وبهذا يتضح كلما تأخر الزمن ازداد التحريف وتلاعبت الايدي بالتعظيم على
 فضائل أمير المؤمنين وابتعدنا عن فهم الواقع التاريخي.

(١) ترجمته في الاستيعاب ١: ٢٩٨. الاصابة ٦: ٣٥١. أسد الغابة ٥: ٢٦، وغيرهم.

(٢) الموقيات: ٥٣٢. ورواها عنه شرح النهج ٦: ٣١، وتاريخ يعقوبي ٢: ١٢٨.

وكتب معاوية في جوابه: -

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر سلام على أهل طاعة الله.

أما بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه...

مع كلام ألفتة ووضعته لرأيك فيه تضعيف ولايبك فيه تعنيف ذكرت حق ابن

أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله ﷺ ونصرته له ومواساته إياه في

كل خوف وهول واحتجاجك علي بفضل غيرك لا بفضلك فأحمد إليها صرف

الفضل عنك وجعله لغيرك وقد كنا وابوك معنا في حياة نبينا ﷺ نرى حق ابن

أبي طالب لازما لنا وفضله مبرزا علينا فلما اختار الله لنبيه ﷺ ما عنده واتم

له ما وعده واظهر دعوته وافلج حجته قبضه الله إليه فكان ابوك وفاروقه أول

من ابتزوه وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا ثم دعواهم إلى أنفسهم فابطأ عنهما وتلكأ

عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم فبايع وسلم لهما لا يشركانه في أمرهما

ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا وانقضى أمرهما ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان

بن عفان يهتدي بهديهما الخ الكتاب....

وذكر الكتاب وجوابه في كتاب صفين لنصر بن مزاحم، ومروج الذهب

للمسعودي، وشرح النهج^(١).

غير أن الطبري في تاريخه: ٣٢٤٨/١ ط اوربا اشار إلى الكتابين مع ذكره

لسندهما واعتذر عن ذكرهما (لا لعدم الاعتماد على صحة الخبر) بل لعدم احتمال

(١) وقعة صفين: ١٢٠. مروج الذهب ٣: ١١ ط. بيروت. شرح نهج البلاغة ٣: ١٨٩. الجمل: ٩٣.

وذكر هذا الكتاب ابن أبي الحديد في شرح النهج^(١): نقلا عن كتاب صفين
لنصر ابن مزاحم ولم يوجد في المطبوع منه...

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية:

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر سلام على أهل طاعة الله ممن
هو مسلم لأهل ولاية الله.

أما بعد فإن الله... انتخب محمدا ﷺ فاختره برسالته واختاره لوحيه
وأتمه على أمره... فكان أول من اجاب وانا ب وصدق ووافق وأسلم وسلم اخوه
وابن عمه علي بن أبي طالب ؑ فصدقه بالغيب المكتوم واثره على كل حميم
فوفاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه... وقد
رايتك تساميه وأنت أنت وهو هو... ثم لم تزل أنت وابوك تبغيان الغوائل لدين الله
وتجهد أن على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال
وتحالفان فيه القبائل على ذلك مات ابوك وعلى ذلك خلفته والشاهد عليك بذلك
من يأوي ويلجأ اليك من بقية الاحزاب رؤوس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ
والشاهد لعلي مع فضله المبين وسبقه القديم انصاره الذين ذكروا بفضلهم في
القرآن فائتي الله عليهم من المهاجرين والأنصار... فكيف يا لك الويل تعد نفسك
بعلي وهو وارث رسول الله ووصيه وابو ولده وأول الناس له اتباعا واخرهم به
عهدا يخبره بسره ويشركه في أمره.

(١) شرح النهج ١٦: ١٦٢. تاريخ ابن عساکر ٥٥: ٢٧. الطبقات الكبرى ٤: ٢٥٤.

التأويل في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

تعرضنا فيما سبق للتأويل في سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حديثه وسريره وفعله ونتعرف الآن على نوع آخر منه وذلك بعد أن يصعب عليهم الطعن في سند الحديث أو متنه وهو صحيح ثابت أو مشهور متواتر فلا بد من تأويله إلى ما يوافق مصلحة السلطة الحاكمة أو تشييد فكرة ما أو تسترا على فضائح سيرة الولاة وأعمالهم المخالفة لظاهر الكتاب وثابت السنة ونعرض لنماذج من التأويل في أحاديث فضائل أمير المؤمنين وهو أيضاً مما لا ترغب السلطة الحاكمة بنشره أو تثبيته في نفوس الآخرين.

١- الحديث المشهور قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أنه موضع سري وخير من اترك من بعدي الحديث.

وحيث لم يجد الطبراني في الحديث أي مغمز من ضعف وجرح تأوله بقوله (خير من اترك بعدي من أهل بيتي).

ولما كانت كلمة بعدي في كثير من أحاديث الرسول ويصعب تأويلها مثل حديث في علي أنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي وحديث أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة الخ وبعد اليقين بصحة هذه الأحاديث ولا يمكن الطعن بها فقالوا: اسناد صحيح مع نكارة في متنه لشذوذ كلمة بعدي ويؤيده أن الإمام أحمد روى هذا الحديث من عدة طرق ليست في واحدة منها هذه الزيادة^(١) وهذه مقالة من لا يخشى الفضيحة في التحقيق.

(١) تخريج أحاديث الخصائص للأثري، ح ٦٥.

العامة لسماع ما فيهما وجاء بعده ابن الأثير وفعل كذلك واعتذر بالعدر نفسه: ٣/ ١٠٨ ط اوربا وجاء بعدهما ابن كثير في البداية والنهاية: ٣١٤/٧ واقتصر بقوله (وفيه غلظة).

وعلى أي حال فقد اخفوا الحقائق التاريخية على الأمة التي يجب معرفتها ولن تخفى الأسباب وهذا ديدنهم بحذف أو إخفاء ما يشين سادات قومهم وكذا بالنسبة لفضائل أمير المؤمنين وانه الوصي واعترف معاوية به

حذف من خطبة الإمام الحسين عليه السلام :

جاء في خطبة الإمام الحسين عليه السلام ... أما بعد فانسبونني فانظروا من أنا ثم ارجعوا إلى انفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألسنت ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما جاء من عند ربه أو ليس حمزه سيد الشهداء عم أبي أو ليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمي... (١).

وحذف منها ابن كثير في تاريخه: ١٧٩/٧ ذكر الوصية وفقرات أخرى في قوله أن الإمام الحسين قال: راجعوا انفسكم وحاسبوها هل يصلح لكم قتال مثلي وأنا ابن بنت نبيكم وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري وعلي أبي وجعفر ذو الجناحين عمي... الخ.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٩. تاريخ ابن الأثير ٤: ٥٢.

وفي كتب مستقلة خاصة مثل شيخنا الأميني في الغدير والسيد حامد في العقبات ونفحات الازهار مختصرة والسيد مرتضى في الشافي وتلخيصه الطوسي وغيرهم واثبتوا ذلك من الكتاب والسنة واستعمالات العرب في لغتهم بما لا مزيد عليه.

فعاد قائلاً فأي دليل على أن يكون معنى الحديث كون علي الأولى بالتصرف فليكن الأولى بالمحبة مثلاً فاجيب أيضاً عنه.

فجاء آخر بعد أن تنبه إلى برودة صاحبه فاعترف به لدلالة الحديث على الاولويه بالتصرف وأن هذه الاولوية هي (الإمامة) ولكن ما الدليل على امامة علي بمعنى الرئاسة والحكومة فليكن اماما في الباطن وليكن أبو بكر ومن بعده الأئمة في الظاهر.

ومثل هذا حاول محمد بن عبد الوهاب في رسالته (الرد على الرافضة) تفسير النصوص التي تضمنت الولاية لعلي بعد الرسول ﷺ من قبيل علي وليكم بعدي بأن المراد منها البعدية المطلقة والبعدية المباشرة فتصدق علي ولايته بعد عثمان ^(١) يقول هذا وكأنه قد فوض إليهما أمر تقسيم الإمامة فلهذا الإمامة الباطنية ولذلك الإمامة الظاهرية ولهذا الإمامة في الوقت الفلاني وذاك الإمامة بعد حين والاختيار والتعيين بأيدهما كيفما شاؤا وأرادوا.

ويأتي الفخر الرازي بأمر جديد إذ يقول: سلمنا أنه محمول على الأولى لكن لانسلم أنه يجيان يكون أولى بهم في كل شيء بل يجوز أن يكون أولى بهم في بعض الأشياء وهو وجوب محبته وتعظيمه والقطع على سلامة باطنه ^(٢).

(١) نقلاً عن روح التشيع: ٢٠٩.

(٢) الأربعين للرازي: ٤٦٣.

فالنصوص التي ذكرناها لهذا الحديث وفي جميعها كلمة بعدي جميعها في مسند الإمام أحمد^(١).

من خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله لا يقاس بآل محمد صلوات الله عليهم من هذه الأمة أحد... هم أساس الدين... ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الخ الخطبة.

فجاء ابن أبي الحديد فقال: (أما الوصية فلا ريب عندنا أن علياً كان وصي رسول الله وأن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا العناد ولسنا نعني بالوصية النص على الخلافة ولكن امورا أخرى لعلها إذا لمحت اشرف واجل ثم توضح الأمر وعرفنا السبب فاعترف بقوله وأصحابنا يحملوه ذلك كله على ادعائه بالافضلية والاحقية وهو الحق والصواب فإن حمله على الاستحقاق بالنص تكفيرا وتفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار^(٢)).

وابتكر بعض المتعصبين الذين لا يروق لهم اتباع النصوص الصريحة فاضطر إلى التأويلات والتشكيكات في حديث الغدير في سنده ودلالته وسنعرض لها في حينها (مع المحدثين).

ولما رأى بعضهم أن هذا ضرب من الاوهام والخيال ولا يجديه نفعا ولا رواج له في سوق الاعتبار ولم يقع موقع القبول حتى عند أهل مذهبه عاد إلى التأويل الباهت فقال: أن مفعلا لا يأتي بمعنى افعل فليس (مولى) بمعنى أولى وقد اجيب على ذلك بما لا يقبل التشكيك من قبل من كتب عن حديث الغدير مفصلا

(١) نقلاً عن صائب عبد الحميد: ٢١٩. مسند احمد ١: ٣٣١، وج ٤: ٤٣٨، ج ٥: ٣٥٦ وسيأتي الحديث عنها.

(٢) شرح النهج ٩: ٣٠٧.

اسياده أو التقولات والتأويلات حول مفاد حديث الغدير لصرفه عن الدلالة على الحق أو ربما لم يتمكن من نفي دلالة الحديث على الإمامة... فقال في كتابه التبصرة ما تعريبه: لا شك عند أهل السنة في إمامة أمير المؤمنين وأن ذلك عين الإيمان لكن ينبغي أن يكون مفاد أحاديث الغدير على الإمامة المعنوية لا الخلافة. وحينئذ يقال: إذا جاز لأبي شكور واسلافه تأويل حديث الغدير وحمله على الإمامة الباطنية جاز لأهل الكتاب تأويل ما يدل على نبوة رسول الإسلام وحمله على الرفعة وهو المعنى اللغوي للفظ وبذلك يمتنع الزمهم بما رود في كتبهم وينسد طريق البحث معهم وهدايتهم إلى دين الحق وخاتمه الشرائع السماوية فكما أن هذا باطل فكذلك ذلك: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١) الآية.

التأويل في حديث بريده:

قوله سَلَّمَ عَلَيْهِ من حديث مخاطباً بريده لما شكى علياً إليه فقال: يا بريد لا تبغضه أن علياً مني وأنا من علي وهو وليكم من بعدي^(٢). فإن البخاري أخرج القصة ورواها حتى النهي عن البغض وأما الفقرة (أن علياً...) فاسقطها^(٣) وذكر أيضاً وله طرق أخرى عن بريده واصله في صحيح البخاري كما في المرقاة في شرح المشكاة^(٤)؛ ومنهم من رواها واسقط كلمة من بعدي كالبغوي في المصاييح وتبعه عليه بعض من تأخر.

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) مناقب أمير المؤمنين ١: ٤٧٩.

(٣) نقلاً عن العباث ١٥: ١١.

(٤) المصدر ٥: ٥٨١ نقلاً عن العباث ١٥: ٢٣٧.

وجاء في تأويل أبي شكور الحنفي قال: في التمهيد.

وقالت الروافض الإمامة منصوطة لعلي بن أبي طالب؛ بدليل أن النبي ﷺ جعله وصيا لنفسه وجعله خليفة من بعده حيث قال: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، ثم هارون عليه السلام كان خليفة موسى فكذلك علي عليه السلام.

والثاني: هو أن النبي ﷺ جعله وليا للناس لما رجع من مكة... وذكر حديث الغدير... ثم نقل استدلالهم بالآية الكريمة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية نزلت في شأن علي دل على أنه كان أولى الناس بعد الرسول ﷺ.

ثم قال أبو شكور في الجواب: وأما قوله بأن النبي ﷺ ولياً قلنا أراد به في وقته يعني بعد عثمان وفي زمن معاوية ونحن كذا نقول وكذا اجاب بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ فنقول أن علياً عليه السلام كان ولياً وأميراً بهذا الدليل ووقته بعد عثمان وأما قبل ذلك فلا.

ألا تضحك لهذا التأويل والتلاعب بالنصوص فلربما يأتينا آخر فيقول: أن ولايته هذه بعد معاوية أو يزيد.

فان هذا التأويل يشبه تأويل النصارى لنبوة نبينا ﷺ مع الاعتراف الكامل بها ولكنه عليه السلام مبعوث إلى العرب خاصة، ومثلهم اليهود: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ (١).

ويأتي آخر وهو المولوي سلامت علي... وبعد اعترافه بدلالة حديث الغدير على الإمامة لسيدنا أمير المؤمنين ولكن لم ترقه تلك ويرضى بها والتي حيكت من

(١) آل عمران: ١١٨.

تأويل كلمة عمر الخشنه:

ان تأويل عمر بمحضر الرسول وساعة احتضاره عندما قال: أثنوني بدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده الخ فقال عمر: أنه ليهجر او ما بمعناه ولما بلغت هذه الكلمة من الإزراء بالرسول ﷺ حداً لا يجد حاول اولياء عمر تأويلها وبعضهم فسرها بغير معناها وبعضهم اسقطها من الحديث وبعضهم اسقط اسم عمر ولم يصرح به وبعضهم نقل الجملة من الخبر إلى الاستفهام إلى غير ذلك من المحاولات فقال ابن أبي الحديد: وهذا الكلام يعني: أن الرجل ليهجر وانه كان ظاهره منكر فله عندنا مخرج وتأويل.

وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥: ٢٦١: حيث قال: بعد أن حكم بصحة الحديث فمن العجب حقاً أن يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على انكار هذا الحديث وتكذيبه.

الزيادة على الأحاديث:

لقد حاول البعض من حثالة الأمويين تشويه فضائل أمير المؤمنين شتى الاساليب ومنها الحاق زيادة على الحديث النبوي مخلة به لتغيير دلالاته. ومنهم من نقص من الحديث فقرات في وسطه أو بتر آخره للغرض نفسه وهذا شائع كثير سيوافينا في خلال الأحاديث القادمة.

اما بالنسبة للزيادة فإن الأحاديث الصحيحة التي لا مجال لانكارها أو الطعن فيها فيضطر لالحاق زيادة على الحديث بغضا وعنادا وليجعل منها وسيلة يتقرب بها إلى ولاية الجور ل يتم نشرها وادخالها في قالب الاعتبار ويتلقاها السذج بالقبول وتأخذ مكانتها عندهم ويتناقلها السلف وبمرور الزمن يرويها ابن كثير

وبعد ثبوت صحته والاستدلال على الإمامة المباشرة بوجود لفظة (بعدي) فيه كما في الاسانيد الصحيحة في بعض الصحاح والمسانيد وغيرها. فتأول الحديث وحمله بعد التلاعب في لفظه على الإمامة والخلافة في وقتها كما في تعبير بعضهم فاضطر صاحب الصواعق إلى أن يقول: وعلى تقدير الصحة فيحتمل أنه رواه بالمعنى بحسب عقيدته وعلى فرض أنه رواه بلفظه فيتعين تأويله على ولاية خاص نظير قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقضاكم علي.

ولو فرضنا بأن الراوي كان شيعيا فرواه بالمعنى حسب عقيدته كما زعم فكيف ثبت ابن حجر أن رواية هذا الحديث كلهم شيعة وقد رووه حسب عقيدتهم إذا فما قوله في أبي داود الطيالسي وأحمد بن حنبل والترمذي في صحيحة والنسائي وأبي يعلى والطبري والطبراني والخطيب وغيرهم من رواية الحديث.

وعلى فرض أنه رواه بلفظه فيتعين تأويله على ولاية خاصة.

فما هي الولاية الخاصة وما هو (المخصص). فلم يذكر لنا ابن حجر شيئاً. ومن الثابت أن الكلام إذا كان ظاهراً في العموم والاطلاق لا يجوز رفع اليد عما هو ظاهر فيه إلا بدليل قوي...

إذا التاويل جائز لأنه بلا دليل وهذا ما اضطر إلى الاعتراف به فقال: على أنه وأن لم يحتمل التاويل. فلماذا يتعين تأويله قال: فالاجماع على أحقية ولاية أبي بكر وفرعيها. إذا كل هذه المحاولات كإنكار ابن تيمية لاصل الحديث والتحريفات كما في رواية البخاري والبعوي والتمحلات في كلمات ابن حجر من أجل ولاية أبي بكر وفرعيها.

الزيادة في حديث أنا مدينة العلم.

وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها الذي جاء بطرق كثيرة عن بعض أصحابه والتابعين واثبته الأئمة والحفاظ في معاجمهم ومسانيدهم وموثقين رجال سنده مصححين طرقه العديدة وبلغ من الشهرة والتواتر ووضوح الدلالة على إمامة أمير المؤمنين وعلو منزلته العلمية وهو باب مدينة علم الرسول مما جعل لبعض الحاقدين والمعاندين أن يحرف بعض فقراته ويتأولها بشتى التأويلات أو يلحق به زيادة تقلل من الامتياز الذي اختص به أمير المؤمنين وعرف به وقد راج سوق هذه الافتراءات في زمن معاوية وخلفه كما تحدثنا عنه وأن انخدع بها بعض السذج وصفق لها بعض المرتزقة والحاقدين ممن ساندتهم السلطة واختارتهم لتنفيذ اغراضها وتثبيت سياستها ولم تستمر طويلا حتى ينكشف الحال وتعرف الأسباب مثل تأويل الطيبي شارح المشكاة قائلاً: (وعلي بابها) لعل الشيعة تتمسك بهذا التمثيل وأن أخذ الحكمة والعلم مختص به ﷺ - إلى أن يقول: ولا حجة لهم إذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولها ثمانية ابواب ومثله العاصمي في زين الفتى وتبعهم الدهلوي فإن الحديث غير مقيد لما يدعونه فأى ملازمة بين كون الشخص باب مدينة العلم وكونه صاحب الرئاسة العامة بلا فصل بعد النبي وتناسى هذا المسكين الملازمة فإن الاعلمية شرط في الإمامة ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل.

والخلاصة: أن التأويلات والتحريفات والحقاق الزيادة على الحديث لم تجديهم نفعا وتصمد مع التحقيق وكشفا الحالة بالاختلاف ووصفت لدى أرباب

وابن تيمية وابن حزم وأضرابهم ممن لا يخشى الحساب. وبالرغم أن كبار العلماء والحفاظ قابلوها بالانكار وصرحوا بوضعها واثبتوا أن روايتها كذابون^(١) وانها زيادة مفتعلة وخشية التطويل أعرض لنماذج منها أن الحديث الثابت الصحيح وروى بطرق عديدة قال رسول الله ﷺ: يا علي أنت وأصحابك في الجنة وفي لفظ أنت وشيعتك في الجنة.

فيأتي الفضل بن غانم بوضع زيادة والحاقها بالحديث وهي: إلا أن ممن يحبك قوما يظفرون الإسلام بالسنتهم يقرأون القرآن ولا يتجاوز تراقيهم لهم نبر يسمون الرافضة فإذا لقيتهم فجاهدهم فانهم مشركون^(٢).

ويأتي أبو يحيى الحماني بزيادة عن علي عليه السلام انه قال: قلت يا رسول الله ما العلامة فيهم قال: يقرضونك بما ليس فيك ويطعنون على أصحابي ويشتمونهم وبصورة أخرى وسيأتي قوم لهم نبر يقال: لهم الرافضة فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون^(٣).

(١) ومنهم راوي الحديث الفصل بن غانم وقد كان مشهورا بفساد الاخلاق ومتهما في دينه وكان غير مقبول الرواية وقد ترك الحفاظ أحاديثه وطعنوا فيه وغير ذلك من أقوال رجال العلم وكيف يؤتمن على حديث رسول الله ﷺ من عرف عنه حب الغلمان وفساد الاخلاق كما جاء ذلك باختصار في ترجمته في لسان الميزان ٤: ٤٤٥، [١٣٦٣] وتاريخ بغداد ١٢: ٣٥٣، [٦٧٩].

(٢) تاريخ بغداد ١٢: ٣٥٣.

(٣) الاشاعة في اشتراط الساعة: ١١٢، كتاب السنة: ٤٦٠، كنز العمال ١١: ٣٢٤، ح ٣١٦٣٥، تاريخ بغداد ١٢: ٣٥٨، وقد رد على هذه الأحاديث وابطال سندها، راجع الانتصار: ٣٩٣، واسد حيدر في الإمام الصادق.

ابن تيمية،

تقدم القول في اجتهادات ابن تيمية في نهضة الحسين بن علي عليه السلام وفي وقعة الحرة ودافع عن يزيد بن معاوية وتأول احراق الكعبة وهاجم الثائرين على معاوية ونغله يزيد وتناول على صحابة الرسول من الذين ثاروا عليها واجتهد ودافع عنهما دفاعاً اخرجهم من الاتزان العلمي وانكار الحقائق الثابتة وتمسك باقوال فارغة واجتهادات باطلة وليس بغريب عليه كما قيل عنه ^(١) وعرف بالشغف بمهاجمة الفرق الاسلامية وعلى المسلمين وكان معهم حاد اللسان جارح العبارة يهاجم ويكذب خصمه ويطعنه دون تردد وحتى لم يترك أحد يخاصمه إلا ويطعنه بالضلال او الكذب والافتراء والجهل او تقليد اليهود والنصارى واتباع الفراعنة والهنود ولا فرق في ذلك بين خصم يناظره وجها لوجه او آخر يرد عليه في كتاب او خطاب.

ولم يكتفي بالذم عنهم وتبرير افعالهم من نقض لاحكام الشريعة وتعطيل الحدود وافشاء القتل في اصحاب رسول الله وغيرهم من المسلمين واستباحة المدينة وقتل رجالها وهتك اعراضهم وهدم الكعبة الشريفة وحرقتها وتقدم تفصيل ذلك.

ولم يقف عند حدود وقف عندها قدماء اوليائه بل تعدى ذلك حين فاقهم جرأة على السنة النبوية بل حتى على النبي نفسه فكذب احاديث صحيحة وحرف معاني أخرى وتعلق بالموضوعات التي انكرها سياده لا دفاعاً فقط بل تزكية وتعظيماً لأولئك الملوك فلم يكن معاوية عند ابن تيمية بريئاً فقط من تغيير

(١) ابن تيمية لصائب عبد الحميد: ٤٣٢.

الفن بالتكارة والتزوير وعرف أيضاً صاحبها وهو إسماعيل بن المثنى الاستربادي ونقلها الديلمي صاحب الفردوس كما نقلها السخاوي والعجلوني^(١) وغيرهم فقال السخاوي: واورد صاحب الفردوس وتبعه ابنه بلا اسناد قال: أنا مدينة العلم وابو بكر اساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفا وعلي بابها وبلفظ آخر أنا مدينة العلم ومعاوية حلقتها وبالجملة فكلها ضعيفة وألفاظ ركيكة.

وفي لفظ أنا مدينة العلم وابو بكر وعمر وعثمان سورها وعلي بابها فقال ابن عساكر: منكر جداً اسناداً ومنتناً^(٢).

واوضح البدخشاني في تحفة المحبين وهو منكر جداً واطنه موضوعاً وإنما وضعه من وضعه ليقابل به حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها.

وقال محمد درويش: أنا مدينة العلم وابو بكر اساسها الخ وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم لا سيما ابن حجر ذكر ذلك في الصواعق وهو غير جيد من مثله^(٣) وذكر السمعاني في الأنساب عن إسماعيل الاستربادي وابنه كان يقال له: كذاب بن كذاب وسئل عنه بمكة فقالوا: كذاب ابن كذاب لا يكتب عنه ولا كرامة قال: وتبين ذلك في حديثه وحديث أبيه يركب المتون الموضوعة على الاسانيد الصحيحة ولم يكن موثوقاً في الرواية^(٤).

(١) اللثاليء المصنوعة ١: ٣٣٥. السخاوي في المقاصد الحسنة: ٤٧. والعجلوني في كشف الخفاء ١: ٢٠٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤٥: ٣٢١، رقم [٥٢٦٥].

(٣) اسنى المطالب: ٧٣. فتح الملك العلي: ١٥٦.

(٤) لسان الميزان ١: ٤٢٢ - ٤٢٣.

وقوله عليه السلام لعلي: ((علي مني وانا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي)) سيأتي تفصيله وكذلك حديث أهل بيتي وضمهم في الكساء.... فلا يرى ابن تيمية أي فضيلة لهم وما دعاهم النبي لفضيلة لهم ولكن دعاهم لانهم اقاربه.... ولو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا ابو بكر وعمر لكانت اجابة دعائه اولى واسرع^(١) ولا يسع المجال لمناقشته وقد كفانا جمع كثير من معاصريه فردوه ردا متينا وفي كتب عديدة وآخرها الشيخ الاميني في الغدير ج ٣، وصائب عبدالحميد وحاسبه على كل ذلك في كتاب اسماه (ابن تيمية حياته وعقائده). حتى ان الكثير من ابناء قومه اعترضوا عليه وفندوا اقوال واعرض لبعضهم باختصار:

ذكر الالباني في قوله عليه السلام ما تريدون من علي ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي فقال الالباني بعد ان صحح الحديث وذكر بعض طرقه. فمن العجب حقا ان يتجرأ شيخ الاسلام ابن تيمية على انكار هذا الحديث وتكذيبه في منهاج السنة^(٢).

كما فعل بالحديث المتقدم هناك إلى ان قال فما ادري بعد ذلك وجه تكذيبه للحديث إلا التسرع والمبالغة في الرد على الشيعة^(٣).

وقال أيضاً بعد ان صحح حديث من كنت مولاه فعلي مولاه ونص على تواتره وخرج طرقه كان الدافع لتحرير الكلام على هذا الحديث^(٤) واما الشرط

(١) منهاج السنة ٢: ١١٨، وج ٤: ص ٣٥.

(٢) منهاج السنة ٢: ١١٨، وج ٤: ص ١٠٤.

(٣) سلسلة الاحاديث الصحيحة ٥: ٢٦٣. البشارة والاتحاف: ٢٩٠.

(٤) الشرط الاول هو من كنت مولاه فعلي مولاه. والشرط الثاني هو: اللهم وال من والاه.

السنة ومن كل ما تحمله في عهده بل صحابي مقدم له فضائل يجمعها ابن تيمية ولول مرة في التواريخ في كتاب مفرد بعنوان (فضائل معاوية) وفي يزيد وانه لا يسب^(١).

ويزيد هو الآخر فان كان له ذنوب فان له حسنات ماحية وتقدم ذكره ٩ ثم ان الحكم وابنه مروان طريدي رسول الله كانا بريئين من كل ذنب فيقول لم يكن لمروان ذنب يطرد عليه على عهد النبي^(٢) وتقدم في ذكر بني امية. ثم قال اما الحكم فهو من الطلقاء والطلاق حسن اسلام اكثرهم وبعضهم فيه نظر ومجرد ذنب يعزر عليه لا يوجب ان يكون منافقا في الباطن^(٣). واذا لعنهم النبي ﷺ او دعا عليهم كما ثبت بما تقدم فلا شيء عليهم لان دعائه على معاوية وغيره من بني امية فهو زكاة لهم وفضيلة.

وبهذا استمر ابن تيمية في تكذيب الحديث النبوي وايات من القرآن الكريم النازلة في شأن علي عليه السلام وأهل البيت ولم يفلت منه حديث واحد حتى الصحيح المشهور او المتواتر في المسانيد إلا وطعن فيه اما سندا او متنا وما لم يستطع طعنه جادل فيه جدلا لا يجرء على بعضه أحد يحرص على كرامة القرآن والسنة ومن بعض الامثلة على ذلك فلم يعطي أي مزية لامير المؤمنين في الحديث الثابت المشهور قوله ﷺ: ((انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي))^(٤).

(١) الوافي بالوفيات ٧: ٢٦.

(٢) منهاج السنة ٣: ١٩٥.

(٣) منهاج السنة ٣: ١٩٧.

(٤) صحيح البخاري ٥: ٨٩، وص ٢٠٢. صحيح مسلم ٤: ١٢٠، وص ١٢١. بسنة طرق. الترمذي ٥:

٣٠٢ وغيرهم

رجب الحنبلي كثير من العلماء والفقهاء والصالحين كرهوا له التفرد ببعض المسائل التي انكرها السلف على من شذ بها حتى ان بعض قضاة العدل من اصحابنا - يعني الحنابلة - منعه من الافتاء ببعض ذلك^(١).

وبلغ من تسرعه عدمالتزام نص الحديث الذي يرويه وكما نسب إليه النقل في احاديث عن الصحاح ولم تكن كما ذكر وذكر له امثلة لذلك^(٢).

كما يتسرع في تضعيف الاحاديث الصحاح والحسان التي تخالف مذهبه وقد سجل عليه هذا العيب ابن حجر^(٣).

بل هو معروف عند أهل الحديث حتى ان أحدا منهم لم يعتمد على تضعيف ابن تيمية للاحاديث^(٤).

واعترف عليه تلميذه ورفيقه ابن القيم الجوزية حتى قال ببحث الشيخ مع قوم فاحتجوا عليه بحديث انكره فلما اظهروا له النقل ووقف عليه القى المجلد من يده^(٥). وافتي في مسألة وافتي فقيه آخر بخلافه فرد عليه ابن تيمية قائلاً من قال هذا فهو كالحمار الذي في داره فانكر عليه حتى مؤيدوه هذا الاسلوب في الجدل^(٦).

(١) صائب عبدالحميد ابن تيمية: ٧٠.

(٢) الفقيه المعذب عبدالرحمن الشرقاوي ١٦٨.

(٣) لسان الميزان ٦: ٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) ناصر الالباني سلسلة الاحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٤، وص ٤٠٠.

(٥) الوافي بالوفيات ٧: ١٧.

(٦) عبدالرحمن الشرقاوي: ١٥٢.

الثاني فزعم انه كذب وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الاحاديث قبل ان يجمع طرقها ويدقق النظر فيها والله المستعان^(١).
 كما ذكر ابن حجر في ترجمة ابن المطهر الحلبي اذ قال صنف ابن المطهر كتابا في فضائل علي عليه السلام نقضه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتاب كبير إلى ان قال لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الاحاديث التي يوردها ابن المطهر... إلى ان يقول وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي قاداته احيانا إلى تنقيص علي عليه السلام^(٢).

وبعد كل هذا يتحمس للزعة الاموية التي اعتنقها ودافع عنها بما يستطيع من تليفق وتأويل مالم يستطيع طعنه وبلغ داء العصبية والعناد فنال من امير المؤمنين اما تصريحاً او تلميحاً يحمله ذلك دفاعاً عن ابن آكلة الاكباد وزمرته فان الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لعمار تقتلك الفئة الباغية وقتله معاوية وثبت بغيه كما اسلفنا فيأتي الشيخ فيقلب الموازين وينسب في حديث له ربما كان علي هو الباغي^(٣) وأمثال هذه كثير.

وكما ان له الجرئة الفائقة بتفرده بالفتاوى التي شذ بها لاعن مذهبه فقط ولا المذاهب الأربعة وانما عن محكم الكتاب والثابت من السنة المطهرة كما في اغلب الفتاوى السبعة الاولى^(٤) وغيرها وقد انكر جمهور المسلمين عليه ويقول ابن

(١) سلسلة الاحاديث الصحيحة ٥: ٢٦٢.

(٢) لسان الميزان ٦: ٣١٩ - ٣٢٠.

(٣) منهاج السنة ٢: ٢٠٥ - ٢٣٢.

(٤) شذرات الذهب ٦: ٨٥.



الفصل الثالث عشر

الكذب على الله ورسوله



وقد نودي في دمشق وغيرها من كان على دين ابن تيمية حل ماله
ودمه^(١).

وقد افتى بعضهم بتكفير من يسمى ابن تيمية بشيخ الاسلام^(٢).

(١) مرآة الجنان لليافعي ٢: ٢٤٢.
(٢) تذكرة الحفاظ: ٣١٦. نيل الاوطار للشوكاني.

ان الكذب على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله ﷺ نختصره بمحدثين رويًا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وشرح ذلك، وذكر أسباب الاختلاف في الحديث عن رسول الله ﷺ:

● **الأول:** عن الشعبي^(١) حدثني من سمع علياً عليه السلام وقد سئل عن ذلك فاجاب بقوله الناس أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للايمان متصنع للإسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً فلو علم الناس انه منافق لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: (صاحب رسول الله ﷺ) فيأخذون بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم أنهم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس فاكلوا بهم الدنيا وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصمه الله تعالى فهذا أحد الأربعة... الحديث.

الثاني: ما رواه كميل به زياد^(٢)، قوله عليه السلام: أن في أيدي الناس - أي من الحديث النبوي - حقاً وباطلاً وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا

(١) الاحتجاج ١: ٣٩٤. شرح النهج ٢: ١٨٩. تذكرة الخواص باختصار: ١٤٢. يتابع المودة ٤٠٩: ٣.

(٢) كما رواها في معالم المدرستين: ٤٥٠، مطولة.

وكما كرر بعض تلك الفقرات في خطبة أخرى^(١) وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته وليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم. كما جاء عنه عليه السلام:... وقد كنت ادخل على رسول الله في كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها ادور معه حيث دار وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يصنع ذلك باحد من الناس غيري^(٢) الخ...

ومن هذا وغيره يتسع نطاق الكذب على الله ورسوله ويتصد قوم لا امانة لهم ولا دين يردعهم ولا عهد لهم بالصدق فحدثوا الناس بالاكاذيب وغمقوا وزوروا كما وضعوا أحاديث كيفما شاءت رغباتهم وتشتد الفوضى والخروج على حدود الامانة في النقل يوم دار الزمن دورانه ودب داء الحسد والتنافس على حب الرئاسة والتقرب إلى السلطان عندما اشتدت حاجته إلى مرتزقة يجعلهم قنطرة إلى غايته ليبرر مواقفه؛ المخالفة لأحكام الإسلام فكان ما كان من تشجيع للكذابين والوضاعين ومن لاحظ يسيرا ما جرى في العهد الأموي من مؤسسه معاوية ابن أبي سفيان ومن بعده من الأمويين.



منه التوحدي في الامتاع والمؤانسة ٣: ١٩٧، واخرون كما في مصادر نهج البلاغة ٣: ١١٥.

(١) نهج البلاغة ٢: ١٩١.

(٢) وسيأتي الحديث: إذا سألته أجابني... الخ. ونقل أحمد أمين في ضحى الإسلام ٢: ١٢٨ من حديث حتى قال: ولكننا نرى أن أحاديث العهد الأموي أكثر من أحاديث عهد الخلفاء الراشدين وأحاديث العصر العباسي أكثر من أحاديث العهد الأموي نقلاً عن منع التدوين: ٣٥٣ ثم نقل عن الإمام محمد عبده قوله: ان عموم البلوى بالاكاذيب حق على الناس في دولة الأمويين فكثير الناقلون وقل الصادقون وامتنع كثير من أجلة الصحابة عن الحديث إلا لمن يشقون بحفظه. شيخ المضيرة: ٢٠٢ عن تاريخ الإمام محمد عبده ٢: ٣٤٧.

ومحكما ومتشابهها وحفظا ووهما... وانما اتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله رأى وسمع منه ولقف عنه فياخذون بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك....

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا... يقول أنا سمعته من رسول الله فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه

وأخر رابع: لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسوله ﷺ ولم يهمل بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابهة ومحكمه - إلى أن قال - وليس كل أصحاب رسول الله من كان يسأله ويستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي والطارئ حتى يسمعوا.

وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم^(١).

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠. وفي طبعة: ٢٥٠. وفي خطبة له اخصر كما رواها قبل الشريف الرضي كثيرون

وروها وهم يضمنون انها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها وكما تقدم أيضاً وصف ذلك العهد وما جرى فيه ابن نبطويه في تاريخه والإمام الباقر عليه السلام ذلك العهد من كثرة الكذابين وتقدم أيضاً ما جرى ووصفه أبو جعفر الاسكافي مطولا والخوارزمي في إحدى رسائله وابن قتيبة في مختلف الحديث وغيرهم وتقدم كل ذلك بتفصيل فلا حاجة للاعادة.

الكذب على الله ورسوله ﷺ في العهد العباسي

وهكذا تجري الأمور حتى يصل الدور إلى العهد العباسي فلم يختلف الحال بما سنه معاوية وارغم الناس عليه وتتوارثه الأجيال ويتقبلها العامة وسار عليها من سار إلا من هداه الله للايمان ومن لاحظ سيرة خلفاء بني العباس مع أهل البيت تأكد له ذلك. وباختصار أعرض لنماذج من ذلك.

فهذا غياث بن إبراهيم يدخل على المهدي وكان المهدي يحب الحمام فطلب منه أن يحدثه فيأتي له بحديث عن أبي هريرة... فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم فلما قام غياث قال المهدي أشهد أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ ما قال رسول الله... ولكنه أراد أن يتقرب إلي (١).

ويدخل أبو البختري وهب بن وهب قاضي بغداد على هارون الرشيد وهو يطير في الحمام فقال: هل تحفظ في هذا شيء فقال: نعم، واختلق له حديثاً عن عائشة أن النبي كان يطير الحمام.

(١) تاريخ بغداد ١٢: ٣٢١. تاريخ ابن عساکر ٥٣: ٤٢٥. لسان الميزان ٤: ٤٢٢. كتاب المجرحين ١: ٦٦. وابن كثير في البداية والنهاية ١٠: ١٥٤، بلفظ عتاب بن إبراهيم.

كيف استطاع تغيير السنة والسيرة وقلب الموازين التاريخية والاجتماعية والسياسية وقد يطول الحديث واختصره بما يتعلق بأمر المؤمنين وأهل بيته واهتم بهذه السياسة غاية الاهتمام ومنع التحدث بغيرها وعاقب عليه أشد العقوبة وعممها على كافة الأقطار الموالية له.

واحتضن جماعة ساعدته على ذلك ممن طمع بالمال والمناصب ومال للدنيا وشهواتها من بعض الصحابة وغيرهم وقد عرضنا ذلك مبسوطاً (في رسائل معاوية للأقطار).

وان معاوية (وضع قوماً من الصحابة وبعض التابعين على رواية قبيحة في على تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم جعلاً يرغب في مثله فاختلفوا له ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير وغيرهم.

والزم ذلك عماله في كافة الأقطار فقرأت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة... مفتعلة لا حقيقة لها وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكنائس فعلموه صبيانهم وغلمانهم من ذلك الشيء الكثير الواسع وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموا لأبنائهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المرءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم ويقربون مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها

بنصرة مبادئهم في وضع الأحاديث على لسان صاحب الرسالة بدون مبالاة تعصبا لمذاهبهم^(١) حتى كفر بعضهم البعض وعرضنا لنبذه من ذلك في (تعصب المذاهب) والحديث عنها والأحداث التي سببتها يخرجنا عن الموضوع.

وقد كان اولئك الدجالون على أنواع في الوضع واختلاف في الغاية فمنهم من يضع الحديث طمعا في الدنيا وتزلفا لولاة الأمر وأول من اتخذ ذلك^(٢) الوضع لتقوية السنة وهذا النوع فاش بين المحدثين وتقبل بعضهم مروياتهم تلك واحتج بها وصححها^(٣) بالرغم من الطعون التي لحقت برواتها ووصفوه صلب في السنة وثقة في النقل إلى غيره فمثلاً نعيم بن حماد بن معاوية ت ٢٢٧ هـ كان ماهرا في وضع الحديث متجرئا على مقام صاحب الرسالة، قال الذهبي: وكان يضع الحديث في تقوية السنة وحكايات في ثلب أبي حنيفة وكان صلبا في السنة.

ومنهم أحمد بن عمر بن مصعب: كان من الوضاعين ومن أهل السنة المجودين ووضع بذلك كتاباً في تقوية السنة كلها موضوعة ومنتشرة عند الخراسانيين في عصره وكان معروفاً في نصرة السنة بوضع الأحاديث الكاذبة عن الثقات^(٤). ومثله علي بن أحمد بن عمرو: كان شديد العصبية في السنة يضع الأحاديث

(١) وهؤلاء يرون الانتصار لمذاهبهم انتصارا للحق ومقاومة الباطل وزين لهم الشيطان أعمالهم فراحوا يضربون الأحاديث بمهارة في الضرب وتفنونوا باختلاق الحكايات والقصص.

(٢) معاوية ابن أبي سفيان. كما في شرح النهج ١: ٢٥٨.

(٣) وأخذها المهرجون مأخذ القبول وجعلوها محل الاعتبار ويصححونها إذا وافقت اغراضهم ولم يلتفتوا لحالها وحال رواتها ممن اعماه التعصب ولم يستطع التمييز بين الحق والباطل، الصدق والكذب، وقد خانه الاتزان والتعقل فهوس وهرج وموه وافترى باخفاء الحقيقة. أسد حيدر: ٢٦٧.

(٤) تاريخ بغداد ٥: ٧٣.

ونقل عن مقاتل كان يتبرع للخلفاء والحكام في وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ وقال أبو عبد الله - وزير المهدي - ألا ترى إلى هذا - يعني مقاتلاً - ما يقول لي قال: ان شئت وضعت لك أحاديث في العباس^(١) وسيأتي الحديث عنه وأمثال هؤلاء المتبرعين بالكذب والبهتان للخلفاء كثير جداً.

واستجلب الرشيد إسحاق المعروف بأبي حذيفة وهو معروف بالكذب ومشهور بالوضع فامر الرشيد أن يجلس في مسجد ابن رغبان يحدث الناس فأخذ إسحاق يحدث بالاكاذيب ويروي عن خلق من الثقات ماتوا قبل أن يولد^(٢).

واستقدم المهدي أبا معشر السندي واشخصه إلى بغداد وقال: تكون بحضرتنا تفقه من حولنا وكان أبو معشر أكذب من تحت السماء^(٣).

وصنف كتاب المغازي وروى عنه الواقدي وابن سعد وقد نعم في بغداد برضا كثير من رجال البلاط العباسي وقد استمد منه الطبري معلومات عن التاريخ الانجيلي ومن تاريخ النبي كما استمد منه بنوع خاص معلومات تاريخيه تنتهي إلى عام وفاته.

وتعددت أنواع الكذب.

وتعددت أنواع الكذب واسبابه على الله ورسوله من قبل الكذابين كل حسب مرامه واهدافه وهناك عناصر في الوضع من طراز آخر وهم الذين قاموا

(١) النص والاجتهاد: ٥٢٦. تاريخ بغداد ١٣: ١٦٨. تاريخ ابن عساكر ٦٠: ١٢٦. تهذيب الكمال

٢٨: ٤٤٦. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٥٢.

(٢) تاريخ بغداد ٦: ٣٢٥.

(٣) تاريخ بغداد ٤: ٤٣١.

فضل سور القرآن سورة سورة فقال: أني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي أبي إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة وقال أيضاً: قد ذكر الحاكم وغيره من شيوخ المحدثين أن رجلاً من الزهاد انتدب في وضع أحاديث في فضل القرآن وسوره فقبل له لم فعلت هذا فقال: رأيت الناس قد زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه فقبل له فإن النبي ﷺ قال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فقال: أنا ما كذبت عليه إنما كذبت له (وأمثال هؤلاء كثير).

ثم قال في التحذير: ... وأعظم ضرراً قوم منسوبون إلى الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونا إليهم فضلوا واضلوا.

تبرير الكذب في الحديث:

ذكر عن اصبغ بن خليل القرطبي افتعل حديثاً في ترك رفع اليدين ووقف الناس على كذبه. ونقل عن أحمد بن خالد أنه لم يقصد اصبغ بن خليل الكذب على رسول الله ﷺ وإنما اظهر أنه يريد تأييد مذهبه (١).

فقال القاضي عياض: وهذا كلام لا معنى له وكل من كذب على النبي فأنما كذب لتأييد غرضه (٢).

المهلب بن أبي صفرة ت ٨٣ ولم يكن يعاب إلا بالكذب وفيه قيل: رائج

(١) لسان الميزان ١: ٤٥٩.

(٢) لسان الميزان ١: ٤٥٩.

في نصرتها^(١).

ومثله أحمد بن عبد الله الأنصاري كان من الوضاعين لنصرة السنة وذكر له بعض الأحاديث^(٢).

أحمد بن محمد بن غالب الباهلي ت ٢٧٥ غلام الخليل من كبار الزهاد ببغداد كذاب وضاع، قال ابن عدي: سمعت أبا عبد الله النهاوندي يقول لغلام الخليل: ما هذه الأحاديث الرقائق التي تحدث بها قال: وضعناها لترقق بها قلوب العامة حتى أطلق عليه دجال بغداد.

والعجيب أن هذا وسيرته وقد اغلقت بموته أسواق دار السلام وحمل نعشه إلى البصرة وبنيت على قبره قبة^(٣).

وميسرة بن عبد ربه... قال: وضعته أرغب فيه الناس^(٤).

وضع الأحاديث حسبة لله تعالى،

ذكر القرطبي^(٥) في معرض حديثه في فضل سور القرآن وغير ذلك عن فضائل الأعمال وقد ارتكبها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا... كما روي عن أبي عصمه ومحمد بن عكاشة وأحمد بن عبد الله الجويباري وغيرهم. حتى قيل لأبي عصمة من أين لك هذا عن عكرمة عن ابن عباس في

(١) شذرات الذهب ٣: ٢٢٦.

(٢) شذرات الذهب ٣: ٢٢٦.

(٣) كما في المنتظم لابن الجوزي، وتاريخ بغداد. الغدير ٥: ٢١٧.

(٤) كتاب المجروحين ٣: ١١. تاريخ بغداد ١٣: ٢٢٤. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٢٤١. ميزان

الاعتدال ٤: ٢٣٠. لسان الميزان ٦: ١٣٨. الغدير ٥: ٢٦٨.

(٥) تفسير القرطبي ١: ٧٨. تاريخ ابن عساكر ٥٧: ٥.

إلى الله فوقعوا في الضلال من حيث لا يشعرون ووصف الكثير منهم بذلك وكما جاء عن يحيى بن سعيد القطان قال: ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث مقدمة صحيح مسلم وتاريخ بغداد وعنه لم يرى أهل الخبر في شيء أكذب منهم في الحديث مقدمة صحيح مسلم وعنه ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى أهل الخير والزهد خاتمة اللئالي المصنوعة للسيوطي.

ولكن الاغرب والادهى ممن يخرج أحاديثهم ويستدل بها ويعتمد عليها كما دخل منهم في رجال الصحاح واحتجوا بأقوالهم واستندوا عليها.

وقد أحصى شيخنا الأميني في الغدير^(١): طائفة منهم أمثال الهيثم الطائي يقوم عامة الليل بالصلاة وإذا أصبح يجلس ويكذب.

الحافظ عبد المغيث الحنبلي موصوف بالزهد والثقة والدين والصدق والامانة..

واتباع السنة والاثار وهو يؤلف من الموضوعات كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أحمد الباهلي من كبار الزهاد وهو ذاك الكذاب الوضاع وقال ابن الجوزي: كان يتزهد ويهجر شهوات الدنيا فحسن له الشيطان هذا الفعل القبيح.

ابو بشر المروزي الفقيه اصلب أهل زمانه في السنة واذبهم عنها واخفهم لمن خالفها وكان يضع الحديث ويقلبه، إلى غيرهم كثير.

كما ذكر الأميني لطائفة كبيرة أيضاً من المحدثين والفقهاء والقضاة والولاة والقراء والمؤلفين وغيرهم وفهرسهم بمعجم ابجدي وعدهم بما يقرب من سبعمائة.

(١) الغدير ٥: ٢٧٦.

يكذب وكان والي خراسان فعمل عليها خمس سنين ^(١) واستدرك صاحب الاستيعاب فقال: هو ثقة وأما من عابه بالكذب فلا وجه لأنه كان يحتاج لذلك في الحرب يخادع الخوارج فكانوا يصفونه لذلك بالكذب غيضا منهم عليه ^(٢).

ولقد دافع الذهبي وشكك في تكلم ابن أبي داود في ابنه وانه كذاب فحاول توجيهه كلامه لعل قول أبيه فيه أن صح أراد الكذب في لهجته لا في الحديث وانه حجة فيما ينقله أو كان يكذب ويوري في كلامه ومن زعم أنه لا يكذب فهو ارعن.

وقال ابن حجر: قيل لإبراهيم الحربي: اكان ابن المديني يتهم بالكذب قال: لا انما حدث بحديث فيه كلمة ليرضى ابن أبي داود... واضراب هؤلاء كثير في تراجمهم في عامة المعاجم.

ولابن الوزير الصنعاني كلام في تفسير الكذب وتقدم نقله في الكذابين في رجال الصحاح فكان الكذب على الله ورسوله ليس من كبائر الذنوب وقول الزور ليس من الفواحش ومنقصة في الفضائل وخيانة كبرى للعلم والحقيقة فعم بلائهم وكثر خطبهم على الأمة والإسلام وهذه نبذة قليلة وللمتبع في معاجم الرجال يجد أضعاف ما ذكرنا وربما يستعظمه القاريء ويذهله أمر هؤلاء ويستغرب ذلك بعد أن وصفوا بالزهد والصلاح فليس بغريب على المدلسين والدجالين جمع النقيضين وكان بعضهم من المغفلين فاصبح شعارهم وربما تقربوا به

(١) هكذا ترجمه ابن قتيبة في المعارف: ١٧٥.

(٢) هامش تهذيب الكمال ٢٩: ١٢. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٩٣ وفيه عن الاستيعاب. والاصابة ٣:

سعد قاتل الإمام السبط الحسين بن علي عليهما السلام، ودافع عنه القاريء بقوله: انه قد يقال انه لم يباشر لقتله عليه السلام ولعل حضوره مع العسكر كان بالرأي والاجتهاد وربما حسن حاله وطاب مآله ومن الذي سلم من صدور معصية عنه وظهور زلة منه ولو فتح الباب أشكل الأمر على ذوي الألباب^(١).

وذكر الذهبي قال: عمر بن سعد روى عن أبيه، وعنه ابنه إبراهيم وأبو إسحاق وأرسل عنه الزهري وقتادة^(٢).

وفي ميزان الاعتدال قال: عمر بن سعد هو في نفسه غير متهم لكنه باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل، حتى روى شعبة عن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد فقام إليه رجل فقال: أما تخاف الله تروي عن عمر بن سعد فبكى وقال لا أعود.

وقال العجلي: روى عنه الناس تابعي ثقة^(٣).

كما نسب للنسائي في صحيحه عن عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام: ويقول علماء الرجال في ترجمته صدوق لكن مقتنه الناس لكونه أميراً على الجيش الذي قتلوا الحسين^(٤).

كما رووا عن شمر بن ذي الجوشن غير ان الذهبي قال: ليس بأهل للرواية وعن... أبي إسحاق قال: ان شمر يصلي معنا ثم يقول: اللهم انك تعلم اني شريف

(١) المرقاة ٢: ٣٩١.

(٢) الكاشف ٤: ٣١١.

(٣) ومثله خلاصة التهذيب: ١٤٠.

(٤) نقلاً عن معالم المدرستين: ٤٦.

وذكر لهم من الأحاديث الموضوعة المقلوبة باربعمائة وثمانية آلاف وستمائة وأربعة وثمانين حديثاً.

ثم قال: وهذه القائمة تقريبه تعرفنا على الموضوعات والمقلوبات من الأحاديث المبتوثة في طيات كتب القوم ومسانيدهم ثم ذكر وكان لجل هؤلاء الكذابين تأليف تحوى شتات ما لفقوه مما لا يجد ولا يعد.

ولسائل يقول: كم هذه المؤلفات وكم تحوى من عدد الأحاديث وما هي المواضيع التي تحويها وكم تسرب منها ودخل في الأحاديث الصحيحة كما زعم أصحابها وبعد أن وصلت إلى الخلف وعض عليها بالنواجذ وتقبلها من سلفه وحسبها سنة متبعة لا يجوز مخالفتها إلا ما شذ وندر من قبل رجال الجرح والتعديل لبعض الأحاديث وما فاتهم أضعاف ما اشيروا إليها ولا زلنا نعاني منه حتى اليوم وعندما دخلت إلى أهم المصادر سواء بقصد أو بغفلة أو لحسابات أخرى توافق هوى النفس خاصة بعد أن فرضت السلطة الأموية والروانية اتباعها بعدم مخالفتها فتقبلوها أما طمعا أو خوفاً والناس على دين ملوكها حتى لو خالفت الكتاب والسنة.

التعرف على الثقة والثقات،

ان التعرف على الثقة والثقات من أشكال المشاكل وان تعرضنا لبعضهم كما سيأتي في رجال الصحاح من خوارج ونواصب وفسقة وغيرهم واختصرناهم على رجال الصحاح الستة لا غير وذكرنا لهم نماذج.

اما بالنسبة للمسانيد الأخرى وكتب الحديث وغيرها فهناك الطامة الكبرى وفيها الأضعاف المضاعفة ولو جمعت لصارت مجلدات ضخمة، أمثال الثقة عمر بن

فعندها نترك الرواية وراويها ونضرب بها عرض الحائط.

وهذا شرط لازم لمن له القدرة والمعرفة بالاجتهاد وأصوله والحديث ورجاله ومن أهل الاختصاص ومهرة الفن وهذا لا يتيسر لافراد الأمة معرفته. فلا بد أن نعول على كبار العلماء وأئمة الحديث وحفاظه ممن توفرت فيهم الأمور المذكورة وبإضافة شروط أخرى ومن بعضها:

١- أن تتوفر فيهم التقوى والورع والصدق والامانة حتى يقولوا الحق ويكتبوا الصدق.

٢- عدم التعصب لمذهب أو عقيدة كي لا يتأثر بهما وينحرف إليهما.

٣- وعدم ميله إلى الاهواء النفسية والاغراض الشخصية حتى لا تتغلب عليه الاطماع ويعمل لاجلها.

٤- عدم مسايرة السلطة الجائرة التي تفرض عليه ما تريد فيسير بركبها ويتقبل امرها.

وشروط أخرى لا مجال لذكرها وذكرنا بعضها في (تأسيس المذاهب) (وذكر أهل الجرح والتعديل).

ولما بلغ من الكثرة من علماء الحديث ومصنفاتهم التي لا تحصى في القرون الماضية فاجمعوا على ستة منها واختاروها وسميت (الصحاح الستة) لا غير فقط وتابعوها مقلدين بكل ما تقول بلا نقاش حتى بلغت شهرتها ما طبقت الدنيا ذكره وبلغت منزلهم اعلى درجات الصحة وأحاديثهم لا يضاهيها إلا كتاب الله المنزل فصارت عدله وقرينته.

والمعترض عليها زنديق والراد عليها كافر وذكروا لذلك قصص واساطير

فاغفر لي قلت: كيف يغفر لك وقد اعنت على قتل ابن رسول الله ﷺ؟ قال: ويحك فكيف نصنع ان امرائنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحمير السقاة^(١).

ومن الغريب جداً رووا عن الفاسق الفاجر الوليد الذي أنزل الله تعالى الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾^(٢) الآية وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ الآية وسيأتي تفصيل نزولهما وترجمته وهو الذي جلده أمير المؤمنين بثمانين جلدة؛ لشربه الخمر وقد أخرج له أبو داود في سننه وعدوه من الثقات. غير ان ابن حجر قال: قد ثبتت صحبته وله ذنوب أمرها إلى الله تعالى والصواب السكوت^(٣).

أقول: ان التاريخ لا يسكت عنه بعد ان فضحه الله وأنزل فيه آيتين أسماء فيهما فاسقاً وشرب الخمر وجلده أمير المؤمنين وعزل عن ولاية الكوفة وكل هذه الأمور وغيرها بمراى من عامة المسلمين وبحضور عثمان وأهل المدينة والكوفة وغير هؤلاء كثير لا يسع المجال ذكرهم.

قد يهون الأمر ونهتدي للجواب السابق إذا تعرفنا على الثقة والثقات بصحة الأحاديث والأخبار برجوعنا إلى أهل الجرح والتعديل وقالوا هذا الراوي مجروح وذاك مطعون به وهذا متهم بالكذب والوضع أو عدم الثقة وهذا يدل في السند أو يقلب المتن وهذا متصل وذاك منقطع إلى غيرها من كلمات الطعن والجرح

(١) ميزان الاعتدال.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) تهذيب التهذيب ١١: ١٤٤.

وهذه أسئلة اختصرناها لنتركها لضمير القارئ ليفكر بتأمل ونبذ التعصب والتقليد ولا يطلب غير الحقيقة أينما وجدت ليريح ضميره ويرضى ربه وقد تقدم الحديث عن تلك الفترة المظلمة في عهد معاوية واستجاب له بعض الصحابة وغيرهم من هواة الأمانة والمال وتم له ما يريد من تغيير السنة وقلب الموازين باختلاق الأحاديث تمويها للعامة وإضفاء الشرعية لسياسته.

وبلغ بالذهبي أن يقول في ذكره لبعض الأحاديث: لولا هيبة الصحيح لقلت انها موضوعة^(١) ومثله في صحيح مسلم الذي قالوا فيه: ما تحت اديم السماء اصح من كتاب مسلم^(٢).

فيسأل سائل: هل أن أصحاب الصحاح توفرت فيهم الشروط المذكورة آنفا هل أن أصحابها عاشروا الرسول وكتبوا عنه مباشرة أم عاصروا صحابته وتابعيهم حتى لا يحتاجوا إلى أهل الجرح والتعديل.

وهل أن الفترة المظلمة في العهدين السفيناني والرواني التي اختلط فيها الحابل بالنابل وعمت الفوضى باختلاق الأحاديث وفرضته السلطة بكل ما تستطيع وبوسائل شتى حتى عمت الأقطار والأمصار فصارت سنة متبعة ولم يتسرب من ذلك إلى الصحاح.

وهل أن المحدثين من صحابة وتابعين وغيرهم ممن سخرتهم السلطة لاغراضها.

فلم يدخلوا في رجال الصحاح ويحتجوا بأقوالهم وينقلوا لنا أحاديثهم تلك وهل أن أصحاب الصحاح التزموا بالحيداء وتجنبوا ما رسمته السلطة الأموية من تغيير السنة والانحراف في أمور الدنيا والدين وألزموه للجميع برهبة أو رغبة وما توارثوه من اشياخهم والعهد القريب.

(١) مستدرک الوسائل ١: ١٧، نقله عن الذهبي. تهذيب التهذيب ٨: ١٤٦.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٨. تاريخ بغداد ١٣: ١٠٢. تاريخ ابن عساکر ١٤: ٢٧٥. تذكرة الحفاظ ٢:

٥٨٩، وج ٣: ص ٩٠٤. سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٦٦، وج ١٦: ص ٥٥. الانساب للسمعاني ٤: ٥٠٣.

. البداية والنهاية ١١: ٤٠.



الفصل الرابع عشر

حول الصحيحين للبخاري ومسلم



ولما كان صحيح البخاري وصحيح مسلم اهم الصحاح الستة اخصهما
بعرض موجز دون غيرهما وكيف جمعت ومتى وأقوال علماء السنة فيهما وكبار
أئمتهم وحفاظ الحديث بما اعترضوا عليها أما سندا أو متنا أو بالوقائع التاريخية
غير الثابتة أو تعارضها لأحاديث أخرى أو التناقض المخل بميزتهما أو الاحتجاج
بأصحاب البدع والمذاهب المنحرفة.

ولا يخفى انهما صنفا في المائة الثالثة وبعد عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم
وأئمة مذاهبهم التي اتبعوها ورؤس حفاظ الأخبار ونقاد الآثار المتكلمين في
الطرق والرجال المميزين بين الصحيح والسقيم.

فقليل: وانه يظهر لمن تتبع الكتب وتفحص المقالات أن الشأن الذي خص به
الصحيحان من قبل أهل الحديث وتقديمهم الكتابين على غيرهما من الكتب انما
هو اتباع وتقليد لمجتهدين سبقوهم إذ لم ينقل شيء من هذا القبيل عن الأئمة؛
الأئمة الأربعة وكيف يتصور ذلك وعلم الغيب يختص بالله أو أنه من خصائص
الإمامة على زعم الشيعة^(١).

وذكر عبد العلي الانصاري في معرض ردا على ابن صلاح قوله فرع ابن
صلاح وطائفة من الملقبين باهل الحديث زعموا أن رواية الشيخين البخاري

وعن الآمدي: ونقلوا عن شيوخ المحدثين أنه قد ظهر بعد التحقيق وجود مأتين وعشرة أحاديث ضعيفة في الصحيحين تفرد منها البخاري ثمانين ويبلغ ما تفرد به مسلم المائة وقد اشتركا في اخراج ثلاثين^(١).

وذكر الذهبي بترجمة أحمد بن عيسى قال سعيد البردعي: شهدت أبا زرعه ذكر صحيح مسلم فقال: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه فعملوا شيئاً يتسوقون به (يتشوقون به) واتاه رجل وأنا شاهد بكتاب مسلم فجعل ينظر فيه فإذا حديث لاسباط بن نصر قال: ما أبعد هذا عن الصحيح ثم رأى قطن بن نسير فقال لي: وهذا اطم من الأول: قطن بن نسير بصل أحاديث عن ثابت جعلها عن أنس الخ^(٢).

وقال بترجمة محمد بن يحيى الذهلي قال أبو قريش الحافظ: كنت عند أبي زرعة فجاء مسلم بن الحجاج فسلم عليه وجلس ساعة وتذاكرا فلما أن قام قلت له: هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح قال: فلمن ترك الباقي؟ ثم قال: هذا ليس له عقل لو دارى محمد بن يحيى لصار رجلاً^(٣).

وقيل ان مسلما لما وضع كتابه الصحيح عرضه على ابي زرعة فانكر عليه وتغيظ وقال سميت الصحيح فجعلته سلما لاهل البدع وغيرهم ومثله قيل لما قدم مسلم بعد ذلك الري فبلغني انه خرج إلى عبدالله بن محمد بن مسلم فجفاه وعابه على هذا الكتاب وقال له نحو ما قال له ابو زرعة ان هذا بطرق لاهل البدع علينا^(٤).

(١) ازالة العين / حيدر علي الفيض آبادي: ٥٥٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٧١. ميزان الاعتدال ١: ١٢٦. تهذيب التهذيب.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢: ٢٨٠. وتهذيب الكمال ٢٦: ٦٢٧.

(٤) تهذيب الكمال ١: ٤٢٠. سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٧١. تاريخ بغداد ٥: ٢٩. شرح مسلم ١: ٢٥.

ومسلم صاحبي الصحيح يفيد العلم النظري للاجماع على أن للصحيحين مزية على غيرهما وتلفت الأمة بقبولهما والاجماع قطعي.

وهذا بهت فإن من راجع إلى وجدانه أنه يعلم بالضرورة أن مجرد روايتهما لا يوجب اليقين البتة وقد روى فيهما أخبار متناقضة فلو افاد روايتهما علماً لزم تحقيق النقيضين - إلى أن يقول - واما مروياتهما ثابتة عن رسول الله ﷺ فلا اجماع عليه اصلاً.

فكيف ولا اجماع على صحة جميع ما في كتابيهما لأن روايتهما منهم قدريون وغيرهم من أهل البدع وقبول رواية أهل البدع مختلف فيه فاين الاجماع على صحة مرويات القدرية - إلى أن يقول - وهذا لا يفيد إلا الظن.

وهذا هو الحق المتبع ولنعم ما قال الشيخ ابن همام أن قولهم بتقديم مروياتهما على مرويات الأئمة الآخرين قول لا يعتد به ولا يقنطدى بل هو من محكماتهم الصرفة كيف لا وأن الاصححة من تلقاء عدالة الرواة وقوة ضبطهم وإذا كان رواة غيرهم عادلين ضابطين فهما وغيرهما على السواء ولا سبيل للحكم بمزيتهما على غيرهما إلا تحكّم والتحكّم لا يلتفت إليه فافهم^(١).

وذكر النووي قال: استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث اخلا بشرطيهما فيها ونزلت درجة ما التزمها... وقد ألف الإمام الدارقطني في بيان ذلك كتابه المسمى (بالاستدراكات والتتبع)... ولابي مسعود الدمشقي (صاحب الاطراق) استدراكات عليهما وكذا لأبي علي الغساني في كتابه (تقييد المهمل)^(٢).

(١) فواتح، شرح مسلم ٢: ١٢٣.

(٢) شرح مسلم ١: ٢٧.

الصحيحين ولا في أحدهما^(١).

وذكر عبد الحق الدهلوي ليس الأحاديث الصحاح محصورة في كتابي مسلم والبخاري فانما لم يستوعبا الصحيح بل انهما لم يخرججا كل الأحاديث الواجدة لشرائط الصحة عندهما فكيف بمطلق الصحاح.

فقال البخاري: ما ادخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطول^(٢).

وقال مسلم: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا وإنما وضعت ما اجمعوا عليه^(٣).

ولعل مراده ما فيه شرائط الصحيح المجمع عليه عنده لا اجماعهم على وجودها في كل حديث منه.

وذكر الحاكم قوله ولم يحكما (البخاري ومسلم) ولا واحد منهما أنه لم يصح من الحديث غير ما اخرجاه^(٤).

ذكر ابن حجر قوله: ولم أقف في شيء من نسخ البخاري على ترجمة لمناقب عبد الرحمن بن عون ولا سعيد بن زيد وهما من العشرة وأن كان قد أفرد ذكر

(١) الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير، حرف الميم، خلاصة عبقات الأنوار ١: ٩٦. نقلاً عن العلقمي.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤: ٤٤٢. تاريخ ابن عساكر ٥٢: ٧٣.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١٥. المجموع ٣: ٣٦٧. نيل الأوطار ٢: ٢٣٦. بغية الباحث: ٨. صحيح ابن حبان ١: ٦. نصب الراية ٢: ٢٢.

(٤) المستدرک ١: ٢. وله أقوال أخرى بهذا الشأن في المقدمة.

وكان أبو زرعة يذم وضع كتاب مسلم ويقول كيف تسميه الصحيح وفيه فلان وفلان وذكر جماعة...^(١).

وذكر ابن حجر بترجمة سويد بن سعيد أن إبراهيم بن أبي طالب قال لمسلم كيف استجزت الرواية عن سويد قال: ومن أين أتى بنسخة حفص بن ميسرة^(٢).

رد زعم انحصار الأحاديث الصحيحة في الكتابين،

وللقائل بانحصار الأحاديث الصحيحة في الكتابين (البخاري ومسلم) أم غيرها فمتى ثبت ذلك وكيف وما الدليل عليه وهل يصح القول بأن كل حديث لم يخرجاه فهو ضعيف وقد رأينا جماعة من كبار أئمتهم وحفاظهم في الحط من شأن الكتابين ومؤلفيهما من غير اضطرار يلجئهم بل انها الحقيقة التي تجرى على ألسنتهم وبالإضافة لما تقدم وعلى سبيل المثال نعرض لبعضهما.

ذكر الشمس العلقمي بشرح حديث (ما من غارية) ردا على من قدح فيه وأما قولهم أنه ليس في الصحيحين فليس بلازم في صحة الحديث كونه في

(١) الامتاع في احكام السماع: الفصل العاشر.

وفي لفظ هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه فعملوا شيئا يتسوقون به الفوا كتاباً ثم يسبقوا إليه ليقوموا لأنفسهم رياسة قبل وقتها. تهذيب الكمال ١: ٤١٩. تاريخ بغداد ٤: ٢٩ سير اعلام النبلاء ١٢: ٥٧١. ميزان الاعتدال ١: ١٢٦. وتهذيب الكمال ٤: ٢٤١.

ولابي زرعة أقوال عديدة في الصحيح... وقدم مسلم بعد ذلك فبلغني أنه خرج إلى أبي عبد الله محمد بن وارة فجفاه وعاتبه على هذا الكتاب شرح مسلم ١: ٢٦. تاريخ بغداد ٥: ٢٩. تهذيب الكمال ١: ٤٢٠.

(٢) ذكره سير اعلام النبلاء ١١: ٤١٨. ميزان الاعتدال ٣: ٣٤٧. تهذيب الكمال ٤: ٤١. ومثله قول القطان: لو لم أروي إلا عن أرضى لم أروي إلا عن خمسة. سير اعلام النبلاء ٩: ١٧٨. ميزان الاعتدال ١: ٣٦٦. تاريخ اسماء الثقات ١: ٢٧٠.

التعصب لرواية الصحاح،

لقد عرفنا مما تقدم عدم التزام البخاري ومسلم اخراج كافة أحاديث الصحاح في كتابيهما وعدم استيعابها الصحيح فهلم معى بالقاء نظرة سريعة على أقوال المتعصبين الذين يقدهون بالأحاديث النبوية لعدم وجودها في الصحيحين حتى لو وجدت في الصحاح الاخرى.

فمثلا ابن تيمية يرد الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة والتي لا تروقه فينتعلل بعدم وجودها في الصحيحين منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

فيقول: الوجه الرابع أن يقال: أولا أتم قوم لا تحتجون بمثل هذه الأحاديث انما يروونه السنة باسانيدهم والحديث نفسه ليس في الصحيحين بل قد طعن فيه بعض أهل الحديث كابن حزم وغيره ولكن قد اورده أهل السنن كابن داود والترمذي وابن ماجه ورواه أهل المسانيد كالإمام أحمد وغيره (١).

فلم لا يكتفي أبي تيمية بهؤلاء وفيهم الترمذي وابن ماجه ويستدل بابن حزم شبيهه ومثله شاه سلامة الله يطعن في الحديث المشهور قوله صلى الله عليه وآله وسلم شجاعه أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الراية يوم خيبر (٢) (كرار غير فرار) فيقول: هذه الزيادة غير مذكورة في الصحيحين (٣).

(١) منهاج السنة ٢: ١٠١.

(٢) سيأتي تفصيل الحديث في شجاعة أمير المؤمنين يوم خيبر.

(٣) معركة الآراء / شاه سلامة الله: ٨٩.

إسلام سعيد بن زيد بترجمة في أوائل السيرة النبوية وأظن ذلك من تصرف الناقلين لكتاب البخاري كما تقدم مرارا أنه ترك الكتاب مسودة^(١) ... الخ. وذكر صاحب التعديل قوله مات البخاري قبل أن يبيض كتابه ولذا اختلفت نسخه ورواته الخ التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري^(٢). وتقدم ذكر النووي في شرح مسلم وقد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث اخلا بشرطيهما الحديث.

وذكر الإمام كمال الدين بن همام في شرح الهداية: وقول من قال اصح الأحاديث ما في الصحيحين ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم ثم ما اشتمل على شروطهما ثم ما اشتمل على شرط أحدهما تحكم لا يجوز التقليد فيه إذ الاصححة ليست إلا لاشتمال رواتهما على الشروط التي اعتبرها فإن فرض وجود تلك الشروط في رواية حديث في غير الكتابين افلا يكون الحكم باصحية ما في الكتابين عين التحكم^(٣).

وذكر رشيد رضا قوله ومما لا شك فيه أيضاً أنه يوجد في غيرهما (البخاري ومسلم) من دواوين السنة أحاديث اصح من بعض ما فيهما^(٤).

(١) فتح الباري ٧: ٧٣.

(٢) التعديل والتجريح ١: ٢٨٧. أضواء على السنة المحمدية: ٣٠٠ - ٣٠١. مقدمة فتح الباري: ٦. هامش سير أعلام النبلاء ١٤: ٤٨٨.

(٣) محمود أبو ربة / أضواء على السنة المحمدية: ٣١٢. أضواء على الصحيحين: ٨٨. دراسات في الحديث والمحدثين: ١١٦.

(٤) محمد رشيد رضا / مجلة المنار ٢٩: ١٠٤.

ابطل السهانقوري في كتابه المرافض والدهلوي في التحفة الاثنا عشرية هجر فاطمة بنت رسول الله لأبي بكر حتى توفيت مع أنه في الصحيحين فعند البخاري بثلاث موارد قوله من حديث طويل حتى قال: (فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت)^(١) والثاني في قوله ﷺ لا نورث ما تركناه... من حديث حتى قال: فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت^(٢) والثالث في باب غزوة خيبر من كتاب المغازي كما في صحيح مسلم^(٣).

فحاول المولوي حيدر علي بتأويلات كثيرة^(٤) في قبال تلك النصوص وخاصة الحديث الثالث للبخاري إلى تظمن قصة فذك وهجر الزهراء ﷺ لابي بكر وامتناع أمير المؤمنين عن البيعة لستة أشهر.

واخيرا لم يستطع إخفاء تعصبه ولم يجد بدا من ابطاله ونفي الحقيقة واعتذر بقوله وأنت إذا احطت خبرا بما مر وما سيأتي من أقوال المخالفين... علمت أن جميع تلك الاشكالات انما تتوجه على تقدير صحة الحديث من كتب المحدثين (بعد التمحيص والتحقيق) وقوع الشك في صحة أحاديث للبخاري ومسلم إلا أن تلك الأحاديث قليلة جدا وهي في الكتاب الثاني أكثر منه في الأول الخ^(٥).

وهذا الاعتذار لو تعقله لما ذكره لأنه عليه لا له إذ أي قيمة لصحيح البخاري الذي اشترط فيه الصحة كما تقدم وبأي دليل يقال: أن كل حديث لم

(١) صحيح البخاري ٤: ٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٨: ٣.

(٣) صحيح مسلم ٥: ١٥٣.

(٤) ذكرها في نفحات الازهار ٦: ١٤٦.

(٥) ازالة العين / حيدر علي: ٥٨٢.

ومثلهما حيدر علي برد على ما أخرجه الحفاظ^(١) عن عائشة أنه قيل لها لما حضرتها الوفاة ندفنك مع رسول الله ﷺ فقالت ادفنوني مع اخواتي بالبقيع فاني قد احدثت امورا بعده فيقول: لا نسلم صحة لفظ (الأحداث) عن أم المؤمنين وسند المنع رواية البخاري فإنها عارية منه وهي هذه... عن عائشة رضي الله عنها انها اوصت إلى عبد الله بن الزبير لا تدفني معهما وادفني مع صواحي بالبقيع لا ازكي به أبداً فلا يدل الحديث على صدور الأحداث عن أم المؤمنين.

أقول: الحديث أخرجه جماعة ومنهم الحاكم^(٢) على شرطيهما قوله... عن عائشة رضي الله عنها وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها مع رسول الله ﷺ وابي بكر فقالت أني احدثت بعد رسول الله حدثا ادفنوني مع ازواجه فدفنت بالبقيع.

فلا يجدي البخاري بتر الحديث كما بتر غيره في كثير من الاحداث تنزيها لعائشة من الأحداث وكأنه تناسى خروجها على امام زمانها وشن الحرب عليه في واقعة الجمل في البصرة وقتل بسببها الالاف واعتذرت بالندم والبكاء.

وعن قيس، قالت عائشة عند وفاتها: إني قد أحدث بعد رسول الله ﷺ فادفوني مع أزواج النبي^(٣).

وقد ابطال أبو الحسن الأمدي حديث المنزلة^(٤) وهو من أحاديث الكتابين وتبعه ابن حجر المكي وعضد الدين الايجي وابو الشاء شارح المطالع وغيرهم وقد

(١) الاعلام بسير النبي . والمعارف لابن قتيبة: ١٣٤، وتقدم الحديث في ندم عائشة.

(٢) المستدرک ٤: ٦. الطبقات الكبرى ٨: ٧٤. سير اعلام النبلاء ٢: ١٩٣.

(٣) الطبقات ٤: ٧٤، ونحوه في مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٥٣٦ نقلاً عن في رحاب العقيدة: ١١٦.

(٤) الطبقات الكبرى ٨: ٧٤. سير اعلام النبلاء ٢: ١٩٣. مسند ابن راهويه ٢: ٤٣.

الحقيقة نفسها التي طالما انكرها المتعصب العنود ولكي نتعرف بعض الشيء وعلى زعم بعضهم أن كل حديث لم يذكر فيها فهو ضعيف غير مقبول.

ذكر محي الدين عبد القادر القرشي حديثاً في صفة صلاة الرسول ﷺ

ضعفه الطحاوي لمجيئه في بعض الطرق عن رجل عن أبي حميد فقال: الطحاوي فهذا منقطع الخ (ثم قال: قلت) ولا يحنق علينا لمجيئه في مسلم وقد وقع في مسلم أشياء لا تقوى عند الاصطلاح فقد وضع الحافظ الرشيد العطار على الأحاديث المقطوعة المخرجة في مسلم كتاباً أسماه غرر الفوائد المجموعة في بيان ما وقع في مسلم من الأحاديث المقطوعة وبينها الشيخ محي الدين في أول شرح مسلم^(١).

ثم ذكر متأولاً ومعتذراً عن الانقطاع عند أهل الحديث قال: ووقع في مسلم والبخاري من هذا النوع شيء كثير فنقول على سبيل التحق ما كان عن هذا النوع في غير الصحيحين فمنقطع وما كان في الصحيحين فمحمول على الاتصال.

أقول: وهذا غلو مسموم ومخالف الأصول المقررة في سند الأحاديث عند أصحاب الفن وبعد هذا فكيف يختص الكتابين بهذا الامتياز وهو نوع من الكذب والتساهل نقل السند نوع من التدليس وكلاهما غير مقبول ومخالف لما اشترطوه في صحاحهم، ثم ذكر حديث آخر لمسلم في حديث الاسراء وفيه (وذلك قبل أن يوحى إليه) وقد تكلم الحافظ في هذه اللفظة وبينوا ضعفها وذكر أحاديث على هذا المنوال...

إلى أن قال: وقد قال الحافظ: أن مسلماً لما وضع كتابه الصحيح عرضه على

(١) وذكر ابن صلاح في مدقمته: ١٢، ما أسنده البخاري ومسلم في كتابيهما بالاسناد المتصل.

يخرجاه فهو غير صحيح أو ضعيف.

واستمر معلل مرة أخرى لرد حديث القرطاس وهو قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أتتوني أكتب لكم كتاباً^(١) المخرج في سبعة مواضع من صحيح البخاري وبثلاثة طرق في صحيح مسلم وقد زعم أنه من مفتعلات الشيعة نظير حديث فذك. ثم قال: كما نقل ناقضوا هفوات المشهدي عن الآمدي أنه قال: في مسنده بأن قصة إئتوني بقرطاس لا أساس لها من الصحة وأنهم نقلوا عن شيوخ المحدثين أنه قد ظهر بعد التحقيق وجود مائتين وعشرة أحاديث ضعيفة في الصحيحين تفرد منها البخاري بثمانين ويبلغ ما تفرد به مسلم المائة وقد اشتركا في اخراج ثلاثين فحال حديث القرطاس عند احقر الناس كحديث فذك^(٢).

نوع آخر من الوضع في الصحاح،

وبعد أن تعرفنا على نبذة من الأحاديث التي انكرها بعض المتعصبين وطعنوا بها رغم وجودها في الصحيحين وما ذاك إلا انها نصت على ذكر أمير المؤمنين وخلافا لما تقرر عندهم بقبول رواية الصحاح بدون أي نقاش وتركت الكثير من ذلك خشية التطويل.

واعرض الآن لنماذج أخرى من أقوال كبار علمائهم وحفاظهم لأحاديث الصحاح ومؤلفيها وشاء الله أن يظهر الحقيقة على سنتهم بقصد أو بغيره ولكنها

(١) صحيح البخاري ١: ٣٧، وج ٤: ص ٣١، وج ٤: ص ٦٦، وج ٥: ص ١٣٧، ج ٥: ص ١٣٧ - ١٣٨ وج ٧: ص ٩، وج ٨: ص ١٦١. صحيح مسلم ٥: ٧٥، وج ٥: ص ٧٦ وفيها حديثين. وسياقي الحديث عنه.

(٢) ازالة العين: ٥٩٣.

ويقول تسميه الصحيح وفيه فلان وفلان وذكر جماعة الخ^(١).

تعقيب على أحاديث الصحيحين:

وليس القصد في هذه العجالة سرد كل ما في الصحيحين من كثرة الأحاديث التي تكلم فيها كبار أئمتهم وحفظتهم وأصحاب الجرح والتعديل فابطلوا بعضها واعترضوا على الكثير منها أما سندا أو متنا أو بالوقائع التاريخية غير الثابتة أو بتعارضها لأحاديث صحيحة وبسط القول فيها وتعدادها يخرجنا عن المقصود بل نعرض لما كتبه السيد الميلاني في عبقات الانوار: ١٨٢/٦ في (فصل أحاديث من الصحيحين في الميزان) وقد يطول الحديث لذكرها وتفصيل نقد العلماء والمحدثين لها وذكر أكثر من ستة عشر حديثاً غير أن بعض المتعصبين حاولوا التستر بالاعتذار عنهم وتبرير الخطأ بالخطأ ودافعوا عنهم بما استطاعوا وسيظهر للناقد من خلال دفاعهم باجوبتهم ونختصر القول على الاجوبة.

ذكر ابن الجوزي بتعقيب على حديث فيها قال في جوابه: قال ابن عدي لعمره - أحد رواة الحديث - أحاديث مناكير وثابت لا يعرف والحديث منكر^(٢).
وعقب جماعة لحديث عن البخاري بأقوال عديدة حتى انكر القاضي أبو بكر صحة الحديث وقال: لا يجوز أن يقبل هذا ولا يصح أن الرسول قاله.
وعقبه القاضي أبو بكر الباقلاني في التقريب هذا الحديث من أخبار الاحاد التي لا يعلم ثبوتها.

(١) الامتاع في احكام الاسماع. الفصل العاشر.

(٢) الموضوعات ١: ٢٢٩.

أبي زرعة فأنكر عليه وقال: سميته فجعلته سلماً لأهل البدع وغيرهم^(١).
 وذكر الملا علي القاريء مثل ما تقدم عن القرشي مع اختلاف بتقديم بعض
 الأقوال فقال: وقد رفع منه مسلم بن الحجاج أشياء لا تقوى عند المعارضة فقد
 وضع الرشيد العطار كتاباً على الأحاديث المقطوعة وبينها الشيخ محي الدين في
 أول شرح مسلم.

وما بقوله الناس أن من روى له الشيخان فقد جاز القنطرة هذا أيضاً من
 التجاهل والتساهل فقد روى مسلم في كتابه عن الليث عن أبي مسلم وغيره من
 الضعفاء.

فيقولون إنما روى عنهم في كتابه للاعتبار والشواهد والمتابعات وهذه
 الاعتبارات لا تقوى لأن الحفاظ قالوا: الاعتبارات أمور يتعرفون بها حال
 الحديث وكتاب مسلم التزم فيه الصحة فكيف يتعرف حال الحديث الذي فيه
 بطرق ضعيفة ثم ذكر الأحاديث الضعيفة والمقطوعة وهي كثيرة لا يسع المجال
 لذكرها ثم ذكر قول أبي زرعة أن مسلماً لما وضع كتابه الصحيح عرضه على أبي
 زرعه فأنكر عليه وتغيظ وقال: سميته الصحيح وجعلته سلماً لأهل البدع وغيرهم.

ولأبي الفضل الادفولي الشافعي تحقيق وذكر بمثل ما تقدم عن القارئ
 وبزيادة ثم ذكر قول أبي زرعه وقال: وكان أبو زرعة بدم وضع كتاب مسلم

(١) أضواء على السنة المحمدية: ٣٠٩. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ٢: ٤٢٨.

وقيل لما قدم مسلم بعد ذلك الري فبلغني أنه خرج إلى أبي عبد الله بن محمد بن مسلم بن وارة فجفاه
 وعاتبه على هذا الكتاب وقال له: نحواً مما قاله لي أبو زرعة: أن هذا يطرق لأهل البدع علينا.
 تهذيب الكمال ١: ٤٢٠. سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٧١. تاريخ بغداد ٥: ٢٩.

واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى الحديث جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين وذكر جماعة منهم... ثم قال: فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث^(١).

وعقب على الحديث أيضاً فقال النووي جاء في رواية شريك اوهام انكرها العلماء من جملتها أنه قال: ذلك قبل أن يوحى وهو غلط لم يوافق عليه... الخ^(٢) وعقب عليه ابن القيم الجوزية حتى قال: وقد غلط الحفاظ شريكا في ألفاظ من حديث الاسراء ومسلم اورد المسند منه ثم قال: فقدم واخر وزاده نقص الخ...^(٣).

فذكر عن البخاري حديثاً آخر فقيل فيه فلعله من الأحاديث المفحمة في كتاب البخاري^(٤) الخ وعقب ابن حجر على أحاديث أخرى عن البخاري واجاب بقوله فهذا جواب اقناعي وهذا عندي من المواضع العقيمة عن الجواب السديد ولا بد للجواد من كبوة^(٥).

وعقب جماعة على حديث للبخاري وذكر ابن حجر مدافعا عنه ثم قال: وقد تلقى كلام الخطيب بالتسليم صاحب المشارق والمطالع... الخ^(٦).

(١) شرح مسلم ٢: ٢١٠. فتح الباري ١٣: ٤٠٤.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣: ٣٩٩.

(٣) الكواكب الدراري في شرح البخاري ٢٢: ٢٠٤.

(٤) زاد المعاد ٢: ٤٩.

(٥) مقدمة فتح الباري: ٣٧٤.

(٦) صاحب المشارق هو القاضي عياض وكتابه (مشارق الانوار على صحاح الأخبار) من الكتب المعروفة المعتبرة وذكر فيه تحريفات وتصحيحات واخطاء وقعت في الموطأ وكتاب البخاري وكتاب مسلم ومثله مطالع الانوار على صحاح الاثار في فتح ما استغلق من الموطأ ومسلم والبخاري لابي قراقول الخ. كشف الضنون ٢: ١٧١٥.

وقال امام الحرمين في مختصرة: هذا حديث غير مخرج وصحيح وقال في البرهان: لا يصححه أهل الحديث.

وقال الغزالي في المستصفي: الاظهر أن هذا الحديث غير صحيح الخ^(١).
واعترض آخرون بقولهم: اعترض على البخاري زيادة اسباط هذا فقال:
الداوودي دخل قصة المدينة في قصة قريش وهو غلط.
وقال أبو عبد الملك الذي زاده اسباط وهم واختلاط لأنه ركب سند عبد الله
بن مسعود على متن حديث أنس بن مالك... الخ.
وللحافظ شرف الدين الدمياطي وقال: هذا حديث عبد الله بن مسعود وكان
بمكة وليس فيه هذا.

والعجب من البخاري كيف اورد هذا وكان مخالفا لما رواه الثقات^(٢).
وعقب التفتازاني على حديث للبخاري بانه خبر وأحد... ثم قال: وقد طعن
المحدثون بأن في روايته يزيد بن ربيعة وهو مجهول وترك في اسناده واسطة بين
الاشعث وثوبان فيكون منقطعا وذكر يحيى ابن معين أنه حديث وضعت الزنادقة
وايراد البخاري إياه في صحيحة لا ينافي الانقطاع أو كون أحد رواته غير
معروفين بالرواية^(٣).

وذكر البخاري في صحيحة رواية عن شريك فقال عبد الحق في كتابه الجمع
بين الصحيحين بعد ذكر الرواية: هذا حديث بهذا اللفظ قد زاد فيه زيادة مجهولة

(١) فتح الباري ٨: ٢٥٥.

(٢) عمدة القاري ٧: ٤٦.

(٣) التلويح على التنقيح في أصول الفقه ٢: ٣٩٧. انظر: فتح الباري ١٣: ٣٩٩.

بني أمية وهشام بن عمار السلمى وروى عنهم في سننه وقال في حق صالح بن بشير: لا يكتب حديثه وكذا في حق عاصم بن عبيد الله وروى عنهما.

مع أنه يزعم أن لا يروي إلا عن ثقة كما ذكره في تهذيب التهذيب بترجمة داود بن أمية ومثلهما النسائي قال في حق كل من عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وعبد الرحمن بن أبي المخارق وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف متروك وروى عنهم في سننه.

ومثلهم الترمذي قال في حق سليمان بن ارقم ابن معاذ البصري وعاصم بن عمر بن حفص متروك وروى عنهما في سننه^(١).

وفي ترجمة عامر بن صالح بن عبد الله الزبيري وكذبه جماعة وضعفه آخرون... الخ.

ومع هذا كله فقد روى عنه أحمد بن حنبل ووثقه فقال الذهبي لعل ما روى أحمد عن أحدا وهي من هذا ثم أنه سئل عنه فقال: ثقة لم يكن يكذب^(٢) على أن الترمذي أيضاً لم يتجنب الرواية عن النواصب والخوارج وقد أحصى عليه جملة منهم كما أن في رجاله كثير من الضعفاء والكذابين^(٣).

وذكر في تهذيب التهذيب بترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة: أن مالكا قال في حقه: دجال من الدجاجلة ثم ذكر في الجواب عنه قول محمد بن قليح:

(١) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠٤. وتهذيب الكمال ٢: ٥١٧. وذكره الخطيب بسند آخر في تاريخ بغداد ١١: ٤٥٥.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٣٦٠، رقم [٤٠٨١].

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥٥٩.

وعقب ابن القيم بقوله فهذا الحديث غلط ظاهر لاخفاء به قال أبو أحمد بن حزم وهو موضوع بلا شك فيه ولا تردد - إلى أن يقول - وهذه الطريقة باطلة عند من له ادنى علم بالسيرة وتواريخ ما قد كان الخ^(١).

التناقض في الصحاح،

والتناقض كما قيل فيه (من كذب وصدق في أن وأحد فقد كذب مرتين) فيفقد الثقة بالناقل وما نقل وقد وقع الشيء الكثير منه في أصحاب الصحاح وقد يقع بين احدهم وينقض قوله بنفسه وربما ينقص احدهم لقول الآخر واعرض للنوع الأول بنماذج واترك النوع الثاني لما يتضمنه الجدول الآتي.

ذكر الذهبي وابن حجر أو أحدهما في كتابيهما أن البخاري احتج بجماعة في صحيحه ضعفهم بنفسه كما يعلم من تراجمهم في الكتابين كأيوب بن عائذ وثابت بن محمد العابد وحصين بن عبد الرحمن السلمي وحران بن أبان وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي وكهمس بن المنهال ومحمد بن يزيد الخرامي ومقسم بن بجره وذكر في تهذيب التهذيب^(٢) بترجمة علي بن عاصم. أن أبا خيثمة قال: قلت لابن معين أن أحمد يقول: ليس بكذاب فقال: لا والله ما كان عنده قط ثقة ولا حدث عنه بشيء فكيف صار اليوم عنده ثقة^(٣).

وكذا بالنسبة لأبي داود كذب نعيم بن حماد الخراعي والوليد بن مسلم مولى

(١) زاد المعاد ١: ٢٧.

(٢) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠٤. تهذيب الكمال ٢٠: ٥١٧، والخطيب بسند آخر ١١: ٤٥٥.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ٧٠٨.

وقيل عن صحيح مسلم ومع هذا فقد اشتمل كتابه على أحاديث اختلفوا في اسنادها أو متنها لصحتها عنده وفي ذلك ذهول منه عن هذا الشرط وسبب آخر وقد استدركت وعللت...^(١) الخ.

الحقد والحسد بين علماء الجرح والتعديل.

ان من الواضح أن الحسد والحقد والتناخر بين العلماء ورجال الجرح والتعديل مما ينقد الثقة بهم وبمروياتهم خاصة إذا كان الحقد لهوى النفوس أو تقريباً للسلطة أو تنافسا على المناصب ويقلل من الاعتبار وربما الطعن بهم. وتقدم ما ذكره السبكي في طبقاته ومما ينبغي أن ينفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه بذلك واليه أشار الرافعي بقوله وينبغي أن يكون المزكون براء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفاً أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تركية فاسق وقد وقع في هذا الكثير من الأئمة جرحوا بناء على معتقدتهم وهم المخطئون والمجروح مصيب وله أقوال أخرى ذكرناها عند أهل الجرح والتعديل. وذكر في ميزان الاعتدال بترجمه الحافظ أبي نعيم (أحمد بن عبد الله) قال: كلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبا به لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجو منه إلا من عصم الله وما علمت أن عصرا من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ولو شئت لسردت من ذلك كراريس^(٢)

(١) شرح مسلم ١: ١٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ١١١.

نهاني مالك عن شيخين من قريش وقد أكثر عنهما في الموطأ وهما مما يحتج بهما^(١) - وحاصله أن قدح مالك لا عبرة به لأن فعله ينقض قوله.

وقد روى ابن أبي داود حديثاً موضوعاً في فضائل السور وهو يعلم أنه موضوع قال: ابن الجوزي بعد أن ذكره وبين كونه موضوعاً: انما عجت من أبي بكر ابن أبي داود كيف فرقه - يعني هذا الحديث - على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أن حديث محال^(٢).

ولكن شره بذلك جمهور المحدثين فإن من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل وهذا قبيح منهم لأنه قد صح عن رسول الله ﷺ انه قال: من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين^(٣).

ومثله ذكر السيوطي انما عجت من أبي بكر ابن أبي داود كيف اورده في كتابه وهو يعلم أنه حديث محال مصنوع بلا شك ولكن انما حمله على ذلك الشره^(٤).
وتقله في سير أعلام النبلاء: ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي وكلام الشعبي في عكرمة وفيمن كان قبلهم وتناول بعضهم في العرض والنفس...^(٥) الخ.

(١) تهذيب التهذيب ٩: ٣٦ - ٣٧.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ١: ٢٤٠.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢٥٠. المعجم الكبير ٢٠: ٤٢٢. نصب الراية ٢: ١٥٢. تاريخ بغداد ٤: ٣٨٣.

تاريخ ابن عساکر ٣٦: ٧٧. الموضوعات ١: ٣٦.

(٤) اللثاء المصنوعة ١: ٢٢٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧: ٤٠.

تسمعوا كلام أهل الكوفة فانهم يحسدوني لأني أول من جمع المسند الخ...^(١) وجاء عن سليمان بن حرب، قال: جاء عمر بن مرزوق بما ليس عندهم فحسدوه^(٢). وذكر في ترجمة عبد الله بن مسلم بن قتيبة، قال الخطيب: كان ثقة ديناً فاضلاً^(٣)، وقال الحاكم: أجمعت الأمة على القتيبي كذاب، قلت: هذا مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله^(٤).

وقيل فيه أيضاً: هذه مجازفة وقله ورع فما علمت أحدا اتهمه بالكذب قبل هذه المقولة بل قال الخطيب: أنه ثقة... وأنكروا على الحاكم قوله: لا تجوز الرواية عن ابن قتيبة... ثم قال: لكن الحاكم قصده لاجل المذهب^(٥).

وفي تهذيب التهذيب بترجمة عبدالله بن سعد السرخي قال قال الحاكم: روى عنه محمد بن يحيى ثم ضرب على حديثه وسبب ذلك ان محمد أدخل عليه فلم يقم له.

فان من هذا فعله كيف يعتمد عليه في التوثيق والتضعيف ويجعل عدم روايته عن شخص دليل الضعف وفريب منه ما ذكره في ترجمة النسائي.

وذكر الذهبي: قال مكّي بن عبدان وافي داود بن علي الاصبهاني فقصدوا

(١) تاريخ بغداد ١٤: ١٧٥. تهذيب الكمال ٣١: ٤٣٢ - ٤٣٣. سير اعلام النبلاء ١٠٢: ٤٣٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٨: ٨٨. ميزان الاعتدال ٣: ٢٨٧، ح ٦٤٤٥. سير اعلام النبلاء ١٠: ٤١٨. المرح والتعديل ٦: ٢٦٤.

(٣) سير اعلام النبلاء ١٣: ٢٩٧.

(٤) ميزان الاعتدال ٢: ٥٠٣، رقم [٤٦٠١]. لسان الميزان ٣: ٣٥٧، رقم [١٤٤٩].

(٥) سير اعلام النبلاء ١٣: ٢٩٩.

ثم قال في ترجمه أبي نعيم: هو أحد الاعلام صدوق تكلم فيه بلا حجة ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن مندة بهوى ثم قال: وكلام ابن مندة في أبي نعيم فطيع لا احب حكايته^(١).

أقول: إذا فأين الثقة المطلوبة في النقل والاعتبار في موازين الصدق والعدل وما هي الحجة في اتباع هؤلاء في أمور الدنيا والدين.

وفي تهذيب التهذيب بترجمه عبد الله بن سعد السرخسى قال: قال: الحاكم روى عنه محمد بن يحيى ثم ضرب على حديثه وسبب ذلك أن محمداً دخل عليه فلم يقم له. فإن من هذا فعله كيف يعتمد عليه في التوثيق والتضعيف ويجعل عدم روايته عن شخص دليل الضعف وقريب منه ما ذكره في ترجمة النسائي.

وقد وقع ليحيى بن حماد الحماني فقد وقع بينهم حوله كلام كثير وخلاف شديد جداً كما في سير اعلام النبلاء فقد جاء توثيقه عن جماعة منهم يحيى بن معين وأحمد بن أبي يحيى وعبد الله بن الدورقي وغيرهم حتى قال محمد بن أبي هارون: سألته عنه، فقال: ثقة وأبوه ثقة، فقلت: يقولون فيه، قال: يحسدونه هو والله الذي لا إله إلا هو ثقة...^(٢) ولقد أكد يحيى بن معين وغيره وذلك لأنه ألف المسند الكبير وقد ذكر الحماني السبب نفسه فقد حكى العقيلي عن علي بن عبد العزيز قال: سمعت يحيى الحماني يقول لقوم غرباء في مجلسه: من أين أنتم فأخبروه ببلدهم فقال: سمعتم ببلدكم أحد يتكلم فيّ ويقول اني ضعيف في الحديث لا

(١) ميزان الاعتدال ١: ١١١، رقم [٤٣٨].

(٢) سير اعلام النبلاء ١٠: ٥٢٦.

حجر قيل لإبراهيم الحربي اكان أبي المدني يتهم بالكذب قال: لا انما حدث
بحديث فزاده في خبره كلمة ليرضى بها ابن أبي داود قيل له فهل كان علي
يتكلم في أحمد قال: لا انما كان إذا رأى في كتبه حديثاً عن أحمد قال: اضرب عليه
ليرضى ابن أبي داود^(١).

أقول: كيف لا يتهم بالكذب وقد زاد في الحديث ارضاء لصاحبه وقد فعل ما
هو أشد من الكلام وهو الضرب على حديثه ومن الواضح أن من يزيد في
الحديث أو يضرب على ما هو معتبر وصحيح بزعمه أو يبطل المقبول عندهم
طلباً لامور الدنيا وارضاء لاهلها فحقيق أن لا يؤمن ان ان يوافق الهوى في
توثيق الرجال وتضعيفهم.

أن الإمام مالك بن أنس امام المذهب روى عن حميد بن قيس الأعرج ووثقه
إلا أنه لما تحامل عمر بن قيس أخو حميد على مالك وبلغ مالك ذلك قال مالك:
لو علمت أن حميد بن قيس أخوه ما رويت عنه^(٢).

وقال ابن المدني: ذكر مالك حميد الأعرج موثقاً ثم قال: أخوه أخوه
ضعفه^(٣)، كما ذكر ابن حجر توثيق حميد عن جماعة في تهذيب التهذيب (٧: ٤٣٦)
ولكن السؤال ما ذنب حميد حتي يتحامل عليه مالك ويضعفه بعد أن روى
عنه ووثقه ولكن من أجل أخوه وانفعالات عاطفية تحكمت في جرحه وليست في
ميزان الانصاف والايان.

(١) تهذيب التهذيب ٧: ٣١٠.

(٢) الكامل في القضاء ٥: ٩، تهذيب التهذيب ٧: ٤٣٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٧: ٤٣٢.

مجلس للنظر وحضر مجلسه يحيى بن الذهلي ومسلم بن الحجاج فجرت مسألة تكلم فيها يحيى فزبره داود وقال اسكت يا صبي ولم ينصره مسلم فرجع إلى أبيه وشكى إليه داود فقال أبوه من كان ثم قال مسلم لم ينصرني قال: قد رجعت عن كل ما حدثته به فبلغ ذلك مسلم فجمع ما كتب عنه في زنبيل وبعث به إليه وقال لا أروي عنك أبداً^(١).

وذكر في ميزان الاعتدال بترجمة عبدالله بن ذكوان قال: وقال ربيعة فيه ليس بثقة ولا رضى قلت: لا يسمع قول ربيعة فيه فإنه كان بينهما عداوة ظاهرة^(٢). وذكر ابن عقيل^(٣) عن المقبلي في العلم الشامخ أن أحمداً لما تكلم في مسألة خلق القرآن وابتلي بسببها جعلها عدل التوحيد أو زاد ثم ذكر المقبلي أن أحمد كان يرد رواية كل من خالفه في هذه المسئلة تعصبا منه. قال: في ذلك خيانة لسنده الخ...

والكثير من هذا في تهذيب التهذيب وميزان الاعتدال.

وذكر ابن حجر في التهذيب بترجمة شجاع بن الوليد قال: أحمد بن حنبل لقي ابن معين شجاعاً، فقال له: يا كذاب، فقال له شجاع: إن كنت كذاباً والافهتكك الله قال أبو عبدالله: أظن أن دعوة الشيخ ادركته^(٤) ونحوه في ميزان الاعتدال. ذكر ابن حجر في التهذيب والذهبي في الميزان بترجمة ابن المديني وقال: ابن

(١) سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٧٠ - ٥٧١. تاريخ ابن عساکر ٥٨: ٩٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٤١٨.

(٣) العتب الجميل: ١٠٢. امان الأمة من الاختلاف: ٦٨. أضواء على السيرة المحمدية: ٣٤٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٤: ٢٧٦.

أحمد بن صالح المصري: - أحد رجال البخاري وابن داود قال: (س) ليس بثقة ولا مأمون تركه محمد بن يحيى ورماه ابن معين بالكذب... وكان النسائي سيء الرأي فيه، وانكر عليه أحاديث... فسمعت محمد بن هارون البرقي يقول: هذا الخراساني يتكلم في أحمد بن صالح لقد حضرت مجلس أحمد فطرده من مجلسه فحمله ذلك على أن يتكلم فيه^(١)، قال الخطيب: احتج بأحمد جميع الأئمة إلا (س) ويقال: كان آفة أحمد الكبر، ونال النسائي منه جفاء في مجلسه فذلك السبب الذي افسد الحال بينهما^(٢).

ومثله مع البخاري ومسلم مع الذهلي وسيأتي تفصيله في ذكر البخاري.

ومثله في ترجمة عمر بن مرزوق^(٣).

ويظهر أن هذا يعود إلى ضعف دين وقلة ورع والا كيف يوثق بطعنه أو توثيقه ولم يردعه ورع وانصاف واحتمل أنه لم يختص بالاقتران بل تعدهم إلى من قبلهم من العصور السابقة كما يأتي لمن بعدهم.



ومثلهم الضحاك بن مزاحم المفسر... وفي تهذيب كان شعبة لا يحدث عنه وفي الميزان أن أمه حملت به عامين. ومثل عبد الرحمن ابن ادم البصري المعروف بصاحب السقاية مولى أم برثن وفي التهذيب: قال الدارقطني: نسب إلى ادم أبي البشر ولم يكن له أب يعرف وقال المدائني استعمله عبيد الله بن زياد ثم عزله ومن شأنه أن أم برثن اصابت غلاما لقطه فربته حتى ادرك وسمته عبد الرحمن فكان يقال: له ابن أم برثن.

أقول: وهذا من رجال صحيح مسلم وأبي داود وهكذا!! فلتكن الرواة الثقات الامناء على أحاديث الشريعة طيبة الاعراف.

(١) تهذيب الكمال ١: ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٣٦. تاريخ بغداد ٤: ٤٢٢. تهذيب الكمال ١: ٣٤٨.

(٣) راجع الدلائل: ٣٠٧.

وعن يحيى بن سعيد القطان حين جرح همام بن يحيى أبي دينار قال: فيه أحمد بن حنبل شهد يحيى بن سعيد في حدائته شهادة فلم يعدله همام فنقم عليه^(١). وفي تهذيب التهذيب بترجمة سعد بن إبراهيم قال: أن مالكا لم يكتب عنه قال: الساجي يقال: أنه وعظ مالكا فوجد عليه فلم يروى عنه. وذكر أيضاً في التهذيب عن ابن معين أن سعدا تكلم في نسب مالك فترك الرواية عنه^(٢).

(١) تهذيب التهذيب ١١: ٦١.

(٢) تهذيب التهذيب ٣: ٤٠٤. التعديل والتجريح ٣: ١٢٤٦.

ان قضية الإمام مالك بن أنس زعيم المذهب المالكي وبقائه في بطن أمه قيل سنتين وقيل أربعة، قال ابن سعد: اخبر الواقدي قال سمعت مالك بن أنس يقول قد يكون الحمل ثلاث وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعني نفسه.

وقال معن والواقدي ومحمد بن الضحاك: حملت أم مالك بمالك ثلاث سنين، وعن الواقدي قال: حملت به سنتين. (سير اعلام النبلاء ٨: ١٣٢).

وقال القاضي عياض في كتابه فضائل مالك ونقل عن جماعة فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعن والضحاك: حملت به أمه ثلاث سنين وقال نحوه بكار بن عبدالله الزبيري وقال الزبيري وقال انضجته والله الرحم وانشد الطرماح:

نظن بحملنا الأرحام حتى تنضجنا بطون الحاملات

وقال ان المنذر المعروف وروى عن الواقدي ايضا ان حمل أمه سنتان قاله عطف بن خالد. (ترتيب المدارك ١: ١١١).

وقال معن القزاز وجماعة حملت بمالك أمه ثلاث سنين. (العبر في خبر من غير ١: ٢١٠).

وقال ابن عبدالبر وقد ذكر غير الواقدي ان أم مالك حملت به ثلاث سنين. (الانتقاء: ١٢ وفيات الأعيان في أحوال مالك، وابن قتيبة في المعارف: ١٧٠. مناقب مالك للسيوطي: ٦).

وقد حسبها البعض مكرمة لمالك وجرت محاورة بين المالكية والحنفية كما في شرح لامية العجم. (شرح لامية العجم ١: ١٦٥).

- ١ - ترتيب الكتاب والعلاقة بينه وبين الترجمة وما تحتها.
 - ٢- ان يقطع الحديث فيذكر بعضه في باب وبعضه في آخر وقد تختلف الرواية في الاجزاء المختلفة وقد يذكر بعضها متصل السند وبعضها منقطعة^(١) وقد اخذ عليه في هذا الباب بعض ماخذ لم يستطع المنتصرون له ان يجيبوا عليها.
 - ٣- انتقده الحفاظ في بعض احاديث بلغت ١١٠ منها ٣٢ حديثا اتفق فيها هو ومسلم ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ٧٨.
 - ٤- ان بعض الرجال الذين روى لهم غير ثقات وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو الثمانين.
- وقال ايضا في فجر الاسلام ٢١٧ في معرض حديث حتى قال نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت احاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهد التجريبية على انها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال. كما ان لاجد أمين في ظهر الاسلام ملاحظات أخرى^(٢)، ومثله ابن خلدون في مقدمته^(٣).
- والحاصل: ان صحيح البخاري قد احيط بهالة من التقديس والاكبار وزعم اتباعه انه عدل القران وهو اصح كتاب على وجه الارض عندهم.
- ولا نريد ان نقسوا على البخاري بالحكم ونقول بمقالة جمال الدين الحنفي وغيره في قوله: من نظر في كتاب البخاري ترندق^(٤) ولا بقول ابن الجوزي كما

(١) وللمثال لتقطيع البخاري للاحاديث راجع نفحات الازهار ١٢: ١٠٥.

(٢) ظهر الإسلام ٢: ٤٨٥.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٩.

(٤) شذرات الذهب ٧: ٤٠.

آراء في البخاري

واتماما للفائدة نعرض لواحد من رجال الصحاح واكتفي به عن غيره وان تقدم ذكر الكثير عن مسلم واخص الآن البخاري^(١) لما ناله من الشهرة وبلغ شوطا بعيدا ولقى قبولا دون غيره من رجال الصحاح فاصبحت له منزلة لا يشاركه بها غيره ومن العسير مؤاخذته بشيء لان ذلك يدعو إلى الرمي بالبدعة والخروج عن سبيل المؤمنين^(٢) عند مقلديه واتباعه ولهذا تهيب اكثر الحفاظ نقده... حتى قال الذهبي في ذكره لبعض الاحاديث ولولا هيبة الصحيح لقلت انها موضوعة.

وذهب ابن حزم إلى تكذيب بعض احاديثه^(٣) كما نسب له التدليس في بعض الاحاديث كما سيأتي في ذكر التدليس فعنف ابن حزم على ذلك لان التسليم بجميع ما في كتاب البخاري اصبح سنة فلا يمكن لاحد ان يعمل بحرية الراي ومع هذا فان بعض الحفاظ وكبار المحدثين تناولوه بالنقد بصراحة كل حسب رأيه وذكرنا بعضها في ذكر الصحيحين وبعضها سيأتي فمثلا احمد أمين^(٤) ذكر ما يلي: -

(١) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن (بردزيه) ومعناه بالعربية الزراع وكان جده المغيرة مجوسياً كآبيه أسلم على يد اليمان البخاري الجعفي لذلك قيل للبخاري جعفي لانه مولى يمان الجعفي ولد سنة ١٩٤، وتوفي سنة ٢٥٦ نقلا عن الامام الصادق والمذاهب الأربعة ١: ٧٧.

(٢) قواعد التحديث: ٢٤١.

(٣) تهذيب التهذيب ٨: ١٤٦.

(٤) ضحى الاسلام ٢: ١١٦.

وذكر الذهبي ايضا لما استوطن البخاري نيسابور ووقع بين الذهلي والبخاري ما وقع ونادى عليه ومنع الناس عنه وانقطع اكثر الناس عنه الخ في احاديث عديدة حتى قال فخشى البخاري وسافر^(١).

والخلاصة: فلا تذهب بعيدا عن الواقع فنقول ان كل ما في صحيح البخاري يلزم الاعتقاد به والتصديق له وان عدم التصديق بدعة كما ذهب إلى ذلك كثير من المقلدين الذين لا يعقلون فان كتاب البخاري لا يخلو من احاديث لا تتصف بالصحة كما لا يخلو من احاديث عليها علامة الوضع كحديث (ان النبي كان مسحورا...) وغيرها من الاحاديث التي لا يمكن القول بصحتها لتناقضها او تعارضها مع غيرها مما يصعب الجمع بينهما.

وان العلماء الذين انكروا صحة بعض احاديثه لم ينكروها إلا بادلة قامت عندهم كما انتقدوا رجاله وطعنوا في كثير منهم لانهم اناس لا قيمة لهم في ميزان الصدق والعدالة ومنهم ضعفاء وغيرهم كما سيأتي.

كما وقد اخرج البخاري احاديث لاناس لم يسلموا من الطعن سواء في العقيدة او العدالة او الوثاقة وان القول بان تخريج البخاري هو دليل الوثاقة وشاهد العدالة وان من يروي له البخاري فقد جاز القنطرة كما يقول بعضهم فهذا مجرد افتراض لا يدعمه دليل وتخالفه القرائن والشواهد فليس قوله في الشخص هو الحكم العدل والقول الفصل فالخلاف في الجرح والتعديل لم ينته إلى أحد او يقف عند قول أحد على انهم قد احصوا على البخاري اخطاء في معرفة الرجال واسمائهم كجعله اسم الرجل الواحد اسمين او ثلاث كالوليد بن ابي الوليد مولى

(١) سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٥٦.

نقله عنه الذهبي^(١). انه كان كذاباً ثم دافع عنه حتى قال ولا عبرة بترك ابن زرعة وابن ابي حاتم له من اجل اللفظ^(٢).

ومثله قال الحافظ الذهبي قال عبدالرحمن بن ابي حاتم في الجرح والتعديل قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومأتين وسمع منه ابن زرعة وترك حديثه عندما كتب اليهما بن يحيى انه اظهر عندهم بنيسابور ان لفظة بالقرآن مخلوق^(٣) ثم قال الاعتقاد باللفظية في أمور كثيرة لا مجال لذكرها.

ثم قال ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن البخاري فاتهموه فانه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه^(٤).

واورد ابن حجر هذا وغيره من الكلام في مقدمة شرح البخاري في هدى الساري^(٥).

وقال الذهبي قال الحاكم حدثنا... سمعت محمد بن يحيى يقول قد اظهر هذا البخاري قول اللفظية واللفظية عندي شر من الجهمية^(٦).

(١) المغني في الضعفاء ٢: ٥٥٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٩١.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٩١.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٥٥.

(٥) هدى الساري ٢: ٢٦٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢: ٤٥٥. والجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان أبو محمد السمرقندي الضال المبتدع راس الجهمية هالك في زمن صغار التابعين وعلمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً. ميزان الاعتدال ١: ٤٢٦.

العابثين وزيادة المتأولين واطافات كثيرة عليه من بعده كما صرح ابن حجر وغيره واللفظ له عن ابراهيم بن احمد المستملي قال انتسخت كتاب البخاري من اصله الذي كان ثم صاحبه محمد يوسف الفريري فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئاً ومنها احاديث لم يترجم لها فاضفنا بعض ذلك إلى بعض. وقال ابو الوليد الباجي ومما يدل على صحة هذا القول ان رواية ابن الهيثم الكشمهيني ورواية ابي زيد المروزي مختلفة بالتقدم والتأخير مع انهم جرارا من اصل واحد وانما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان من طرة او رقعة مضافة انه من موضع ما اضافه اليه^(١) وهذا يوضح لنا ان النساخ قد اضافوا وحذفوا منه كل حسب مرامه وتقدم أمثال هذا في ذكر الصحيحين.

بغض البخاري،

ليس من القصد ان نعرض لعقيدته البخاري مهما كانت ولكن لامر ذا اهمية ان نتعرف على السبب لتخريج البخاري احاديث اناس عرفوا بالنصب والعداء لامير المؤمنين عليه السلام واشتهروا بلعنه وسبه من خوارج وغيرهم فان من الحق واجب العلم ان نستنكر على البخاري ذلك.

ولعل هناك امور لم تخفى على المتتبع لسيرة البخاري وهو الداعي له على اقدامه لروايته عنهم واحتجاجه بهم وتصحيح اقوالهم وقد تناسى الثابت الصحيح المتواتر قوله صلى الله عليه وسلم لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وكان حبه صلى الله عليه وسلم

(١) التعديل والتجريح ١: ٣١١. مقدمة فتح الباري ١: ٦.

عبدالله بن عمر وهارون بن سعيد مولى قريش وكثير بن خنيس وغيرهم فقد جعل اسمين لكل واحد منهم وكذلك جعل محمد بن ايوب اليماني ثلاثة اسماء وهو واحد كما نسب عبدالمملك بن اخي القعقاع إلى القعقاع وذكر في باب النون اسم ناسخ الحضرمي وهو عبدالله بن ناسخ الذي يروي عنه شرحبيل بن شعبة إلى غير ذلك.

ثم ان البخاري قد يقع له الغلط في أهل الشام وذلك انه اخذ كتبهم فرمبا ذكر الواحد منهم بكنيته ويذكره في موضع آخر باسمه ويتوهم انهما اثنان^(١). وقد كان البخاري يروي بالمعنى كما حدث الخطيب البغدادي ان البخاري قال يوما رب حديث سمعته بالبصرة كتبه بالشام ورب حديث سمعت بالشام كتبه بمصر فقيل له يا ابا عبدالله بكماله؟ فسكت^(٢).

ورحل إلى البلاد في طلب الحديث ووضع كتابه وخطا فيه خطوه جديدة في جمع الحديث اذ لم يقتصر على رواية بلد واحد كغيره من علماء الحديث والذي يظهر ان تلك الخطوة اخذها عن علي بن المديني وذلك ان ابن المديني راغبه بالمال على ان يرى الكتاب يوما واحد فاعطاه له فدفعه إلى النساخ فكتبوه ورده إليه ولما علم ابن المديني اغتم لذلك حتى مات بعد يسير واستغنى البخاري عنه بذلك الكتاب وخرج إلى خراسان ووضع كتابه الصحيح^(٣).

واضافة إلى ذلك فقد نقل العلماء ان صحيح البخاري لم يسلم من عبث

(١) تاريخ بغداد ١٣: ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) مناقب الشافعي للرازي ٢: ١١.

(٣) تهذيب التهذيب ٩: ٤٦. شرح معاني الآثار ١: ٥٠.

ولا في فضيلة ذكروا وربما يصحح الحديث المنكر والضعيف فيهم او يتر ويحذف ما يشينهم وهو كثير.

كما تقدم قبل قليل ان البخاري تجنب الرواية عن الامام جعفر بن محمد الصادق في حين يذكر تلامذته ولكنه يترك بترك الروايات التي يرونها عنه.

ويروي في صحيحه عن بعض الخوارج والنواصب وغيرهم كما سيأتي في حين يروي عن ابي سفيان وابنه معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب واضرابهم ولم يروي عن الامام سيد شباب الجنة وسبط الرسول الامام الحسن حديثاً قط وعن سيد النساء بضعة الرسول فاطمة الزهراء إلا حديثاً واحداً ولم يروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب إلا تسعة وعشرين حديثاً في الامور العامة بينما يرى عن ابي هريرة اربعمائة وستة واربعين حديثاً وعن عبدالله بن عمر بن العاص مائتين وسبعين حديثاً وعن عائشة اربعمائة واثنين واربعين حديثاً.

فما أدري لماذا قلت نسبة الامام علي عن هؤلاء؟! اكانوا اكثر منه صحبة لرسول الله ام اعلم منه ام كان من الذين وصفهم ابو هريرة بكثرة الصفق بالاسواق ام ماذا؟

فحتماً قد تأثر البخاري بما وصل إليه من الفترة المظلمة التي سادت بها الفوضى والانحراف بما سنه معاوية واتباعه وفرضه على الامة بدلاً عن السنة في كافة الاقطار من السب والشتم لامير المؤمنين والزمهم بلعنه على المنابر واوجبه في صلاة الجمعة وامر الخطباء بتنقيصه وثلبه وهدد لمن يذكر له فضيلة هدمت عليه داره واودع في السجون الرهيبة وتقدم تفصيل الحديث في رسائل معاوية.

المقياس الذي اشتهر بين الصحابة بمعرفة المنافقين وجاء عن ابي سعيد الخدري وغيره (كنا في عهد رسول الله ﷺ نعرف المنافقين ببغضهم عليا وتركهم الصلاة) من ذكر الحديث.

ولا يحتمل ترك البخاري للاحاديث الصحيحة في فضائل امير المؤمنين وأهل البيت لم يكن لعدم وثوقه في صحتها او توثقه عن ذكرها كما اثبتتها الصحاح الاخرى ولم تكن عن قلة في عددها حتى لم يتسنى له الاطلاع عليها وهي التي لاتعد ولا تحصى وذكر في شراح صحيحة كما في فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧: ٧٥.

وقال الامام احمد بن حنبل وإسماعيل القاضي والنيسابوري وابو علي النيسابوري وغيرهم في قولهم لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الجياد بمثل ماجاء في علي بن أبي طالب وتقدم ذكره والمعاجم بلا استثناء ومن هذا العدد الذي لا يحد فان البخاري لم يخرج منه إلا ثلاثة احاديث من فضائله مع الاسف يظهر عليه التكلف وكأنما يتجرع الحنظل ويترك الكم الهائل من الاحاديث عامدا مقتصدا غير مبال ولم يخشى العاقبة.

وقد تجنب رواية حديث الغدير في صحيحه واهماله راسا وهو الحديث المستفيض المتواتر افلا يعترينا الشك بعد هذا بانحرافه عن امير المؤمنين وأهل البيت ﷺ والشواهد على ذلك كثيرة وقد اعترف به بعض علمائهم كما لا يخفى على من طالع كتاب استقصاء الافحام وسنعرض لبعضها خلال الاحاديث القادمة.

واضافة لذلك نجد البخاري يذكر الاحاديث الكثيرة لاناس ليس بمستوى امير المؤمنين في منزلته فلا بجهد عرفوا ولا بعلم وصفوا ولا في شرفه نسبوا



الفصل الخامس عشر

رجال الصحاح الستة



فلا نستغرب بعد هذا ان احتملنا ان الشيخ البخاري قد استولى ذلك الانحراف اورث تلك النزعة من بعض الشيوخ والاساتذة الذين وصفهم الامام الغزالي بقوله ومن نتائج ذلك ان نهض لطلب العلم رجال طلبوا لاجل الدنيا يتقربون به إلى الحكام لينالوا لديهم المحضوة والجاه وينالوا من دنياهم فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلةً بالاقبال عليهم إلا من وفقه الله^(١) وقليل ما هم.

(١) نقلًا عن الدهلوي في حجة الله البالغة ١: ٣٣٢. والانصاف: ٨٧.

ومن نتائج تلك الفترة المظلمة التي سادت بها الفوضى ووضع الأحاديث والانحراف بما سنة معاوية واتباعه وفرضه على الأمة بديلا عن السنة النبوية الصحيحة وعممه في كافة الاقطار.

واخطر ما في هذا الإنحراف أن يقع فيه رجال من الصحابة وبعض التابعين كما حصل لعمر بن العاص وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وسمر بن جندب وغيرهم... وتقدم ذكرهم وما رووا.

وان حال هؤلاء في بيع اخرتهم بالدنيا وشهواتها مشهور ومعروف ويكاد لا يخلو منه مصدر من مصادر التاريخ ولم يتردد في رواية ذلك حتى أشد الناس تعصبا لهم وذبا عنهم من مؤرخين وأصحاب السير^(١) وقد واصل معاوية سيرته تلك مع بعض التابعين من هواة المناصب والتقرب للسلطة أن يشتري منهم دينهم بالثمن البخس وحتى سخر من بعضهم وقال: لقد هان عليهم دينهم^(٢) وهكذا تجري الأمور وسار عليها من سار في ذلك العهد الذي أصبح فيه البغي طريقا إلى تولى الخلافة الإسلامية ويحل فيها السيف والقهر والاغراء والرشوه والمكر والخداع.

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٢٧، وص ٢٥٣. تاريخ ابن خلدون ٣: ١٣، ص ١٩. تاريخ يعقوبي ٢: ٢١٩ -

٢٣٠. المعارف لابن قتيبة: ١٥٨. سير أعلام النبلاء ٢: ١٠٩. البداية والنهاية ٨: ١١٧. الكامل في

التاريخ ٣: ٤٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٤٣. الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٤. كما مر مع وفد الكوفة الى معاوية.

رتب حسب الحروف الهجائية للمرحوم الشيخ المظفري في مقدمة كتابه دلائل الصدق وقد اختصره من كتابه المسمى (الافصاح عن احوال رجال الصحاح) وهو يشتمل على جل المجروحين منهم وجل المطاعن فيهم وخشية التطويل نذكر من الجدول قدر الحاجة والبيان لتجلي الأمر لمعرفة رجال الصحاح والاعتبار بأحاديثها وكما قيل بمعرفة الراوي تقدر الرواية وقيمتها السندية والاعتبار أو الاحتجاج بها.

وقد اختصر في النقل على كتابي ميزان الاعتدال للذهبي ورمز إليه (ن) وتهذيب التهذيب لابن حجر ورمز إليه (يب) دون غيرها فإن اتفقا في النقل ذكره بعد اسم صاحب الترجمة بلا نسبة لاحدهما وأن اختص أحدهما بالنقل ذكره بعد الرمز..وكما رمز للصحاح.

(خ) إلى صحيح البخاري.

(م) لصحيح مسلم.

(س) للنسائي.

(د) لأبي داود.

(ت) للترمذي.

(ق) لابن ماجة القزويني.

(ع) لهم جميعا.

(٤) لهم جميعا عدا مسلم والبخاري. وللإختصار أيضاً لم يذكر الصفحة أو

الجزء واعتمد على اسم صاحب الترجمة في الكتاب.

ثم جاء اللاحقون من أهل الجرح والتعديل وتدوين الحديث والتاريخ فاعتمدوا على ما ثبت في ذلك العهد من أحاديث وأخبار وسيرة مدونة وطريقة مرسومة فمن وثقه المأذون وارتضى سلوكه في ذلك العهد فهو الثقة المأذون والصادق المأمون... ومن طعنه اولئك فهو المطعون وحديثه المتروك... ولا شك أن ما يقرب من مئتي عام قبل مجيء الشيخين واستمر هذا الإنحراف والتغيير بتدوين اوسع دواوين الحديث والسيرة وقد قضاها خصوم علي وبنيه في كفاح متواصل لاقضاء ما لا يروق لهم ونشر ما رسمته السياسة لذلك العهد بكل ما عرفوه من فنون الاقصاء والشر.

والا فضع من ذلك أن تعصب لهذا العهد اقوام من أهل الحديث والتاريخ وأصحاب الجرح والتعديل والماضين على اثرهم بما تورثوه من اسلافهم وظنوا أنه الحق دون أن يلتفتوا إلى اصله وحقيقته.

وبعد هذا فلا شك أن يدخل من هذه الأحاديث إلى الصحاح وخاصة بالاعتماد على هؤلاء الرجال وبمروياتهم بالرغم مما زعمه أصحابها أنهم اختاروها من الآلاف واثبتوا ما صح عندهم. ولكن قرائن الحال والشواهد الكثير تثبت لنا عكس المزاعم والادعاءات وبنظرة سريعة على جدول رجال الصحاح وما ظهر فيها من النواصب والخوارج وأصحاب البدع والفرق الضالة وغيرهم سوف يوافقنا بالشك بما تسرب منها إلى أحاديث الصحاح ورجالها من تلكم الأحاديث.

ولا يسع عرض كل الأقوال فيهم ولا في كل المعاجم وأصحاب التراجم الكثيرة من أصحاب الجرح والتعديل بل اختصره على نماذج ونقتطفه من جدول

فهؤلاء المبتدعة ممن أخرج لهم الشيخان أو أحدهما^(١).

بل نص جماعة منهم على قبول رواية المبتدع الداعي^(٢) وقد دافع ابن الوزير في (الروض الباسم) عن هذا القول وهو ظاهر كلام الشافعي المتقدم نقله فإنه لم يفرق بين الداعية وغيره بل نصوا على اخراج الشيخين عن بعض الدعاة فاحتج البخاري بعمران بن حطان وهو من الدعاة واحتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وكان داعياً إلى الإرجاء بل عن أبي داود ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج^(٣) أي من رجال (الصحاح الستة) قتادة بن دعامة السدوسي (يب) قال ابن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: أن عبد الرحمن يقول: اترك كل من كان راساً في بدعة ويدعوا إليها قال: كيف تصنع بقتادة وابن أبي داود وعمر بن ذر وذكر قوماً وقال ابن حبان: كان مدلساً على قدر فيه.

وذكر في مقدمة فتح الباري^(٤) طعن رجال بسبب معتقدتهم في رجال صحيح

البخاري.

(١) تدريب الراوي ١: ٣٢٨.

(٢) كما في الكفاية في علم الرواية: ١٢٦ و١٣٠ وذكر الأقوال عن أئمة أصحاب الحديث في جواز الرواية عن أهل البدع والأهواء ومثله السيوطي في مفتاح النجا: ٣٨ وسير أعلام النبلاء ٤: ٢١٤، وفي ترجمة عمران بن حطان كما في ميزان الاعتدال ٥: ٢٨٥ وتهذيب التهذيب ٨: ١١٣، وتهذيب الكمال ٢٢: ٣٢٣، وتدريب الراوي ١: ٢٢٦ حتى أفرط بعضهم في توثيقهم فعن أبي داود: ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران بن حطان وحسان الأعرج. الكفاية في علم الرواية: ١٣٠.

(٣) مقدمة فتح الباري: ٤٣٢، سؤالات الآجري لأبي داود ٢: ١١٧. تاريخ ابن عساكر ٤٣: ٤٨٩. تهذيب الكمال ٢٢: ٣٢٣. ميزان الاعتدال ٣: ٢٣٦. سير أعلام النبلاء ٤: ٢١٤. تهذيب التهذيب ٨: ١١٣.

(٤) مقدمة فتح الباري: ٣٨٢.

أصحاب البدع في رجال الصحاح

ذهب جمع من علماء أهل السنة السلف والخلف إلى قبول رواية المبتدع كما نص عليه البعض من محققيهم.

فقال ابن الصلاح: اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر ببدعته فمنهم من رد روايته مطلقاً لأنه فاسق ببدعته وكما استوى في الكفر المتأول وغير المتأول يستوى في الفسق المتأول وغير المتأول وذكر أقوالاً...^(١).

وذكر النووي بعد إيراد الأقوال المذكورة.. في الصحيحين وغيرهما من كتب أئمة الحديث والاحتجاج بكثير من المبتدعين غير الدعاة ولم يزل السلف والخلف على قبول الرواية منهم والاحتجاج بها والسماع منهم واسماعهم من غير انكار منهم والله اعلم^(٢).

وقال السيوطي: فائدة أردت أن أسرد أسماء من رمى ببدعة ممن أخرج لهم البخاري ومسلم أو أحدهما... فذكر أسماء طائفه ممن رمى بالارجاء وهو تأخير القول في الحكم على متكب الكبائر بالنار وممن رمى بالنصب وهو بغض علي عليه السلام وتقديم غيره عليه وممن رمى بالتشيع وهو تقديم علي عليه السلام على الصحابة وممن رمى بالقدر وهو زعم أن الشر من خلق العبد وممن رمى برأي ابن أبي الجهم وهو نفي صفات الله والقول بخلق القرآن والاباضية وهم الخوارج وممن رمى بالوقف في مسألة خلق القرآن ومن الذين يرون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك قال:

(١) علوم الحديث: ٢٣٠.

(٢) شرح مسلم ١: ٦١.

فما بال القوم أئتمنوه واشباهه على دينهم بقبول الرواية به عنهم ووصفوه بالصلاح ولم ارى من ينسب إليه الخلاف وترك الرواية عنه غير زائدة وأبي عيينة وابن جرير.

أقول: وبعد ان وصفوه انه صاحب بدعة فماذا نضع بقول احمد حيث يقول انه لا يصلي على الخوارج ثم قال أهل البدع ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تصلوا عليهم.

وقال مالك لا يصلى على الاباضية ولا القدرية وسائر اصحاب الاهواء ولا تتبع جنائزهم ولا تعاد مرضاهم والاباضية صنف من الخوارج الخ.
ثم اعود واسئل لو ان تارك صلاة الجمعة والجماعة اربعين يوما او نال من معاوية أحد من رجال الشيعة لنهالوا عليه بالتفسيق والتكفير وتركوا حديثه ولكن هون عليهم ذلك انه خرج على امام زمانه امير المؤمنين واعلن بغضه فتسامحوا عن سيئاته وبرروا بغضه ووثقوه حتى احتجت به صحاحهم اضافة إلى توثيق جماعة منهم كما في ترجمته ومع استفادة الأخبار بان الخوارج مارقون عن الاسلام والدين كما تقدم فهم خارجون عن الاسلام حقيقة ومنافقون فما بال القوم ائتمنوهم على دينهم بقبول الرواية عنهم ووصفوهم بالصلاح.

عمران بن حطان،

(خ د س) (من رجال البخاري وأبي داود والنسائي).

عمران بن حطان لعنه الله وضاعف عذابه (يب) قال الدارقطني متروك لسوء اعتقاده وخبث مذهبه وقال المبرد في الكامل: كان رأس القعد من الصفرية... أقول فأبي عذر للبخاري وغيره الاحتجاج بحديثه وهو من الدعاة إلى النفاق ومذهب

الخوارج في رجال الصحاح

إسماعيل بن سميع الكوفي،

(م د س) أي من رجال مسلم وأبي داود والنسائي.

إسماعيل بن سميع الكوفي بياع السابري قال ابن حجر: كان يرى رأي الخوارج تركته، وقال أبو نعيم: جار المسجد أربعين سنة لم يرى في جمعة ولا جماعة^(١).

وقال عيينة كان بيهسا فلم اذهب إليه ولم اقر به وتركه زائدة لمذهبه (يب) قال محمد بن يحيى: كان بيهسيا ممن يبغض علياً عليه السلام والبيهسية طائفة من الخوارج ينسبون إلى راسهم ابن بيهس^(٢).

وقال الازدي كان مذموم مرضي المذهب يرى رأي الخوارج.

ثم وصفوه انه صاحب بدعة وقالوا صدوق تكلم فيه لبدعة الخوارج. وعن أنس وجماعة وعنه شعبة وعلي بن عاصم ثقة فيه بدعة... الخ^(٣).

ومع استفاضة الأخبار وربما تواتر نقله بأن الخوارج مارقون عن الإسلام والدين كما تقدم ذكرهم فهو خارجون عن الإسلام حقيقة ومناققون.

(١) تهذيب الكمال ٣: ١٠٧، ضعفاء العقيلي ١: ٧٨، ميزان الاعتدال ١: ٣٩٠.

(٢) وقال الازدي كان مذموم مرضي المذهب يرى رأي الخوارج ثم وصفوه انه صاحب بدعة وقالوا صدوق تلکم فيه لبدعة الخوارج وعن انس وجماعة وعنه شعبة وعلي بن عاصم ثقة فيه بدعة... الخ. من له رواية في كتب السنة / الذهبي ١: ٢٤٦.

(٣) تقريب التهذيب ١: ٨، الكاشف ١: ٢٤٦.

عكرمة البربري

عكرمة روت له عامة الصحاح والمسانيد وقد يطول الحديث عنه فاقتطف من بعض كتب الجرح والتعديل ومعاجم التراجم لتتعرف بنبذة عن شخصيته وقيمه رواياته وبعض فتاواه.

(٤) أي اشارة إلى الصحاح الستة

عكرمة البربري مولى ابن عباس وقد كذبه ابن المسيب وابن عمر ويحيى بن سعيد^(١).

وفي (ن) قال محمد بن سيرين: كذاب وفي (يب) قال ابن ابي ذئيب غير ثقة ويروى عن ابن المسيب انه كذب عكرمة والخصيب بن ناصح.

وقال ابن المديني انه يرى راى الاباضية ومرة قال بلفظ يرى راى نجدة الحروري وعن عطاء بن ابي رباح ان عكرمة كان اباضياً.

وقال الشافعي قال مالك لا ارى لاحد ان يقبل حديثه^(٢).

وقال عبدالله بن الحارث دخلت على علي بن عبدالله بن العباس وعكرمة مقيد على باب الحش^(٣).

فقلت له: ألا تتقي الله؟

فقال ان هذا الخبيث يكذب على أبي^(٤).

(١) الضعفاء لابن الجوزي ٢: ١٨٢. والذهبي فيمن تكلم فيه ١: ٣٦. المغني في الضعفاء ٢: ٤٣٨.

(٢) ولمالك أقوال عديدة في عكرمة.

(٣) الكنيف.

(٤) ضعفاء العقيلي ٣: ٣٧٣ - ٣٧٤. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤. سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣. الضعفاء

والمتروكين ٢: ١٨٢.

السوء وعنده أن الداعية لغير مذهبهم غير معتبر الرواية وأن زعم (د) أن الخوارج اصح ذوي الاهواء حديثاً.

وقال ابن حجر في الاصابة وكان من رؤوس الخوارج من القعدية وهكذا كل من ترجم له نص على ذلك.

وذكر أبو الفرج الاصفهاني: انما صار قعدياً لما عجز عن الحرب^(١).

على أنه قد رده في (يب) فقال: ليس على اطلاقه فقد حكى ابن أبي حاتم عن القاضي عبدالله بن عقبة وهو ابن لهيعة عن بعض الخوارج ممن تاب أنهم كانوا إذا هؤوا أمراً صيروه حديثاً^(٢).

وهذا مروقهم عن الدين كما جاء عن سيد المرسلين ﷺ في أحاديث كثيرة تقدمت وبعد هذا فهل يرجى لمن لا يحترم دماء المسلمين وأموالهم ولا يرعى لآخى النبي ونفسه وامام زمانه أن يكون صادقا في قوله ثقة في نقله وقد ذكر في (يب) أن بعضهم اعنذر للبخاري بأنه أخرج عنه الحديث من قبل أن يرى ما رأى فقال: (فيه نظر) لأنه أخرج له من رواية يحيى بن كثير عنه وإنما سمع منه في حال هربه من الحجاج... فهل يبقى للبخاري عذر إلا أنه ربما كان يعظمه ويشكر له قوله في مدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين بايياته: (يا ضربة من تقي ما أراد بها) إلى الابيات وتقدمت.

(١) تهذيب التهذيب ٨: ١١٤. الاصابة ٥: ٢٣٢، رقم [٦٨٩١].

(٢) تهذيب التهذيب ٨: ١١٤. ونقله ابن الأثير في جامع الأصول في الفرع الثالث.

وقال عطاء بن أبي رباح كان اباضيا وقال مصعب الزبيري يرى رأي الخوارج وقال يحيى بن بكير الخوارج الذين بالمغرب عنه اخذوا^(١).
وعن أبي الأسود قال كنت اول من سب لعكرمة الخروج إلى المغرب وذلك اني قدمت من مصر إلى المدينة فلقيني عكرمة وسألني عن أهل المغرب فاخبرته بفضلهم قال فخرج إليهم فكان اول ما حدث فيهم رأي الصفرية^(٢).
وعن أبي طالب سمعت احمد بن حنبل يقول ان عكرمة من اعلم الناس ولكنه كان يرى رأي الصفرية ولم يدع موضعا إلا خرج إليه خراسان والشام واليمن ومصر وافريقية كان يأتي الامراء فيطلب جوائزهم^(٣).
اقول: فتبين ان الرجل يجوب الاقطار يدعو إلى مذهب السوء والضلال ومن كان كذلك قالوا لا يقبل قوله ولا يأخذ برأيه فما يقول اصحاب الصحاح والمسائيد الذين احتجوا به وصححو روايته واخذوا دينهم منه وهو لا دين له.
ثم ذهب إلى الأمراء يطلب جوائزهم ويفتيهم بما يوافق هواهم.

بعض فتاواه:

عن حماد بن زيد سمعت ايوب يحدث عن عكرمة قال: انما أنزل متشابه القرآن ليضل به^(٤).

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٩٦. تاريخ ابن عساكر ٤١: ١٢٠. ميزان الاعتدال، وتهذيب التهذيب، وتهذيب

الكمال ١٣: ١٧٢.

(٢) الكامل في الضعفاء ج ٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٩٦.

(٤) ضعفاء العقيلي ٣: ٣٧٣.

وذكر ابن الجوزي^(١) قال ابن عمر لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس وكذلك قال سعيد بن المسيب لمولاه برد وقد كذبه. وسئل محمد بن سيرين عن عكرمة فقال ماسؤني ان يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب^(٢).

قال الذهبي: وذكر عند أيوب عكرمة أنه لا يحسن الصلاة، فقال أيوب: وكان يصلي؟!^(٣)

وقال أيضا عن الفضل السنائي قال رايت عكرمة قد اقيم قائما في لعب النرد وقدم عكرمة البصرة فأتاه أيوب ويونس وسليمان التميمي غناه فقال اسكتوا ثم قال قاتله الله لقد اجاد فاما يونس وسليمان فما عاد اليه.

وعن مطرف قال سمعت مالكا يكره ان يذكر عكرمة ولا راى ان يروي عنه. وقال احمد بن حنبل ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة...

وقال ابو بكر: سمعت يحيى ابن معين يقول انما لم يذكر مالك عكرمة لانه كان ينتحل راى الصفرية وكذلك قال احمد يرى راى الخوارج الصفرية^(٤).

وقال مصعب بن عبدالله: كان عكرمة يرى راى الخوارج وادعى على ابن عباس انه كان يراه^(٥).

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٩٦. تهذيب التهذيب ٧: ٢٢٣٧. تاريخ ابن عساکر ٤١: ١٠٧. الضعفاء والمتروكين ٢: ١٨٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٩٤. سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٩٥.

(٤) ميزان الاعتدال ٣: ٩٦. فيمن تكلم فيه ١: ١٣٦.

(٥) التعديل والتجريح ٣: ١١٥٠.

وقيل لمحمد بن سيرين ان عكرمة يؤذينا ويسمعنا ما يكره قال فقال لي كلا مافيه لئن اسال الله ان يميتته ويرحنا منه^(١).

وقال مصعب الزبيري كان عكرمة يرى راي الخوارج فطلبه متولي المدينة فتغيب واختفى عند داوود بن الحصين حتى مات عنده.

ويرى ان عكرمة وكثير ماتا في يوم واحد فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة^(٢).

وسياتي الحديث عن عكرمة في ذكر الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣).

ولم اذكر كل الاقوال في عكرمة خشية التطويل ومن اراد المزيد فليراجع ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب وتهذيب الكمال والضعفاء لابن الجوزي والكامل في الضعفاء.

زيد بن ابي انيسة،

ذكر ابن منجويه حيث اعتمده مسلم وروى عنه في صحيحه وغيره من الصحاح وقال احمد في حديثه بعض النكارة^(٤).

وذكر ابن حجر زيد بن ابي انيسة من رؤوس الخوارج ذكره ابن حزم في

(١) ضعفاء الرجال ٥: ٢٦٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٩٥.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الرواة النقات ١: ٩٦. الضعفاء لابن الجوزي ١: ٣٠٣.

وعن خالد بن عمران قال: كنا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم فقال
وددت ان بيدي حربه فاعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا^(١).

وعن ابن المديني عن يعقوب الحضرمي عن جده قال وقف عكرمة على باب
المسجد فقال ما فيه إلا كافر وكان يرى رأي الاباضية^(٢).

وعن عكرمة في الرجل يذبح ولا يسمى قال لا بأس به^(٣).

وعن عكرمة انه كره اجارة الارض فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال كذب
عكرمة سمعت ابن عباس.... المصدر السابق.

وسئل عكرمة ايجتمع الصائم قال يخبر الصائم

وسئل أيضاً عن الصلاة في ثوب واحد قال: ما يحمله على ان يقيم ايره
كأنه وتد في الصف.

وقيل لسعيد بن المسيب ان عكرمة يقول ان رسول الله تزوج وهو محرم
فقال: كذب مخبثان^(٤).

وأمثال هذه الفتاوى كثيرة وكذبه بعض الصحابة حتى عن طاووس قال لو
ان عبد عبدالله بن عباس (يعني عكرمة) اتقى وكف عن حديثه لشددت إليه
المطايا.

وقيل أيضاً للمسكين لو اقتصر على ما سمع كان قد سمع علما

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٩٥.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٩٥.

(٣) ضعفاء الرجال ٥: ١٢٦٦.

(٤) تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٠. سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣.

كتبا وكان يرى رأي الخوارج^(١) وقال الدار قطني^(٢) لا بأس به إلا أنه يتهم بشيء من رأي الخوارج ويتهم بالاحداث.

وقال الاجري عن ابي داود كان من اثبت الناس وقال ابو حاتم السجستاني كان يميل الي لانه كان يضمني من خوارج سجستان.

وذكر ابن حجر^(٣) مثل قول ابن قتيبة عن ثعلب ثم قال وعمل كتاب المثالب الذي يطعن فيه على بعض اتباع النبي ﷺ إلى ان يقول وكان مع ذلك كله مدخول النسب وذكر المزني^(٤) قال رجل لابي عبيدة يا ابا عبيدة قد ذكرت الناس وطعنت في انسابهم فبالله إلا ما عرفتني ما كان ابوك ما اصله قال حدثني ابي ان اباه كان يهوديا بباجروان.

أقول: ما هي الصفة الحميدة في هذا الرجل حتى ان البخاري ومن تبعه يثقوا بقوله ويعتمدوا على رايه وياخذوا أمر دينهم من هذا واشباهه.

وبهذا اكنفى من ذكر الخوارج في رجال الصحاح واصحاب البدع والضلال ومن راجع معاجم رجال الجرح والتعديل وجد أضعاف ما ذكرنا واختصرت على هذا العدد للتدليل.

(١) سير أعلام النبلاء ٩: ٤٤٥، رقم [١٦٨].. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٢٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٤: ١٥٥. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٢٢.

(٣) تهذيب التهذيب ١٠: ٢٢٢.

(٤) تهذيب الكمال ٢٨: ٣١٧. فهرست ابن النديم: ٥٩.

الملل والنحل وقال زيد بن ابي انيسه المحدث المشهور ومن قول هذا الخارجي ان في هذه الامة شاهدين عليها ولا بد العيسوية من اليهود والنصارى مؤمنون وان دين الاسلام سينسخ على يد نبي من العجم يأتي بقرآن ينزل عليه جملة واحدة. **أقول:** فكيف تقول لاحمد للذي يقول ان في حديثه بعض النكارة وهو على ذلك حسن الحديث.

وما تقول للذي وثقوه واعتمدوا على رواياته حتى وصفوه امام ثقة او كان ثقة كثير الحديث فقيها راوية للعلم^(١).

معمر بن المثنى أبو عبيدة النحوي

اخرج روايته واعتمده البخاري في صحيحه والبيهقي وغيرهم كما ذكرهم السيد احمد الماجد في كتابه وذكر ابن حجر قال وقد اكثر البخاري في جامعه لنقل منه وكما بينت ذلك في الشرح^(٢).

وذكره ابن حبان في الثقات^(٣) وسئل عنه يحيى بن معين فقال ليس به بأس^(٤).

وذكر ابن قتيبة كان الغريب وايام العرب اغلب عليه وكان لا يقيم البيت (وزنا). إذا انشده ويخطأ إذا قرء القرآن نظرا وكان يبغض العرب والف في مثالبها

(١) تهذيب الكمال ١٠: ١٨، ٢٢. الكاشف ١: ٤١٥.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠: ٢٢٢، رقم [٤٤٤]. الرواة الثقات ١: ٩٦. الضعفاء لابن الجوزي ١: ٣٠٣.

(٣) الثقات ٩: ١٩٦.

(٤) الجرح والتعديل ٨: ٢٥٩.

وداعة قال: من سب الصحابة فليس بثقة ولا مأمون^(١).

ومن المؤسف ان نجد العكس لمن نصب العداء لأمر المؤمنين فقولهُ مسموع ورأيه مقبول ويعتذر عنه ويأول حديثه كما نجدّه واضحاً في تراجم جماعة منهم في الصحاح ونعرض لنبذة يسيرة من هذا النمط من النواصب والمنحرفين فزادها وهنا على وهن^(٢).

أزهر بن عبد الله الحمصي:

(د ت س) أزهر بن عبد الله الحرازي ميزان الاعتدال ناصبي ينال من علي وفي التهذيب قال ابن الجارود: كان يسب علياً وساق (د) باسناده إلى أزهر قال: كنت في الخيل الذي سبوا أنس بن مالك فأتينا به الحجاج أقول وثقه العجلي وهو من رجال أبي داود والترمذي والنسائي^(٣).

ونقل عن يحيى يقول أزهر الحرازي وأسد بن وداعة كانوا يجلسون ويسبون علي بن أبي طالب وكان ثور بن يزيد لا يسب علي فاذا لم يسب جروا برجله^(٤).

بسر بن أرطاة:

(د ت س) بسر بن أرطاة قال: أبي معين كان رجل سوء (يب) قال ابن يونس: كان من شيعة معاوية وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز وأمره أن

(١) لسان الميزان ١: ٣٨٥.

(٢) وذكر في دليل المتحررين عشرة من النواصب: ٣٦١.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ١٧٩.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٣١. تهذيب الكمال ٤: ٤٢٧.

النواصب في رجال الصحاح

من المعلوم أن الناصب هو الذي ينصب العداة لأهل البيت عليهم السلام وانه فاسق منافق في الأحاديث الكثيرة وفي صحيح مسلم وغيره أن مبغض علي منافق وكما وصف في الصدر الأول: كان حبه وبغضه علامة النفاق في أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستأتي في حب علي عليه السلام.

ولا ريب أن النفاق أعظم من الفسق كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١) الآية.

والنفاق نوع من الكفر وربما اشد منه؛ وذلك أن النصب أعظم العيوب لأن الناصب منافق كما عرفت والمنافق كافر لأنه يسر الكفر ويظهر الإيمان فيكون اضر على الإسلام من الكافر الصريح وقد ذم الله تعالى المنافقين واعد لهم الدرك الاسفل من النار كما أخبر في كتابه العزيز ولعنهم في عدة مواطن من الكتاب وكذلك لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما لا يحصى من المواطن ومن المعلوم أن الكافر لا تقبل روايته اصلاً في الأحكام وغيرها حتى لو وثقه جماعة كما لا يقبل قول مثله في الرجال وشهادته فيهم مردودة وتوثيقه وتضعيفه غير مسموع.

وجاء عن ابن معين كما حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٢) من أن كل من شتم عثمان أو طلحة أو أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. كما نقل أيضاً في ترجمة اسد بن

(١) الحجرات: ٦.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٥٠٩.

المنبر^(١) وغير هذا كثير !

ومن لاحظ كتب التراجم وكتب الرجال كتهذيب وتاريخ بغداد وتاريخ دمشق لابن عساكر وبغية الطالب في تاريخ حلب وتاريخ الذهبي وغيرها تجدها كلها تحكى عن حريز بأنه كان ناصبا مبغضا لأمر المؤمنين يسبه ويلعنه كل صباح ومساء تجدها أيضاً تحكى أن أحمد بن حنبل قال: ثقة ثقة ليس بالشام كلها اثبت منه واستمر ابن حجر ينقل كلمات الاطراء والتوثيق وتصحيح حديثه^(٢).
فما أدري باى ميزان يوثق هذا الناصبي الخبيث وهكذا تلاعبوا بالدين ومحدث سيد المرسلين بأمثال هؤلاء واحتج به البخاري والأربعة الصحاح ومن المضحك كما في الرياض^(٣) ثقة ولكن يبغض علياً ابغضه الله عزوجل.

خالد بن سلمة بن العاص،

(م ٤) (أي من رجال مسلم والأربعة الصحاح).

خالد بن سلمة بن العاص المخزومي المعروف بالفأفاء قال: ابن جرير كان مرجئاً ويبغض علياً عليه السلام^(٤) (يب) قال: ابن عائشة كان ينشد بني مروان الاشعار التي كان يهجو المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم^(٥).

(١) تاريخ بغداد ٨: ٢٦٢. تهذيب الكمال ٥: ٥٧٧. تاريخ ابن عساكر ١٢: ٣٤٩.

(٢) حتى قال ان المدائني لم يزل من ادركنا ومن أصحابنا يوثقونه وكان يلعن أمير المؤمنين وينتقصه وينال منه وقال ان حبان: كان يلعن علياً بالقداء سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة . (تهذيب

التهذيب ٢: ٢٠٧).

(٣) الرياض النضرة ٢: ٢١٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٣: ٨٤.

(٥) تهذيب التهذيب ٣: ٨٣. الكامل ٣: ٢١. تاريخ ابن عساكر ١٦: ٩٢.

يتقرى من كان في طاعته علي عليه السلام فيوقع بهم ففعل بمكة والمدينة افعال قبيحة وحكى المسعودي في مروج الذهب أن علياً دعا عليه بذهاب عقله. وقد فعل بمكة والمدينة وفي اليمن من قتل ونهب في كل قرية يمر بها وحتى الاطفال وتقدم ذكره وفضائعه في عمال معاوية. وفي وقعة صفين عندما فر من مبارزة علي عليه السلام.

حريز بن عثمان الرحبي الحمصي

(خ ٤) (إلى البخاري والأربعة) حريز بن عثمان الحمصي كان من المشهورين بالنصب والمعلنين بالعداء لأمير المؤمنين وكان ينال منه ويقول: لا احب علياً قتل ابائي واجدادي ويقول لنا امامنا (يعني معاوية) ولكم امامكم (يعني علياً) وذكروا فيه أنه داعية لمذهبه السوء وانه كذب على رسول الله في أحاديث ينتقص بها أمير المؤمنين عليه السلام حتى قيل ليحيى بن صالح لم لا تكتب عن حريز فقال: كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة وقال ابن حبان: كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة^(١).

وقال إسماعيل بن عياش: رافقت حريز من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه وقال لي: هذا الذي يرويه الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن اخطأ السامع قلت فما هو قال: انما أنت مني بمكان قارون من موسى! قلت عن ترويه قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله على

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٢١٠. تاريخ ابن عساکر ١٢: ٣٤٩.

خالد بن عرفطة،

(د س) خالد بن عرفطة أو ابن عرفجة (ن) لا يعرف قال أبو حاتم والبيزاع مجهول وزاد أبو حاتم لا اعرف أحدا اسمه خالد بن عرفطة سوى الصحابي ومهما كان فقد خرج على سيد شباب أهل الجنة بكر بلا تحت راية ابن زياد ويزيد وقال: في (يب) قتله المختار بعد موت يزيد وهو من رواة (ت س) -

خالد بن عبد الله القسري،

خالد بن عبد الله القسري (د) اشار إلى اخراج حديثه إلى أبي داود ونسب في التهذيب قوله: وأخرج له البخاري وأبو داود، وعن يحيى الحماني أنه قال: قيل لسيار تروي عن خالد قال: أنه كان اشرف من أن يكذب^(١) كما ذكره ابن حبان في الثقات^(٢) وقال عنه الذهبي: صدوق^(٣) وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وحبيب بن أبي خالد الجرمي وحميد الطويل وإسماعيل بن أوسط بن إسماعيل البجلي وغيرهم كما في تهذيب التهذيب^(٤) والغريب المخجل والمؤسف أن يروي عنه هؤلاء ويصححون حديثه مع ثبوت نصبه لأمر المؤمنين وفسقه وكفره ومجونه وذكر له في التهذيب قول ابن معين كان واليا لبني أمية وكان رجل سوء وكان يقع في علي بن أبي طالب ووصفه العقيلي قال: له أخبار شهيرة وأقوال فضيحة ذكر ابن جرير وأبو الفرج والمبرد وغيرهم ومثله الذهبي في ميزان الاعتدال^(٥) قال

(١) تهذيب التهذيب ٣: ٨٨. سير أعلام النبلاء ٥: ٤٢٦. تاريخ ابن عساکر ١٦: ١٢٨.

(٢) الثقات ٦: ٢٥٦.

(٣) ميزان الاعتدال ٢: ٤١٥.

(٤) تهذيب التهذيب ٣: ٨٧.

(٥) ميزان الاعتدال ٢: ٤١٥.

فقل لي بربك أن أحد من الناس يبغض الشيخين ويسبهما أو رأس الفئة
الباغية معاوية وينشد اشعار الهجاء فيهم فهل توثقه الصحاح وتثني عليه كما
فعلوا مع هذا الرجس المنافق والاعجب من ذلك احتجاجهم بروايته وتوثيقه
واستئناس أئمتهم وخلفائهم بهجاء سيد المرسلين فدليل على أنهم في البغض
والعداء كلهم سواء.

والافضع أن اتخذوا من هذا المنافق حجة في دينهم فقد وثقه الإمام أحمد
ويحيى وابن معين، وقال: شيخ يكتب حديثه، وقال ابن عدي: هو في عداد من
يجمع حديثه وحديثه قليل ولا ارى بروايته بأساً وكان رأساً في المرجئة ويبغض
علياً^(١) (خ د س ت).

الحصين بن نمير الواسطي،

الحصين بن نمير الواسطي (يب) قال ابن خزيمة: اتيته فإذا هو يحمل على
علي عليه السلام فلم اعد إليه^(٢) وروى له مسلم وابو داود والنسائي ووثقه أحمد وابن
معين والقطان وابو حاتم والنسائي وغيرهم وكان يحمل على علي عليه السلام. وروي له
الكثير وصححوا أقواله مع أنه ناصبي كما نص عليه ابن حجر بقوله لا يأتين به
رمي بالنصب^(٣).

(١) الكامل ٣: ٢١، ٢٣.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٣٩٦.

(٣) تقريب التهذيب ١: ١٧١. مقدمة فتح الباري ١: ٤٥٩.

على الله من أنبياءه^(١).

كما ذكر له في الاغاني أقوالاً عديدة فكان يسمي ماء زمزم أم الجعلان أو أم الخنافس وكذلك البلاذري: والله لو كتب لي أمير المؤمنين أن انفضها حجراً حجراً لفعلت يعني الكعبة كما ذكر البلاذري أيضاً والاغاني وأمر خالد ببناء بيعة لأمه فكلم في ذلك فقال: نعم بينونها فلعنهم الله أن كان دينها شرا من دينكم واتخذ كنيسة لأمه في قصر الامارة وكانت امتعت من القدوم عليه فلم يزل بها حتى قدمت الكوفة وأمر المؤذنين أن لا يؤذنوا حتى يضرب النصارى بنوافيسهم وقال: هشام بن الكلبي لما بني خالد البيعة بالكوفة لأمه كتب نصارى البصرة إلى من كلم أمه فكتبت إليه أن يبني لهم بالبصرة بيعة فكتب إلى بلال أن أهل البصرة لا يقاروني على ذلك فكتب إليه ابنها لهم...^(٢) وقيل في ذلك أشعار... الخ.

شيث بن ربيعي

(د س) شيث بن ربيعي التميمي قال: شيث أنا أول من حزب الحروريه (يب) قال العجلي: كان أول من اعان على عثمان واعان على قتل الحسين وقال الدارقطني يقال: أنه كان مؤذن سجاح وقال ابن الكلبي: كان من أصحاب علي ثم صار مع الخوارج ثم تاب ورجع ثم حضر قتل الحسين ثم تولى سبي حريمه وأطفاله من بلد إلى بلد^(٣).

(١) البداية والنهاية ٩: ٧٦. البدء والتاريخ ٦: ٤١.

(٢) والتكملة والاشعار في ذلك في رحاب العقيدة: ٩٧.

(٣) تهذيب ٤: ٢٦٦. الاصابة ٣: ٣٠٣. تقريب التهذيب ١: ٤١١.

عنه: ناصبي يغيظ ظلوم. وبلغ من نصبه أنه لما كان أمير العراق كان يلعن أمير المؤمنين فيقول: (اللهم ألعن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أبي هاشم صهر رسول الله على ابنته وأبا الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنت؟).

كما في شرح النهج^(١) نقل عن المبرد، والبلاذري في أنساب الأشراف، ومثله في الاغاني وذكر له في الاغاني أموراً منجدة كثيرة منها: -

قال أبو جعفر الاصفهاني: قال المدائني في خبره، وأخبرني أبي شهاب بن عبد الله، قال لي خالد القسري: أكتب لي النسب... وكتب لي السيرة فقلت له فانه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: إلا أن تراه في قعر الجحيم^(٢) ودخل عليه فراس ابن جعدة بن هبيرة وبين يديه نبق فقال له: العن علي بن أبي طالب ولك بكل دينار ففعل فاعطاه بكل نبقة دينار وذكر أيضاً وكان له عامل يقال له: خالد بن امي فكان يقول لخالد بن أبي أفضل أمانة من علي بن أبي طالب وبلغ من استهتاره ما ذكره نافع مولى بني مخزوم قال: سمعت خالد يقول على منبر مكة وهو يخطب: أيها الناس أيهما أعظم أخليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم والله لو لم تعلموا فضل الخليفة ألا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحا اجاجا واستسقاه الخليفة فسقاه عذبا فراتا^(٣).

وقوله: أيما أكرم عندكم على الرجل رسوله في حاجته أو خليفة في أهله يعرض بأن هشاماً خبر من النبي صلى الله عليه وآله وكان يقول: والله لأمر المؤمنين أكرم

(١) شرح النهج ٤: ٥٧. نقلاً عن المبرد والبلاذري وأنساب الأشراف ٩: ٥٩، ومثله الاغاني ٢٢: ٢٥.

(٢) الاغاني ٢٢: ٢٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢٢٥. البداية والنهاية ٩: ٩٢. أخبار مكة ٣: ٦٠.

يحمل على علي ومثله ابن معين وعند الذهبي ثقة لكن فيه نصب، والغريب توثيقه مع أنه منافق بل زادوا له بعض الكرامات كما في (يب).

عمر بن سعيد بن العاص:

(م ت س ق) عمر بن سعيد بن العاص الأموي المعروف بالاشدق (يب) ولي المدينة لمعاوية ويزيد ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق ثم قتله عبد الملك بعد ما اعطاه الامان ثم نقل عن الطبري أنه كان واليا ليزيد على المدينة وتقدم ذكر هذا الفاسق الملقب بلطيم الشيطان المخاطب لرسول الله ﷺ عندما جاء نبأ قتل الحسين وهو على المنبر فقال: (ثار بشارت بدر يا رسول الله). فيا عجباً من أصحاب الصحاح كيف يحتجون بروايته ويشقون به في دينهم وهو لا دين له.

لمازه بن زياد:

(د ت ق) لمازه بن زياد الازدي (ن) قال: حضر وقعة الجمل وكان ناصبياً ينال من علي عليه السلام ويمدح يزيد (يب) قال ابن معين كان شتاما يشتم علياً عليه السلام وقال ليبد: قلت له لم تسب علياً، قال: ألا اسب رجلاً قتل منا خمسمائة والفين والشمس هاهنا. وقال ابن سعد: ثقة وقال حرب عن أبيه: كان صالح الحديث واثني عليه ثناء حسناً وقال في (يب): كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالباً وتوهينهم الشيعة مطلقاً ولا سيما أن علياً ورد في حقه: لا يحبه إلا من مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ثم ظهر لي في الجواب من ذلك أن البغض ههنا مقيد بسبب وهو كونه نصر النبي ﷺ لان الطبع البشري يبغض من وقعت منه اساءة في حق المبغض والحب بعكسه وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالباً والخبر في حب علي وبغضه ليس على العموم ثم اعتذر ابن حجر بأقوال تافهة وتناول النصب لعلي

الصلت بن دينار

(ت ف) الصلت بن دينار الازدي أبو شعيب المجنون قال أحمد: متروك وقال يحيى بن سعيد: ذهبت أنا وعوف نعوده فذكر علياً فقال منه (يب) وقال (س)... وقال عبد الله بن أحمد نهاني أبي أن أكتب عنه وقال ابن حبان: كان الثوري إذا حدث عنه يقول: حدثنا أبو شعيب ولا يسميه وكان ينتقص علياً وينال منه^(١).

عبد الله بن زيد بن أسلم العدوي

(ع) عبد الله بن زيد بن أسلم العدوي (ن) مدلس كان له صحف يحدث منه ويدلس (ب) قال أبو معين اولاد زيد ثلاثتهم حديثهم ليس بشيء وقال: وقال العجلي كان يحمل على علي عليه السلام.

أقول: ولربما لهذا قال البخاري: رجل صالح وأخرج حديثه وقال ابن سيرين: ذاك أخي حقاً كما في (ب).

عبد الله بن شفيق

(م ٤) عبد الله بن شفيق العقيلي، قال القطان كان سليمان التميمي سيء الرأي فيه وقال ابن خراش: كان ثقة وكان عثمانيا يبغض علياً (يب) قال ابن سعد: كان عثمانيا ثقة قال العقيلي: ثقة وكان يحمل على علي عليه السلام وقد وثقه جماعة كما في معرفة الثقات^(٢) وتهذيب التهذيب ونقل عن أحمد قوله ثقة وكان

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٣٨١، رقم [٧٦٢].

(٢) معرفة الثقات ٢: ٣٧.

النصب كحريز بن عثمان^(١) (ن) ووثقه أحمد والناس^(٢) وما علمت فيه مقالة سوى قول الحاكم الشيعي: وأخرج البخاري محمد بن زياد وحريز بن عثمان وهما مما اشتهر عنه النصب^(٣).

ولهذا ثارت حمية الذهبي وتعصبه المشهور فأراد الانتقام من الحاكم واتهمه بالتشيع حتى لا يقبل قوله في الرجال. وهذا آخر ما في جعبته من الاتهامات الرخيصة ليخرج تبعه النصب من اسياده. ومن لاحظ الحاكم ومستدركه على الصحيحين تبين له كذب الذهبي وافترائه وما ذنب الحاكم إلا أنه أخرج أحاديث في أمير المؤمنين صحيحة السند على شرط الشيخين ولم يخرجها.

ثم انكر نصب الالهاني فقال: ما علمت هذا من محمد بلي غالب الشاميين فيهم توقف عن أمير المؤمنين من يوم صفين.

وتقدمت الأحاديث في قتال أمير المؤمنين للفئة الباغية في صفين.

وما أدري ما معنى التوقف عن أمير المؤمنين وقد اعلنوا سبه ولعنه على المنابر طيلة حكمهم حتى علموه أبنائهم وخدمهم وحشمهم واستمر الحال إلى خلافة عمر بن عبد العزيز ثم عاد من بعده.

وقد أوصى به معاوية وكتب به إلى جميع الاقطار وألزمه على جميع عماله وتقدم ذكره.

(١) تهذيب التهذيب ٩: ١٥٠، رقم [٢٥٢].

(٢) كما وثقه ابن معين وقال: ثقة مأمون ذكره ابن حبان في الثقات وقال: لا يعتد بروايته إلا ما كان من رواية الثقات عنه. نقلًا عن الغدير ١١: ٨٧.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٥٥١، رقم [٧٥٤٤].

وأهل بيته.

واجابه شيخنا المظفري في مقدمة كتابه ومثله السيد بن عقيل في النصائح الكافية مفصلاً وغيرهما بما لا يسع المقام ذكره.

والخلاصة: أن مقصود ابن حجر أن نفس البغض لعلي والنصب له وسبه ليس نقصاً ولا عيباً تبرئته لأصحابه من ذلك وأن ورد مستفيضاً أو متواتراً: أن من سب علياً وابغضه فقد سب رسول الله وابغضه وفي لفظ فقد سب الله ورسوله وسيأتي الحديث عنه.

ويظهر أن هذا السب والاعتذار عنه عند ابن حجر خاصة لمن نصب العداة والسب لأمر المؤمنين دون غيره وبخلاف من أبغض أو سب أحد الخلفاء أو طغاة الأمويين فليس كذاك فهو ذنب لا يغفر ولا يعذر صاحبه ولا يمكن تأويله أو ليس هذا نصب من ابن حجر أو ليس هذا التعصب المقيت والضلال المردي ولم يكتفي بهذا حتى قال: (أن أكثر من وصف بالنصب مشهور بصدق اللهجة) أو ليس هذا مخالف للحقيقة وتستتر على نصب اشياخه واقوامه ثم أن قوله (مشهور) فكيف اشتهر الباطل وما قيمة اشتهاره وعند من؟ أوليس أنه مخالف لما ذكره سابقاً بترجمة عمران بن حطان كما تقدم قوله (أن الخوارج إذا هووا أمراً صيروه حديثاً) إذن فلا حجة باقوالهم مهما تكلف ولا اعتبار لأحاديثهم مهما تأول اعتذر فما لهؤلاء لا يفقهون حديثاً.

محمد بن زياد الألهاني،

(خ ٤) أي البخاري والصحاح الأربعة)

محمد بن زياد الالهاني أبو سفيان الحمصي (يب) قال فيه الحاكم: اشتهر عنه

المرجئة في رجال الصحاح

بشر بن المهاجر

(م ٤) بشر بن المهاجر العنوي قال أحمد: منكر الحديث يجيء بالعجب وقال ابن حبان: دلس عن أنس وقال العجلي: مرجئي متهم متكلم فيه.

سلام بن عجلان

(خ د س ق) سلام بن عجلان الافطس الأموي قال ابن حبان: ينفرد بالمعضلات عن الثقة ويقلب الأخبار اتهم بامر سوء فقتل صبوا (يب) قال السعدي: كان يخاصم في الارزاء داعية (ن) قال النسوي مرجئي معاند.

شبانة بن سوار

(ع) شبانة بن سوار المدائني قيل اسمه مروان قال أحمد: تركته للارزاء وكان داعية له.

محمد بن حازم

(ع) محمد بن حازم أبو معاوية الضرير (يب) قال أبو زرعة: يدعوا إلى الارزاء وقال (د): كان رئيس المرجئة بالكوفة وقال ابن سعيد: يدلس وذكر في تهذيب التهذيب^(١) وقال الآجري عن ابن أبي داود مرجئا وكان لين

(١) تهذيب التهذيب ٩: ١٢١.

وهل باستطاعة الذهبي أن يرفع الاشكال عن سيده البخاري بانكار نصب الالهاني أو تأويله فما قوله عنه وهو أيضاً يروي عن حريز الذي لا مجال لانكار نصبه وتقدم أيضاً قبل قليل وبهذا القدر من النواصب اكتفي عن ذكر الكثير منهم خشية التطويل.

والذي يظهر أنهم عدوا هؤلاء مجتهدين متأولين لهم اجر واحد في سب علي عليه السلام ولعنه لانهم إذا حكموا بأن من حاربوا علياً مجتهدون ماجورون ومن قتله متأول فمن سبه ولعنه وعاداه أولى بهذا العذر ممن قاتله أو شرك في دمه. ولكن الغريب أنهم لم ينسبوا لمن سب أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم عذرا يعذر به أو محملاً يحمل عليه مما يمنع من التهجم عليه أو الوقعة فيه وتقدم القول في قتلة عثمان.

وقد ثبت عندهم أن مجرد من سب غيره من الخلفاء كاف في سقوط العدالة واختلال الوثاقة بل منهم من حكم بلزوم قتله حداً ^(١) وكذا الذهبي في تقسيم البدعة حتى قال: والمخط علي أبي بكر وعمر (رض) والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتاج بهم ولا كرامة وحتى قال الفريابي: من شتم أبا بكر فهو كافر لا اصلي عليه ^(٢).

(١) مثل السبكي كما في خاتمة الصواعق المحرقة: ٢٨٨.

(٢) المغني ٢: ٤١٩ عن الفريابي. الشرح الكبير ٢: ٣٥٦. ميزان الاعتدال ١: ٥ - ٦.

قال: شعيب ثقة مأمون وقال أيضاً: صدوق الخ^(١) وعن الذهبي في (الكاشف ٢: ١١) شعيب بن إسحاق الدمشقي قال أبو داود: ثقة مرجئي الخ.

مذهب الشراة^(٢)

(ع) داود بن الحصين الأموي مولا هم قال ابن عيينة كنا نتقي حديثه وقال أبو حاتم: لولا أن مالكا روى عنه لترك حديثه وقال ابن حبان: كان يذهب مذهب الشراة. واعتذر له ابن حبان من قول لو ترك حديثه وجب ترك عكرمة لانه كان يذهب مذهب الشراة مثله^(٣).

وكان ابن حبان تحفظ على شبيهه عكرمة الذي ثبت دعواه إلى الارجاء ولم يضعفوه.

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٣٠٤ - ٣٠٥، رقم [٥٩٣].

(٢) مذهب الشراة: سموا بذلك لقولهم شربنا أنفسنا في طاعة الله.

(٣) الفقات ٦: ٢٨٤.

القول وقال مرة كان رئيس المرجئة بالكوفية وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان حافظا متقنا ولكن كان مرجئا خبيثا...

وقال ابو زرعة كان يرى الارجاء قيل له كان يدعو إليه قال نعم. ثم وصفوه بالتدليس تارة واخرى انه يروي عن عبدالله بن عمر مناكير^(١).

يونس بن بكير،

(م د ت ق) يونس بن بكير بن واصل الشيباني الحمال قال (د) يأخذ كلام أبي إسحاق فيوصله بالأحاديث (ن) قال ابن المديني: لا احدث عنه وقال الحجاج: لا استحل الرواية عنه وقال ابن معين: مرجئي يتبع السلطان...

خالد بن سلمة،

(م ٤) خالد بن سلمة المعروف بالففاء، كان مرجئا ويبغض علياً مر ذكره في النواصب.

شعيب بن إسحاق،

(خ م د س ق) شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الدمشقي الأموي مولى رملة بنت عثمان روى عن أبيه وابن حنيفة وتمذهب له... قال أبو طالب عن أحمد: ثقة ما اصح حديثه ووثقه قال أبو داود: ثقة وهو مرجئي وقال ابن معين ودحيم والنسائي: ثقة وقال الوليد بن مسلم: رأيت الاوزاعي يقربه ويدنيه قلت وفي سنة ١٨٩ ارخه ابن حبان في الثقات ونقل أبو الوليد الباجي عن أبي حاتم

(١) التعديل والتجريح ٢: ٦٨٥، رقم [٥٨١]. بحر الدم ١: ٣٦٨.

ثور بن يزيد،

(خ ٤) ثور بن يزيد بن زياد الحمصي كان ابن أبي داود إذا اتاه من يريد الشام قال: ان بها ثورا فاحذر لا ينطحك بقرنيه وقال الوليد: قلت للاوزاعي حدثنا ثور فقال لي: فعلتها وسلمه المعيار كان الاوزاعي سيء القول في ثور (يب) لما قدم المدينة فنهى مالك الخ قال أحمد: نهى مالك عن مجالسة وليس لمالك عنه رواية في الموطأ ولا في الكتب الستة ولا في غرائب مالك للدارقطني. وقال ابن سعد كان جده قتل بصفين مع معاوية فكان إذا ذكر علياً قال لا أحب رجلاً قتل جدي^(١).

وقال الذهبي بترجمته: قال أحمد بن حنبل: كان ثور يرى القدر وكان أهل حمص نفوه واخرجوه وقال أبو مسهر عن عبد الله بن سالم: ادرك أهل حمص وقد اخرجوا ثور واحرقوا داره لكلامه في القدر ونقله ابن حجر في التهذيب و اضاف وقال ابن معين: كان مكحولاً قدريا ثم رجع ثور بن يزيد قدري. وقد نصوا على أنه قدري كما في عمدة القارئ، و خلاصة تهذيب التهذيب^(٢). فكل من ترجم له نص على ذلك وقبلوا روايته.

(١) الطبقات الكبرى ٧: ٣٦٧. تاريخ ابن عساکر ١١: ١٨٦.

(٢) عمدة القارئ ١١: ١٨٧. خلاصة تهذيب التهذيب ١: ١٥٤.

المجسمة في رجال الصحاح

مجاهد بن جبير المفسر،

(ع) مجاهد بن جبير المقرئ المكي (ن) قال أبو بكر بن عباس للاعشى ما بال تفسير مجاهد مخالف أو شيء نحوه قال: أخذ من أهل الكتاب وفي (يب) ما بالهم يقولون في تفسير مجاهد قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب وفي (ن) من انكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾ قال: يجلسه معه على العرش وليس بغريب أن يستنكر هذا التجسيم عن مجاهد فقد رووا عن غيره ما هو اخزى مثل أن الله سبحانه خلق آدم على صورته ومثل أن يدخل رجله سبحانه في النار فتقول قط قط وغيره كثير ولو اردنا تفصيل تلك الأقوال والقائلين بها لطال الحديث وقال في (يب) قال القطب الحلبي في شرح البخاري: مجاهد معلوم التدليس فعنعنته لا تفيد الوصل.

القدرية في رجال الصحاح

الحسن بن ذكوان،

(خ) الحسن بن ذكوان فقد كان قدريا يدلس وعرف بالخطأ وضعفه أحمد وابن معين والنسائي والترمذي وابن المديني^(١).

(١) ميزان الاعتدال ١: ٤٨٩ - ٤٩٠، رقم [١٨٤٤].

الزندقة في رجال الصحاح

محمد بن سعيد المصلوب،

(ت ق) محمد بن سعيد المصلوب الشامي قال (س): الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة وذكره منهم وقال أبو أحمد الحاكم يضع الحديث وقال أحمد: يضع الحديث عمدا وصلبه أبو جعفر على الزندقة (يب) قال ابن نمير: كذاب يضع الحديث وقال أبو مسهر: من كذابي الاردن وقال أحمد بن صالح المصري: زنديق ضربت عنقه وضع أربعة آلاف حديث عند هؤلاء الحمقى وقال ابن حبان: يضع الحديث لا يحل ذكره... وقال خالد بن يزيد الازرق قال محمد بن سعيد: لم ابال إذا كان الكلام حسناً أن اجعل له اسنادا إلى كثير مما قيل فيه.

أقول: وبعد أن ثبت كذب الرجل وزندقته فمن المؤسف أن يروي عنه كبار رواتهم ويحتالوا بالتدليس فقد ذكر (ن) روى عنه ابن عجلان والثوري ومروان الفزاري وابو معاوية والمحاربي وآخرون وقد غيروا اسمه على وجوه سترا على ما ثبت من زندقته وتدليسا لضعفه - إلى أن قال - قال عبد الله بن أحمد بن سواد: قلبوا اسمه على مائة اسم وزيادة قد جمعها في كتاب ومثله في (يب) كما ذكر جماعة كثيرة من اكابر رواتهم الذين رووا عنه وقال في (ن) وقد أخرجه البخاري في مواضع، وضنه جماعة فما أدري هل يخفى أمر الرجل على البخاري أن لم نقل أنه قد دلسه كما دلس عبد الله بن صالح وغيره وعلى فرض الخفاء عليه فهذا جهل كبير من البخاري وعيب عظيم في صحيحه فإذا كان هذا واشباهه ممن

الأباضية في رجال الصحاح

حاجب بن عمر:

(م د ن) حاجب بن عمر الثقفي أبو خشينة (يب) حكى الساجي عن ابن عينية أنه كان أباضياً^(١).

الوليد بن كثير:

(ع) الوليد بن كثير المخزومي مولاهم قال (د): اباضي (يب) قال الساجي: كان اباضياً. ومثله عكرمه وتقدم ذكره^(٢).
وقال في ميزان الاعتدال ثقة صدوق وحديثه في الصحاح وقال ابو داود ثقة إلا أنه باضي ومثله قيل انه قدرى اباضي^(٣).

(١) وهم فرقة من الخوارج.

(٢) ميزان الاعتدال ٤: ٣٤٥، رقم [٩٣٩٧].

(٣) الضعفاء للعقيلي ٤: ٣٢٠، رقم [١٩٢١]. الرواة النقات المتكلم بهم ١: ١٨٤. ميزان الاعتدال ٤: ٣٤٥، رقم [٩٣٩٧].

المدلسون في رجال الصحاح

التدليس هو الكذب الخفي وقال ابن الجوزي هذا خيانة منهم على الشرع^(١)

وقال أيضاً: هو من الخيانات على الشريعة^(٢).

وذكر النووي: التدليس أنواع ثم حرمها جميعاً^(٣).

وبمثال ذلك لو كانت الرواية عن شخص مقبول بواسطة آخر غير مرض فيكون الوساطة ويروونها عن المقبول ابتداءً أو يروونها عن ضعيف ويأتون باللفظ المشترك بين الضعيف أو الثقة ليوهم بالراوي على القاريء أن المراد الثقة حتى يظهر أنه لا يروي إلا عن ثقة إلى غير ذلك من أنواع التدليس ولا يكاد يسلم أحد من روايتهم إلا من عصم الله.

وقال الخطيب: وكان الأعمش وسفيان الثوري يفعلون مثل هذا قال العلائي: وبالجملة فهذا النوع افحش أنواع التدليس مطلقاً وشرها وقال العراقي: وهو قاذح فمن تعمد فعله.

وذكر السيوطي عن شيخ الإسلام في التدليس ثم قال: لا اشك أنه جرح وأن وصف به الثوري والاعمش فلا اعتذر انهما لا يفعلانه^(٤) ثم اعتذر عنهما وعلمه

(١) تلبس إبليس: ٣٤.

(٢) الموضوعات ١: ٥٢.

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم ١: ٣٣.

(٤) تدريب الراوي ١: ١٨٦.

اشتهر بالكذب والزندقة وقد دلسه عضاوتهم واشتملت على روايته صحاحهم فكيف تعتبر أخبارهم وتلحظ بعين الصحة والثقة بها.

وذكر الذهبي قال: وروى البخاري أيضاً عن محمد بن سعيد المصلوب الشامي الكذاب الشهير ^(١) الذي كان يضع الحديث ويدلسه ^(٢) وقتل بسبب الزندقة ^(٣) كما روى عنه الترمذي وابن ماجه وغيرهم كثير.

وقال ابن الجوزي في ترجمته وهذا الرجل كان كذاباً يضع الحديث ويفسد أحاديث الناس صلب على الزندقة وقد قلب خلق من الرواة اسمه وبهرجوا في ذكره والعتب عليهم في ذلك شديد والاثم لهم لازم لأن من دلس كذاباً فقد آثر ان يؤخذ في الشريعة بقول باطل ^(٤).

(١) ميزان الاعتدال ٦: ٥٦١، رقم [٧٥٩٢]. تهذيب التهذيب ٩: ١٦٣، [٢٧٩].

(٢) المقتنى في سرد الكنى ١: ٣٥٣، الجرح والتعديل ٧: ٢٦٢، [١٤٣٦]. ميزان الاعتدال ٦: ١٦٤.

(٣) الجرح والتعديل ٧: ٢٦٢، ميزان الاعتدال ٦: ١٦٤، تهذيب التهذيب ٩: ١٦٣.

(٤) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣: ٦٥ ومثله تهذيب التهذيب ٩: ٦٥.

وهذا حمل بعيد وأن الظن لا يغني عن الحق ولو سلمنا لقول الذهبي فهو يقتضي عيباً آخر في صحيح البخاري إذ شرط المعرفة والثقة في الراوي كما زعمه.

وذكر العلاءي في كتاب المراسيل ولا ريب في تضعيف من أكثر من هذا النوع وقد وقع فيه جماعة من الأئمة الكبار ولكن يسيراً كالاعمش والثوري حكاه عنهما الخطيب وممن نقل عنه فعل ذلك بقية بن الوليد والوليد بن مسلم والحسن بن ذكوان.

ونقل الذهبي عن ابن القطان في بقية أنه يدلس عن الضعفاء ويستبيح ذلك إلى أن قال وقال الذهبي في الميزان قلت نعم والله صحح هذا عنه أن يفعله وصح عن الوليد يفعله وعن جماعة كبار فعله هذه بلية منهم.

ونقل ابن حجر^(١) عن ابن مندة أنه قال: يسمع في كلام له أخرج البخاري قال: فلان وقال لنا فلان: وهو تدليس ثم قال ابن حجر.

ونقل ابن حجر أيضاً قال محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الإمام وصفه بذلك (أي التدليس) أبو عبد الله ابن مندة في كلام له فقال فيه: أخرج البخاري قال فلان وقال لنا فلان وهو: تدليس ولم يوافق ابن مندة على ذلك والذي يظهر أنه يقول فيما لم يسمع، وفيما سمع لكن لا يكون على شرطه أو موقوفاً قال لي أو قال لنا وقد عرفت ذلك بالاستقراء من صنيعة^(٢).

(١) طبقات المدلسين: ٢٤. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: ٦. ط. مصر.

(٢) طبقات المدلسين: ٢٤.

وقال: على القاريء في نزهة النظر، قال الشيخ شمس الدين الجزري.... وعن شعبة قال: التدليس آخر الكذب وقال أيضاً: التدليس في الحديث أشد من الزنا الخ^(١).

وربما لم يسقط المدلس شيخه ولكن يسقط من بعده رجلاً ضعيفاً وصغير السن يحسن الحديث بذلك وكان الأعمش والثوري وابن عيينة وابن إسحاق وغيرهم يفعلون هذا النوع.

وقال شعبة: ما رأيت من لا يدلس من أصحاب الحديث إلا عمرو بن مرة وابن عون كما نقله عنه في ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب بترجمة عمرو بن مرة الجملي^(٢) وذكره ابن الجوزي.

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمة سفيان عن الفرياني قال: سمعت سفيان يقول: لو اردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه ما حدثناكم بحديث واحد. وقال الذهبي في الميزان بترجمة عبد الله بن صالح الجهني: روى عنه البخاري في الصحيح ولكنه يدلسه فيقول: حدثني عبد الله ولا ينسبه وبمعناه في التهذيب بترجمة عبد الله أيضاً.

كما نسب التدليس للبخاري نفسه في صحيحه عن محمد بن سعيد المصلوب الكذاب الشهير لكن الذهبي حمله على الخطأ فقال في ترجمة أبي سعيد (أخرجه البخاري في مواضع وظنه جماعة).

(١) الكفاية في علم الرواية: ٣٩٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٢٨٨، رقم [٦٤٤٧]. تهذيب التهذيب ٨: ٩٠، رقم [١٦٦٣].

الأصمعي: هو أول من ارتشى من القضاة وقال (س): وذكر المدلسين حجاج بن ارطاة والحسن - أي البصري - وقتادة وحميد ويونس بن عبيد وسليمان التميمي ويحيى بن كثير وابو إسحاق والحكم وإسماعيل بن أبي خالد والمغيرة وابو الزبير وابن أبي نجيع وأبي جريح وسعيد بن أبي عروة وهشيم وابن عيينة قال في (ن) قلت والاعمش وبقية والوليد بن مسلم وآخرون (يب) الخ...

الحسن البصري،

(ع) الحسن أبو سعيد بن يسار بن الحسن البصري فذكر (ن) كثير التدليس وفي (يب) قال: ابن حيان يدلس.

سفيان الثوري،

(ع) سفيان بن سعيد الثوري (ن) متفق عليه مع أنه كان يدلس عن الضعفاء ولا عبرة بقول من قال: يدلس ويكتب عن الكذابين (يب) وقال ابن المبارك حدث سفيان بحديث فجثته وهو يدلس فلما رأني استحي وقال: نرويه عنك وقال ابن معين: مرسلات سفيان شبه الريح وكان يدلس عن الضعفاء كما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال، وابن حجر في تقريب التهذيب^(١). بل اشتهر بتدليس التسوية الذي قالوا عنه بأنه افحش أنواع التدليس مطلقا وشرها^(٢).

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمته عن الفرياني قال: سمعت سفيان يقول: لو اردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعنا ما حدثناكم بحديث واحد^(٣).

(١) ميزان الاعتدال: ٢، ١٦٩. تقريب التهذيب: ١، ٣١١.

(٢) تدريب الراوي: ١، ١٨٦.

(٣) تذكرة الحفاظ: ١، ٢٠٥، رقم [١٩٨]. الكفاية في علم الرواية: ٢٤٥.

ونقل ابن حجر أيضاً^(١) عن ابن مندة أنه قال في حق مسلم كان يقول: فيما لم يسمعه من مشايخه قال لنا فلان وهو تدليس.
وقال ابن حجر في لسان الميزان^(٢) عن ابن الجوزي في الموضوعات في حديث دلسه المفضل بن محمد الجندي حتى قال: فكأنهم كانوا يدلسون اسمه على ألوان لشدة ضعفه.

والخلاصة: أن التدليس طريقة شائعة عند الكثير من طبقاتهم في كتب الحديث والمسانيد واختصرت القول بنبذة مما جاء في الصحاح الستة ورواياتها دون غيرهم خشية التطويل كما اختصر بالنقل على كتابي الميزان للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر دون كتب الجرح والتعديل الأخرى.
وقد ألف جماعة كتباً ورسائل خاصة في المدلسين كحسين بن علي الكرايسي وعلي بن المديني والنسائي والدارقطني وأبي الوفاء الحلبي وابن حجر والسيوطي عن الفهرست لابن النديم وكشف الظنون.

حجاج بن ارطاة بن ثور،

(م ٤) حجاج بن ارطاة بن ثور... قال: أحمد في حديثه زيادة على حديث الناس وقال ابن حبان تركه ابن المبارك ويحيى القطان وابن مهدي وابن معين وأحمد وكان لا يحضر الجماعة فقليل له في ذلك فقال: أحضر مسجدكم حتى يزاحمني فيه الحمالون والبقالون (ن) قال أحمد: يدلس عن الزهري ولم يره وقال

(١) طبقات المدلسين: ٢٦، رقم [٢٨].

(٢) لسان الميزان ٤: ١٩٧.

شيء كله وقال ابن حبان: يدلس، وقال الدارقطني: تجنب تدليسه فهو قبيح لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح.

(ع) مجاهد بن جبيرة،

مر ذكره في المجسمة.

محمد بن يزيد الرفاعي،

(م ن ق) محمد بن يزيد الرفاعي قاضي بغداد (يب) قال الحسن بن إدريس سألت عثمان بن أبي شيبة عنه فقال: يسرق حديث نير فيرويه قلت أعلى وجه التدليس أو الكذب؟ قال: كيف يكون تدليساً وهو يقول حديثاً.

هشيم بن بشير،

(ع) هشيم بن بشير (يب) قيل لأبي معين في تساهل هشيم فقال: ما ادراه ما يخرج من راسه قال ابن قطن لهشيم صنعته محذوره في التدليس فإن الحاكم أبا عبد الله ذكر أن جماعة من أصحابه اتفقوا على أن لا يأخذوا عنه تدليساً ففطن لذلك فجعل يقول: في كل حديث يذكره حدثنا حصين ومغيرة عن إبراهيم فلما فرغ قال لهم هل دلست اليوم قالوا: لا، فقال: لم أسمع من مغيرة مما ذكرته حرفاً إنما قلت حدثني حصين ومغيرة غير مسموع لي (يب)...

يحيى ابن أبي كثير،

(ع) يحيى ابن أبي كثير أبو نصر اليمامي قال العقيلي يذكر بالتدليس وقال يحيى القطان مرسلاته شبه الريح وقال همام كنا نحدثه بالغداة فإذا جاء العشى قلبه

وبهذا يتضح لك بما وصفوه أنه أمير المؤمنين في الحديث وقالوا أيضاً ذكر الذهبي في تذكرته أن القطان قال في حقه أن سفيان فوق مالك في كل شيء وأن الاوزاعي قال: لم يبقى من تجتمع عليه الأمة بالرضا والصحة إلا سفيان. وقد سمعت قول هذا المدلس الذي لم يحدث بحديث كما سمعه وقد وصفوه بكل عظمه ووثقوه إذن فما حال سائر الرواة.

سليمان بن طرخان،

(ع) سليمان بن طرخان (يب) قال ابن معين: يدلس وقال يحيى بن سعيد مراسلاته شبه لا شيء وقال: ما روى عن الحسن وابن سيرين وقال ابن المبارك لم يسمع من أبي الغالية وقال أبو زرعة: لم يسمع من عكرمة وقال النهدي: لم يسمع من نافع ولا عطا (ن) قيل أنه كان يدلس عن الحسن وغيره ما لم يسمع.

سويد بن سعيد،

(م ن) سويد بن سعيد الهروي قال أبو حاتم كثير التدليس وفي (ن) و(يب) قال ابن أبي طالب لمسلم: كيف استجزت الرواية عنه فقال: ومن أين أتى بنسخة حفص بن ميسرة^(١).

عبد المجيد بن جريح الأموي،

(م ٤) عبد المجيد بن عبد العزيز بن جريح الأموي مولا هم (ن) يدلس (يب) قال يحيى بن سعيد: إذا قال قال فهو شبه الريح وقال أيضاً: حديثه عن عطاء لا

(١) ومثله عن يحيى بن سعيد القطان قال لو لم أروي إلا عن أرضي ما رويت إلا عن خمسة كما نقله عنه في ميزان الاعتدال ١: ٢٠٩، بترجمة إسرائيل بن يونس.

الكذابون في رجال الصحاح

لا شك أن الفترة المظلمة في عهد معاوية ومن اخلفه من الأمويين التي سادت بها الفوضى وعم الفساد ودب داء الحسد والتنافس على السلطة فجمع معاوية من ذوي الضمائر الرخيصة ومن دجالين من علماء سوء ووعاظ السلاطين وغيرهم لمؤازرته في نشر الأحاديث المفتعلة على رسول الله ﷺ لتثبيت سلطانه واضفاء الشرعية عليه فانقلبت الموازين الصحيحة في عامة الأمور السياسية والدينية والاجتماعية فاصبح الكذب فاشياً ووضع الأحاديث منتشرا وصارت البدعة سنة والمنكر معروفا والجاهلية إسلاما حتى عمت البلية إلى من سموا بحمالة السنة وحفاظها ودخل من هؤلاء الرواة العدد الكثير إلى اهم المصادر من كتب الحديث والتاريخ والسير وتسرب منهم إلى رواية الصحاح بقصد أو بغفلة أو لرغبة وخشية عن طريق رواية ذلك العهد ورجاله فجاء اللاحقون وحاولوا تفسير الكذب مثل ابن الوزير الصنعاني كما تقدم وتأولوا لفاعله واعتذروا عنه وبرروا كذبه وسمحوا بالقليل منه فانتشر الكذب عن رسول الله وصار وسيلة للاهداف المتنوعة والاعراض المختلفة فمنه التعصب المذهبي أو تقوية للسنة أو لترقيق قلوب العامة أو حسبة لله أو ما كذبت عليه بل كذبت له وغيرها مما تقدم ذكره.

وبالرغم مما حاولوا جادين ومدافعين بكل قوة وجهد كبيرين لحفظ منزلة الصحاح من هؤلاء الرواة وخاصة لكتابي مسلم والبخاري وبطبيعة الحال وطول الفترة وتعاقب السلطات فقد دخل فيهما الشيء الكثير من هؤلاء الرواة ممن ثبت كذبهم ونص عليه كبار علمائهم وأئمة حفاظهم ووصموهم رجال الجرح والتعديل بكلمات الطعن المتداولة عندهم. مثل يروي عن الثقات ما لا اصل له، وعن

علينا (يب) قال ابن حبان: يدلس مكلما روى عن أنس فقد دلس عنه ولم يسمع من أنس ولا من صحابي.

عبد الله بن صالح .

(خ د ت ق) عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث قال صالح جزرة: هو عندي يكذب (يب) عن أحمد: ليس بشيء وذمه وكرهه (ن) قال ابن المديني: لا اروي عنه شيئاً، وروى عنه: البخاري في الصحيح على الصحيح ولكنه يدلسه فيقول: حدثني عبد الله ولا ينسبه وفي (يب) ما يستلزم ذلك وفيه أيضاً أن البخاري صرح في البيوع من صحيحه الخ...

معين: لا يساوي فلسين وقال أيضاً: هو وأبوه يسرقان الحديث (يب) قال ابن معين: مرة مغلط يكذب ليس بشيء... وقال سلمة بن شبيب: سمعته يقول: ربما كنت اضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء.

وقال النسائي: إسماعيل ضعيف^(١).

وقال الذهبي: وذكر أقوال ابن معين... حتى قال عن ابن عدي.. ثم قال:

روى عن خاله مالك غرائب لا يتابعه عليها أحد^(٢).

وذكر ابن حجر العسقلاني اقوالاً عديدة في كذبة حتى قال: وحكى ابن أبي

خثيمة عنه عبد الله بن عبيد الله العباسي صاحب اليمن أن إسماعيل ارتشى من

تاجر عشرين دينار حتى باع له على الأمير ثوبا يساوي خمسين بمائة وذكره

الإسماعيلي في المدخل فقال: كان ينسب في الخفة والطيش إلى ما اكره ذكره وعن

ابن حزم في المحلى...

وذكر قول ابن شبيب المتقدم غير ابن حجر دافع عنه وعن البخاري ومسلم

لرواياتهم عنه وهذا الذي بان للنسائي منه حتى تجنب حديثه واطلق القول فيه

بانه ليس بثقة ولعل هذا كان من إسماعيل في شبيهه ثم انصلح وأما الشيخان فلا

يظن بهما انهما اخرجاه عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات وقد

اوضحت ذلك في مقدمة الشرح على البخاري...^(٣) فإن ما ذكره ابن حجر في

قوله لعل كان هذا من إسماعيل في شبيبهه ثم انصلح فاحتمال لو قبل لم يبق مجالاً

(١) الضعفاء والمجروحين: ٥٤.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٢٢٣.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ٢٧٣.

الضعفاء ما لا يعرف واجمعوا على ترك حديثه ليس بثقة لا يكتب حديثه يأتي
بالمناكير ويضع الحديث وغيرها وكلهم من رجال الصحاح واحتجوا باقوالهم
ووثقوا باقوالهم ورووا عنهم ولولا خشية التطويل لذكرت كتاباً خاصاً بهم
واكتفي بنظرة سريعة لعرض نماذج من الكذابين في رجال الصحاح كما اختصر
عن كل ما قيل في تراجمهم بنيد قصيرة للتدليل والاعتبار.

أحمد بن عيسى المصري

(خ م س ق) أحمد بن عيسى المصري حلف ابن معين أنه كذاب (يب) قال
أبو حاتم تكلم الناس فيه، وقال سعيد اليربوعي: انكر أبو زرعة على مسلم
روايته عنه في الصحيح.

اسحاق بن عبد الله

(د ت ق) إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة (يب) (وس) و... وقال ابن معين
مرة ليس بثقة ومرة لا يكتب حديثه ومرة كذاب... وقال محمد بن عاصم: لم أرى
أهل المدينة يشكون في أنه متهم قيل فيماذا قال في الإسلام وفي رواية أخرى
(على الدين).

اسحاق بن محمد

(خ ت ق) إسحاق بن محمد بن إسماعيل وهاه (د) جدا وروى عنه (خ)
ويوبخونه على هذا.

إسماعيل بن عبد الله بن أويس

(خ م د ت ق) إسماعيل بن عبد الله بن أويس وهو ابن اخت مالك قال ابن

وربما اسقط ذكرهم وذكر من رووا عنه، وقال ابن حبان: لا يحتاج ببقية^(١).
وقال الذهبي بترجمته: غير واحد: كان مدلساً فإذا قال عن فليس بحجة ثم
ذكر الأقوال السابقة وقال أبو مسهر: أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على
نقية، وقال أبو إسحاق الجوزجاني: رحم الله بقية ما كان يبالي إذا وجد خرافة
عمن يأخذه فإن حدث عن الثقات فلا بأس به^(٢).
وقال أبو الحسن ابن القطان: بقية يدلس عن الضعفاء ويستبيح ذلك وهذا أن
صح مفسد لعدالته.

ثم اعتذر عنه الذهبي بقوله: قلت نعم والله صح هذا عنه أنه فعله وصح
عن الوليد بن مسلم وعن جماعة كبار فعله وهذه بلية منهم ولكنهم فعلوا ذلك
باجتهاد وما جوزوا على ذلك الشخص الذي يسقطون ذكره بالتدليس أنه تعمد
الكذب هذا امثل ما يعتذر به عنهم^(٣).

أقول: وهذا تدليس من الذهبي وما قيمة هذا الإجتهد الذي نسبه لبقية بعد
أن تقدم قول... ما سمعت أحداً اجراً على أن يقول، قال رسول الله من بقية وجاء
عن الزبيدي ونسبه للذهبي في الميزان وقال في ذيله قال: هو صدوق في نفسه
لكنه يروي عن دب ودرج فكثرت المناكير والعجائب في حديثه.

(١) الموضوعات ١: ١٥١.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٣٣٢. سير أعلام النبلاء ٨: ٥٢٣. وذكر الذهبي أيضاً بعد كلام ابن القطان،
قلت: نعم، تيقنا أنه كان يفعل، وكذلك رفيقه الوليد بن مسلم وغير واحد ولكنهم ما يظن بهم
أنهم اتهموا من حدثهم بالوضع لذلك. (سير أعلام النبلاء ٨: ٥٢٨).

(٣) ميزان الاعتدال ١: ٣٣٩.

للطعن في راوٍ من الرواة أبداً وقوله أما الشيخان فلا يظن بهما انهما اخرجاه عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات فهذا ظن ولا يغني عن الحق، ولا يغير من الواقع والحقيقة شيئاً وأما قوله وقد اوضحت ذلك في شرحي فهذا مختصر قوله، قال إسماعيل بن أبي اويس ابن اخت مالك بن أنس احتج به الشيخان إلا انهما لم يكثرا من تخريج حديثه ولا أخرج له البخاري مما ينفرد به سوى حديثين وأما مسلم فأخرج له اقل مما أخرج له البخاري وذكر أقوالاً...^(١) ولم يذكر كلمات المجرح فيه التي اوردها هو بنفسه في التهذيب واجمل في القول حماية للبخاري ومسلم وذبا عنهما وكتايبهما وأما قوله أن ما أخرج البخاري عنه ومن صحيح حديثه. فهذه دعوى منه وغير ثابتة ولا تقبل لأن الرجل بالاضافة إلا ما جرحه أهل الفن وتقدمت أقوالهم أنه ضعيف عقله وتخليطه وكذبه وقد اعترف بنفسه بالوضع فلا معنى لهذا الاعتذار عنه والدفاع وكيف يطمئن باقواله ويوثق أحاديثه ثم يتنبه ابن حجر فيقول: وبالتالي فلا يحتج بشيء من حديثه غير ما في الصحيح ومن أين علم أن هذا ليس من ذلك.

بقية بن الوليد،

(م ٤) بقية بن الوليد بن صائد (ن)... إلى أن يقول: قال وكيع: ما سمعت أحداً اجراً على أن يقول: قال رسول الله ﷺ من بقية وقال القطان يدلس عن الضعفاء ويستبيحه.

وذكر ابن الجوزي قال: وقد ذكرنا أن بقية كان يروى عن الجهولين والضعفاء

(١) مقدمة فتح الباري: ٣٨٨.

الجراح بن مليح ،

(م د ت ق) الجراح بن مليح والد وكيع (يب) حكى الاد ريسي أن ابن معين كذبه وقال: كان وضاعا للحديث وقال ابن حبان: يقلب الاسانيد ويرفع المراسيل وزعم ابن معين أنه كان وضاعا وقال الدوري: دخل وكيع البصرة فاجتمع عليه الناس فحدثهم حتى قال: حدثني أبي وسفيان فصاح الناس من كل جانب لا تريد اباك فاعادوا واعادوا.

سهيل بن ابي صالح ،

(ع) سهيل بن ابي صالح ذكره الحاكم فيمن عيب على مسلم اخراج حديثه... الخ.

عمارة بن جوين ،

(ت ق) عمارة بن جوين العبدي قال أحمد: ليس بشيء (يب) قال حماد بن زيد: كذاب بالعشي شيء وبالغداة شيء... الخ.

محمد بن حميد الرازي ،

(د ت ق) محمد بن حميد بن حيان الرازي قال (س): ليس بثقة... وقال صالح جزرة: ما رأيت احذق بالكذب منه ومن سليمان الشاذكوني وقال أيضاً: ما رأيت اجراً على الله منه وقال ابن خراش: كان والله يكذب... وقال (س): قال انو نعيم بن عدي: سمعت ابا حاتم وعنده ابن خراش وجماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم فذكروا ابن حميد فاجمعوا على أنه ضعيف جدا وانه يحدث بما لم يسمع وانه يأخذ أحاديث أهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الرازيين.

وقال ابن خزيمة: لا احتج ببقية، وقال أحمد: له مناكير عن الثقات... الخ^(١).

الوليد بن مسلم،

(ع) الوليد بن مسلم مولى بني أمية عالم دمشق قال (د): روى عن مالك عشرة أحاديث لا أصل لها وقال أبو مسهر: كان يأخذ من أبي السفر حديث الاوزاعي وكان أبو السفر كذاباً وزاد في (ن) وهو يقول فيها قال الاوزاعي... وفي (يب) قال عبدالله بن احمد سئل عنه أبي فقال كان رفاعاً، وقال: اختلطت عليه أحاديث ما سمع وما لم يسمع وكانت له منكرات الخ.. وفي تهذيب التهذيب^(٢) أقوال كثيرة في التدليس.

هشام بن حسان،

(ع) هشام بن حسان الفردوسي البصري قال وهب: قال لي الثوري افدني عن هشام فقلت لا استحل وقال ابن عيينة: لقد أتى هشام أمراً عظيماً بروايته عن الحسن وقال عباد بن منصور: ما رأيته عند الحسن قط وقال جرير بن حازم فاعدت الحسن سبع سنين ما رأيته عنده قط... ويب) قال (د) كانوا يرون أنه أخذ كتب حوشب وقال سفيان بن حبيب: ربما سمعته يقول: سمعت عطاء واجئ بعد ذلك فيقول: حدثني الثوري وقيس عن عطا هو ذاك بعينه قلت له اثبت على أحدهما فصاح بي.

(١) تاج العروس ١٠: ٤١- مادة بقی. تهذيب التهذيب ١: ٤١٨. سير أعلام النبلاء ٨: ٥٢٣. ميزان الاعتدال ١: ٣٣٢.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ١٣٦.

المجاهيل في رجال الصحاح

وهم الذين لا يعرف حالهم من الصحة والثقة وغيرها فهو مخل بالراوي وما يرويه إذ الشرط اللازم معرفة حال الراوي كما هو معلوم لدى الجميع من أصحاب الفن وبغيره فلا عبرة في نقله ولا ثقة في قوله، ويلزم تركه ومع هذا نجد مجاميع من هذا النمط في رجال الصحاح ممن ثبتت جهالة حاله أو ضعف نقله واخرجوا لهم أحاديث واحتجوا بأقوالهم وعلى الاختصار نعرض لنماذج منهم ومن أراد التوسع فبمراجعة كتابي الميزان للذهبي والتهذيب لابن حجر وغيرهما من كتب الجرح والتعديل يجد أضعاف ما اشرنا إليه.

اسباط أبو اليسع،

(خ م د ت) اسباط أبو اليسع قال ابن حبان: يروي عن شعبة كأنه شعبة آخر وقال أبو حاتم: مجهول (يب): كذبه ابن معين.

(د ق) أيوب ابن قطن

قال الدارقطني: مجهول (يب) قاله أبو زرعة لا يعرف وقال الأزدي وغيره:

مجهول.

ثعلبة بن عباد،

ثعلبه بن عباد العبدي، قال ابن هرم: مجهول (يب) ذكره ابن المديني (خ)

المجاهيل وقال ابن حزم: مجهول وتبعه ابن القطان وكذا عن العجلي.

محمد بن طلحة البامي،

(خ م د ت ق) محمد بن طلحة بن مصرفي البامي... (يب) قال عفان: كان يروي عن أبيه وأبوه قديم الموت وكان الناس كأنهم يكذبونه ولكن من يجتريء أن يقول له: أنت تكذب كان من فضله وكان.

نجيح بن عبد الرحمن السندي،

نجيح بن عبد الرحمن السندي (يب) قال ابن المديني: كان ضعيفا ضعيفا وقال ابن معين: ليس بشيء وقال نصر بن ظريف: اكذب من في السماء والارض وقال أبو نعيم: روى الموضوعات لا شيء.

وهذه نبذة ذكرنا للإختصار ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة الميزان والتهذيب فيجد أضعاف ما ذكرنا من هؤلاء وقد نصوا على كذبهم وهم من رجال الصحاح الذين وثقوهم واحتجوا بمروياتهم تلك.

عمرو بن بجدان:

عمرو بن بجدان (يب) قال أحمد وابن القطان: لا يعرف (ن) وقد وثق عمرو مع جهالته.

أقول: وهذا من الجمع بين الضدين كالتحسين له مع الجهل بحاله ففي (ن) بعد ذكر حديث له قال: حسنه (ن) ولم يرقه إلى الصحة للجهل بحال عمرو.

عيسى بن عبد الأعلى:

(د ق) عيسى بن عبد الأعلى (ن) لا يكاد يعرف وحديثه فرد منكر وقال ابن القطان: لا اعلمه مذكورا في شيء من كتب الرجال ولا في غير هذا الحديث الخ.

الضعفاء في رجال الصحاح

ونقل الذهبي في المغني في الضعفاء: وكذا لم اعن بمن ضعف من الشيوخ ممن كان في المائة الرابعة وبعدها ولو فتحت هذا الباب لما سلم أحد إلا النادر من رواة الكتب والاجزاء، وقال أيضاً: ثم من المعلوم أنه لا بد من صون الراوي وستره فالحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس سنة ٣٠٠ ولو فتحت على نفسي تلين هذا الباب لما سلم معي إلا القليل...^(١) الخ.

إذن: كيف يسلم لنا الحديث النبوي بعد هذا التستر وكيف يحل لنا قبول روايته أليس هذا هو التدليس الصريح؟!

(١) ميزان الاعتدال ١: ٤. لسان الميزان ١: ٨.

حماد بن حميد،

(خ) حماد بن حميد عن عبيد الله بن معاذ (يب) لم يعرف إلا بهذا الحديث
وقال ابن عدي: لا يعرف (ن) لا يدري من هو.

سعيد بن حبان،

سعيد بن حبان النمي (ن) لا يكاد يعرف (يب) قال ابن القطان: مجهول.

سمرة بن اسهم،

(س ن) سمرة بن اسهم، قال ابن المديني: مجهول (ن): لا يعرف فلا حجة
فيمن ليس بمعروف العدالة ولا انتفت عنه الجهالة.

عباد بن زياد،

(م د س) عباد بن زياد بن أبيه ولي لمعاوية سجستان قال ابن المديني:
مجهول.

عطاء أبو الحسن السوائي،

(خ د س) عطاء أبو الحسن السوائي (يب) ما وجدت له راويا غير
الشيباني ولم اقف فيه على تعديل ولا تجريح وروايته عندهم عن ابن عباس غير
مجزوم بها وقرئت بخط الذهبي: لا يعرف.

عطاء العامري،

(د ت س) عطاء العامري والد يعلى (ن) لا يعرف إلا بابنه (يب) قال ابن
القطان: مجهول ما روى عنه غير ابنه.

علي ابن أبي هاشم،

(خ) علي ابن أبي هاشم عبيد الله (يب) قال أبو هاشم: ترك الناس حديثه

وقال الازدي: ضعيف جدا.

المثنى بن الصباح،

(د ت ق) المثنى بن الصباح (يب) قال ابن عدي: ضعفه الأئمة المتقدمون،

وقال الساجي: ضعيف جدا.

(٤) نجيح بن عبد الرحمن،

نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر كان يجي بن سعيد يضحك إذا ذكره

(يب) قال ابن المديني: كان ضعيفا ضعيفا... وقال نصر بن ضريف: اكذب من في

السماء والارض.

أشعث بن سعيد،

(م ت ق) أشعث بن سعيد البصري قال هشيم: كان يكذب وقال ابن معين: ليس بشيء... (يب) قال الفلاس وابن الجنيد: متروك وقال ابن عبد البر: اجمعوا على ضعفه.

زهير بن محمد التميمي،

(ع) زهير بن محمد التميمي (ن) قال ابن عبد البر: ضعيف عند الجميع وقال ابن حبان: يخطأ ويخالف.

سعيد بن زيد بن درهم،

(م د ت ق) سعيد بن زيد بن درهم اخو حماد قال السعدي: يضعفون حديثه (يب) قال يحيى بن سعيد: ضعيف جدا، وقال أيضاً: ليس بشيء.

طلحة بن النعمان،

(خ م د س ق) طلحة بن النعمان الرزقي قال يعقوب بن شيبة: ضعيف جدا ومنهم من قال: لا يكتب حديثه.

عبد الله بن مسلم،

(ن ق) عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي (ن) قال ابن المديني: ضعيف ضعيف (يب) قال يحيى: ليس بشيء.

عثمان بن عمير،

(د ت ق) عثمان بن عمير الاعمي (يب) قال الدارقطني: متروك وقال ابن عبد البر: كلهم ضعفه.

السكرارى في رجال الصحاح

لا احسب لانسان أن يصدق بالاقوال العادية من السكرارى وبياعي الخمر والسراق والمجانين ولا بد من الاستقامة واحراز العدالة والثقة بالراوي حتى يتم الاحتجاج بقوله والاعتماد بنقله وهو الواسطة بينه وبين ما يدين به ربه من أحاديث السنة ولا زلت في حيرة وذهول بما مر علينا من هولاء وقد وثقتهم الصحاح ونقلت أقوالهم معتمدة عليها وهم الذين اشترطوا الصحة والثقة والمعرفة بالراوي كما زعموا والله العالم بالنيات وقد جاء عن خلف بن هشام كان يشرب الخمر ووثقه أحمد امام الحنابلة فقيل: يا أبا عبد الله أنه يشرب، فقال: انتهى الينا علم هذا عنه ولكن هو والله عندنا الثقة الأمين يشرب أو لم يشرب^(١) وبهذا القول يفتح الباب لغيره ويتساهل في نقل أحاديثهم.

عمرو بن عبد الله الاسوارى الماني،

سرق كتاباً من عكرمة فنسخه، وقال هشام بن يوسف القاضي: ليس بثقة وقال ابن معين: كان سيء الاخذ في حال تحمله من عكرمة كان يشرب فيقول عكرمة: اطلبوه فيجده، فيقوم وهو سكران الخ...

عبد الملك الشيباني،

(س) عبد الملك بن نافع الشيباني (يب) قال أبو حاتم: لا يكتب حديثه وقال

ابن معين: لا شيء، وكان خماراً.

(١) تاريخ بغداد ٨: ٣٢٠ - ٣٢١.

السراق في رجال الحديث

(خ م د ت ق) إسماعيل بن عبد الله بن أبي اويس قال ابن معين لا يساوي فلسطين، وقال أيضاً: هو وأبوه يسرقان الحديث (يب) وقال سلمة بن شبيب: سمعته يقول: ربما كنت اضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا فيما بينهم (ومر ذكره).

أيوب بن سويد،

(د ق ت) أيوب بن سويد الرملي (يب) قال ابن معين: يسرق الحديث وقال الساجي: ارم به.

شهر بن حوشب،

(م ٤) شهر بن حوشب (يب)... وقال ابن حزم: ساقط، وقال الساجي: كان شعبة يشهد عليه أنه رافق رجلا فخانه وقال عباد بن منصور: سرق عيبتني وفي (ن) و(يب): كان على بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم وقد هجى بيت...

أسد بن زيد،

أسد بن زيد كذبه ابن معين وقال: (س) متروك وقال ابن حبان: يروي عن الثقات المناكير ويسرق الحديث.

إسرائيل بن يونس،

(ع) إسرائيل بن يونس... السبعي (يب) قال عبد الرحمن: لص يسرق الحديث (ن) كان القطان لا يحدث عنه ولا عن شريك وقال: لو لم ارو إلا عمنا ارضى ما رويت إلا عن خمسة.

المخلط بعقله في رجال الصحاح

إسماعيل بن مسلم،

(د ق) إسماعيل بن مسلم البصري قال القطان: لم يزل مخلطاً كان يحدثنا بالحديث الواحد على ثلاثة اضراب...

حماد بن أبي سليمان،

(م ٤) حماد بن أبي سليمان الفقيه الكوفي (يب) قال أحمد عند حماد بن سلمة عنه تخليط كثير وقال حبيب بن ثابت: كان حماد يقول: قال إبراهيم: فقلت: والله انك لتكذب على إبراهيم وأن إبراهيم ليخطأ.

حنظلة بن عبد الله السدوسي،

(ت ق) حنظلة بن عبد الله السدوسي... (يب) وقال ابن حبان: اختلط بآخره حتى كان لا يدري ما يحدث به فاختلف حديثه القديم بحديثه الأخير.

سفيان بن عيينة الهلالي،

(ع) سفيان بن عيينة الهلالي قال يحيى بن سعيد: أشهد أنه اختلط سنة ٩٧ فمن سمع منه فيها فسماعه لا شيء وقال في (ن): سمع منه فيها محمد بن عاصم ويغلب على ظني أن سائر شيوخ الأئمة الستة سمعوا منه قبلها - والظن لا يغني عن الحق شيئاً - وفي (يب): اورد أبو سعيد السمعاني بسند له قوي إلى عبد الرحمن بن بشر قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: قلت لأبي عيينة: كنت تكتب الحديث وتحدث اليوم وتزيد في اسناده وتنقص منه؟ فقال: عليك بالسمع الأول فاني قد سمعت.

عمر بن عبد الله بن يعلى،

(د ن) عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة (يب) قال ابن معين: ليس بشيء،
وقال أبو حاتم: متروك وقال جرير بن عبد الحميد: كان يشرب الخمر.

محمد بن قضاء الأزدي،

(ت د ق) محمد بن قضاء الأزدي، قال ابن معين: ليس بشيء وقال (خ): كان
سليمان بن حرب يقول: كان يبيع الخمر.



الفصل السادس عشر

أصحاب الجرح والتعديل



عبد الملك بن عمير ،

(ع) عبد الملك بن عمير اللخمي قاضي الكوفة ضعفه أحمد جدا وقال ابن معين: مخلط... وقد نص على عبد الملك بن عمير قال أحمد: مضطرب الحديث جدا مع قلة روايته ما ارى له خمسمائة حديث وقد غلط في كثير منها^(١)، وقال ابن معين: مخلط^(٢).

وذكر ابن حجر فقال: اختلف فيه على عبد الملك واعله أبو حاتم وقال الهزار: كان ابن حزم لا يصح لأن عبد الملك لم يسمعه (أي الحديث) من ربعي وربعي لم يسمع من حذيفة لكن له شاهد...^(٣) الخ.

وعلى أي حال فقد جاء في مصادر اتباع أهل البيت أن عبد الملك هذا هو الذي ذبح عبد الله بن يقطر أو قيس بن مسهر الصيداوي وهو رسول الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة فإنه لما رمى بامر ابن زياد من فوق القصر وبقي به رمق اتاه عبد الملك بن عمير فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال: انما أردت أن اريجه^(٤).

(١) تهذيب التهذيب ٦: ٣٦٥، [٧٦٥]. سير أعلام النبلاء ٥: ٤٣٩. ميزان الاعتدال ٢: ٦٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٦: ٦٦. المغني ٢: ٤٠٧. تهذيب التهذيب ٦: ٤١٢.

(٣) فيض القدير ٢: ٧٣.

(٤) تلخيص الشافي ٣: ٣٥.

من الغريب على المأتمن على أحاديث الشريعة ونصوصها او السيرة وتاريخها
فيتنكر للحقائق ويبرزها على غير صورتها الحقيقية ويغض عينيه عن واقع
الأمور ومحاسن الأشياء فيذم حيث لا موجب للذم ويمدح حيث لا موقع للمدح
وما هذا أو ذاك الا لتعصب شائن وتحامل بغيض يتبلي به كثير من الناس وبهذا
فقد اساءوا لأنفسهم ولجنتهم ثم راحوا يلتمسون الحجج الواهية للضعة بمن
يتعصبون عليه ولرفعة من يتعصبون له والاعرب من ذلك وأنهم يجعلون أنفسهم
حكام عدل ورواد حقيقة وامناء على أحاديث السنة ورواة أحاديثها.

وفيهم من تغلب عليه الجمود الفكري فقلد غيره في النقل الذي رسمته
السلطة يوم ذاك فصار ينقل بما يروق لهم ويوافق رغباتهم.

وفيهم من غرتهم الحياة الدنيا ونزلوا لأرادة السلطات المتعاقبة فارضوهم بما
كتبوا تزلفا لهم وطمعا في المناصب ولذات الدنيا وحب المال والجاه. ومن الواضح
الذي لا جدال فيه أن السياسة حكمت على نصوص الشريعة ونسخت أحكام
وطعنت بأحاديث صحيحة وحرقت أخرى لا تتماشى واغراضها وبذلك قضت
على الأمة بكبت الشعور وكم الافواه وسلب الافراد حرية الرأي والتدبر لأن
الجمود الفكري هو الذي يخدم مصالحهم واناطة الآراء بما تراه السلطة لا غير.

ومن أهم المشاكل التي تعاني منها الأمة مهمة معرفة الرجال من رواة
الحديث وانيطت تلك المهمة بأصحاب الجرح والتعديل واشتروطوا فيهم العدالة

وذكر الاستاذ أحمد أمين في (فجر الإسلام: ٢١٧) وقد وضع علماء الجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال عنوا بنقد الاسناد من نقل أن تظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي ﷺ لا يتفق والظروف التي قيلت فيه أو ان الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه أو ان عبارة الحديث نوع التعبير الفلسفي يخالف المؤلف في تعبير النبي أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه وهكذا ولم يظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عملوا ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم حتى نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهد التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصارها على نقد الرجال.

وذكر في (ظهر الإسلام ٢: ٤٨) كما يؤخذ عليهم أنهم عنوا بالسند أكثر من عنايتهم بالمتن فقد يكون السند مدلسا تدليسا متقنا فيقبلونه مع أن الواقع يبيانه بل قد يعده بعض المحدثين صحيحا لانهم لم يجدوا فيه جرحا ولم يسلم البخاري ومسلم من ذلك وربما لو امتحن الحديث بمحك أصول الإسلام لم يتفق معها وأن صح سنده.

وقد لخص الدكتور صلاح الدين الادلبي لأقوال أحمد أمين في (ضحى الإسلام) بقوله: ... وأنهم كذلك لم يتعرضوا كثير البحث الأسباب التي قد تحمل على الوضع فلم ترهم شكوا كثيراً في أحاديث لأنها تدعم الدولة الأموية أو العباسية أو العلوية ولا درسوا دراسة وافية البيئة الاجتماعية في عهد النبي والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وما طراً عليها من خلاف ليعرفوا لعل الحديث يتمشى مع البيئة التي حكى أنه قيل فيها أو لا؟ ولم يدرسوا كثيراً بيئة الراوي الشخصية وما قد يحملة منها على الوضع وهكذا.

والثقة في النقل والصدق في القول وغيرها كثير لا مجال لذكرها ونعرض لبعضها باختصار لتتعرف على مدى العدالة والثقة أو التعصب والانحراف بالتشائم والسباب بينهم والحقد والحسد والتنافس لا مور دنيوية وهذا مما يفقد الثقة بهم وبمروياتهم ويقلل من الاعتبار وربما الطعن بهما فذكر السبكي في طبقاته ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه بذلك واليه أشار الرافعي بقوله:

وينبغي أن يكون المذنب براء من الشحناء والعصية في المذهب خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرحوا بناءً على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب.

وذكر الحافظ بن حجر فصل وممن ينبغي أن يتوقف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الإختلاف في الاعتقاد فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلق وعبارة طلق حتى أنه أخذ يلين مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيد الله بن موسى وأساطين الحديث وأركان الرواية فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثق رجلاً ضعفه قبل التوثيق^(١) وذكر صاحب العلم الشامخ^(٢) قوله: الواجب على المتدين إطراح التحزب والتكلم بما يعلم نصيحة لله ورسوله وللمسلمين وتراهم سووا بين الثريا والثرى.

(١) لسان الميزان ١: ١٦.

(٢) العلم الشامخ: ٢٢.

على من لا يثق به أو غير ذلك من الأسباب والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل وكذلك التعصب قل أن رأيت تاريخاً خالياً من ذلك.

أبو عبد الله شمس الدين الذهبي،

وذكر أن تاريخ شيخنا الذهبي غفر الله له فإنه على جمعه وحسنه مشحون بالتعصب المفرط لا يؤاخذ الله فلقد أكثر الوقعة في أهل الدين اعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ومال فافرط على الاشاعرة ومدح فزاد في المجسمة هذا وهو الحافظ المدرة والإمام المبجل فما ضنك بعوام المؤرخين^(١).

وشمس الدين الذهبي صاحب المؤلفات الكثيرة... فقد حكم على كثير من الأحاديث الصحيحة بالوضع وطعن في كثير من الرجال واسقط رواياتهم عن درجة الاعتبار وقد فعل ذلك بالنسبة إلى كثير من أئمة أهل السنة ومحدثهم المشاهير في كتابيه ميزان الاعتدال والمغني في الضعفاء وحتى أدرج في الثاني (البخاري) صاحب الصحيح وأمورا أخرى حتى قال: والحال في شيخنا الذهبي أزيد مما وصف هو شيخنا ومعلمنا غير أن الحق أحق أن يتبع وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية فإن غالبهم اشاعرة وهو إذا وقع بأشعري لا يبقى ولا يذر والذي اعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند من ادناهم

(١) لسان الميزان ١: ١٦، طبقات الشافعية ٢: ٢٢، وذكر أقوال صلاح الدين العلائي حول الذهبي

ووصف تعصبه وانحرافه.

ثم بين الدكتور أنهم لو اتجهوا كثيراً إلى نقد المتن وأوغلوا فيه ايغالهم في النوع الأول لانكشف لهم أحاديث كثيرة وتبين وضعها مثل كثير من أحاديث الفضائل وهي أحاديث رويت في مدح الأشخاص والقبائل والامم والأماكن تسابق لها إلى الوضع فيها وشغلت حيزاً كبيراً من كتب الحديث ثم نقل الدكتور قول ابن خلدون: (وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً وسميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار والوقوف على طبائع الكائنات ويحكم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في ببداء الوهم والغلط) (١).

وقرنوا الطلقاء بالسابقين الاولين والعجب من المحدثين تراهم يجرحون بمثل قول شريك القاضي وقد ذكر عنده معاوية حلیم فقال: ليس بحليم من سفه الحق وحارب علياً. وبقوله: وقد قيل له ألا تزور أخاك فلانا فقال: ليس بأخ لي من ازراً على علي وعمار. فليت شعري كيف الجمع بالنقم بهذين الأمرين ثم لم ترهم يبالون بلعن علي فوق المنابر وبمعادة من عاداهم وتراهم يتكلمون في وكيع واضرابه من تلك الدرجة الرفيعة دينا وورعا يقولون يتشيع وتشيعه انما هو بمثل ما ذكرنا من شريك فإن كان التشيع انما هو ذلك القدر فلعمري ما يسع منصفاً الخروج عنه...

وذكر السبكي بترجمة أحمد بن صالح، قاعدة في المؤرخين نافعة جداً فإن أهل التاريخ قد وضعوا من اناس ورفعوا اناساً أما لتعصب أو لجهل أو لمجرد اعتماد

(١) منهج نقد المتن: ١٢، عن ضحى الإسلام. تاريخ ابن خلدون ١: ٩.

كما ذكر في ترجمة الحسين الكرايس امورا عديدة معترضا على الذهبي ومفنداً أقواله فليته درى ما يقول الله يغفر لنا وله ويتجاوز عنن كان السبب في خوض مثل الذهبي في مسائل هذا الكلام وانه ليعز على الكلام في ذلك ولكن كيف يسعنا السكوت وقد ملأ شيخنا تاريخه بهذه العظائم التي لو وقف عليها العامي لاضلته ضلالا مبيناً.

- وذكر بترجمة الخبوشاني... عن ابن الكيزاني: أن الذهبي متعصب جدا... ولا ينبغي أن يسمع كلامه في حنفي ولا شافعي ولا تؤخذ تراجمهم من كتبه فإنه يتعصب عليهم كثيراً^(١).

وهذا نموذج مختصر لواحد من أصحاب الجرح والتعديل وهو الذهبي وتعرفنا حاله بشدة تعصبه حتى يفقد احساسه ولم يخشى عواقب التحقيق بما لفقته من كذب، وافترى على من خالفه في المذهب من أهل السنة فما ضنك بحاله بالنسبة إلى علماء الإمامية وما ضنك بالنسبة إلى الأئمة من العترة الطاهرة وما عرف عنه من النصب والعداء لهم فطغى وتعنت وتجاوز الحد في تراجمهم في ميزان عدله عند ذكر الإمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم والإمام علي بن موسى الرضا عليهم السلام والعدد الكبير من أبنائهم ولا تسئل عن روى لهم حديثاً أو فضيلة فلا بد له أن ان يطعن بسند الرواية تحكما منه أو يتعرض لمتنها ودالاتها

(١) طبقات الشافعية ٧: ١٤. هامش سير أعلام النبلاء ٢١: ٤٠٦. قال السبكي: والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخيه إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه. سير أعلام النبلاء ١: ١٢٩. السيف الصقيل: ٢٠٣.

عنده اوجه منه فالله المسؤول أن يخفف عنه...

والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله فلينظر كلامه من شاء ثم يبصر هل الرجل متحر عند غضبه أو غير متحر واعنى بغضبه وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين من الحنفية والمالكية والشافعية فاني اعتقد أن الرجل كان إذا مد القلم لترجمة احدهم غضب غضبا مفرطاً ثم فرط الكلام ومزقه وفعل من التعصب ما لا يخفى على ذي بصيرة.

ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الالفاظ كما ينبغي فرما ذكر لفظه من الذم لو عقل معناها لما نطق بها.

ثم ذكر تعرضه للفخر الرازي والآمدي ثم نقل عن الذهبي أنه حلف في آخر الكتاب أنه لم يعتمد فيه هوى نفس فأى هوى نفس أعظم من هذا - إلى أن قال: ... وإذا وصل إلى هذا الحد والعياذ بالله فهو مطبوع على قلبه^(١).

وقد نبهوا على تعصبه وطعنوا فيه طعوناً شديداً تمنع من التعويل عليه في الجرح والتعديل فذكر السبكي من حديث قال: صنف كتاب التاريخ وما أحسنه لولا تعصب فيه^(٢).

وقال أيضاً: وعنده على أهل السنة تحمل مفرط فلا يجوز أن يعتمد عليه ومثله قول العلامة وغيره^(٣).

(١) طبقات الشافعية ٢: ١٢.

(٢) طبقات الشافعية ٩: ١٠٣. سير أعلام النبلاء ١: ١٢٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١: ١٢٨.

في النصب وشهرة أهلها بالتشيع فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلق وعبارة طلق حتى أنه أخذ يلين مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيد الله بن موسى واساطين الحديث واركان الرواية فهذا إذا عارضه مثله أو اكبر منه فوثق رجلاً ضعفه قبل التوثيق^(١). وقول ابن عدي: وكان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على على فقلوه في إسماعيل بن أبان مائل عن الحق يريد به ما عليه الكوفيون من التشيع^(٢).

وذكر عن أبي حاتم وأنه متعنتا في الرجال قد قال في طائفة من رجال الصحاح ليس بحجة ليس بقوي أو نحو ذلك^(٣).

ابن الجوزي

ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٥٩٧ من الكامل... وقال: كان كثير الوقعة في الناس لا سيما العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له ومثله في المختصر في أخبار البشر في حوادث تلك السنة وقال الياضي في مرآة الجنان في حوادث سنة ٥٩٥: وفيها أخرج ابن الجوزي من سجن واسط وتلقاه الناس وبقي في المظمورة خمس سنين...

وذكر الذهبي في ترجمة أبان بن يزيد العطار... وقد اورده أبو الفرج ابن الجوزي في الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال من وثقه وهذا من عيوب كتابه يسرد

(١) لسان الميزان ١: ١٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٢٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣: ٣٦٠.

بالتحريف والتلفيق مما يقلل من شأنها حتى إذا كان الرواة من اسياد قومه وكبارهم والشواهد كثيرة وسنعرض لبعض ذلك من خلال البحث عن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وهذا ديدن الكثير منه.

الجوزجاني،

هو إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني المتوفي سنة ٢٥٦ كان حروري المذهب شديد العداة لعلي عليه السلام وهو أحد أئمة الجرح والتعديل وفي تهذيب التهذيب قال ابن حبان في الثقات: كان حروري المذهب وكان صلب في السنة إلا أنه من صلابته ربما يتعدى طوره وقال ابن عدي: كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في الميل على علي عليه السلام وقال الدارقطني: فيه انحراف عن علي. والغريب كيف كان اماما لهم في الجرح والتعديل وهو منافق وكيف تقبل شهادته في تقييم الرجال ومن لاحظ أقواله في الرواية التي فيها فضيلة لأمر المؤمنين إلا وطعن فيها وجرح راويها بقوله هذا رافضي، خبيث، زائغ، مائل عن الحق، لا يقبل قوله الخ فكان شديد التحامل على رجال الشيعة فلا يصفهم إلا بسوء القول وبذيء العبارة لسوء عقيدته وانحرافه ونصبه ومع هذا فقد روى له الترمذي والنسائي وابن داود كما في الرمز في ذكر النواصب وخير شاهد ما وصفه ابن حجر وعرفنا الرجل ووصف تعصبه في الرواية وقوله في جرح الثقة وتوثيق المطعون فيه.

اقول: ابن حجر فصل وممن ينبغي أن يتوقف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عدواة سببها الإختلاف في الاعتقاد فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب وذلك لشدة انحرافه

وقال ابن كثير وقد صنف أبو الفخر كتاباً حافلاً في الموضوعات غير أنه ادخل فيه ما ليس منه وأخرج عنه ما كان يلزمه ذكره فسقط عليه ولم يهتدي إليه^(١).

وذكر السيوطي وقد أكثر جامع الموضوعات نحو مجلدين اعنى أبا الفرج فذكر في كتابه كثير مما لا دليل على وضعه بل هو ضعيف وفيه الحسن بل والصحيح...^(٢).

ومثله الشامي في سبل الهدى والرشاد وأن شئت المزيد من كلماتهم فراجع صدر مختصر تنزيه الشريعة وتذكرة الموضوعات واسماء رجال المشكاة لعبد الحق وكشف الظنون والمسلك الوسط الداني إلى الدر الملتقط للصنعاني وشرح المواهب اللدنية ونيل الأوطار والقول المستحسن في فخر الحسن والفوائد المجموعة.

طعن ابن الجوزي في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

ذكر ابن حجر العسقلاني بعد اثبات أحاديث (سد الأبواب إلا باب علي) وقد اورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات وأخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن ارقم وابن عمر متقصرًا على بعض طرقه عنهم واعله ببعض من تكلم فيه من رواته وليس بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق عنهم واعله أيضاً بانه للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر.

(١) الباعث الحثيث: ٧٥.

(٢) تدريب الراوي ١: ٢٣٥.

الجرح ويسكت عن التوثيق^(١).

وقال أيضاً في تذكرة الحفاظ:.... وكان كثير الغلط فيما يصنفه فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره قلت وله وهم كثير في تؤوليفه يدخل عليه الداخل من العجلة والتحول إلى مصنف آخر وأن جل علمه من كتب وصحف ما مارس فيه أرباب العلم كما ينبغي^(٢).

وقال الذهبي في التاريخ الكبير: لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة بل اعتبار كثرة اطلاعه وجمعه^(٣).

وذكر ابن حجر بترجمة ثمامة بن الأشرس في قصة ذكرها ابن الجوزي فقال: ودلت هذه القصة على أن ابن الجوزي حاطب ليل لا ينتقد ما يحدث به^(٤).

كلمات العلماء في موضوعات ابن الجوزي

قال ابن صلاح ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر الموضوعات في نحو مجلدين فاودع فيها كثيراً مما لا دليل على وضعه وإنما حقه أن يذكر في مطلق الأحاديث الضعيفة^(٥).

وذكر الكتاني في المنهل الروي في علم أصول الحديث النبي وصنف ابن الجوزي كتابه في الموضوعات فذكر كثيراً من الضعيف الذي لا دليل على ضعفه.

(١) ميزان الاعتدال ١: ١٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ٤: ١٣٤٧.

(٣) طبقات الحفاظ: ٤٧٨. طبقات المفسرين ١: ٢٧٤.

(٤) لسان الميزان ٢: ٨٤.

(٥) علوم الحديث: ٢١٢.

وقال المناوي: ووهم من زعم ضعفه كابن الجوزي^(١).

كما أن الحفاظ والعلماء قد ابطلوا دعوى ابن الجوزي وانتقدوه بذكر حديث: (أنا مدينة العلم) في كتابه الموضوعات مثل صلاح الدين العلائي والزرکشي والعسقلاني والسخاوي والسيوطي وابن حجر المكي ومجد الدين الفيروزابادي والمتقي الهندي والقاري والمنادي والزرقاني والشوكاني وغيرهم.

وغير ذلك من الأحاديث في فضائل أمير المؤمنين وجوبه بالرد والنقد من العلماء على ذلك التهور بالطعن للأحاديث الصحيحة الثابتة، ونص المحققون منهم على تسرع ابن الجوزي في الحكم على الأحاديث عامة وأن جماعة منهم ردوا كلامه في خصوص (أنا مدينة العلم) واشتهر بينهم بذلك وعلى هذا الأساس عرضوا عن أقواله في هذا الفن وتوقفوا عن قبولها وانبرى جماعة من العلماء والمحدثين للرد عليه وبيان فساد أقواله وبطلانها في أحاديث أخرى وأن لم تتعلق بالفضائل على سبيل المثال.

فذكر السيوطي بعد حديث أن طالت بك هذه.... وذكر قدح ابن الجوزي قلت لا والله ما هو بباطل بل صحيح في نهاية الصحة أخرجه مسلم في صحيحه... ثم نقل عن ابن حجر في القول المسدد هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن جماعة من مشايخه وقد اخطأ ابن الجوزي... وهذا من عجائبه وفيه بعد حديث: (إذا اتاكم كريم قوم فاكرموه) قلت واعجب من المؤلف كيف يحتم على رد الأحاديث الثابتة من غير تثبت ولا تتبع فإن الحديث ورد من رواية أكثر من عشرة من الصحابة فهو متواتر على رأى من يكتفي في التواتر بعشره.

واخطأ في ذلك خطأ شنيعاً فإنه سلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة مع أن الجمع بين القستين ممكن... وقال أيضاً: وطريق الورع في مثل هذا أن لا يحكم على الحديث بالبطلان بل يتوقف فيه إلى أن يظهر لغيره ما لم يظهر له. وهذا الحديث من هذا الباب هو حديث مشهور له طرق متعددة كل طريق منها على انفراد لا تقتصر عن رتبة الحسن ومجموعها مما يقطع بصحته على طريقة كثير من أهل الحديث^(١).

* ذكر السيوطي حول حديث: أولكم وروداً على الحوض أولكم أسلاماً علي بن أبي طالب والعجب من المصنف أنه قال في العلل باب فضل علي بن أبي طالب: قد وضعوا أحاديث خارجة عن الحد ذكرت جمهورها في كتاب الموضوعات وإنما أذكرها ههنا ما دون ذلك ثم أورد هذا الحديث وهذا بدل على أن متنه عنده ليس بموضوع فكيف يورده في الموضوعات ويحكم بوضعه ثم يورده في العلل وموضوعه الأحاديث الواهية التي لم تتبته إلى أن يحكم عليها بالوضع وهذا تناقض^(٢).

وقد أورد ابن الجوزي في كتابه العلل المتناهية الحديث المشهور: (أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) واعترض عليه كبار المحدثين ومنهم السخاوي قوله وتعجبت من إيراد ابن الجوزي له في (العلل المتناهية بل اعجب من ذلك قوله أنه حديث لا يصح مع ما سيأتي من طرقه التي بعضها في صحيح مسلم^(٣).

(١) القول المسدد في الذب عن مسند أحمد: ١٦.

(٢) اللئاليء المصنوعة ١: ٣٢٦.

(٣) استجلاء ارتقاء الغرف (مخطوط).

وذكر السيوطي: وقد جمع في ذلك الحافظ ابن الجوزي كتاباً حافلاً فكثر فيه من اخراج الضعيف الذي لم ينحط إلى رتبة الوضع بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبه على ذلك الأئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح في علوم الحديث (اللتالي ١: ٢٠) وذكر فيه: واعلم أنه جرت عادة الحفاظ كالحاكم وابن حبان والعقيلي وغيره أنهم يحكمون على حديث بالبطلان من حيث سند مخصوص لكون راويه اختلق ذلك السند لذلك المتن ويكون ذلك المتن معروفاً من وجه آخر ويذكرون ذلك في ترجمة ذلك الراوي يجرحونه به فيغتر ابن الجوزي بذلك ويحكم على المتن بالوضع مطلقاً ويورده في كتاب الموضوعات وليس هذا بلائق وقد عاب عليه الناس ذلك اخرهم الحافظ ابن حجر.

وقال الذهبي في تاريخه، عن أبي المجد قال: صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات فاصاب في ذكره أحاديث مخالفة للنقل والعقل ومما لم يصب فيه اطلاقه الوضع على أحاديث بكلام بعض الناس في أحد رواياتها كقوله فلان ضعيف أو ليس بالقوي أو لين وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا لسنة ولا اجماع ولا حجة بأنه موضوع سوى كلام ذلك الرجل في رواية وهذا عدوان ومجازفة ثم ذكر له شواهد...^(١)

وقال ابن عراق: وللإمام ابن الجوزي فيها كتاب جامع إلا أن عليه

مؤاخذات ومناقشات^(٢).

(١) تدريب الراوي ١: ٢٣٥.

(٢) تنزيه الشريعة ١: ٣.

وذكر العلائي في تعقيبه على الحديث ولم يأت أبو الفرج ولا غيره بعلّة قاذحة في حديث شريك سوى دعوى الوضع دفعاً بالمصدر، واللثالي المصنوعة، كما عقب صلاح الدين العسقلاني على الذهبي بقوله قد قال ببطلانه أيضاً الذهبي في الميزان وغيره ولم يأتوا في ذلك بعلّة قاذحة سوى عوي الوضع دفعاً بالمصدر... الخ.

وقال السيوطي في صدر النكت البديعات على الموضوعات وبعد فإن كتاب الموضوعات جمع ابن الجوزي وقد نبه الحفاظ قديماً وحديثاً على أن فيه تساهلاً كثيراً وأحاديث ليست بموضوعة بل هي من وادي الضعيف وفيه أحاديث حسان وأخرى صحاح بل وفيه حديث من صحيح مسلم نبه عليه الحافظ ابن حجر ووجدت فيه حديثاً من صحيح البخاري رواية حماد بن شاهر وآخر متنه في البخاري من رواية صحابي غير الذي أورده عنه.

وقال في خاتمه هذا آخر ما أورده في هذا الكتاب من الأحاديث المتعقبة التي لا سبيل إلى إدراجها في سلك الموضوعات وعدتها نحو ثلاثمائة حديث منها في صحيح مسلم حديث وفي صحيح البخاري حديث وفي مسند أحمد ثمانية وثلاثون حديثاً وسنن ابن داود تسعة أحاديث وفي جامع الترمذي ثلاثون حديثاً وفي سنن النسائي عشرة أحاديث وفي سنن ابن ماجه ثلاثون حديثاً وفي مستدرک الحاكم ستون حديثاً وعد من الصحاح الأخرى والمسانيد.

وقال السخاوي:... ولو انتدب شخص لتهديب الكتاب ثم لالحاق ما فاته لكان حسناً والا فيما تقرر عدم الانتفاع به إلا للناقد إذ ما من حديث الا يمكن أن لا يكون موضوعاً^(١).

(١) فتح المغيث في شرح ألفية الحديث ١: ٢٣٦.

وقال ابن العماد: وكان ابن حزم كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه فنفرت منه القلوب (١).

وقد اجمع فقهاء عصره على تضليله والتشنيع عليه ونهى العوام عن الاقتراب منه وحكموا باحراق تأليفه ومدوناته مهما وجدوا الضلال في طياتها (٢) ويعرفه الألويسي عند ذكره بقوله: الضال المضل، كما في تفسيره (٣).

وذكر ابن خلكان (٤) كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم من لسانه وذكر قول ابن العريف... قاله لكثرة وقوعه في الأئمة فنفرت منه القلوب واستهدف لفقهاء وقته فتمالؤا على بغضه وردوا قوله واجتمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم من الدنو إليه والاخذ عنه... الخ.

والخلاصة: ان هذه صورة موجزة لبعضهم وتعرفنا على حالاتهم وسلوكهم

(١) إعجاز القرآن (الباقلائي): ٦٢. شذرات الذهب ٣: ٢٠٠.

(٢) لسان الميزان ٤: ٢٠٠.

(٣) تفسير الألويسي ٢١: ٧٦.

(٤) المصدر ١: ٣٧٠، وعنه اعجاز القرآن (الباقلائي): ٦٢.

ابن حزم،

وان لم يكن ابن حزم من أصحاب الجرح والتعديل بمفهومه الخاص إلا أن تقول وافتعل وتهجم على جميع المسلمين ونسب لكثير منهم أقوالاً مكذوبة وآراء مفتعلة وكان يتحامل على الشيعة بصورة خاصة وينسب إليهم أقوالاً لا قائل بها ويلحق بها فرقاً لا وجود لها كل ذلك تعصبا منه لأنه كان أموي النزعة ومعروفا بمولاته لبني أمية وتعرض لفضائل أمير المؤمنين وطعن بالكثير منها وجرح روايتها تحكما وزورا وأخذ عنه ابن تيمية في مهاجته واستدل بها واعتمد عليها وأن كان شقيقه في النزعة لامويه والنصب والعداء فكلاهما على حد سواء فلهذا اقتضى عرض نموذج له ومن لاحظ كتبه التي ملأها بالجهل والهديان عرف ذلك^(١).

قال ابن حبان: وكان ابن حزم مما يزيد شئثانه تشيعة لامراء بني أمية ماضيهم وباقيهم واعتقاده بصحة امامتهم حتى نسب إلى النصب.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي وزعم ابن حزم أنه امام الأئمة يضع ويرفع ويحكم ويشرع وينسب إلى دين الله ما ليس فيه ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفير القلوب عنهم^(٢).

وقال أبو العباس ابن العريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين^(٣).

(١) وقد رده في فصل خاص الشيخ الأميني في الغدير، ج ٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣: ١١٥٢. سير أعلام النبلاء ١٨: ٢٠١. الشافعية للسبكي ٣: ٧٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣: ١١٥٤. سير أعلام النبلاء ١٨: ١٩٩. لسان الميزان ٤: ٢٠١. الأعلام ٤: ٢٥٤.

اعجاز القرآن (الباقلاني): ٦٢. شذرات الذهب ٣: ٢٠٠.

تهمة الزندقة

لا احسب لمن تعرف على سيرة السلطات المتعاقبة ولو بمعرفة سطحية إلا ويعرف ما لها من الاثر الكبير في إخفاء فضائل أمير المؤمنين وجدير لمن يريد الانصاف أن يتدبر أقوال بعض رجال الجرح والتعديل الذين ساروا في ركاب الدولة ونفخوا ببوقها.

وعلى أي حال فانهم لم يجدوا حلا لهذه المشكلة إلا أن يلصقوا تهما لرواة الأحاديث التي تتعارض وسياسة الدولة ويتلقاها المجتمع بالقبول فتوسعوا في التهم واتخذوا مرتزقة لتحقيق ذلك الغرض فوضعوا قاعدة قررها علماء السوء وهي إذا رأيت الرجل ينتقص أحد من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه زنديق وأن الاتهام بالزندقة كان لاسباب سياسيه عندما اتخذها بعض الخلفاء وسيله للقضاء على معارضيهم حتى كان هناك من الوزراء من يتخذ الاتهام بالزندقة سبيلا للكيد والوقية بنظرائهم الذين يحقدون عليهم لذلك أصبح لفظ الزنديق مشتركا غامضا فاطلق على معان مختلفة بعد أن كان يطلق على من يؤمن بالمانوية... ثم اتسع حتى أطلق على كل صاحب بدعة وكل ملحد وانتهى به الأمر أخيرا إلى أن يطلق على من يكون مذهبه مخالفا لمذهب أهل السنة.

وان الطعن عندهم منشأه النصب والعناد فهل يمكن والحالة هذه الاعتبار باقوالهم في مقام الجرح والتعديل حتى مع اختلاف العصر لارتفاع الثقة بهم وبمروياتهم. ومن المؤسف أن يأتي بعدهم ويأخذ من هذا المتعصب العنود أو ذاك الناصبي الحقود ويعتبر قوله ويسير على خطاه ويرسله إرسال المسلمات دون ان يتعرف لحال هذا وذاك وهذه من إحدى الأسباب التي طمست فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

تهمة التشيع أو الرفض

لا اريد في هذه العجالة أن نخوض في علم الحديث وتدوينه ولا الدفاع عن الشيعة أو تدوينهم للحديث فإن اهتمامهم بحفظ الحديث وتدوينه كان أكثر من غيرهم رغم تلك المعارضات والشكوك التي تغذيها السياسة وتقف ورائها في اتهام الشيعة وتقبلها كثير من أصحاب الجرح والتعديل عندما يترجمون لشيعة حيث أن تلك الأقوال والتهم لا تستند على اسس واقعية فقد اضطرت أقوال علماء الرجال في قبول رواية الشيعة أو عدمها ومن الذي تقبل روايته ومن ترد روايته وما هي البدعة التي ابتدعتها الشيعة فاستوجبوا ذلك.

ومع كل الحملات العنيفة على رواية الشيعة فإن لها الاثر المقبول والمنزلة العالية لدى المنصفين وقليل ما هم ولانهم يحملون من الاثار النبوية في الأحكام الشرعية ما لا يمكن الاستغناء عنه ولم يجد العلماء بديلا عنه رغم كل محاولات السلطة واعوانها.

حتى قال علي المدني: لو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي (يعني التشيع)

خربت الكتب،

وان المهدي كان يطلق كلمة زنديق على من لم يعترف بخلافته أو عدالته^(١) وكذلك أطلق لفظ الزنديق على من يناقش أحاديث الصحابة أو يرددها لعدم صحتها^(٢).

وقد سجل لنا التاريخ كثيراً من تلك الحوادث التي كان مبعثها الحقد والانتقام والتشفي.

وهذا ما حمل الكثير من الكتاب إلى إيجاد رابطة بين الزندقة وبين التحرر الفكري والنقد للأوضاع... والتي جعلت الإنتساب إلى التشيع دليلاً على الزندقة ولا شيء هناك إلا عدم ارتباط العقائد بالدولة وأن انفصالهم الروحي وعدم امتزاجهم بالسلطان واعوانه لا كبر دليل على الاستهانة بتوجيه التهمة إليهم كما وأصبح من لا يؤمن بشرعية السلطان العباسي زنديقا وتعرف بالزندقة السياسية التي وسم بها كثير من الناس الذين استنكروا على العباسيين سوء سيرتهم.

(١) تاريخ ابن كثير ١٠: ١٥٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٤: ٧.

وحد الثقة العدالة والاتقان فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة.
 وجوابه أن البدعة على ضربين فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا
 غلو ولا تحرف فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلو رد
 حديث هؤلاء لذهب جملة الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة.
 ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر
 والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتاج بهم ولا كرامة....
 فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير
 وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً وتعرض لسبهم والغالي في زماننا وعرفنا
 هو الذي يكفر هؤلاء السادة... (١).

ومن هذا ظهر أن قول الذهبي أن مطلق التشيع هو بدعة ولكنها تختلف شدة
 وضعفاً وأن البدعة الصغرى غلو التشيع أو التشيع بلا غلو بمعنى مطلق الحب لعلي
 ومشايعته.

فلو سئلنا الذهبي هل يبقى بعد هذا التقسيم لاحد من المسلمين ولم تشمله
 هذه البدعة اللهم إلا المنافقون الذين وصفهم الحديث النبوي بقوله ﷺ (يا
 علي لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) (٢) خاصة بعد أن ذكر أن هذه
 البدعة (وهي التشيع مع الغلو) ومعناه حب علي كانت كثيرة في التابعين وتابعيهم
 مع أنهم من أهل الورع والدين فكيف يوسمون بالبدع ونعرض لتقسيم آخر كما

(١) ميزان الاعتدال ١: ٦.

(٢) مسند أحمد ١: ٩٥. سنن الترمذي ٥: ٣٠٦. سنن النسائي ٨: ١١٦. مجمع الزوائد ٩: ١٣٣. فتح

الباري ١: ٦٠. السنن الكبرى ٥: ١٣٧. مسند أبي يعلى ١: ٢٥١. المعجم الأوسط ٢: ٣٣٧.

وقال الخطيب (قوله: خربت الكتب) يعني لذهب الحديث^(١).

وروى أيضاً... قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب وسئل عن الفضل بن محمد الشعراني فقال: صدوق في الرواية إلا أنه كان من الغالين في التشيع قيل له فقد حدثت عنه في الصحيح فقال: لأن كتاب استاذي ملأن من حديث الشيعة يعني مسلم بن الحجاج^(٢).

ولو لحضنا أئمة المذاهب الأربعة لعرفنا قيمة تلك الأقوال المكذوبة فإن أبا حنيفة كان من تلامذة الإمام الباقر وولده الإمام الصادق عليه السلام كما تقدم ومالك من تلامذة الإمام الصادق والشافعي تلميذ لمالك وأحمد تلميذ للشافعي والكل قد رووا عن رجال الشيعة وخرجوا أحاديثهم.

ثم نلاحظ إلى رواة الحديث وأهل الصحاح فنجد كتبهم مليئة برواية الشيعة وأحاديثهم مثل البخاري وكان شيوخه من الشيعة يربو عددهم على العشرين رجلاً^(٣)، وكذلك مسلم والترمذي وغيرهم من رواة الحديث وذكر منهم سيدنا شرف الدين في المراجعات ما يقرب من مائة وذكر الأستاذ أسد حيدر في كتابه اضعافهم، وذكر الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب وانه كوفي شيعي جلد لكنه صدوق فلنا صدقه وعليه بدعته وقد وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وابو حاتم واورده ابن عدي وقال: كان غالباً في التشيع وقال السعدي: (الجوزجاني) زائع مجاهر (كما هي عادته في رجال الشيعة) فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع

(١) الكفاية في علم الرواية: ١٥٧.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ١٥٩.

(٣) كما نقله الاستاذ أسد حيدر في الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ٤١١.

وقالوا: -

لا تحل الرواية عنهم وهم في نظر طائفة من السلف كفار لا يجوز الاخذ عنهم^(١).

وقالوا: -

أن من قدم علياً على عثمان فهو من أهل البدع مع أن الكثير من هؤلاء من رجال الصحاح وعرفه أصحاب الجرح والتعديل هذا شيعي مبتدع أو صاحب بدعة وذاك زنديق مائل عن الحق أو زائغ أما قولهم كذاب ووضاع فلا عدله ولا حصر ولأن السلطة الغاشمة قررت نظام الكفر أو الزندقة على المعارضين لسياستها ومن الثابت أن الشيعة لم تسير في ركب تلك الحكومات الظالمة في كل ادوارها وعلى مدى العصور وأن السلطة تعد من لا يوازرها ويتعاون معها هو خصم يجب القضاء عليه لأن عدم التعاون مع الدولة هو عدم الاعتراف باهليتها للحكم ومعارض سياستها.

وقد اتخذ خصوم الشيعة ذريعة الوقوع فيهم والظعن في عقائدهم واصبحوا بتقديم علياً عليه السلام مبتدعة فقالوا: لا تحل الرواية عنهم الخ.

وحيث لا يمكنهم القضاء على المعارضين إلا بذرائع شتى ومنها الاحتيال والالتهام بسب الصحابة أو الشيخين.

حتى قيل فكانت الحكومة إذا أرادت أن تعاقب شيعيا لمذهبه لم تذكر اسم علياً بل يجعل سبب العقوبة أنه شتم أبا بكر وعمر قاله في المنتظم ومثله ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٧.

(١) الكفاية في علم الرواية: ٤٨.

جاء عن أبي قيس الاودي ^(١) قوله ادركت الناس وهم ثلاث طبقات: -

- أهل دين يحبون علياً،

- واهل دنيا يحبون معاوية،

- والخوارج ^(٢).

ونستنتج مما تقدم: ما لتلك السياسة التي انتهجتها السلطة لاغراضها وما لتلك النظم من التأثير في روح البعض من العداة للشيعه فلا غرابه بتغييرهم عن التشيع بكونه بدعة كما هو في كثير من عبارات أهل الحديث فالبدعة هنا في مقابلة سنة السياسة لا سنة الشريعة والا فما هي بدعة التشيع وهم مجمعون على أن الشيعة هم الذين شايعوا علياً وتابعوه.

ولو تساءلنا مع الذهبي من أين جاء بهذا التحديد واختص به الشيخين دون أصحاب الرسول ﷺ وهل تشمل هذه البدعة من شتم علياً ولعنه وكيف تقبل روايته أمثال حريز والحسين بن غير وعمران بن حطان وغيرهم - وتقدم ذكرهم في النواصب - بل نجد العكس بقبول روايتهم ومن رجال الصحاح الثقات وبرروا لهم تلك الجرائم بالاجتهاد والتأويل ومنحوهم الاجر والثواب والله المشتكى.

وما أكثر الشواهد على تأثر المجتمع بتلك النزعة السياسية فلا نستغرب تلك الأقوال التي كان يتخذها خصوم على وشيعته وسيلة للارتزاق وطريقاً لاستحالة قلوب ولاة الأمر ارضاء لهم وأن غضب الله عليه بما يفترون.

(١) أبو قيس الاودي المتوفى سنة ١٢٠، وهو من رجال صحيح البخاري ومسلم والترمذي وابن داود والنسائي.

(٢) الجوهرة في نسب الامام علي: ٩٣. العدد القوية: ٢٥٠. النصائح الكافية: ٢١٨. تقوية الايمان: ٢٤٠. وذكره في الاستيعاب ٣: ٥. عن سفيان الثوري.

خثيمة بن سليمان العابد ألف في فضائل الصحابة وذكر فضائل علي عليه السلام فاتهم بالتشيع لذلك وشهد الخطيب البغدادي بأنه ثقة وأنه ألف في مناقب الصحابة ولم يخص علياً ^(١).

عبد الرزاق بن همام ت سنة ٢١١ الحافظ الكبير ومن رجال الصحاح قال الذهبي: أنه صاحب تصانيف وثقه غير واحد وحديثه مخرج في الصحاح وله ما ينفرد به وتقموا عليه التشيع وما كان يغلو به بل كان يجب علياً ويبغض من قاتله ^(٢) ويقول في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي: هو من ثقات الشيعة حدث عنه سيار بن حاتم وعبد الرزاق بن همام وعنه أخذ بدعة التشيع ^(٣).

فانظر لهذ بعين الانصاف الذي تقموا عليه التشيع وهو حب علي وبغض قاتله وجعلوه بدعة.

محمد بن طلحة بن عثمان أبو الحسن النعالي اتهم بالتشيع وتعرض للخطر لأن أبا القاسم نقل عنه أن شتم معاوية ^(٤).

قال القضاة محي الدين الأموي يرجع نسبه إلى عثمان قال ابن عماد في ترجمته: وكان شيعياً يفضل علياً على عثمان مع كونه عثمانياً النسب وهو القائل:

١٧٤. تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٤٢. ميزان الاعتدال ٦: ٢١٦. طبقات الشافعية للسبكي ٤: ١٦١.

لسان الميزان ٥: ٣٣.

(١) تاريخ ابن عساكر ١٧: ٧٢. لسان الميزان ٢: ٤١١.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ٣٦٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٢٤١.

(٤) تاريخ بغداد ٢: ٣٥٩.

ومن هذا نعرف عظيم الخطر الذي تلاقيه الشيعة أو الروافض كما يقولون لأنه أصبح نظام تلك العصور أن من يروى منقبة لعلي وأهل بيته يعد رافضيا وصاحب بدعة إلى غير ذلك.

وكم اتهم بذلك من العلماء حتى من كبار حفاظهم وأئمة الحديث واصبحوا عرضه للبلاء ومحلا للنقمة وقتل بعضهم وطرد من التدريس أو الإمامة في الصلاة كما طعنوا بمؤلفاته وكتبهم عندما يذكر فضيلة لأمير المؤمنين ولنعرض لبعضهم باختصار.

الحاكم أبو عبد الله النيسابوري اتهم بالتشيع لأنه ذكر في كتابه (المستدرک علی الصحیحین) أحاديث في فضائل علي عليه السلام منها حديث الطائر المشوى وحديث (من كنت مولاه) ^(١) وزاد الذهبي أنه كان منحرفا عن معاوية ^(٢).

وذكر الذهبي قول ابن طاهر عن الحاكم صاحب المستدرک قوله كان شديد التعصب للشيعة في الباطن وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة وكان منحرفا غالبا عن معاوية وأهل بيته ^(٣)، ويقصد بهم أبو سفيان وأمه هند وابنه يزيد.

كما تجد اتهامه بالتشيع في تاريخ بغداد والانساب للسمعاني ^(٤) ومثله في المنتظم والعبر وشذرات الذهب وسير اعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ وطبقات الشافعية ^(٥).

(١) المستدرک ٣: ١٠٩، وص ١١٠، وص ١١٦، وص ١٣٤، وص ٣٧١، ص ٥٣٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٤٥. سير اعلام النبلاء ١٧: ١٧٤ - ١٧٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٤٥.

(٤) تاريخ بغداد ٥: ٤٧٤. أنساب السمعياني ١: ٤٣٣.

(٥) المنتظم ٩: ١٤١. العبر ٢: ٢١١. شذرات الذهب ٣: ١٧٧. سير اعلام النبلاء ١٧: ١٦٥، ١٦٨.

لأهل البيت غير أن ابن كثير في تاريخه قال: بأنه شيعي لروايه نقلها تمس بكرامة الأمويين والاعراب ما جاء عن ابن كثير في تاريخه (١) وهو أن ابن عبد ربه مؤلف العقد الفريد كان من الشيعة بل أن فيه تشيع شنيع لما روى في أخبار خالد القسري وما هو عليه من سوء الحال.

فيقول: وقد نسب إليه - أي لخالد - أشياء لا تصح لأن صاحب العقد الفريد كان فيه تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت وربما لا يفهم أحد كلامه ما فيه من التشيع وقد اغتر به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ وغيره.

ومن طالع كتابه العقد الفريد عرف نسبة هذه التهمة وقد عرف عنه النصب وطعن في كتابه للشيعة ونسب لهم أموراً حتى تصدى لرد أقواله واكاذيبه شيخنا الأميني في كتابه (الغدير)، ولأبي الفرج الاصبهاني صاحب الاغانى نسب إلى التشيع (٢). وعلى هذا تستمر تجري التعسفات وتجري نسبة التشيع إلى اناس ليسوا من الشيعة وتخبطوا بذلك واصبح الأمر غير منوط بقاعدة ولا مسند بدليل غير أن قوة السلطة وبطشها وتأثر الجماعات بتلك السياسة أما رغبة أو رهبة فاتهموا كل من يروي فضيلة لأمر المؤمنين في كتابه أو في قول يرويه أو حديث يذكره فينسب الكتاب وصاحبه إلى التشيع أو الرفض أو يطعن بالراوي وما روى ويجرح في سند الحديث أو يضعف متنه بالتاويل أو التحريف وقد تجاوزوا الحد فتوسعوا بنسبة التشيع إلى أئمة المذاهب.

حتى أن أبا حنيفة نسبوه إلى التشيع لأنه كان يذهب إلى تفضيل علي على

(١) تاريخ ابن كثير ١٠: ٢١.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٨: ٣٤٩، ووفيات الأعيان ٣: ٣٠٧.

ادين بما دان الوصي ولا ارى
ولو شهدت صفين خيلي لاعذرت
سواه وأن كانت أمية محتدى
وساء بني حرب هنالك مشهدي^(١)

محمد بن جرير الطبري المؤر الشهير،

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٠ أنه دفن ليلاً بداره لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً وادعوا عليه الرفض والاحاد وقال علي بن عيسى: لو سئل هؤلاء عن معنى الرفض والاحاد ما عرفوه ولا فهموه...^(٢).

ابن حبون أبو عبد الله من علماء الاندلس وعظماهم قال ابن سعيد: لو كان الصدق انسانا لكان ابن حبون وكان غير (يزن) أي يتهم في التشيع لشيء كان يظهر منه في معاوية.

وجاء في أصحاب المغازي واتهموا بالتشيع لذكرهم بعض الأمور العامة ونقل عن الحموي كان أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وابو معشر ويحيى بن سعيد الأموي وغيرهم^(٣).

ومن الغريب أن ابن عبد البر قد اتهم بالتشيع على ما عرف عنه من العدا

(١) البداية والنهاية ١٣: ٣٠٠. شذرات الذهب ٥: ٣٢٦. مرآة الجنات ٤: ١٦٩.

(٢) الكامل ٨: ٤٩.

(٣) معجم الأدباء ١٨: ٧.

وذكر ابن الجوزي في المنتظم ١٣: ٤١٧ كان ابن جرير يرى جواز المسح على القدمين ولا يوجب غسلهما فلهذا أنسب إلى الرفض... الخ، أو لكتابته لحديث الغدير وجمع طرقه كما في البداية والنهاية ١١: ١٦٧. ومثله ابن الجوزي في المنتظم ١٣: ٢١٧، وأبو الفرج الاصبهاني أيضاً نسب إلى التشيع كما في المنتظم ٨: ٣٤٩، ووفيات الأعيان ٣: ٣٠٧، وميزان الاعتدال ٥: ١٥١، ولسان الميزان ٤: ٢٢١، وشذرات الذهب ٣: ١٩ ومثله أبو حاتم الرازي كما في تهذيب التهذيب ٧: ٣٠، وغيره كما في دلائل الصدق ١: ٢٤.

البيهقي عن أبي داود السجستاني أنه قيل لآحمد بن حنبل أن يحيى بن معين ينسب الشافعي إلى الشيعة فقال أحمد: كيف عرفت ذلك فقال يحيى: نظرت (في كتابه) في قتال أهل البغي فرايته قد احتج من اوله إلى آخره بعلي بن أبي طالب.
فقال أحمد: يا عجباً لك فيمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي فإن أول من ابتلى من هذه الأمة بقتال أهل البغي هو علي بن أبي طالب قال: فخجل يحيى من كلامه.

وقال ابن النديم: وكان الشافعي شديداً في التشيع واستدل على ذلك بما يلي:
ذكر له رجل يوماً مسألة فاجاب فيها فقال له الرجل: خالفت علي بن أبي طالب عليه السلام فقال الشافعي: أثبت لي هذا عن علي بن أبي طالب حتى اضع خدي على التراب وأقول: قد اخطأت.

حضر الشافعي مجلساً فيه بعض الطالبين فقال: لا اتكلم في مجلس اجدهم -

أي الطالبين - أحق بالكلام ولهم الرئاسة والفضل ^(١).

واتهموا النسائي بالتشيع كما ذكره في (وفيات الأعيان ١ : ٧٧)، وسير اعلام النبلاء ٤ : ١٣٣. وما ذلك الا لتأليفه كتاب الخصائص في فضائل أمير المؤمنين وقوله لا أعرف لمعاوية فضيلة إلا (لا أشبع الله بطنه)، مع ان الحديث رواه مسلم في (صحيحه ٨ : ٢٧).

(١) فهرست ابن النديم: ٢٩٥.

عثمان ولما كان الإمام الشافعي يتظاهر بحب أهل البيت ومدحهم بأبيات كثيرة لا مجال لذكرها:

آل النبي ذريعتي وهمو إليه وسيلتي
ارجو بأن اعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي
كما اشتهر عنه:

يا آل بيت رسول الله حبكموا فرض من الله في القرآن انزله
كفاكموا من عظيم الذكر انكموا من لم يصل عليكم لا صلاة له
كما شعر هو بذلك فدافع بقوله:

قالوا ترفضت قلت كلا ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت دون شك خير امام وخير هادي

ثم اشتهر عنه قوله بحب علي وآل البيت ولم يكثر بما نسب إليه من الرفض الذي كان من أعظم التهم في عصره.

يا راكبا قف بالحصب من مني واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى مني فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

ولما اتهم بالرفض لشدة تظاهره بحب علي فقد هجاه بعضهم بقوله المشهور:
يمون الشافعي وليس يدري علي ربه أم ربه الله
وله أبيات كثيرة في هذا الخصوص.

ولقد نص على تهمة تشيع للشافعي جماعة من المؤرخين والمحدثين مثل يحيى بن معين فقال الفخر الرازي^(١) وأما طعن يحيى ابن معين فالجواب عنه ما روى

(١) مناقب الشافعي للرازي: ٥١.

استطاعوا تشويه الحقائق وحمل الناس على مخالفة الواقع وتدخلوا بأشكال مختلفة مما أفسد على المجتمع ما صلح فبدلوا لهم حرفوا وطعنوا ببعض الأحاديث التي لا تسير بذلك الاتجاه وجرحوا رواة الحديث حتى من كان منهم من كبار التابعين وتابعيهم والعلماء الثقات والمحدثين الاثبات واحتجت بهم الصحاح الستة واخرجت لهم ووثقتهم وروت عنهم وصدقتهم بالعدالة والثقة وحيث لم يرق هذا الأصحاب الجرح والتعديل ممن استولى عليه عمى البصيرة وتغلب عليه العناد والتعصب الارعن أو قلدوا الاسلاف بما اوحت لهم تلك السياسة الظالمه فتلقوه دون تثبت في الحكم وتدبر في الأمر فصار الطعن بهذا الراوي ويكيلون له التهم هذا شيعي أو فيه شيعية شديدة وهذا مائل عن الحق أو زائغ وهذا الحديث منكر إلى غير ذلك ويصبح غرضاً ترشقه سهام التهم والخيال كل ذلك من أجل حديث يرويه في فضل أمير المؤمنين لا غير^(١) ويأتي آخر في كذب الحديث ويزعم أنه من وضع الرافضة لعلي بن أبي طالب ولم ينتبه إلى أن الحديث مشهور أو متواتر في مسانيد قومه وكتب حديثهم ويأتي اخرويتهم الراوي أنه شيعي وهو متهم بحب علي ولم يلتفت أن الحديث روى عن غيره وبطرق عديدة وصححها حفاظهم وبكلمات أخرى مشوشة ومتضاربة لتعداد اغراضهم وتهم واهيه لم يدعموها بحجة مقبولة ولا مسندة بادلة منقولة وهكذا تسير الأمور طبقاً للسياسة المناوئة لأهل البيت وتختفي فضائل أمير المؤمنين ويطعن رواتها .

وباختصار أعرض لأربعة وعشرين راويًا كنماذج للتدليل من هؤلاء الرجال

(١) ولان ابن حجر قال: واما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المخطيء فلا تقبل رواية الرافض الغالي ولا كرامة.

الطعن بالرواية من أجل تشيعهم

(أخطر آفة على العلم)

ولما كان لوضع الحديث اخطر آفة على العلم فقد اهتم علماء الحديث من الشيعة وبذلوا جهودا كثيرة في عناية تامة بالبحث والتحقيق لمعرفة رجال الحديث وترتيب طبقات رجالهم والتثبت من احوالهم وبيان عدالتهم والثقة باقوالهم وغيرها...

ولا يخفى على المتتبع المنصف معارضة الأمويين والعباسيين لظهار ذكر آل محمد ﷺ ونشر مآثرهم فانهم يرون ذلك معارضا لسياستهم وقد منعوا جميع المحدثين أن لا يذكروا علياً وأهل بيته بخير ولا يروون حديثهم فكان العلماء إذا أرادوا أن يحدثوا عن علي كنوه بأبي زينب.

ورأينا بعض رجال الحديث تركوا الرواية الصحيحة عن أهل البيت أما خوفا على أنفسهم أو تقرباً للسلطة.

وخلاصة القول: أن الأمويين كان اتجاههم للسياسة فحسب وقد ابتعدوا عن شؤون الدين فكان من سياستهم أن يقبلوا قول كل أحد ممن دب ودرج ولا يسمعون لقول أهل البيت وشيعتهم ويعاقبون من يذكر في ذلك.

وجندوا لذلك مرتزقة لتثبيت كيانهم ممن يوافق اغراضهم وراينا كيف

وأقول: بعد أن خرج حديثه أصحاب الصحاح وقال بقبول روايته وصدقه واعترفوا بعلو منزله فلا يضر به قول الجوزجاني وباختصار فإن بدعة أبان هي مولاته لعلي عليه السلام وصلابة الجوزجاني في السنة هي بغضه لعلي عليه السلام.^(١)
وقال الذهبي: أبان بن تغلب شيعي جلد لكنه صدوق لنا صدقه وعليه بدعته^(٢).

٢- الاجلح.

الاجلح بن عبدالله الكندي خرج حديثه البخاري في الأدب المفرد ومسلم في صحيحه والأربعة وروى عنه جماعة...

قال ابن حجر: اجلح صدوق شيعي مستقيم الحديث من الطبقة السابعة مات سنة ١٤٥ وقال ابن معين: اجلح صالح ثقة وليس به بأس وقال ابن عدي: اجلح له أحاديث صالحة ويروي عنه الكوفيون وغيرهم ولم ارى له حديثاً منكراً مجاوزاً للحد لا اسناداً ولا متناً إلا أنه من شيعة الكوفة وهو عندي صدوق^(٣) ومستقيم الحديث كما في تهذيب الكمال^(٤).

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ١: ٩٣. طبقات ابن سعد ٦: ٢٥٠. فهرست ابن النديم: ٣٠٨. معجم الأدباء ١: ١١٧. سير أعلام النبلاء ١: ٥٩. بغية الوعاة: ١٧٦. ميزان الاعتدال ١: ٥. خلاصة تهذيب الكمال: ١٣، شذرات الذهب ١: ٢١٠. طبقات القراء ١: ٨٦. مرآة الجنات ١: ٢٩٣ وقال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبان فقال: ثقة، وقال أحمد بن حنبل وابن معين: أبان ثقة....

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ١٦٦.

(٤) تهذيب الكمال ٢: ٢٧٨.

الثقات الذين احتج بهم أصحاب الصحاح ووثقوهم ورووا عنهم كما اختصر ذكر الأسباب التي ضعفتم ونالت منهم من أهل الجرح والتعديل ومن لا حظ مصنفاتهم الرجالية يجد أضعاف ما عرضناه وقد عرض لبعضهم سيدنا شرف الدين في المراجعات ومثله المرحوم الشيخ أسد حيدر في كتابه الإمام الصادق، والمرحوم الشيخ المظفر في دلائل الصدق وغيرهم.

١- أبان بن تغلب الحريري ت ١٤١،

خرج حديثه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وروى عنه جماعة وذكرهم... قال ابن عدي أبان له نسخ عامتها مستقيمة وان كان مذهبه التشيع وهو في الرواية صالح لا بأس به.

وقال ياقوت الحموي: كان قارئاً لغوياً فقيهاً نامياً ثقةً عظيم المنزلة جليل

القدر...

وقال أبو نعيم في تاريخه: وكان غاية من الغايات.

وقال العقيلي: سمعت أبا عبد الله يذكر عنه عقلاً وادباً وصحة حديث إلا أنه

كان غالباً في التشيع.

ومثله الأزدي: كان غالباً في التشيع وما اعلم به في الحديث باساً.

غير أن الذهبي والجوزجاني قالوا: أبان زائع مذموم المذهب.

فقال ابن حجر وأما الجوزجاني: فلا عبرة بحطه على الكوفيين فالتشيع في

عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان وأن علياً مصيباً في حروبه

وأن مخالفه منطويء وربما اعتقد بعضهم أن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله وإذا

كان معتقد ذلك وربما ديناً صادقاً مجتهداً فلا ترد روايته.

مبتدع^(١) وقال البزار: انما كان عيبه - أي إسماعيل - شدة تشيعه لعلي وانه غير (او عيب) عليه في السماع. إلى آخر ما جاء حول إسماعيل شيخ البخاري واحمد وغيرهما وقد وصفوه بالصدق والأمانة والثقة إلا أن عيبه حبه لعلي عليه السلام.

٤- إسماعيل بن سلمان الازرق،

خرج حديثه ابن ماجة والبخاري في الأدب المفرد وروى عنه جماعة^(٢)... وقد تحامل بعض الحفاظ على إسماعيل هذا لأنه أحد رواة حديث الطائر المشوي الذي أخرجه الترمذي والبعوي في المصايح الحسان وجمع كثير وحديث الطائر مشهور وأحد رواته إسماعيل وهو السبب في طعنه وجرحه ولم ينفرد في نقله فقد روى بطرق متعددة - سيأتي ذكرها انشاء الله - حتى أن الذهبي صححه وجعل فيه جزءاً منفرداً.

٥- إسماعيل بن موسى الفزاري سنة ٢٤٥ .

روى له البخاري في (خلق افعال العباد) وخرج حديثه أبو داود والترمذي وابن ماجة وروى عنه جماعة ذكرهم...^(٣). قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: صدوق وقال ابن حجر: صدوق يخطأ ورمى بالرفض^(٤).

(١) هدى الساري: ٨٨. مقدمة فتح الباري: ٣٨٨. وعنه فتح الملك العلي: ١١١.

(٢) مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: ٣٢٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ٢٩٢.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٧٥.

ولما روى بعض الأحاديث في فضائل أمير المؤمنين فذكر الحاكم قوله قد
أعرض الشيخان عن الاجلح وليس في رواياته بالمتروك فإن الذي تقم عليه
مذهبه^(١) ولاجل هذا.

قال الجوزجاني: اجلح مفتر وقال النسائي: له رأي سوء.^(٢)

٣- إسماعيل بن أبان الأزدي ت ٢١٦،

خرج حديثه البخاري والترمذي في الصحيح وأبو داود في مراسيله وكان
من شيوخ البخاري روى عنه جماعة...^(٣)

وقال ابن حجر: كوفي ثقة تكلم فيه للتشيع^(٤).

وقال الذهبي: شيخ البخاري حدث عنه يحيى وأحمد وقال البخاري: صدوق
وقال غيره: كان يتشيع^(٥) وقال الجوزجاني: كان مائلا عن الحق ولم يكن يكذب
قال ابن عدي حول قول الجوزجاني: (مائلا عن الحق) يريد به ما عليه الكوفيون
من التشيع^(٦).

وقال ابن حجر: الجوزجاني كان ناصبيا منحرفا عن علي فهو ضد الشيعي
المنحرف عن عثمان والصواب موالاتهما جميعا ولا ينبغي أن يسمع قول مبتدع في

(١) المستدرك ٤: ٩٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٧٩.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ٢٣٦، الجرح والتعديل ١: ١٦٠.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٨٩.

(٥) ميزان الاعتدال ١: ٢١٢.

(٦) ميزان الاعتدال ١: ٧٦.

٦- الاصبع بن نباتة التميمي (١):

خرج حديثه ابن ماجه وروى عنه جماعة...

كان من خواص الإمام علي عليه السلام وكان على شرطته قال ابن حبان: اصبع فتن بحب علي فأتى بالطامات.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه عن علي عليه السلام لا يتابعه عليه أحد وهو بين الضعف ثم قال: وإذا حدث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته وقال العجلي: اصبع كوفي تابعه ثقة وقال ابن سعد: اصبع كان شيعيا وكان يضعف في روايته وكان على شرطة علي عليه السلام وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وقال الجوزجاني: زائغ.

ومما يبدو ومن كلمة ابن عدي بأن الاصبع ثقة ولكنه مكذوب عليه وهذا ليس ببعيد أن يضع المغرضون عنه أخبارا غير صحيحة لتنسب إلى شيعة علي عليه السلام حتى يكون طريق للوقية فيهم وهذا كثير في تلك العصور.

والغرض أن الاصبع من الثقات ومن خواص أمير المؤمنين ولكن تحاملهم عليه لشدة حبه لعلي ولو لم يكن ثقة لما سلمه زمام الأمور ولولا اعتماده عليه لما أرسله إلى معاوية أو ان حرب صفين مفاوضا ومحتجا حتى اغضب معاوية وابو هريرة كما ذكر ابن الجوزي في التذكرة وغيره ومواقف الاصبع مع الحجاج تثبت حبه لعلي وتمسكه بولائه ومن أجل هذا قال عنه الجوزجاني: زائغ.

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ١: ٣٦٢. ميزان الاعتدال ١: ٢٥٢، رقم [٩٥٨]. الخلاصة للخزرجي:

٣٣. تقريب التقريب ١: ٨١. وغيرهم.

وقال الذهبي: روى عنه أبو داود وأبو عروة وابن خزيمة وخلائق... وقال النسائي ليس به بأس وقال ابن عدي: انكروا عليه غلوه في التشيع^(١).
وقال مطين:... كان صدوقا وقال أبو داود: صدوق في الحديث وكان يتشيع^(٢) وقد اتهموه بشتم السلف وكان هناد ينهى عن الحضور عند إسماعيل لأنه يشتم السلف وشتم السلف في عرفهم يدخل فيه نقل كل رواية فيها حط على واحد منهم حتى لو قال أحد أن معاوية خالف الكتاب والسنة بالحاقه زياد بن سمية بابي سفيان أو يقال: بانه سلط بسر ابن ارطاة على المسلمين فقتل الاطفال والشيوخ والنساء^(٣) أو يقال: أن المغيرة بن شعبة زنى بام جميل^(٤) وخالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة ظلما ونزى على امرأته في ليلته^(٥) إلى أمثال هذا الظاهر الثابت فيرمى الناقل لها بالفسق وشتم السلف.
ونقل الذهبي عن ابن أبي شيبه أو هناد أنه قال لمن يذهب لسماع الحديث من إسماعيل هذا: (إيش عملتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف)^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء ١١: ١٧٧.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٢٩٣.

(٣) كما تقدم في غارات معاوية على اليمن والحجاز وبعض مناطق العراق.

(٤) وذكر تفصيله الأميني في الغدير ٦: ١٤١، نقلا عن ابن أبي الحديد وغيره والنص والاجتهاد: ٥١١

، وص: ٣٥٤.

(٥) النص والاجتهاد ذكر تفصيلها عن جماعة من أنوار الحسين: ١٢٢.

(٦) ميزان الاعتدال ١: ٢٥٢.

اسلاما واعلمهم بأحكام القرآن واقضاهم بالحكم واعدلهم في الرعية واقربهم من رسول الله بل هو نفسه وهو الإمام علي عليه السلام.

فانا نجد كتب الحديث مملوءة من روايات من نصب العدا لعللي وولديه أمثال الخوارج كعمران بن حطان وثور بن زيد الديلمي والجوزجاني وغيرهم فقد وثقوهم واخذوا عنهم.

وكذا النواصب وتقدم فما يقول ابن معين في الرواية عن اتخذ شتم أهل البيت سنة فهل تركوه أم اخرجوا أحاديثه وانه صلب في السنة وانه ثقة في الحديث وأن كان هذا يخص جماعة دون آخرين فنترك تقديره للقراء..

٨- ثوير بن أبي فاخنة،

ثوير بن أبي فاخنة؛ سعيد بن علاقة الهاشمي مولى أم هاني وقيل مولى زوجها جعدة خرج حديثه الترمذي في صحيحه وروى عنه جماعة... قال يونس بن أبي إسحاق: كان رافضيا وقال ابن معين: ليس بشيء وقال أبو حاتم: وغيره ضعيف ^(١).

ونقموا على ثوير هذا تشييعه لعللي عليه السلام وروايته عن أبيه أبي فاخنة وكان أبوه من كبار التابعين ووثقه جماعة.

وقد روى ثوير عن أبيه كما حدث عنه أبو مریم الأنصاري أنه سمع علياً عليه السلام

يقول: لا يحبني كافر ولا ولد زنا ^(٢).

(١) ميزان الاعتدال ١: ٣٧٥، رقم [١٤٠٨].

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٣٧٦، رقم [١٤٠٨].

٧- تليد بن سليمان المحاربي ت سنة ١٩٠ (١):

خرج حديثه الترمذي في صحيحه وروى عنه جماعة...

قال أحمد بن حنبل: تليد كان مذهبه التشيع وقال البخاري: تليد تكلم فيه يحيى بن معين ورماه وقال العجلي: تليد كوفي روى عنه أحمد بن حنبل لا بأس به كان يتشيع ويدلس وقال أحمد بن حنبل: كتبت عنه حديثاً كثيراً وقال يعقوب بن سفيان: تليد رافضي خبيث.

وأخرج الخطيب البغدادي عن تليد عن... عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: ((أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم)) (٢).

وقد اتهم تليد بأنه شتم عثمان ولهذا حملوا عليه فكذبوه يقول عباس بن محمد: سمعت يحيى ابن معين يقول: تليد كذاب كان يشتم عثماناً وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه ولعنة الله والملائكة والناس اجمعين (٣).

فلو قلنا أن هذا الشتم لم يكن ذريعة لطعن تليد فهل قول ابن معين عام لكل من شتم أحداً من أصحاب محمد ﷺ أم خاص بالبعض دون البعض فإن كان على وجه العموم فبأي وجه وبأي عذر يصدق من يحمل على أول الصحابة

(١) ترجمته في تاريخ بغداد ٧: ١٣٦. الجرح والتعديل ١: ٤٧١. تهذيب التهذيب ١: ٥٠٩. ميزان الاعتدال ١: ١٦٦.

(٢) تقدمت مصادر الحديث.

(٣) تاريخ بغداد ٧: ١٤٥.

فقال له جعفر: يراك انسان فيقتدي بك (١) فلهذا فقد وصفوه بالغلو مع توثيقهم له.

١٠- جعفر بن سليمان،

جعفر بن سليمان الصبعي ت ١٧٨ من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام.

خرج حديثه البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجه وروى عنه... (٢).

قال أحمد بن حنبل: جعفر لا بأس به، فقيل: أن سليمان بن حرب يقول: لا يكتب حديثه فقال أحمد: انما كان جعفر يتشيع وأهل البصرة يغفلون في علي عليه السلام (٣).
وقد وثقه ابن معين وأحمد بن حنبل وابن سعد وغيرهم وحمل بعضهم عليه لتشيعه أو ميله لأهل البيت عليهم السلام.

قال ابن حبان: كان جعفر من الثقات في الروايات غير أنه ينحل الميل إلى أهل البيت ولم يكن بداعية إلى مذهبه وليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلاف أن الصدوق المتقن إذا كانت فيه بدعة ولم يكن يدعو إليها الاحتجاج بخبره جائز (٤).
لقد تقدم القول بمفهوم البدعة ومما يظهر أنه وسموا الشيعة بالبدعة لانهم مع أهل البيت كما في كلمة ابن حبان فعلى هذا أن مطلق الميل إلى أمير المؤمنين وأهل بيته بدعة ومفهومه أن عدم الميل إليهم يكون سنة كما جاء عن الذهبي في

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٩٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٢: ٩٥. الجرح والتعديل ١: ٤٨١.

(٣) تهذيب التهذيب ٢: ٩٥.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٨٣.

٩- جعفر بن زياد،

جعفر بن زياد الاحمر الكوفي ت سنة ١٦٧.

خرج حديثه أبو داود والترمذي والنسائي وروى عنه جماعة... (١).

قال ابن حجر: صدوق يتشيع (٢).

ووثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة (٣) وقال أبو داود: صدوق

شيعي وقال ابن أبي شيبة: صدوق ثقة، وقال العجلي: كوفي ثقة (٤).

ويقول الجوزجاني: جعفر بن زياد مائل عن الطريق، قال الخطيب البغدادي

بعد نقل كلمة الجوزجاني: قلت يعني في مذهبه وما نسب إليه من التشيع ولقد

تحمل جعفر بن زياد في سبيل حبه لآل محمد وتشيعه لهم جور السلطة وعنف

الولاية لأنه كان من رؤساء الشيعة في خراسان فقد كتب المنصور إلى هراة

باشخاصة مع جماعة من الشيعة فحبسوا في المطبق دهرا طويلا وكان اشخاصة

بصورة الالهانة والتحقير وذلك أنهم اشخصوه في ساجور وهو خشبة تعلق في

الكلب أو قلادة تجعل في عنقه والمراد هنا أنهم اشخصوه وفي عنقه حبل يجرب به (٥)

وقد كان لا يصلي مع الولاية ولا يميل إليهم.

وكان الحسن بن صالح يصلي الجمعة مع الأمراء وكان الحسن من الشيعة

فمنعه جعفر عن صلاة الجمعة معهم فقال له: الحسن اصلي معهم ثم اعيدها.

(١) تاريخ بغداد ٧: ١٥٩. تهذيب التهذيب ٢: ٩٢.

(٢) التقريب ١: ١٦١، رقم [٩٤٢].

(٣) الجرح والتعديل ١: ١٨٠.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٩٣.

(٥) تاريخ بغداد ٧: ١٥٠.

غير أن الشعبي حمل عليه فكذبه بدون حجة إلا أنه شيعي كما أشار إلى ذلك ابن عبدالبر^(١) إذ يقول: واظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني أحد الكذابين ولم يبن من الحرث كذبه وإنما نقمه افراطه في حب علي وتفضيله له على غيره وإلى هنا والله اعلم كذبه الشعبي لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وأنه أول من أسلم.

والشعبي كذبه إبراهيم النخعي عندما ذكر عنده فقال إبراهيم: الشعبي ذاك الكذاب ولم يسمع من مسروق^(٢).

من هذا وما سيأتي يظهر أن الطعون على رجال الشيعة لم تكن مفسرة للجرح فيهم وإنما جرحوهم للتشيع فقط.

١٢- الحسن بن صالح بن حي الكوفي الفقيه العابدت ١٦٧:

خرج حديثه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وروى عنه جماعة...^(٣).

قال العجلي: كان الحسن حسن الفقه من اسنان الثوري أو افقه منه ثقة ثبتا متعبدا وكان يتشيع إلا ان ابن المبارك كان يحمل عليه بعض الحمل لمحال التشيع^(٤). وقال ابن حبان: كان الحسن فقيها ورعا من المتقشفة الخشن وممن تجرد

(١) ذكر قول ابن عبدالبر في تهذيب التهذيب ٢: ١٢٧. ومثله القرطبي في تفسيره ١: ٥.

(٢) جامع الاحاديث ١: ١٥٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٢١٦، رقم [٢٠٣]. تهذيب التهذيب ٢: ٢٤٨.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٢٥١.

ترجمة جعفر بن سليمان روى عنه سيار بن حاتم وعبد الرزاق وعنه أخذ بدعة التشيع (١).

وعلى أي حال فإن جعفر بن سليمان إنما جرحه البعض لأنه ممن يجب أهل البيت وهو أحد رواة حديث الطير المشهور الذي رواه جماعة من الحفاظ.

١١- الحارث الهمداني.

الحارث بن عبد الله الهمداني الكوفي ٦٥.

خرج حديثه الترمذي والنسائي وابو داود وابن ماجه وروى عنه الشعبي... (٢).

كان الحارث من أصحاب الإمام علي عليه السلام ومن رجال الشيعة وقد وثقه ابن معين والنسائي وأحمد بن صالح وابن أبي داود وغيرهم.

وكان يحيى بن سعيد القطان يحدث من حديث الحارث وكان أبو إسحاق يصلي خلف الحارث وكان امام قومه وكان أبو إسحاق السبيعي يقول: ليس بالكوفة اعلم بفريضة من عبدة والحارث (٣).

وقال محمد بن سيرين: كان من أصحاب ابن مسعود خمسة يؤخذ عنهم فادركت أربعة وفاتني الحارث وكان يفضل عليهم.

وغيرهم كثير ممن وصفه بالعلم والتقوى والثقة في النقل.

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٢٤١.

(٢) الجرح والتعديل ١: ٧٨. تهذيب التهذيب ٢: ١٤٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٦: ١٦٨.

الساجي: كان ينسب إلى التشيع المفرط (١).

ووصفه الجوزجاني: بأنه مائل وهذا تعبيره عن رجالات الشيعة ولا جدال بأن شريكا كان يروي فضائل علي عليه السلام ويراه افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر قوم معاوية عند شريك فقال: كان معاوية حليما فقال: ليس بحليم من سفة الحق (٢).

وتولى شريك القضاء بواسط سنة ١٥٥ وعزله المهدي العباسي كما ذكر الخطيب (٣): ما عرف عنه التشيع والقول بالإمامة وتقدم ذكرها.

١٤- سليمان بن مهران الأعمش الكوفي ت ١٤٨.

خرج حديثه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجه وروى عنه جماعة كثيرة (٤).

وهو من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام وهو من اقرء الناس بالقرآن واعرفهم بالفرائض واحفظهم للحديث ووثقه ابن معين والنسائي وقال العجلي: سليمان الأعمش ثقة ثبتا في الحديث وكان محدث أهل الكوفة في زمانه... وكان فيه تشيع (٥) كما وصفه بالتشيع في الملل والنحل وابن قتيبة (٦)، وكان يقال: له علاقة الإسلام

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٢٩٦.

(٢) البداية والنهاية ٨: ١٣٩. ميزان الاعتدال ١: ٤٤٦.

(٣) تاريخ بغداد ٢٩: ٣٩.

(٤) تاريخ بغداد ٩: ٣.

(٥) تهذيب التهذيب ٤: ٢٢٣. تاريخ بغداد ٩: ٥.

(٦) الملل والنحل ١: ٣٧٥. المعارف: ٢٦٨.

للعادة ورفض الرئاسة على تشيع فيه^(١).

وقال ابن سعد: كان الحسن ثقة صحيح الحديث كثيرة وكان متشيعا^(٢).

وقال أبو نعيم: ما كان الحسن بدون الثوري في الورع والقوة ما رأيت إلا من

غلط في شيء إلا الحسن بن صالح^(٣).

وهكذا يتوال المدح والثناء على المترجم إلا أنهم وسموه بالتشيع.

١٢- شريك بن عبد الله النخعي الكوفي ت ١٧٧ .

خرج حديثه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبخاري

تعليقا وروى عنه جماعة وخلق كثير...^(٤) وذكر له الخطيب عدداً آخر ممن روى

عنه وكذلك ابن أبي حاتم في المرح والتعديل.

وقد وثقه غير واحد قال يحيى بن معين: شريك ثقة، وقال العجلي: شريك

كوفي ثقة وكان حسن الحديث وكان اروى الناس عنه: إسحاق الأزرق وقال

الطبري: كان فقيها عالما وقال أبو داود: ثقة وغيرهم... كما في التهذيب.

وقال ابن المبارك: شريك اعلم مجديث أهل الكوفة من سفيان ومثله عن

إسحاق بن إسرائيل.

وقال محمد بن عيسى: رأيت شريكا وقد اثر السجود في جبهته وقال

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٢٥١. الثقات ٦: ١٦٥. الانساب ٥: ٦٤٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٦: ٣٧٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٢٠١. وكذا في المعارف: ٢٢٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٤: ٣٣٢. تاريخ بغداد ٩: ٢٧٩.

حبان: كان داعية للرفض^(١) وقال الذهبي في الميزان: عباد.. من غلاة الشيعة ورؤوس البدع صادق في الحديث وقال ابن عدي: عباد فيه غلو في التشيع... ثم قال: وسمعتة يقول: الله اعدل أن يدخل طلحة والزبير الجنة لانهما بايعة علياً ثم قاتلاه^(٢) وكان ابن خزيمة إذا حدث عنه يقول: حدثنا الثقة في روايته المتهم في رأيه^(٣) وإياً كان فإن عباد كان من الثقات وأهل الصدق إلا أنه شيعي أو رافضي. وجاء أن عباد كان من شيوخ البخاري^(٤).

والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة كما تقدم وبدون شك أن عبادا كان كذلك ولذا نسب له الرفض أو المغالات واطاف ابن حبان إلى أنه يروي المناكير عن المشاهير وليس له حجة في هذه الدعوى إلا ما رواه عباد عن شريك... عن عبد الله عن النبي ﷺ انه قال: ((إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه))^(٥) ولم ينفرد عباد بهذه الرواية فقد رواها غيره وتقدم الحديث عنها وبسبب هذه الرواية قالوا: أنه يستحق الترك وأن كان ثقة صدوقاً وذكر في العباقيات^(٦) أسباب آخر لتهمة الطعن لا مجال لذكرها.

(١) شذرات الذهب ٢: ١٢١.

(٢) تهذيب التهذيب ٥: ٩٦.

(٣) هدى الساري: ٤١١.

(٤) نقلاً عن السمعاني، كما في العباقيات ١٣: ١١٨.

(٥) تهذيب التهذيب ٥: ٩٦.

(٦) العباقيات ١٣: ١١٨.

وكان يسمى المصحف لصدقه^(١).

ولكن الجوزجاني كما ذكر في ترجمة زبيد اليامي أن الجوزجاني قال: كان من أهل الكوفة قوم لا تحمد مذاهبهم وهم رؤوس محدثي الكوفة مثل زبيد وابن اسحاق ومنصور والاعمش وغيرهم...^(٢) والجوزجاني يقصد بسوء المذهب هو التشيع لما ظهر له من امتحان هشام بن عبد الملك للاعمش في تشييعه فكتب إليه أكتب لي فضائل عثمان ومساويء علي.

فاخذ الأعمش الكتاب ولقمه لشاة عنده وقال للرسول هذا جوابك فألح عليه الرسول فكتب بعد البسملة أما بعد فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك ولو كانت لعلي مساويء أهل الأرض ما ضرتك فعليك بخويصة نفسك^(٣).

١٥- عباد بن يعقوب الروجيني سنة ٢٥٠.

خرج حديثه البخاري والترمذي وابن ماجه وروى عنه جماعة...^(٤) وقال ابن حجر: عباد الرواجيني رافضي مشهور إلا أنه كان صدوقا، وثقه أبو حاتم^(٥) وقال الدارقطني: شيعي صدوق^(٦)، وقال ابن العماد: عباد الحافظ الحجة قال ابن

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٢٢٣.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٣٤٥.

(٣) شذرات الذهب ١: ٢٢١.

(٤) تهذيب التهذيب ٥: ١٠٩.

(٥) هدى الساري: ١٤٠.

(٦) تهذيب التهذيب ٥: ٩٥ - ٩٦، رقم [١٨٣]. مقدمة فتح الباري: ٤١٠.

من كبار شيوخه واسحاق الحنظلي وابن أبي شيبة وغيرهم ذكر منهم في تهذيب التهذيب أكثر من أربعين من الحفاظ.

قال الذهبي: عبید الله الحافظ الثبت المقری العابد من كبار علماء الشيعة^(١) وقال الياقعي: عبید الله كان امام في الفقه والقرآن موصوفا بالعبادة والصلاح لكنه من رؤوس الشيعة^(٢).

وقال ابن حجر: عبید الله من كبار شيوخ البخاري وثقه ابن معين وابو حاتم والعجلي وابن أبي شيبة وآخرون^(٣).

وقال الحاكم: سمعت قاسم بن قاسم السيارى سمعت أبا مسلم البغدادي الحافظ يقول: عبید الله بن موسى من المتروكين تركه أحمد لتشيعة وقد عوتب أحمد على روايته عن عبد الرزاق^(٤).

وعلى أي حال هذا عبید الله بن موسى ومكانته عند أصحاب الصحاح الستة ومحله عند أئمة الجرح والتعديل فقد اجمع اولئك على الرواية عنه وهؤلاء على توثيقه ووصفه بالحفظ والثناء عليه مع ما عرفت من زهده وورعه وفقهه وعلمه ولكن تركه أحمد بن حنبل وامر بتركه لماذا لتشيعة وماذا يعني من تشيعة أنه يوالي علياً دون معاوية.

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٢) مرآة الجنان.

(٣) هدى الساري: ٤٢٣.

(٤) تهذيب التهذيب ٧: ٤٨.

١٦- عبد الله بن لهيعة،

عبد الله بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر وعالمها ت سنة ١٧٠ أو ١٧٤. خرج حديثه مسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه وروى عنه جماعة... ذكر ابن حجر منهم أكثر من خمسة وعشرين من الحفاظ وثقه أحمد بن صالح وكان ابن وهب يقول: حدثني الصادق البار عبد الله بن لهيعة وقال سفيان: عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع^(١) وقال ابن عدي: أنه مفرط في التشيع وقال: الجوزجاني لا ينبغي أن يحتج به ولا يغتر بروايته ولعل الجوزجاني يشير إلى ما رواه ابن لهيعة بسند عن ابن عمر أن رسول الله قال في مرضه: ادعوا لي اخي فدعى له أبو بكر فأعرض عنه ثم قال: ادعوا لي اخي فدعى عثمان... فأعرض عنه ثم دعى له علي فستره بثوبه واكب عليه فلما خرج ﷺ قيل له: ما قال لك علي؟ قال: علمني ألف باب يفتح لي ألف باب^(٢).

وقد روى له مالك في الموطأ ولم يذكر اسمه بل قال: عن الثقة، قال ابن عبد البر: هو ابن لهيعة وكذلك البخاري روى له ولم يصرح باسمه^(٣).

١٧- عبيد الله بن موسى،

عبيد الله بن موسى العبسي ت سنة ٢١٣

خرج حديثه البخاري ومسلم في الصحيح والأربعة وروى عنه البخاري وهو

(١) تهذيب التهذيب ٥: ٣٢٩. شذرات الذهب ١: ٢٨٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٦٧.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ٣٥٠.

الأئمة كلهم^(١).

وقال الذهبي: وثقه غير واحد وحديثه مخرج في الصحاح وله ما ينفرد به وتقموا عليه التشيع وما كان يغلو بل كان يحب علياً عليه السلام ويبغض من قاتله^(٢) وقال ابن ناصر: وثقه غير واحد ولكن تقموا عليه التشيع وذكره ابن حبان في الثقات وعلى أي حال فإن عبد الرزاق كان من أئمة الحديث واوعية العلم ورحل إليه العلماء ووثقوه ولكن كان شيعياً يحب علياً ويبغض من قاتله وبهذا استحق أن يطعن به العباس العنبري ولم يوافق أحد على ذلك.

١٩ - علي بن الجعد

علي بن الجعد بن عبيد البغدادي ت سنة ٢٣٠.

خرج حديثه البخاري وابو داود وروى عنه جماعة... ذكر منهم الخطيب في تاريخه ما يقرب العشرين من الحفاظ وزاد ابن حجر في التهذيب باكثر من ذلك وهو من كبار شيوخ البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين قال عبد الخالق بن منصور: سمعت يحيى بن معين يقول: كتبت عن علي بن الجعد أكثر من ثلاثين سنة^(٣) قال ابن حجر: علي بن الجعد ثقة ثبت رمي بالتشيع^(٤) وقال أبو حاتم: لم ار من المحدثين من يحدث بالحديث على لفظ واحد لا يغيره سوى علي بن الجعد^(٥).

(١) هدى الساري: ٤١٨. مقدمة فتح الباري ٤١٨.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ٣٦٤، رقم [٣٥٧].

(٣) تاريخ بغداد ١١: ٣٦٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٣٤٥. سير أعلام النبلاء ١٠: ٤٦٢.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٦٨٩.

(٥) هدى الساري: ٤٢٩. مقدمة فتح الباري: ٤٢٩.

ومن الغريب ما في مراسلة ذكرها الخطيب ^(١) بين يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وأن عبيد الله بن موسى يتناول معاوية فليزم تركه باختصار ولما لزم ترك عبيد الله وتركه أحمد لأنه يتناول معاوية ثم اقرء واعجب في ترجمه إسحاق ابن سويد العدوي ^(٢) تجد أحمد بن حنبل قد وثقه على تحامله الشديد على علي عليه السلام و اقرء ترجمة حريز بن عثمان الحمصي فيما شئت من الكتب الرجالية وموسوعات التراجم تجدها كلها تحكي عن حريز بانه ناصبا مبغضا لأمير المؤمنين عليه السلام يسبه ويلعنه كل صباح ومساء وتجدها كلما تحكى أن أحمد بن حنبل وثقه وقال: ثقة ثقة ليس بالشام كلها اثبت منه. هكذا نقله ابن حجر.

١٨- عبد الرزاق بن همام،

عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني ت ٢١١.

خرج حديثه البخاري ومسلم والجماعة وروى عنه جماعة... وذكر منهم ابن حجر ^(٣) أكثر من ثلاثين رجلاً وهو من كبار شيوخ أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابن المديني وابن معين.

وقال ابن عدي: رحل إليه أئمة المسلمين وثقاتهم ولم نر بحديثه بأساً إلا أنهم نسبوه للتشيع وهو أعظم ما ذموه به.

وقال ابن حجر: عبد الرزاق أحد الحفاظ الاثبات صاحب التصانيف وثقه

(١) تاريخ بغداد ١٤: ٤٢٧.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٢٠٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٦: ٢٧٨، رقم [٦١١].

مذهبه فإنه كان يتشيع وأما روايته فقد وصفوه بالصدق^(١).

٢١ - عطية بن سعد.

عطية بن سعد بن جنادة العوفي ت ١١١.

خرج حديثه أبو داود والترمذي وابن ماجه وروى عنه جماعة...

وثقه ابن سعد وقال ابن معين: صالح الحديث وقال أبو داود: وليس بالذي يعتمد عليه وقال أبو بكر البراز: كان يعده في التشيع وقال الساجي: ليس بحجة وكان يقدم علياً على الكل ولهذا قال الجوزجاني: مائل وقد امتحن عطية في حبه لعلي عليه السلام فان الحجاج كتب إلى محمد بن القاسم الثقفي أن أدع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب وإلا فاضربه أربعمئة سوط وأحلق رأسه ولحيته فلم يفعل عطية فضربه أربعمئة سوط^(٢).

٢٢ - عمارة بن جوين العبدى البصرى ت ١٣٤.

خرج حديثه الترمذي وابن ماجه والبخاري تعليقا وروى عنه...^(٣) قال ابن حجر: عمارة بن جوين أبو هارون العبدى مشهور بكنيته متروك ومنهم من كذبه^(٤) وقد أوضح ابن عبد البر أسباب تكذيبهم لعمارة بقوله: وقد تحامل بعضهم فنسبه إلى الكذب روى ذلك عن حماد ابن زيد وكان فيه تشيع وأهل البصرة يفرطون فيمن يتشيع بين أظهرهم لانهم عثمانيون.

(١) تاريخ بغداد ١٢: ٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٦: ٣٠٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٧: ٣٦١، رقم [٦٧١].

(٤) تقريب التهذيب ١: ٧٠٩.

وقال الذهبي: قال ابن معين: هو اثبت البغداديين في شعبه وهو صدوق وقيل أنه مكث ستين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان عالماً نبيلاً متمولاً، فيه ابتداء نال من بعض السلف (١).

وذلك أنه ذكر عنده حديث ابن عمر: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ فنقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان، فقال علي بن الجعد: أنظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته (٢) يقول كنا نفاضل (٣) ومن أجل هذا نسبه الذهبي: ينال من بعض السلف.

٢٠- علي بن غراب

علي بن غراب الفزاري الكوفي ت ١٨٤.

خرج حديثه النسائي وابن ماجه وروى عنه جماعة...

قال المروزي عن أحمد كان حديث علي بن غراب حديث أهل الصدق وقال ابن معين: هو المسكين صدوق لم يكن به بأس ولكنه كان يتشيع وقال: أنه ثقة، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا بأس به، وقال أبو زرعة: علي بن غراب هو صدوق عندي وأحب إلي من علي بن عاصم (٤).

وقال الجوزجاني: قلت احسب أن إبراهيم (الجوزجاني) طعن عليه لأجل

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٤٠٠.

(٢) يشير إلى حديث ابن عمر انه طلق امرأته في الحيض فأمر النبي ﷺ أن يأمره ان يراجعها. أخرجه البخاري.

(٣) تاريخ بغداد ١١: ٣٦٣.

(٤) المجرح والتعديل ٦: ٢٠٠، رقم [١٠٩٩]. تهذيب التهذيب ٧: ٣٢٥.

الفهرست

٥	المقدمة
٧	تمهيد
٧	في منع كتابة سنة رسول الله ﷺ والتحديث بها
٩	الفصل الأول: أهمية سنة النبي ﷺ
١٢	القرآن يثبت حجية السنة
١٣	أمر النبي ﷺ بحفظ السنة
١٩	الفصل الثاني: رفضهم لسنة النبي في حياته ﷺ
٢١	حديث الدواة وكتابة الكتاب
٢٦	نسبتهم النهي عن كتابة السنة إلى النبي ﷺ
٢٧	منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد أبي بكر
٢٩	منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد عمر
٣٦	منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد عثمان
٣٧	رفع المنع في عهد أمير المؤمنين

٢٣- عمارة بن معاوية البجلي ت ١٣٣،

خرج حديثه مسلم والأربعة وروى عنه...^(١).

وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم وقال ابن حجر: صدوق يتشيع^(٢).
وكان عمارة من تلامذة الإمام الباقر عليه السلام وولده الإمام الصادق عليه السلام وقد
عذب لتشييعه نقل ابن المديني عن سفيان: أن عمارة قطع بشر بن مروان عرقوبه
في التشيع.

٢٤- يونس بن خباب،

يونس ابن خباب الاسدي ويقال: أبو الجهم

خرج حديثه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبخاري في الأدب
المفرد وروى عنه....

قال الساجي: تكلموا فيه من جهة رأيه السوء ووثقه ابن معين وابن أبي
شيبه^(٣).

وقال الدارقطني: رجل سوء فيه شيعية مفرطة، وقال العجلي: شيعي غال،
وقال الجوزجاني: كذاب مفتر، وقال أبو داود: ليس في حديثه نكارة إلا أنه زاد في
حديثه عذاب القبر وعلي عليه السلام ولي^(٤).

(١) الجرح والتعديل ٦: ٣٦٣، رقم [٢٠٠٥].

(٢) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠٦.

(٣) تهذيب التهذيب ١١: ٣٨٥، رقم [٧٤٩].

(٤) تهذيب التهذيب ١١: ٣٨٥.

- ٩٦.....تبرير أعمال الخلفاء.....
- ١٠٠.....خلافة عبد الملك بن مروان.....
- ١٠١.....توليته للحجاج الثقفي.....
- ١٠٢.....كفر الحجاج وإحاده.....
- ١٠٧.....خلافة الوليد بن عبد الملك.....
- ١٠٩.....خلافة عمر بن عبد العزيز.....
- ١١١.....الخليفة يزيد بن عبد الملك.....
- ١١٣.....الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان.....
- ١١٥.....خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك.....
- ١١٩.....الفصل الرابع: ثورة العباسيين والإطاحة بالأمويين.....
- ١٢١.....ثورة الدعوة إلى الرضا من آل محمد عليه السلام.....
- ١٢٤.....المنصور العباسي.....
- ١٢٩.....هارون الرشيد.....
- ١٣٢.....جوائز المهدي العباسي.....
- ١٣٧.....المتوكل العباسي.....
- ١٤٣.....الفصل الخامس: السقيفة وتوارث الخلافة.....
- ١٤٥.....الانقلاب على آل الرسول عليه السلام.....
- ١٤٨.....مبدأ الشورى المزعوم.....

- ٤٠..... القصاصون في عهد الإمام علي عليه السلام
- ٤١..... منع تدوين السنة في عهد معاوية
- ٤٥..... الفصل الثالث: أضواء على العهد الأموي
- ٤٧..... قادة المشركين يتسلطون على الأمة الإسلامية
- ٥١..... شخصية معاوية ونفسيته
- ٥٣..... بغض بني أمية لعلي عليه السلام
- ٥٧..... مواقف معاوية وأبيه من الإسلام
- ٥٨..... صور لإسلام أبي سفيان ومعاوية
- ٦٠..... بعض أقوال الرسول ﷺ في معاوية
- ٦٧..... من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله إلى معاوية
- ٧٢..... شراء معاوية للضمائر!
- ٧٨..... أخذ معاوية البيعة ليزيد!
- ٧٩..... وقعة الحرة وكرבלاء
- ٨٢..... الخلافة في عهد عبد الله بن الزبير
- ٨٣..... الخلافة في عهد أبناء مروان
- ٩٠..... الشجرة الملعونة في القرآن!
- ٩٠..... رؤيا رسول الله في بني أمية
- ٩٢..... إذا بلغت بنو أمية ثلاثين رجلاً
- ٩٤..... حديث: أغلمة قريش وتنبؤ الرسول بعهد السفهاء

- الفصل السابع: اجتهاداتهم في تأويل وإنكار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ٢١٣
- تأويلهم وطمسهم لفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ٢٢٤
- نماذج من اجتهاداتهم لطمس مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ٢٢٩
- تبرير معاوية وابن العاص بالاجتهاد في محاربتهم علياً عليه السلام ٢٣٣
- من حثالة الأمويين ٢٣٧
- الفصل الثامن: ما شهدوا به من تحريم قتال أمير المؤمنين عليه السلام ٢٣٩
- إخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتال علي عليه السلام ٢٤٣
- تذكير الزبير بقتاله علياً عليه السلام ٢٤٤
- عزل معاوية عن ولاية الشام ٢٤٩
- أقوال الإمام عليه السلام بعد أن اضطر إلى قتالهم ٢٥١
- الفصل التاسع: الأحاديث النبوية في قتال الناكثين والقاسطين ٢٥٣
- اجتهاد أبو الغادية قاتل عمار ٢٦٧
- الفصل العاشر: اجتهادات عائشة في حرب أمير المؤمنين ٢٧٣
- في قتال أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل ٢٧٥
- نبأ وفاة عثمان واستعداد عائشة للحرب ٢٨٠
- محاولة عائشة خداع بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله ٢٨٢
- وصول عائشة إلى ماء الحوآب ٢٨٤

- ١٥٠ تولى عثمان الخلافة
- ١٥٢ بيعة الإمام علي عليه السلام
- ١٥٢ اغتصاب معاوية للبيعة
- ١٥٥ البيعة ليزيد
- ١٥٧ توارث للخلافة
- ١٦١ الفصل السادس: تأسيس العباسيين للمذاهب
- ١٦٣ دهاء المنصور العباسي
- ١٧٢ انتشار المذاهب
- ١٧٥ التعصب للمذاهب
- ١٨٠ أشهر أئمة المذاهب
- ١٨٠ مالك بن أنس
- ١٨٥ أسباب انتشار مذهب مالك
- ١٨٨ المذهب الحنفي
- ١٩١ المذهب الشافعي
- ١٩٤ المذهب الحنبلي
- ١٩٧ المذهب الجعفري مذهب أهل البيت
- ٢٠٣ الإمام جعفر الصادق عليه السلام

- ٣٦١ ترك التكبير بغضاً لعلي عليه السلام
- ٣٦٣ ترك المسح في الوضوء بغضاً لعلي عليه السلام
- ٣٦٤ ترك التشبه بالشيعة.....
- ٣٦٩ الحذف من بعض الأحاديث.....
- ٣٧٤ حذف حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها.....
- ٣٧٥ حذف تصحيح حديث رد الشمس.....
- ٣٧٥ حديث انذار العشيرة.....
- ٣٧٩ حذف حديث المباهلة.....
- ٣٨٥ التحريف والتصحيح في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٨٦ في رد الشمس لعلي.....
- ٣٨٦ التحريف في دواوين الشعر.....
- ٣٨٩ تحريف شروط المعاهدة.....
- ٣٨٩ في الرسائل والخطب.....
- ٣٩٠ كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية.....
- ٣٩٢ حذف من خطبة الإمام الحسين عليه السلام
- ٣٩٣ التأويل في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٩٧ التأويل في حديث بريدة.....
- ٣٩٩ تأويل كلمة عمر الخشننة.....
- ٣٩٩ الزيادة على الأحاديث.....

- ٢٨٩خطبة عائشة في البصرة.
- ٢٩٢خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله قرب حرب الجمل.
- ٢٩٦احتجاج الإمام عليه السلام على القوم.
- ٣٠٠بدء المعركة الصغرى.
- ٣٠٢بدء الحرب.
- ٣٠٩الفصل الحادي عشر: اجتهادات يزيد بن معاوية.
- ٣١٢اجتهادات ابن تيمية وتأويلاته في نهضة الحسين عليه السلام.
- ٣١٦تأويل ابن تيمية لوقعة الحرة.
- ٣١٧تأويل إحراق الكعبة.
- ٣٢١الفصل الثاني عشر: رسائل معاوية لجميع الأقطار.
- ٣٣٠معاوية يختار من الصحابة والتابعين لاغراضه.
- ٣٣٥ولاية معاوية.
- ٣٣٩التهديد لمن ذكر فضيلة لعلي عليه السلام.
- ٣٤٨التعظيم على فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.
- ٣٥٢الحظر على من تسمى باسم علي عليه السلام.
- ٣٥٧ترك السنن بغضاً لعلي عليه السلام.
- ٣٥٨ترك التلبية بغضاً لعلي عليه السلام.
- ٣٥٩الجهر ببسم الله.

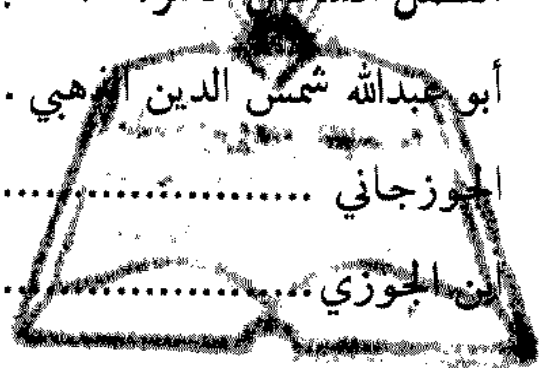
- ٤٧٢ الخوارج في رجال الصحاح
- ٤٨٢ النواصب في رجال الصحاح
- ٤٩٥ المرجئة في رجال الصحاح
- ٤٩٧ مذهب الشراة
- ٤٩٨ المجسمة في رجال الصحاح
- ٤٩٨ القدرية في رجال الصحاح
- ٥٠٠ الأباضية في رجال الصحاح
- ٥٠١ الزنادقة في رجال الصحاح
- ٥٠٣ المدلسون في رجال الصحاح
- ٥١١ الكذابون في رجال الصحاح
- ٥١٩ المجاهيل في رجال الصحاح
- ٥٢١ الضعفاء في رجال الصحاح
- ٥٢٤ السراق في رجال الحديث
- ٥٢٥ السكارى في رجال الصحاح
- ٥٢٧ المخلط بعقله في رجال الصحاح

٥٢٩ الفصل السادس عشر: أصحاب الجرح والتعديل

٥٣٥ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي

٥٣٨ الجوزجاني

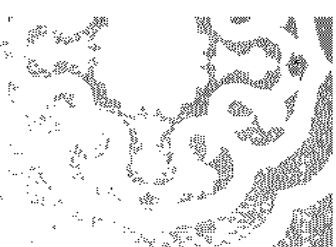
٥٣٩ ابن الجوزي



- الزيادة في حديث أنا مدينة العلم..... ٤٠١
- ابن تيمية..... ٤٠٣
- الفصل الثالث عشر: الكذب على الله ورسوله..... ٤٠٩
- الكذب على الله ورسوله ﷺ في العهد العباسي !..... ٤١٥
- وضع الأحاديث حسبة لله تعالى..... ٤١٨
- تبرير الكذب في الحديث..... ٤١٩
- التعرف على الثقة والثقات..... ٤٢٢
- الفصل الرابع عشر: حول الصحيحين للبخاري ومسلم..... ٤٢٩
- رد زعم انحصار الأحاديث الصحيحة في الكتابين..... ٤٣٤
- التعصب لرواية الصحاح..... ٤٣٧
- تعقيب على أحاديث الصحيحين..... ٤٤٣
- التناقض في الصحاح..... ٤٤٦
- الحقد والحسد بين علماء الجرح والتعديل..... ٤٤٩
- آراء في البخاري..... ٤٥٦
- بغض البخاري..... ٤٦١
- الفصل الخامس عشر: رجال الصحاح الستة..... ٤٦٥
- أصحاب البدع في رجال الصحاح..... ٤٧٠

- ٥٤٦ ابن حزم
- ٥٤٩ تهمة الزندقة
- ٥٥١ تهمة التشيع أو الرفض
- ٥٥٨ محمد بن جرير الطبري
- ٥٦٢ الطعن بالرواية من أجل تشيعهم





مراكز التوزيع

- قم - الغدير للنشر والتوزيع - تليفون : ٠٩١٢٥٥١٤٤٢٦
- البصرة - العشار - مكتبة الامام الهادي ﷺ - تليفون : ٦٢٢٥٦٢/٦٢٤٩٣٢
- النجف الاشرف - شارع الرسول - المعرض الدائم للانتاج الثقافي - تليفون : ٣٧١٠٥٤
- بغداد - الكاظمية - شارع باب القبلة - مكتبة الامام الرضا ﷺ تليفون : ٠٧٩٠١٩٩١٦٠٤

